د. أحمد حسين الصاوى

فجر الصحافة في مصر

دراسة في إعلام الحملة الفرنسية

فجر الصحافة في مصر

دراسة في إعلام الحملة الفرنسية

الدكتور أحمد حسين الصاوي

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٥

● الغلاف للفنان بهجت عثمان

محتويات الكتاب

إهـــداء ٥

تقـــديم ٧

● **الباب الأول :** الحملة الفرنســية والمطبعة ١٥

● **الباب الثانى :** سياسة الحملة الاعلامية وانجازاتها ٣٣

الفصل الأول : الاعلام للمصريين ٣٦

الفصل الثانى : الاعلام لجنود الحملة ٤٧

الفصل الثالث : الاعلام المتخصص ٥٥

الفصل الرابع : الاعلام لغير المصريين من السكان ٦٣

● **الباب الثالث :** المنشورات العربية وسيلة اعلام ٧١

● **الباب الرابع :** الدور الدعائى للمنشورات العربية ٨٧

الفصل الأول : السياسة الاســـلامية ٩١

الفصل الثانى : السياســـة الوطنية ١٠٩

الفصل الثالث : سياسة الترغيب والترهيب ١٦٣

الفصة الرابع : المنشورات الدعائية ، بين الحملة وأعدائها ١٨٧

● **الباب الخامس :** الدور الاعلامى البحت (الاخبارى) للمنشورات العربية ١٩٩

● **الباب السادس :** الخصائص الفنية للمنشورات العربية ٢٥٣

الفصل الأول : التحـــرير ٢٥٥

الفصل الثانى : التيبوغرافيا والاخـــراج ٢٨٧

- الأشـــكال ٢٩٩
- أهم مصـادر البحث ٤١١
- فهرس الأعـــلام ٤١٩

الى مصرنا العظيمة ، الخالدة منذ فجر التاريخ
الى ابد الدهر ، اهدى هـــذا الـكتاب ٠

تمهيد

متى بدأ ظهور الصحافة العربية فى مصر ؟ لقد حاول أكثر من مؤرخ وباحث أن يجيب عن هذا السؤال . وزعم عدد منهم أن حكومة الحملة الفرنسية أصدرت اول صحيفة عربية ، بينما أنكر غيرهم من الثقات هذا القول ، مؤكدين أن « الوقائع المصرية » التى أصدرتها حكومة محمد على مؤسس دولة مصر الحديثة كانت هى الصحيفة الأولى . وتحفظ بعض الباحثين فأضاف الى ذلك ان « الوقائع » سبقت الى الوجود بصحيفة أخرى صغيرة مهدت لظهورها ونشرت على نطاق ضيق ، وهى « جرنال الخديوى » .

غير أن هؤلاء المؤرخين والباحثين قد سلموا مع ذلك بأن مصر ، قبل أن تكون لها صحافتها العربية ، كانت مهدا لصحف أخرى . فان حكومة الحملة أصدرت صحيفتين فرنسيتين ، احداهما لجنودها وهى « لوكوريه دى ليجبت » ، والثانية لعلمائها وهى « لاديكاد اجبسيين » . وقد حفظ التاريخ أعداد هاتين الصحيفتين ، كما سجلتهما وثائق الحملة وكتابات مؤرخيها .

واذا كان ظهور الصحافة العربية فى عهد محمد على ثمرة طبيعية لانشاء مطبعة بولاق ، فان اصدار الصحيفتين الفرنسيتين قبل ذلك كان غاية مقصودة استهدفها الجنرال بونابرت من تزويد حملته بجهاز طباعى كبير .

ولكن لم يكن اصدار صحيفة لجنود الحملة واخرى لعلمائها هو الغاية الوحيدة أو الرئيسة لذلك التدبير غير المألوف فى الغزوات ، وما بذله قائد الحملة فى سبيله من جهد وما أضفاه عليه من عناية .

فقد كان الغرض الأول الذى حرص من أجله بونابرت على أن يزود حملته على مصر بالمطابع هو أن تكون أداة يخاطب عن طريقها الشعب المصرى . ومن هنا حرصه كذلك على أن يصطحب مجموعة مختارة من دارسى العربية الذين يستطيعون الترجمة بين قيادة الحملة والمصريين .

ولقد قصت علينا المراجع التاريخية بالفعل نبأ تلك الصحائف التى طبعتهـــا سلطات الحملة بالعربية ، وجعلتهـــا أداة أو وســـيلة تذيع منها على ابناء البلاد الخبر والرأى ، وتعلن الأوامر والقرارات . بل أن بعض المراجع الفرنسية قد تضمن نصوص عدد من تلك الصحائف فى اصولها الفرنسية التى ترجمت منها الى العربية ، ومنها عرفنا انها كانت تسمى « بيانات » أو « منشورات » (Proclamation) . ومن هذه المراجع ينفرد السفر الكبير « مراسلات نابليون الأول » بانه يضم بين دفتيه أصول كل ما أذاعه بونابرت على المصريين من تلك المنشورات .

غير ان مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى ، وقد عاصر أحـــداث الحملة ، ينفرد ـ من ناحية أخرى ـ بأنه سجل اكبر عدد من النصوص العربية لهذه المنشورات التى كان يطلق عليهـــا أحيانا « مناشير » واحيانا « فرمانات » ، فضلا عن انه لخص مضمون بعض ما فاته أن يسجله كاملا منها . وقد فعل معاصر آخر للحملة ، هو نقولا الترك ، مثل ما فعله الجبرتى ؛فسجل بدوره نصوص عدد من المنشورات العربية وان كان فى ذلك أقل دقة وموضوعية من الجبرتى . ومن تاريخ الجبرتى بالذات نقل معظم المؤرخين العرب نصـــوص ما سجله من المنشورات العربية . وقليل منهم من اهتم بأن يرجع الى الأصـــول الفرنسية فى مناقشته لبعض ما تضمنته هذه المنشورات . ولعل أبرز هؤلاء عبد الرحمن الرافعى واحمد حافظ عوض .

على ان احدا من هؤلاء جميعا لم يذهب فى ذكره للمنشورات الى أبعد من الاستشهاد بها على وقائع تاريخية معينة ، أو الاستدلال على وجهة نظر سياسية او اجتماعية . أى انه لم يكن من حظ هذه المنشورات ان جعلت هى ذاتها موضوعا للدراسة ، حتى فى كتابات من تعرضوا لموضوع الطباعة أو الصحافة فى عهد الحملة ، مثل الدكتور ابراهيم عبده والدكتور أمين واصف .

ويلاحظ من ناحية أخرى ان معظم هـــؤلاء المؤرخين كانوا أكثر اهتماما بما أذاعه بونابرت ، منهم بما أذاعه خليفتاه كليبر ومنو ، من هذه المنشورات . ولا شك ان ذلك راجع أولا الى دور هذا القـــائد

الأساسى فى الحملة وما اقترن باسمه من وقائعها ، منذ التخطيط لها حتى عاد الى فرنسا بعد أن استخلف فى قيادتها كليبر ، وثانيا الى شخصيته وما حفلت به حياته بعد الحملة من أحداث ضخام ، شغلت المؤرخين والباحثين وما تزال .

ويلفت النظر كذلك ان بعض المؤرخين الذين تناولوا ذلك العهد ، كان يلحق ببحثه ثبتا بالمراجع يضمنه قسما عن « الوثائق المعاصرة » ، ولكنه لا يذكر بين هذه الوثائق المنشورات التى كانت تذيعها سلطات الحملة على الناس وتضمنها أوامرها وقراراتها ، كما تعبر بوساطتها عن آرائها وسياستها .

ولقد أثار اهتمامى الخاص بهذه المنشورات ما طالعته من نصوصها فى تاريخ الجبرتى أولا ، ثم فى غيره من مراجع عهد الحملة الفرنسية الذى لم يجاوز ثلاث سنوات كان لها أعمق الآثار فى تاريخ مصر الحديث . وكنت كلما أطلت النظر فى مضمون هذه المنشورات وقارنت بين أصولها الفرنسية وصيغها العربية أيقنت بأنها ظاهرة اعلامية فريدة تستحق أن يفرد لها بحث خاص يقومها ويحدد أبعادها ويوضح جوانبها ويضعها فى مكانها التاريخى الصحيح ، وان ذلك سوف يقدم لنا مفهوما جديدا لنشأة الصحافة العربية فى مصر .

ان دخول المطبعة الى مصر لأول مرة على يد الحملة الفرنسية كان حدثا حضاريا خطيرا . وقد اتخذت منها سلطات الحملة اداة تصطنع عن طريقها وسائل « اتصال » متشعبة الأغراض . وكان « النشر » عن طريق هذه المطبعة فى حد ذاته تحقيقا لمبدأ اعلامى جديد على الحياة المصرية التى لم تعرف قبله سوى وسائل الاعلام البدائية ، مثل منابر المساجد و « المنادى » الذى يجوب الطرق . ومن هنا كان لابد ، لكى يقوم البحث على أساس سليم ، من الرجوع الى المنشورات نفسها فى طبعاتها الأصيلة ، ثم الاطلاع كذلك على ما أصدرته الحملة من مطبوعات عربية وفرنسية أخرى ، فضلا عن اعداد صحيفتيها « لوكوريبه » و « لاديكاد » ، وذلك لاستجلاء معالم السياسة الاعلامية للحملة ، حتى يمكن فى ضوئها تحقيق رؤية أوضح لطبيعة المنشورات وقيمتها .

أما من حيث المنشورات فان التنقيب فى المكتبات العامة والخاصة فى مصر لم يسفر الا عن العثور على عدد قليل من طبعاتها الفرنسية ، مع منشورين عربيين اثنين ، مما ضمته دار الوثائق القومية الى محفوظاتها من مكتبة قصر عابدين .

غير ان الظروف اتاحت لى ان اقوم برحلة دراسية الى باريس فى صيف عام ١٩٧١ . وهناك وفقت بعد مشقة الى العثور على مجموعة هائلة من المنشورات العربية ونظائرها الفرنسية ، فضلا عن بعض مسوداتها المخطوطة ، فى عدد من دور المحفوظات الرسمية ، وأخصها قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية والمكتبة القومية ، فقمت بتصويرها جميعا . وأتبعت ذلك برحلة الى لندن ، حيث عثرت فى مكتبة المتحف البريطانى على عدد آخر من المنشورات ، فحصلت كذلك على صورها .

ولا شك أن طبيعة المنشورات ، من حيث أنها صحائف متفرقة تصدر فى غير انتظام ، كانت وراء قلة العناية بجمعها وحفظها من ناحية ، وضياع بعضها من ناحية أخرى . ولولا اهتمام سلطات الحملة بضم ما توافر لديها من هذه المنشورات الى وثائقها المختلفة التى حرصت على الخروج بها من مصر ، ولولا اهتمام السلطات الفرنسية بعد ذلك بجمع ما تناثر فى حوزة الأفراد من هذه المنشورات وغيرها وضمه الى مكتبات الدولة ومتاحفها ، لما أمكن أن أعثر منها الا على النزر اليسير الذى لا يغنى فتيلا .

وأما من حيث المطبوعات الأخرى فقد كان الأمر اقل عسرا ، اذ تمكنت بعد شىء من الجهد من العثور على عدد من أهم هذه المطبوعات فى دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس . وقمت بعد الاطلاع عليها بتصوير ما احتاج اليه البحث من صفحاتها .

وأما صحيفتا الحملة الفرنسيتان فقد كان أمرهما أيسر كثيرا ، اذ أن كلا من دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس تحتفظ بمجموعتين كاملتين من صحيفة « لوكوريبه » فضلا عما تناثر من أعدادها فى بعض المكتبات الأخرى . وكذلك فان احدى دور النشر اللبنانية أعادت مؤخرا ـ بالتصوير ـ نشر المجلدات الثلاثة لصحيفة « لاديكاد » ، فوفرت بهذا على الباحث جهد الاطلاع على المجموعة الأصلية حيثما وجدت ، فى القاهرة أو باريس أو لندن أو غيرها .

وهكذا تجمعت بين يدى مختلف عناصر البحث ومصادره الأساسية ، فعكفت على دراستها واستكناه دلالاتها . وكان من الطبيعى أن يتم ذلك فى اطار من خلفية عريضة لتاريخ الحملة الفرنسية ذاتها ، أعان على توافرها تنوع المراجع لهذا التاريخ وتعددها فى مكتباتنا المختلفة ، بالفرنسية والانجليزية والعربية .

ولقد أسفر البحث ، بهذه المقومات ، عن عدة نتائج :

● فقد أجاب بوضوح عن السؤال الذى استهل به هـذا الحديث ، اذ حدد البداية الفعلية للصحافة العربية فى مصر ، بظهور تلك المنشورات المطبوعة التى أصدرتها سلطات الحملة لتؤدى وظيفة الصحيفة الرسمية للدولة .

● وأوضح أن هذه المنشورات لم تكن ظاهرة متفردة أو منعزلة ، وانما كانت جزءا من خطة اعلامية متكاملة ، تعددت أطرافها وقنواتها . فالى جانب الاتصال المبـاشر ـ بوسيلة حـديثة ـ بين حـكومة الحملة وأفراد الشعب المصرى ، استهدفت تلك الخطة كذلك أن يطلع جنود الحملة وأبناء الجاليات الأجنبية على مضمون الرسائل الاعلامية التى يتلقاها المصريون . وذلك اما باصـدار طبعة فرنسـية منفصلة من المنشورات العربية ، واما بأن تصـدر هذه المنشورات مزدوجة اللغـة . وتضمنت هذه الخطة كذلك استخدام المطابع فى اصدار « الأوامر اليومية » للجنود ، فضلا عن صحيفتهم الخاصة « لوكوريبه » . أما علماء الحملة الذين كانوا من أركانها الأساسية ، فقد صدرت لهم دورية « لاديكاد » .

ثم أن الدراسة التحليلية لمنشورات الحملة العربية قد كشـفت عن عدة حقـائق لا تقتصر على مجال الصحافة أو الاعلام وحـده ، وانما تجاوزه الى المجال التاريخى البحت :

● فهى من ناحية قد أبرزت كل ما يتصل بسياسة اصـدار المنشـورات ، ومضمونها ولغتها ، وتحريرها ، واخراجها ، ودور المصريين وغيرهم فى هذا الصدد .

● وهى من ناحية اخرى ، شأنها فى ذلك شأن الصحف بعامة ، قد عكست صورة صادقة لعصرها ، فأوضحت سياسة كـل من قواد الحملة الثلاثة تجاه المصريين ، وألقت الضوء على نشاط الادارة الفرنسية ومشروعاتها ، وجلت من الحقائق مالم تتضمنه المراجع التاريخية عن ذلك العهد .

وعلى هذا الأساس ينقسم الكتاب الى ستة أبواب . يتحدث الأول منها عن الحملة والجهاز الطباعى الكبير الذى اصطحبته معها ، وكان دعامة أساسية من دعاماتها . أما الباب الثانى فيتناول الخطة الاعلامية للحملة ، وهو يضم أربعة فصول يختص كل منها باعلام فئة

من الفئات التي استهدفتهـــا تلك الخطة ، وهى : الشـــعب المصرى ، وجنود الحملة ، وعلماؤها ، والمستوطنون الأجانب .

ويتركز الحديث فى الأبواب الأربعة الباقية على المنشـورات العربية : فيوضح الباب الثالث مهمة هذه المنشورات من حيث هى وسيلة اعلام حـديثة كاملة المقومات ، ويناقش الباب الرابع الدور الدعائى لها ، وهو ينقسم الى اربعة فصول تتناول على الترتيب : الفكرة الاسلامية ، والفكرة الوطنية ، ومحاولات الوعد والوعيد ، ثم معركة الدعاية بين الحملة وأعدائها . اما الباب الخـــامس فيحلل الوظيفة الاخبـــارية للمنشورات . ثم يتناول الباب السادس والاخير ، فى فصـــلين ، الخصائص الفنية للمنشورات من ناحيتى التحرير والاخراج .

وفى اطار هذا المنهج الذى قسم البحث على أســـاسه تقسيما موضوعيا ، يتدرج عرض المادة فيه من التعميم الى التخصيص ، عولج كل موضـــوع حسب الترتيب الزمنى الذى يتبع تعـــاقب قواد الحملة الثلاثة : بونابرت ، وكليبر ، ومنو .

ولا شك انى أفدت فى مرحلة التمهيد لكتابة البحث ، وفى أثناء اعداده ، قبل الاستعانة بالوثائق الأصلية ، من كل ما كتب عن الحملة الفرنســـية فى مصر بوجه عام ، ومن الدراسات التى اتصلت من قريب أو بعيد بنشاط الحملة الاعلامى بوجه خاص .

ومن واجبى ، وقد وفقت الى اتمام البحث وعرضـــه فى هـــذه الصـــورة أن أنوه بفضل من هيأوا لى بعونهم ســـلوك دربه الشـــاق ، وأخص بالذكر رجال القنصلية الفرنسية والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الذين أتاحوا لى الاطلاع على بعض المراجع النادرة ، كما زودونى بعديد من التوصيات القيمة عند ارتحالى الى فرنســا . وأذكر كذلك الخـدمات الثمينة التى قدمها لى المســـئولون فى متاحف باريس ومكتباتها ودور المحفوظات بها ، وفى المتحف البريطانى بلندن ، وفى دار الكتب المصرية ، ودار الوثائق القومية بالقاهرة .

ولا يفوتنى كذلك ان أشكر المسئولين فى الهيئة المصرية للكتاب ، وفى مطابعها الثقافية ، على ما أولوه للكتاب من رعاية ، وما بذلوه فى طبعه واخراجه من عناية .

وانى اذ أقدم ثمرة ذلك الجهـد الى المعنيين بالدراسات الاعـلامية والتاريخية ، لأرجو أن أكون قد اضفت به جديداً الى مكتبتنا العربية فى هذين المجالين ، وجلوت صورة لجانب من جوانب عهد كانت له ـ على قصره ـ آثار بعيدة فى حياة مصر الحديثة .

وبالله التوفيق ؟

يونيو ١٩٧٤

د . احمد حسين الصاوى
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

الباب الأول

الحملة الفرنسية والمطبعة

أجمع المؤرخون ـ وبحق ـ على أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال بونابرت قرب نهاية القرن الثامن عشر ، هى الحد الفاصل ونقطة التحول الفعلية الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر الحديثة .

ومع قصر عهد الحكم الفرنسى لمصر ، الذى لم يزد كثيرا على ثلاث سنوات (١) ، ومع أن الحملة قد فشلت فى تحقيق أهدافها الاستعمارية التى حلم بها رجال مثل مجالون(٢) ودى شوازيل(٣) وتاليران(٤) ، وتحمس لها بونابرت نفسه ووضع خطتها ، وأيدتها حكومة الادارة (الديركتوار) ، فلا ريب أن الحملة كانت لها فى حد ذاتها نتائج أخرى بعيدة المدى قوية الأثر فى حياة مصر نفسها .

---

(١) من ٢ يوليو ١٧٩٨ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٠١ .

(٢) شارل مجالون (Charles Magallon) . وهو تاجر فرنسى قام بمصر أكثر من عشرين عاما ، وكان يشرف على مصالح مواطنيه فى القاهرة بعد انتقال القنصلية الفرنسية الى الاسكندرية عام ١٧٧٧ ، ثم أصبح قنصلا عاما لبلاده عام ١٧٩٣ . وقد ردد مجالون فى رسائله الى المسئولين فى فرنسا الشكوى من سوء معاملة المماليك للتجار الفرنسيين ، وعدد مزايا الاستيلاء على مصر والسيطرة على البحر الأحمر ، وأكد أهمية موقع البلاد الجغرافى وتجارتها ومنتجاتها .

(٣) دوق دى شوازيل (Choiseul) وزير خارجية فرنسا (١٧٥٧ ـ ١٧٧٠) . بذل جهدا كبيرا فى احياء البحرية الفرنسية وتقويتها ، وفى اعادة بناء صرح الامبراطورية الفرنسية التى انهارت فى صلح باريس عام ١٧٦٣ . وكان ممن فكروا فى انشاء مستعمرة فرنسية بمصر .

(٤) شارل موريس دى تاليران ـ بيريجور (Talleyrand-Berigord) . هاجر من فرنسا فى أثناء الثورة وعاش طويلا فى انجلترا والولايات الأمريكية ، ثم عاد الى وطنه عام ١٧٩٦ . انضم لعضوية المجمع العلمى الفرنسى عام ١٧٩٧ ، وهناك قدم بحثين حبذ فيهما انشاء مستعمرة فرنسية فى مصر . تولى وزارة الخارجية فى حكومة الادارة فى العام نفسه ، فواتته الفرصة لتحقيق فكرته .

لقد أراد القائد الفرنسي الشاب ، ومن ورائه حكومة الادارة ، أن يجعل من حملته أداة فعالة لتحقيق فكرة انشـــاء مستعمرة فرنسية فى مصر ، تكون نواة لامبراطورية فرنسية جديدة فى الشرق ، بعد أن فقدت فرنسا معظم مستعمراتها القديمة ، وبخاصة فى نصف الكرة الغربى (١) • ومن هنا كان تزويد الحملة بكل ما يساعدها على تحقيق هذا الأمل الكبير •

فالى جانب جيش كبير جيد التسليح يتكون من نحو خمسين الف جندى وبحار ، ويحمله أسطول من نحو اربعمائة سفينة ، صحب الحملة نخبة كبيرة من علمـــاء فرنســـا وباحثيها وخبرائها فى مختلف مجالات التخصص ، عدا مئات من الاداريين والعاملين المدنيين •

غير أنه مما يلفت النظر حقا فى مرحلة الاعداد لهـذه الحملة أن يعمل بونابرت على تزويدها بجهاز طبـاعى كبـــير ، وأن يشرف بنفسه ، وفى اهتمام شديد ، على استكمال هذا الجهاز لكل ما يلزمه من رجال ومعدات• ووثائق العصر ومراجعه تحفل بالشواهد على العناية الخاصة التى أولاها بونابرت لمطابع الحملة ، منذ مرحلة الاعداد لها ، وفى أثنـاء تحركها الى الشواطىء المصرية ، ثم طيلة المدة التى قضاها على رأسها بمصر • وكان لكل ما يتصل بالطباعة العربية بالذات النصيب الأوفى من هذه العناية •

اتخـــذت حكومة الادارة فى ٢٦ فنتوز من الســـنة الســـادسة للجمهورية (٢) (١٦ مارس عام ١٧٩٨) قرارا بتعبئة كل المعدات الطباعية

---

(١) كانت فكرة انشاء مستعمرة جديدة فى « الشرق » تراود كثيرا من الفرنسيين ، منذ ان أسفرت حروب فرنسا الاستعمارية والأوربية الطويلة قبل الثورة عن فقد الشطر الاكبر من المستعمرات الفرنسية ، فى سلحى اوترخت عام ١٧١٣ وباريس عام ١٧٦٣ • وبخاصة فى أمريكا الشمالية • ومنذ الفترة السابقة على انفجار الثـــورة الفرنسية ســـادت الأفكار التى تنتقد النظام الاســـتعمارى القديم ، وتدعو فى الوقت نفسه الى « استعمار جديد » دعامته العمل الحر وعدم الاستخدام الرخيص •

ولم تفلت أنظار الفرنسيين أن اتجهت بشكل نهائى نحو «الشرق» بعد أن تبين لهم فى السنوات القليلة التى سبقت ارسال حمله بونابرت على مصر أن ممتلكاتهم فى جزر الهند الغربية توشك أن تفلت من أيديهم نتيجة لانتشار الأفكـــار التحررية وازدياد النفوذ الأمريكى الناشىء بين سكانها •

(٢) يبدأ التقويم الجمهورى (للثورة الفرنسية) فى ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، غداة اليوم الذى قررت فيه الجمعية الوطنية الغاء الملكية فى فرنسا • وفيه تنقسم السنه الى اثنى عشر شهرا فى كل منها ثلاثون يوما ، وهى :

Vendémiaire, Brumaire, Frimaire, Nivose, Pluviôse, Ventôse, Germinal, Floréal, Prairial, Messidor, Thermidor, Fructidor

ويلحق بنهاية الشهر الثانى عشر تكمله (complément) ، وهى أيام « نسيء » مدتها خمسة أيام للسنة البسيطة وستة للكبيسة •

التى يحتاج اليها بونابرت فى حملته المزمعة على مصر ، وكذلك كل حروف الطباعة العربية واليونانية التى توجد بمطبعة الدولة ، فضلا عما يكفى من الحروف الفرنسية (١) • ولكن لما انقضت عشرة أيام على هذا القرار دون تنفيذ ضجر بونابرت ، فكتب يشكو فى لهجة حادة الى وزير الداخلية بطء الاجراءات ، ويقول له «ان مدير المطبعة والمواطن لانجليس(٢) أظهرا أسوأ النوايا» ، ويرجوه أن يصدر أمره بشحن جميع الحروف العربية ، دون قوالبهـــا (أمهاتها) التى توجد بتلك المطبعة • ثم يطلب من الوزير كذلك اصدار أمره بشحن الحروف اليـونانية التى كانت مطبعة الدولة وقتئذ تستخدمها فى طبع أعمـال زينوفون (Xénophon) (٣) ، ويقول ساخرا «انه ليس هناك ضير فى أن ينتظر زينوفون ثلاثة أشـهر حتى يتم سبك حـروف جديدة ، ما دامت الأمهات ستبقى بالمطبعة » • وأخيرا يطلب منه شحن حروف فرنســية من الأحجام المعتادة تكفى لاستخدامها على ثلاث طابعات » (٤) •

ويبدو ان بونابرت كان يخشى ألا تفى الطـابعات والحروف التى طلبها من حكومة باريس بالغرض . وبخاصة فيما يتصل بالطباعة العربية. فكتب الى العـالم مونج (٥) فى ٥ مارس ١٧٩٨ ــ وكان فى روما بوصفه عضوا بلجنة فحص التحف والآثار المرافقة للجيش الفرنسى ــ يطلب اليه

---

(١) Canivet, R.G., « L'Imprimerie de l'Expédition Française », Bulletin de l'Institut Egyptien, 5ème série, Tome III, 1909, p. 2.

(٢) Langlès) • وهو مستشرق فرنسى (١٧٦٣ ــ ١٨٢٤) ، ســاهم فى العمل بمدرسة اللغات الشرقية بباريس • وكان يجيد عـدة لغـات شرقية ، منهـا العربية والفارسية والتركية ، وله مؤلفات وتراجم قيمة • كان وقت الاعـداد للحملة يعمل امينا بالمكتبة القومية بباريس ، وقد وقفى فى اسرار مصاحبة الحملة الى مصر. ولما كان بونابرت يحتاج الى مستشرق قدير يصاحب حملتها ، فقد ضايقه هذا الرفض ، ولكنه فى النهاية اختار فانتور (Venture) بدلا من لانجليس ، بالاضافة الى مستشرقين آخرين مثل مارسيل (Marcel) •

(٣) مؤرخ وفيلسوف وقائد اغريقى من تلاميذ سقراط (نحو ٤٢٧ ــ ٣٥٥ق.م) •

(٤) Correspondance de Napoléon 1er, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III, Paris, 1858-70, Vol. IV, doc. 2452.
وقد أورد كانيفيه (Canivet, op. cit., p. 3.) نص هذه الرسالة كاملا •

(٥) هو جاســبار مونــج (Gaspard Monge) أكبر علمـاء الرياضـيات بفرنسا فى عصره ، واحد مؤسسى مدرسة الهندسة بباريس ، وعضو المجـمع العـلمى الفرنسى • درس عليه بونابرت فى المدرسة الحربية ، وكان موضع اجلاله • وقد =

ان يعد للحملة مجموعات من حروف الطبـــاعة العربية وعددا من صفافي الحروف والطابعين والمترجمين وغيرهم ، كما دعاه للانضمام الى الحملة (١)· وقد رد مونج فى ١٥ مارس بأنه سوف يستولى من مطابع « جمعية نشر الدعوة الدينية » بروما على ثلاث طابعات مع معـــداتها ، وانه سيضم لها أطقم حروف لاتينية وعربية وسريانية · وكذلك أعلن انه اختـــار بعض المترجمين والفنيين والعمال (٢) ·

وقد تبادل بونابرت بعد ذلك عددا من الرســائل مع مونج لاقناعه بمصـاحبة الحملة ، بعد أن اعتـــذر بتقدمه فى السن وبكثرة واجباته فى باريس · وكان بونابرت لايفتأ فى هذه الرسائل يذكره بالمعدات المطبعية· ففى ١٣ جرمينال عام ٦ ج (٢ أبريل ١٧٩٨) كتب القائد الفرنسى الشاب الى العالم الكهل يقول : «انني أعتمد على المطبعة العربية لجمعية نشر الدعوة الدينية وعليك ·· فهل أصعد فى نهر التيبر لأصحبك ؟» (٣) وبعد ثلاثة أيام كتب بونابرت اليه مرة أخرى يقول : «انني أوصيك بالمطبعة العربية بخاصة» (٤) ·

والى جانب ذلك كله أصـــدر بونابرت أمرا الى كافاريلى (٥) فى

= صحبه فى حملته على مصر حيث اختير رئيسا للمجمع العلمى · ولما عاد الى فرنسا بذل جهدا كبيرا فى جمع بحوث علماء الحملة الفرنسية على مصر · وفى عهد الامبراطورية منحه نابليون لقب « كونت » وعينه بمجلس الشيوخ (١٧٤٦ – ١٨١٨) ·

(١) Christopher Herold, Bonaparte in Egypt, London, 1963, p. 29. ولهذا الكتاب ترجمة عربية بقلم الأستاذ فؤاد الدراوس ، بعنوان « بونابرت فى مصر » ، القاهرة ، ١٩٦٧ ·

(٢) Charles-Roux, F., Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936. pp. 12-3.
وجمعية نشر الدعوة الدينية (Congrégation de la Propagande) أنشأها المجمع المقدس بالفاتيكان ، وكانت مهمتها ترجمة الكتاب المقدس وطبعه بكل اللغات .

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧١ ·

(٤) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧٩ ·

(٥) هو الجنرال ماكسيميليان كافاريلى دى فالجا (Maximillen Caffarelli de Falga) من أسرة فرنسية نبيلة · حارب فى الحملة الايطالية وفقد احدى ســاقيه · عهد اليه بونابرت قبل ابحار حملته على مصر بالاشراف على اعداد الأدوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها ، ثم اختاره رئيسا للفرقة المهندسين فى الجيش وعضوا بالمجمع العلمى =

٢١ فلوريال عام ٦ ج (١٠ مايو سنة ١٧٩٨) ، أى قبل اقلاع الحملة بتسعة أيام ، بأن يشترى أدوات ومعدات لمطابع الحملة ، وقد كلفه ذلك أكثر من عشرة آلاف فرنك (١) ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت .

أصدر بونابرت قبل قيام الحملة القرارات التنظيمية الخاصة بموظفى المطابع وعمالها . وقد حرص على أن يختار للاشراف عليها شخصية ممتازة، جمع صاحبها بين الخبرة الطبـــاعية والصحفية وبين اجادة اللغة العربية بالذات ، مما يجعل لهـذا الاختيار دلالته الخاصة ، هو المستشرق العلامة مارسيل الذى ساهم فى نشاط الحملة الطباعى والاعلامى والعلمى بنصيب كبير (٢) .

واهتم بونابرت كذلك بأن يكون من بين من عينهم للعمـــل بمطابع الحملة بعض أبناء الأقطار « الشرقية » (٣) ، وممن درسوا اللغة العربية

= المصرى . وقد أشار اليه الجبرتى كثيرا فى يومياته عن عهد الحملة الفرنسية ، وكان يقول ان العامة تسميه أبا خشبة بسبب ساقه الخشبية . قال عنه مرة « ومن جملة من انتقل من الغرب الأحمر الى الأزبكية كفرلى المسمى بأبى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هـذه الحالة .. » : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ ، جـ ٣ ، ص ٣٠ . أنظر :

Caniver, «L'Expédition d'Egypte», **La Revue Internationale d'Egypte**, 1906, p. 9.

Ibid., p. 3. (١)

(٢) هـو جان جـوزيف مارســـيل (J.J. Marcel) تتلمذ على أوتم بمدرســة المعلمين العليا بباريس ، ثم درس بمدرســة اللغـات الشرقية على لانجليس وفالتور وسلفستر دى ساسى (Silvestre de Sacy) واجاد العربية والتركية والفارسية وفيرها . رأس فيصدر شبابه تحرير صحيفة مدارس المعلمين (Le Journal des Ecoles Normales) وقد جمع بيده حروف المنشور العربى الأول لبونابرت على البارجة «أورينت» ، واختير عضوا بالمجمع العلمى المصرى . والى جانب اشرافه على مطابع الحملة نشر فى مصر عدة بحوث ، منها كتب فى تعليم العربية الفصحى والعامية ونماذج مختلفه من الآداب الشرقية. وبعد عودته الى فرنسا اشترك فى تحرير العمل الضخم «وصف مصر» وكتاب «التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية على مصر» . وفى أواخر أيامه عين مارسيل مديرا عاما لمطابع الدولة وسمح وسام فرقة الشرف . وأجمع المقال الذى كتب فى تأبينه :

M. Belin, «Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel, «Journal Asiatique», 5e Série, Tome III, 1854.

(٣) الياس فتح الله من مدينة دياربكر (الكردية) ، مترجم ورئيس العاملين بالقسم العربى للمطابع ، ويوسف مسابكى من دمشـق . أنظر : جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ١٩٥٧ ، جـ ٤ ، ص ٤٦ .

بروما أو بمدرسة اللغات الشرقية بباريس (١) .

ولم يكتف بونابرت بأن تســـافر حملته مجهزة ـ مـــع أسلحتها وعلمائها ـ بهذه العدة الطباعية الرسمية الضـــخمة التى جمع وحداتها وأدواتها من باريس وروما ، والتى اختار للاشراف عليها والعمل بها نخبة من الرجال ، وانما رحب كذلك بأن يصحب الحملة طابع مستقل بمعداته الخـــاصة ، هو مارك اوريل الذى كان لبونابرت به معرفة سابقة . بل وشجعه بأن منحه لقب «طابع جيش الشرق»(٢) . وبالفعل ساهمت مطبعة مارك أوريل بجهد ملحوظ فى النشاط الاعلامى للحملة ، كما سنرى .

وبلغ من اهتمام بونابرت بمطابع الحملة الرسمية أن أمر بنقلها على البارجة لوريان (L'Orient) التى عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتى أبحر عليهـــا بونابرت نفسه . ولا شـــك انه كان يبغى من وراء ذلك أن تبقى المطابع قريبة منه ، بحيث تستطيع أن تمارس نشاطها فى أى وقت يشاء قبل النزول الى الشواطئ المصرية . وقد حدث بالفعل أن كتب بونابرت منشوره الأول الى الشعب المصرى ، وترجم المنشور الى العربية وطبع فى البحر ، بل وبدأ توزيعه من هناك ، قبل أن تطأ أقدام الفرنسيين الأراضى المصرية (٣) . وكذلك قامت هذه المطابع ، ومطبعة مارك أوريل (٤) ، فى أثناء الرحلة بطبع بعض المنشورات الفرنسية التى وزعت على جنود الحملة، قبل وصولها الى الاسكندرية ببضعة أيام .

---

(١) مثل دلابورت (De Laporte) الفرنسى وجوفانى ريتو (G. Rino) وكاميلوريجا (C. Riga) الايطاليين . انظر : Canivet, op. cit., p. 4.

(٢) هو جوزيف ايمـانويل مـارك أوريـــل (J. Emmanuel Marc Aurel) ابن بيير مارك أوريل الذى كان طابعا وناشرا وصاحب مكبة بمـدينة فالنس على نهر الرون (Valence-sur-Rhône) . وقد عرف بونابرت بهما فى أثناء عمله ضابطا بتلكنات هذه المدينة . وفى عام ١٧٩٣ عين بونابرت صديقه الشاب جوزيف طابعا لحملة طولون انظر :

Geisse, A., «Histoire de l'Imprimerie en Egypt», Bulletin de l'Institut Egyptien, 5e série, Tome I, 1907, p. 142 ; Charles-Roux, op. cit., pp. 138-40.

(٣) يذكر كريستوفر هيروك (op. cit., p. 60) انـه بينمـا كان الأســـطول الفرنسى لا يزال أمام الاسكندرية ، أرسل قائد سفينة عثمانية أحد ضباطه بهدية الى البارجة « لوريان » ليستوضح جلية الأمر ، وهناك أعطوه نسخة من المنشور العربى الأول الموجه الى اهل مصر . ولما كان الضـــابط لا يعرف العربيـــة ، فقـــد ترجم له المستشرق فانتور عبارات المنشور الى التركية ، مطلب مزيدا من النسخ لتوزيعها . ثم نقل واجما مخطف من بونابرت الى فائده .

(٤) كانت هذه المطبعة على ظهر الفرقاطة « جوستس » (Justice) كمـــا ذكر عدد من المؤرخين .

بعد اتمام احتلال الاسكندرية ، وقبل الزحف منها الى القاهرة، كان بونابرت حريصا على أن تعد مطـــابع الحملة بحيث تؤدى عملها فى أسرع وقت • ومن أجل ذلك أصدر أمرا يوميا من ثلاث مواد فى ١٩ مسيدور عام ٦ ج (٧ يوليو ١٧٩٨) ، وهو اليوم الذى غادر فى مسائه الاسكندرية مع أركان حربه ليلحق بالفرق الزاحفة الى القاهرة • وينص هذا الامر على أن قيادة الجيش ستترك بالاسكندرية ضابطا مسئولا يشرف على انزال المطابع الى البر ، وأن هذه المطابع سوف تقام فى منزل قنصل البندقية ، بحيث تستطيع أن تطبع فى خلال ثمـــان وأربعين ســـاعة بالفرنسية أو العربية كل ما قد ترسله اليها القيادة العامة ، فى أثناء الزحف على القاهرة وبعـــده • وينص الامر كذلك على انه بمجرد تهيئة المطبعة العربية للعمل تقوم بطبع أربعة آلاف نسخة أخرى من المنشور العربى الاول ، الذى سبق طبعه فى عرض البحر(١) •

تابع بونابرت اهتمامه بمطابع الحملة من القاهرة • فما أن استتب له الامر هناك حتى أخذ يبعث برسائله ، منذ ٢٧ يوليو ١٧٩٨ ، الى كل من كليبر (Kléber) قائد حامية الاسكندرية ، ومنو (Menou) حاكم رشيد ، وبرتييه (Berthier) رئيس أركان حرب جيش الحملة (وكان بالاسكندرية) ، يطلب العمل على نقل مطابع الحملة الى القاهرة • وكانت هذه المطابع عندئذ تؤدى عملها فى اصدار المطبوعات الفرنسية والعربية باشراف مارسيل ، بينما كانت مطبعة مارك اوريل الخـــاصة قـــد نقلت بالفعل الى القاهرة وأخذت تمـــارس نشـــاطها فى خدمة الحملة بنشر المطبوعات الفرنسية وحدها ، اذ لم تكن هذه المطبعة تملك حروفا عربية •

ومن لهجة رسائل بونابرت فى هذا الصدد يتضح مدى تلهفه على أن تكون المطابع الرسمية للحملة ، وبخاصة القسم العربى منها ، قريبة منه فى القاهرة(٢) •

ومن المؤكد ان عدة مطبوعات عربية قـــد صـــدرت فى تلك الايام من الاسكندرية • فهناك منشورات محلية صـــدرت فى الاشـــهر الاولى لعهد الحمـــلة ذيلت بالعبـــارة العربية « فى اســـكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية » ، أو العبارة الفرنسية :

« de l'Imprimerie Orientale et Française d'Alexandrie »

---

(١) Charles-Roux, op. cit., p. 140.

(٢) راجع : مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، الوثائق ٢٨٥٣ ، ٢٨٦٤ ، ٢٩١٣ ، جـ ٥ ، وثيقة ٣٦٦٩ . انظر كذلك : Charles-Roux, op. cit., pp. 143-4.

وتضـم قائمة مطبـوعات الحملة التي أوردها « جيس » كذلك (١) عناوين بعض الكتيبات التي صدرت في ذلك الوقت بالاسـكندرية خاصة بمن يتعلمون العربية من الفرنسيين ٠

وتشير بعض مكاتبات بونابرت من القـاهرة وقتئذ الى اعتماده على مطابع الحملة بالاسكندرية في اصدار بعض ما يريد من منشورات تتصل بسياسة الحكومة المركزية للحملة ٠ فقد أرسل الى كليبر في الثغر العدد الأول من صحيفة « لوكوريير دى ليجبت » الفرنسية (٢) في يوم صدوره (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، ومعه كتـاب طلب منه فيه أن يترجم الى العربية المقال المنشور بالصحيفة عن الاحتفالات التي أقيمت في القاهرة بمناسبة المولد النبوى ، ويـوزع الترجمة في بلاد المشرق ، وأن يرسـل له منها أربعمائة نسخة (٣) ٠

وفي ٢٧ فروكتيدور عام ٦ ج (١٣ سبتمبر ١٧٩٨) كتب بونابرت الى كليبر كذلك يقول : «تجد ٠٠٠ مرفقا بهذا نسخة من الكتاب الذى وجهه مشايخ القاهرة وكبراؤها الى شريف مكة ، فأرجو أن تطبعه وترسل لى منه ستمائة نسـخة ، كما تعمل على ارسال أربعمائة نسـخة أخرى لتوزع في شرق البحر المتوسط » (٤) ٠

Op. cit, pp. 145-50. [1]

(٢) هي أول صحيفة تصدر في مصر ٠ وقد أصدرتها قيادة الحملة الفرنسـية بعد استقرارها في القاهرة بنحو شهر ، وسيأتي الكلام عنها في موضعه ٠

(٣) أشار معظم مؤرخي الحملة الفرنسية الى هذا الكتاب نقلا عن « مراسلات نابليون » (ج ٤ ، وثيقة ٣١٧٦) ولكن لم يذكر أحد منهم ما اذا كان المنشور المطلوب قد طبع ووزع بالفعل ٠ وكذلك لم يشر المؤلف ، ضمن ما حشر حليـه من مطبـوعات الحملة ، على هذا المنشور ٠ ويلاحظ أيضا أن الجبرتي لم يشر اليه ٠

(٤) أشار الجبرتي في تاريخه «عجائب الآثار» ، ج ٣ ص ٢١) الى هـذا الكتاب وذكر مضمونه بايجاز وقال انهم وصلوا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق» ٠ وكذلك أشارت مصادر فرنسية عدة الى الموضوع ، وفي مقدمتها صحيفة «لوكوريير» (العدد الثاني، ٢ نسء عام ٦ ج : ١٨ سبتمبر ١٧٩٨) ٠ غير أن هذه المصادر ذكرت أن تاريخ كتاب المشايخ هو ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) بينما ذكره الجبرتي ضمن حوادث يوم ١٨ ربيع الثاني (٢٩ سبتمبر) ٠ ولاشك في صحة التاريخ الذى ذكرته المصادر الفرنسية لاتفاقه تماما مع تاريخ تنصيب أمير الحج الجديد ، وقد كان ذلك الموضوع من أهم ما تضمنه كتاب العلماء (انظر الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ٣ ص ١٦) ولكن يبدو أن الجبرتي لم يعلم بأمر كتاب العلماء وبالتالي لم يشر اليه الا بعد أن كان قد أرسل فعلا الى الاسكندرية ، حيث طبع وأعيد الى القاهرة على شكل منشور ٠ فالفارق الزمني بين التاريخين يمكن أن يفسر هـذا الاختلاف ٠ وسنتعرض لهـذا المنشـور مرة أخرى فيما بعد ٠

ولا شك ان ارسال أصول المنشورات العربية من القيادة العامة في القاهرة لطبعها في الاسكندرية ، ثم توزيعها من هناك ، كان أمرا غير عملي. هذا الى ان بونابرت لم يكن راضيا عن جهود مارك اوريل ، بسبب كثرة الأخطاء الطباعية في الصحيفتين الفرنسيتين ، وبخاصة في « لادبكاد اجبسيين » (١) .

لم يشأ بونابرت أن يظل نشاط الحملة في مجال النشر موزعا بين مطبعة مارك اوريل الخاصة ومطابعها الرسمية ، بعد أن تم نقل معظم وحدات هذه الاخيرة الى القاهرة ، بل أراد أن يتركز ذلك النشاط في المطابع الرسمية وحدها ، وأن تكون مطبوعاتها تحت رقابة مباشرة من بعض معاونيه الأكفاء .

وكانت المطابع الرسمية ومعداتها قد وصلت الى القاهرة تباعا عن طريق النيل في خلال شهر أكتوبر ١٧٩٨ (٢) . وبعد وصول مديرها مارسيل وعمالها مع الحروف المختلفة ، بدأ اعدادها للعمل . وظهر لهذه المطابع — كما سنرى — انتاج فرنسي وعربي منذ أوائل شهر نوفمبر التالي . وليس صحيحا ما ذكره الدكتور ابراهيم عبده (٣) من أن المطبعة الرسمية «لم تستطع تأدية وظيفتها (في القاهرة) الا في شهر يناير من سنة ١٧٩٩ » . ويبدو ان بعض أدوات المطبعة تأخر ارساله من الاسكندرية ، مما حدا ببونابرت الى أن يكتب لمنو بتاريخ ٢٤ نوفمبر ليدبر في الاسكندرية عددا من الجمال كي تنقل بعض الصناديق التي كانت ما تزال تنتظر شحنها في النيل من رشيد (٤) .

وعلى أية حال ، فقد ساعد بونابرت على اتخاذ خطوته الحاسمة في هذا الشأن انه لم يكن راضيا — كما ذكرنا — عن مستوى الطباعة في الصحيفتين الفرنسيتين ، مما جعله يأمر بسحب امتياز طبع «لاديكاده» ثم «لوكوربيه» من مطبعة صديقه (٥) ، وبتكليف مارسيل بأن يتولى أمرهما في

---

(١) عن الدورية التي أصدرتها الحملة لعلمائها وسيأتي الكلام عنها في حينه .

(٢) Charles-Roux, op. cit. p. 144.

(٣) تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٤٠ .

(٤) مراسلات نابليون ، ج ٥ وثيقة ٣٦٦٦ .

(٥) كان من أبرز الاخطاء المطبعية في «لوكوربيه» وقتئذ ان اسمها نفسه كتب بحرف «r» واحد بدلا من اثنين (Courier) .

مطابعه الرسمية (١) وعن هنا أصدر أمره المشهور فى ٢٥ نيفوز عام ٧ ج (١٤ يناير ١٧٩٩) بتنظيم مطابع الحملة (٢) ٠

ويلفت النظر فى هـــذا الامر انه يتكون من ست مواد ، أربع منها تتعلق بالقسم العربى من المطابع ٠وهى تنص على سبك خمسة صناديق(٣) جديدة للحروف العربية ، وعلى الحاق عدد من العمال «الشرقيين» بالمطبعة، فضـلا عن عدد آخر من الســبيان ليتعلموا صف الحروف ٠ غير ان اهم ما تضمنه هذا الامر هو تعيين المستشرق فانتور مراقبا للمطبعة العربية ، بحيث تخضع لاشرافه المباشر ولا يطبع فيها شيء الا بموافقته ، بينما عهد الى بورين (Bourrienne) بمثل هذه المسئولية فى المطبعة الفرنسية ٠

* * *

ينضح من كل هذا ان بونابرت ــ فى حملته على مصر ــ كان ينظر الى المطبعة نظرة خاصة ، ويهتم بأمرها اهتـــماما غير مألوف فى مثل هذه الحملات ٠ فمنذ اختراع المطبعة ــ وهو لا شك حدث حضـــارى خطير ــ لم نســمع عن حمـــلة حربية أو استعمارية واحدة اولت المطبعة كل هذا الاهتمام أو جعلت لها هذه الاهميـــة ٠ لقد انطلقت من مختلف الدول الاوربية عبر تاريخها الحديث عدة حملات وموجات استعمارية متعاقبة الى آسيا وافريقيا والامريكتين ٠ ولكن لم يسجل التاريخ لاحداها انها جعلت

---

(١) كتب برتلايمت فى هـــذا الشـــأن الى ديجنت (Dégenettes) كبير اطباء الحملة الذى كلف بالاشراف على طبع الصحيفة واخراجها فى أول الأمر : بما ان المواطن مارك اوريل لا يستطيع أن يطبع « لاديكاد » جيدا فيمكنك أن تعهد بها الى المواطن مارسيل ليطبعها فى المطبعة الرســـمية ٠ وأرجو أن توجه عنـــايتك الى ضرورة ظهور الصحيفة بانتظام كل عشرة أيام ٠ انظر :

Pétivier, A., Napoléon Journaliste, Paris, 1918, pp. 88-9.

وبعد أن وجد مارك أوريل مطبعته بلا عمل عرض على قيادة الحملة أن يبيعها آلات المطبعة وأدواتها جميعا ٠ وبالفعل تألفت لجنة لتثمينها ، ولكن عملية البيع لم تتم ولم يسافر مارك اوريل عالما الى فرنسا الا فى عهد كليبر تالى قواد الحملة ٠ انظر

Dégenettes, N.R.D., Souvenirs d'un médecin de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1893, Tome 3, p. 17.

(٢) راجع النص الكامل للأمر عربيا فى : ابراهيم عبـــده ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ ــ ٤٤ نقلا عن بعض المصادر الفرنسية المعروفة ٠

(٣) يطلق مصطلح « الصندوق » على ما يشبه علبة كبيرة تصنع دون غطاء ، من الخشب المتين او المعدن ٠ ويقسم الصندوق الى عيون مختلفـــة الاتســـاع ، حتى تخصص العيون المتسعة لاكبر عدد من الحروف الكثرة الاستخدام ، والعيون الاقل اتساعا للحروف الاقل استخداما ٠ وهذا الصندوق هو العدة الأساسية لعامل الجمع اليدوى فى المطابع ٠

المطبعة جزءا أساسيا من عدتها ، وجهازا رئيسيا يعمل فى خدمة أغراضها، كما فعلت الحملة الفرنسية ٠

ولكن ، لماذا فعل بونابرت ذلك ؟ وما هى الفكرة التى جعلته يهيىء للمطبعة فى حملته على مصر هذه المكانة ؟

من فحص انجازات مطابع الحملة ، ودراسة الاشارات المتناثرة فى رسائل بونابرت ومذكراته ومذكرات بعض أعوانه ، فضلا عما كتبه مؤرخو شخصيته الفذة من معاصريه وغيرهم ، نستطيع أن نقرر ان بونابرت عندما جهز حملته بهذا الجهاز الحضارى الخطير الاثر ، وعندما استمر ــ رغم مشاغله وما واجهته حملته من متاعب ــ يواليه دائما بعنايته ، كان يبغى تحقيق خطة اعلامية متعددة الجوانب ٠

ونستطيع أن نؤكد ان الأمر لم يكن أبدا مجرد اجراء «روتينى» عادى يوفر به قائد حملة عسكرية لجيشه أداة «ادارية» يستعين بها على اذاعة أوامر القيادة وقراراتها على الجنود ، كما هو الشأن فى الجيوش الحديثة :

ــ لقد دبر بونابرت حملته مستهدفا منها أن تكون «غزوا» أو «فتحا» لهذه البلاد ٠ وكان يحلم بأن ينشىء فى مصر مستعمرة فرنسية جديدة ذات طابع فريد ، تمتزج فيه حضارتها «الشرقية» العريقة بالحضارة الاوربية الحديثة عامة ومبادىء الثورة الفرنسية بوجه خاص ٠ ولتحقيق هذه السياسة كان لا بد من اعلام دعائى مدروس منظم ٠ والدعاية تعتمد ، أول ما تعتمد ، على النشر أو الاذاعة ٠ وليس أقوى من الكلمة المطبوعة فى ذلك الوقت وسيلة لنشر هذه الدعاية واذاعة رسائلها ٠ وكان لا بد ــ بطبيعة الحال ــ أن تكون هذه الوسيلة الدعائية بلغة من توجه اليهم ٠ ومن جهة أخرى فان جهاز الحكم الفرنسى يحتاج الى أداة حديثة تيسر نقل أوامر المسئولين وملاحظاتهم ، وتساعد بالتالى على دعم الادارة الجديدة وتثبيت سلطتها ٠ وليس أصلح من المطبعة فى ذلك الوقت لأداء هذه المهمة ٠ ومن هنا أصبح من الضرورى توفير المطبعة العربية والاهتمام بها وبكل ما يساعدها على تحقيق رسالتها من أدوات وحروف ، ومن محررين ومترجمين وفنيين وعمال ٠

ــ وكان المفروض أن يستقر الفرنسيون فى مصر مستعمرين مقيمين ٠ فالحملة ، كما سبق القول، كانت محاولة لفتح استعمارى جديد، تحوطها أحلام المجد الزاهية ، وتصاحبها مشروعات بعيدة المدى ٠ ومصر اقليم يبعد عن فرنسا كثيرا ، ويختلف عن أوربا اختلافا كبيرا فى البيئة

والتقاليد وسائر مقومات الحياة • وفى هذه «المستعمرة» الجديدة ، سوف يقيم الجنود فى مناطق متفرقة تمتد على جانبى واد يبلغ طوله مئات الكيلومترات ، وسوف يصيبهم ـ ولا شك ـ الملل ، وسوف يشعرون بالحنين الى وطنهم • ولذلك يحتاج هؤلاء الجنود الى وسيلة اعلام ترفع روحهم المعنوية ، وتربط بينهم ، وتسليهم وتخفف من آلام غربتهم ، وتعرفهم بمعالم بيئتهم الجديدة • هذا فضلا عن الحاجة التقليدية الى نشر قرارات القيادة وأوامرها بين جنود الحملة أينما كانوا فى مختلف أرجاء البلاد • ومن هنا كان لا بد للحملة من مطبعة فرنسية تفى بهذه الاحتياجات •

ـ ولقد صحب «جيش الشرق» الى مصر عدد كبير من العلماء والباحثين والفنيين ، الذين كونوا ما سمى بلجنة العلوم والفنون(١) • وكان هذا الفريق يمثل ركنا أساسيا من أركان حملة بونابرت ، ومنه أسس القائد الفرنسى الشاب بمجرد استقراره فى القاهرة المجمع العلمى المصرى (l'Institut d'Egypte) على غرار المجمع الفرنسى(٢) • وكان الهدف من استعانة قائد الحملة بهذه المجموعة الكبيرة من العلماء هو القيام بالدراسات التى تجلو صورة مصر ، وتكشف كل ما يتصل بها من حقائق ، وتقدم الى الهيئة الحاكمة من المعلومات الدقيقة المرتبة ما يساعدها على الاستقرار وارساء الأساس لبناء المستعمرة المنشودة • والمطبعة الفرنسية هنا ضرورة لتكون أداة يفيد منها علماء المجمع فى تسجيل نشاطهم ونشر بعض مايقومون به من بحوث ودراسات •

وقد دعم هذه الخطة الاعلامية المتعددة الجوانب ، التى كانت وراء

---

(١) بلغ عددهم أكثر من مائة وسبعين عالما وباحثا وفنانا وخبيرا متخصصا فى مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . وهو عمل لم يسبق له نظير •

(٢) تنص لائحة المجمع (التى تتكون من ٣٦ مادة) فى مادتها الأولى ، على انه أنشىء تحقيقا لهذه الأغراض : ١ ـ النهوض بالعلوم فى مصر ونشرها ٢ ـ بحث ودراسة وتفصيلية دقيقة فى الآثار والمساحة والجيولوجيا والحيوان والنبات والزراعة والجغرافيا وغيرها . وقد كان من بين أعضاء المجمع عدد من نوابغ المتخصصين فى مبادئهم النظرية والتطبيقية بيلادهم ، مثل الرياضى مونج (Monge) رئيس المجمع ، والمهندس ليبير (Lepère) ، والطبيب ديجنت (Désgenettes) •

تزويد الحملة بجهاز طباعى كبير ، ميل بونابرت الشخصى للصحافة ، وايمانه بأهميتها ، واهتمامه بأمرها . وقد نوه بذلك عدد من المؤرخين ، فقال فيل (Weill) (١) مؤرخ الصحافة الفرنسية : « كان نابليون يؤمن بقوة الصحافة ، وكان هذا الايمان يشـــغله دائما » . وكتب شارل رو (٢) ان نابليون بونابرت « أحب الصحافة دائما ، بشرط أن تكون رســـمية » . أما بريفيبه (Périvier) الذى خصص كتابا للحديث عن هذا الجانب فى حياة القائد الفرنسى ، فقال (٣) « اننا نجد شخصية الصحفى كامنة فى أعطاف قائد الحملة الفرنسية على مصر » .

وقد ظهر اهتمام بونابرت بالصحافة واضحا قبل الحملة المصرية، وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها قيادتها ، ثم بعد أن عاد الى فرنسا وأصبح قنصلا أول فامبراطورا (١٧٩٩ ــ ١٨١٥) .

فقد كان يكتب وهو بعد ضابط صغير بعض المقالات من حين لآخر فى صحف باريس(٤) . وفى أثناء وجوده على رأس الحملة الايطالية (١٧٩٦ ــ ١٧٩٨) أنشأ صحيفتين هما « La France vue de l'Armée d'Italie » (شكل ٢) (٥) و « Le Courrier de l'Armée » (شكل ٣) (٦) ، كما طبع عددا من المنشورات الموجهة الى الايطاليين . ولقد كان جوليان (Julien) رئيس تحرير صحيفة « لوكوريبه دى لارميه » يكتب كثيرا من مقالاته بايعاز مباشر من بونابرت ، بل واحيانا بناء على توجيهات محددة تتصل بأفكار المقالات ونقاطها (٧) . والى جانب ذلك كان بونابرت

---

(١) Weill, Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934, p. 129.

(٢) Op. cit., p. 144.

(٣) Op. cit., p. 79.

(٤) Ibid., p. 12.

(٥) كان المعتقد انه لم يتيسر للمؤرخين العثور على نسخ من هذه الصحيفة ، فقد أكد بريفيبه ذلك فى كتابه « نابليون صحفيا » قائلا : « ان مادة هذه الصحيفة كان يمكن ان تعطى باهتمام بالغ ، فلا شـــك انهـــا كانت تحتوى على بذور الافكـــار والخطط السياسية للقائد الذى اصبح فيما بعد قنصلا أول ثم امبراطورا لفرنسا . ولكن لســـوء الحظ لم يمكن العثور على اعـــدادها ، ولم يستطع آنان (Hatin) مؤرخ الصحافة الفرنسية أن يجـــد منها واحدا » (ص ٦٧ ــ ٦٨) . غير ان المؤلف ــ لحسن الحظ ــ قد وفق الى العثور على بضع نسخ نادرة من هـــذه الصـــحيفة ضمن مجموعة أخرى من الصحف القديمة فى المكتبة القومية بباريس .

(٦) من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولهذه الصحيفة اسم بديل هو « Le Patriote Français à Milan ».

(٧) Périvier, op. cit., p. 67 ; Charles-Roux, op. cit., p. 144.

يبعث احيانا بعض المقالات من مقر قيادته فى ايطاليا لتنشر فى صحف باريس ، ردا على ما كانت تنشره صحف الملكيين هناك (١) .

وفى اثناء وجود بونابرت على راس حملته بمصر ، كان شديد الاهتمام بصحيفتيها الفرنسيتين . وكثيرا ما كان يبدى بعض الملاحظات بشأنهما ، وبخاصة اذا ساءه شىء من اخطاء التحرير أو الطباعة . وقد سبق أن أشرنا الى سحبه لطبع هاتين الصحيفتين من مارك أوريل لهذا السبب .

ولشد ما كان بونابرت يدرك اهمية النبأ المطبوع ، ويعتبر الصحف من الأشياء الضرورية التى لا غنى للانسان عنها . ولذلك فقد عانى فى مصر كثيرا بسبب حرمانه ورجاله من قراءة الصحف الخارجية لمتابعة احداث فرنسا وغيرها . وليس ادل على ذلك من انه بمجرد أن وطئت قدماه ارض فرنسا عائدا من مصر ، أى فى اليوم الذى رسا فيه بميناء فريجوس (Fréjus) الصغير ، كتب الى قائد ميناء طولون كتابا يطلب اليه فيه أن يرسل « باقصى سرعة ممكنة » الى الجيش فى مصر سفينة تحمل اعداد صحيفة « لومونيتور » وغيرها ، التى صدرت خلال الأشهر الستة السابقة « لأن الجيش يفتقر الى انباء اوربا منذ اكثر من ستة أشهر » (٢) .

وبعد أن أصبح بونابرت قنصلا اول (١٨ برومير سنة ٨ ج = ٩ نوفمبر سنه ١٧٩٩) توثقت صلته بالصحافة . ومع أنه لم يكن من انصار حرية الكلمة ، ولذا بطش بعدد كبير من الصحف الفرنسية فى المرسوم الذى أصدره بتاريخ ١٧ يناير ١٨٠٠ وفرض على ما بقى منها رقابة صارمة (٣) ، فالذى يهمنا فى هذا الصدد هو انه جعل من صحيفة « لومونيتور » لسان حكومته « .. ووسيلة الاتصال بينه وبين الرأى العام داخل فرنسا وخارجها » (٤) .

ولقد كان القنصل الأول بونابرت فى الواقع مديرا للمونيتور ورئيسا لتحريرها ، يشرف على كل شىء فيها بنفسه ، ويراقب التحرير

---

(١) اميل بوافان (Emil Boivin) **تاريخ الصحافة** ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة الالف كتاب ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) Périvier, op. cit., p. 90.

(٣) كان فى فرنسا اكثر من ٧٠ صحيفة لم يبق منها بمقتضى هذا المرسوم سوى ١٣ .

(٤) **Ibid.**, p. 23 ; Ledré, Charles, **Histoire de la Presse**, Paris, 1958, p. 160.

والتوزيع والادارة وينتقد ما يقدم اليه من موضوعات ، ويملى التعقيبات ويصحح الأصول ، وما الى ذلك (١) .

وقد ذكرت صحيفة « لوناسيونال » (Le National) الباريسية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٣٠ ، أن بونابرت نشر عدة مقالات في صحيفة « لومونيتور » بين عامى ١٨٠٠ و ١٨٠٣ ، للرد على هجوم الصحف الأجنبية « كانت غاية فى براعة المنطق وعلو البلاغة وجمال الأسلوب » (٢) .

ولم تحل مهام الأمبراطورية دون اهتمام نابليون بالصحافة . وكان من اهم الصحف التى اعتنى الأمبراطور بأمرها الى جانب « لومونيتور » صحيفة « لو جورنال دى ديبـا » (Le Journal des Débats) التى عاونه فيها نخبة من الكتاب منهم الكاتب المعروف شاتوبريان (Chateaubriand) (٣) .

ولا ننس من ناحية اخرى أن الصحف التى تعمد سيدنى سميث (Sydney Smith) قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط أن يرسلها الى بونابرت فى أثناء حصاره لعكا ، هى التى عجلت بقرار عودته الى فرنسا ، بعد أن تبين منها سوء الأحوال فى بلاده واشتعال الحرب بينها وبين أعدائها من جديد . وكذلك كانت الصحف التى قراها فى منفاه الأول بجزيرة « البا » (Elba) سببا فى عودته التى بدأ بها عهد الأيام المائة (٤) .

ومن كل هذا يتضح كم كان بونابرت حفيا بأمر الاعلام ووسائله وادواته عندما أعد العدة لغزو مصر . فقد كان فى كل أطوار حياته رجل اعلام ، يؤمن ـ على طريقته ـ بالصحافة ، ويشارك فيها بالعمل والتوجيه ، ويعتمد عليها ويستخدمها لتحقيق أهدافه ، ولا ينى عن الاهتمام بأمرها ايا ما كانت شواغله . وهذا الجانب من شخصية بونابرت، الذى برز اسمه فى التاريخ مرتبطا ، قبل أية صفة أخرى ، بفتوحه

---

(١) اميل بوالان ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(4) Ledré, op. cit., pp. 157-8.

ومعاركه العسكرية ، ثم بانجازاته التشريعية والاصلاحية وربما بنزواته وشطحاته كذلك ، لهو أمر جدير حقا بامعان النظر .

وفى ضوء هذه الحقائق ينبغى ان ننظر الى السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية فى مصر نظرة جديدة ، وان نقومها تقويما منصفا ، ونتتبع اثرها فى حياة البلاد ، التى استشرفت بمجىء الحملة الفرنسية ـ أيا ما كانت أهدافها الحقيقية ومدى فشلها فى تحقيق هذه الأهداف ـ مرحلة جديدة من تاريخها الطويل الحافل . فمن المسلمات التاريخية انه بالرغم من عدم نجاح الحملة الفرنسية فى تحقيق مخططها الطموح ، فقد كانت لها آثار متعددة الجوانب متفاوتة العمق فى مستقبل مصر ، اصطلح على اجمالها فى القول بان مصر بدأت بالحملة الفرنسية تدخل التاريخ الحديث .

غير أن تفصيل هذا الاجمال قد احتاج الى عدة جهود علمية جادة متنوعة التخصص مختلفة المنهج ، وما زال يحتاج الى مزيد من هذه الجهود .

الباب الثانى

سياسة الحملة الإعلامية وإنجازاتها

أوضحنا فى الباب السابق مدى عناية قائد الحملة بأمر المطبعة . بحيث نستطيع القول ان الجهاز الطباعى الذى زود به بونابرت حملته كان يمثل ركنا أساسيا من أركانها الى جانب الجيش من ناحية ، وفريق العلماء والخبراء من ناحيـــة أخرى . وهو أمر تميزت به هـذه الحملة دون غيرها من الحملات المشابهة .

ثم استعرضنا جانبا من حياة هذا القائد يؤكد انه كان بطبعه يقدر الصحافة تقديرا خاصا ، ويسهم فى نشاطها ، ويتصل بمجالها اتصالا مباشرا . وكانت الصحافة هى الوسيلة الوحيدة للاعلام الحديث فى ذلك الوقت .

فكيف كانت سياسة هذا القائد الاعلامية فى مصر ؟ وما الذى استطاع أن يحققه هو وخليفتاه من هذه السياسة ؟ وما هى الآثار المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت على ما تحقق من انجازات اعلامية ؟

لقد اصطلح الاعلاميون على أن لعملية الاعلام أركانا أربعة لا بد من توافرها لكى تتم ، هى المصدر الذى ينشر أو يذيع ، والرســـالة التى يراد ابلاغها ، والوسيلة التى تســـتخدم لنقل هذه الرسالة ، ثم المتلقى أو الجمهور الذى توجه اليه الرسالة .

وفى موضوع بحثنا كانت قيادة الحملة بأجهزتهـا المختلفة هى مصدر الاعلام ، وكانت جماهيره تشمل أساسا ثلاثة عناصر هى : الشعب المصرى ، وجنود جيش الحملة والملتحقين به من موظفين وصناع ومن اليهم ، وفريق العلماء والخبراء . وقد يتسع نطاق هذه الجماهير لتشمل عناصر أخرى اقل أهمية ، مثل سكان البلاد من غير المصريين .

وأما وســـائل الاعلام التى اصطنعتها الحملة فاختلفت باختلاف الجماهير أساسا . كذلك اختلفت الرسائل الاعلامية باختلاف متلقيها .

غير ان السياسة الاعلامية للحملة حرصت ـ فى الوقت نفسه ـ على ألا تكون هذه الجماهير المختلفة قطاعات مستقلة ينفرد كل منها باعلامه الخاص ، متعزلا تماما عن سائر القطاعات . وانمـــا عملت على ان تحقق بينها لونا من التداخل أو التقارب الاعـــلامى . فكانت الرسائل ذات الطابع المشترك توجه الى أكثر من جمهور ، وذلك باذاعتها بأكثر من لغة ، ومن خلال أكثر من وسيلة . وكان يحـــدث أحيانا ان تذاع الرسالة مفصلة لجمهورها ، ويكتفى بايجازها أو بمجرد الاشارة اليها لغيره ، كما سنرى .

الفصل الأول

الإعلام المصرى

لا شك أن الشعب المصرى كان يمثل لقائد الحملة أهم العناصر التى ينبغى عليه أن يقيم بينه وبينها جسرا اعلاميا • وقد سبق أن لمسنا مدى حرصه البالغ على توفير الأدوات التى تمكنه من اقامة ذلك الجسر •

ولقد كانت وسيلة الاعلام الرئيسية التى استخدمها بونابرت فى مخاطبة المصريين ، والتى تبعه فيها خليفتاه من بعده ، هى المنشورات العربية المطبوعة ، التى ستفرد لها دراسة خاصة موسعة فى هذا البحث •

وكانت هذه الوسيلة جديدة تماما على المصريين ، فلم يعرفوا قبلها من وسائل الاعلام الا الوسائل الشفهية التى كانت شائعة قبل اختراع المطبعة، مثل المنادى فى الطرق ، والاذاعة عن طريق ممثلى السلطات أو رجال الدين من منابر المساجد وفى غيرها من أماكن العبادة ، وبخاصة فى أوقات الصلوات الجامعة • وكان على المصريين أن ينتظروا ثلاثة قرون ونصف قرن بعد اختراع المطبعة ، لكى يشاهدوا ــ مع مقدم الحملة الفرنسية ــ نماذج بلغتهم من انتاج هذا الجهاز الحضارى الخطير •

والواقع أن الحملة لم تقض تماما على تلك الوسائل التقليدية القديمة، وانما استعانت بها كذلك ، وبخاصة فى القرى • ولقد سجل ذلك فى أكثر من موضع مؤرخنا المصرى المعاصر للحملة ، عبد الرحمن الجبرتى • فكان كثيرا مايقول « ونادوا بذلك فى الطرقات » أو « نبهوا أيضا بالمناداة بأن••»

غير أن الجديد هو تلك « الأوراق المطبوعة » التي كان الفرنسيون كلما ارادوا اعلام المصريين بشيء اصدروا منها « نسخا كثيرة » و « أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورؤوس العطف وابواب المساجد » (١) • ولا شك أن ذلك في حد ذاته يمثل نقطة تحول واضحة في نظام الاعلام بمصر ، تفصل بين نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد •

ومن ناحية أخرى ، فقد حددت هذه البداية النهج الاعلامي الذي عرفته مصر لعشرات السنين فيما بعد ، منذ أنشأ محمد علي صحفه ، مما جعل نشأة الصحافة في مصر تختلف عن نشأتها في أوربا اختلافا جذريا • فقد بدأت مقدمات الصحافة بأوربا منذ القرن الثالث عشر ، أي قبل اختراع المطبعة ، على شكل نشرات اخبارية مخطوطة • وانتشر هذا النوع في انجلترا وفي الدويلات الايطالية والألمانية بوجه خاص ، وواكبه نوع آخر من الاعلام الشفهي بواسطة رواة احترفوا اذاعة الأخبار في الأسواق الكبيرة في مواعيد معينة • ثم أحدث اختراع المطبعة ، في منتصف القرن الخامس عشر ، وانتشارها ثورة في الاعلام المكتوب ، اذ أتاح المجال لقيام صناعة جديدة بكل مقوماتها من منتجين وعاملين ومستهلكين وبضاعة ، وتلك هي الصحافة الحديثة •

والمهم في ذلك أن الصحافة نشأت في أوربا على أيدي أفراد احترفوا جمع الأخبار ثم روايتها أو نسخها ، وبعد استخدام المطبعة اتسع نطاق عملهم • وساعد على نمو الصحف وتطورها عدة عوامل ، منها تقدم وسائل المواصلات ، وانتشار التعليم ، وذيوع أفكار التحرر والديموقراطية •

وصحيح أن الصحافة كانت في بدء ظهورها تخدم طوائف معينة من الجماهير تتمثل في طبقات النبلاء والتجار ومن اليهم • وصحيح كذلك أن الحكومات في بعض الدول تدخلت بالتشريع وبغيره لتحد من حرية الصحافة وتخضعها لارادتها أو لأهوائها ، ولكن الصحافة مع ذلك ظلت في تلك البلاد مهنة حرة بوجه عام ، وان تفاوت نصيبها فيما تتمتع به من حرية القول وما يقيد حركتها من نصوص القوانين •

غير أن الصحافة نشأت في مصر ـ بتلك المنشورات المطبوعة ـ نشأة فريدة • فهي لم تظهر على يد فرد أو جماعة من أفراد الشعب ، وانما تم ذلك على يد حاكم اتخذها وسيلة تنقل ما يريد من رسائل الى الجماهير •

---

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٩ •

ولما انقطعت صلة مصر بهذا النوع من الاعلام المطبوع طيلة أكثر من ربع قرن ، ثم استأنفتها على يد محمد على ، كان ذلك بطريقة مماثلة تماما ، وان تطورت صورة الوسيلة الى حد ما • فقد أصدر محمد على ، بعد أن أسس مطبعة بولاق ، صحيفة « الوقائع المصرية » (١) لتكون لسانا لحكومته، يخاطب عن طريقه أفراد الشعب • وأصدرت حكومة محمد على وأبراهيم بعد « الوقائع » صحفا أخرى ، كانت كلها السنة للأجهزة الحكومية المختلفة•

وظل الحال كذلك حتى عهد اسماعيل ، عندما بدأت الصحف الأهلية فى الظهور (٢) ، نتيجة لعدة عوامل نوجز أهمها فى النقاط الثلاث التالية :

١ ـ تطور الوعى المصرى وبدء تكون رأى عـــام ، بسبب انتشار التعليم ، والاحتكاك بالثقافة الغربية ، ورد الفعل ازاء استبداد اسماعيل وسفهه ، وما أدى اليه ذلك من التدخل الأجنبى •

٢ ـ تأثير دعوة المصلح الثائر جمال الدين الأفغانى ، الذى كان من أهم أسلحة كفاحه تشجيع تلاميذه على انشاء الصحف والكتابة فيها •

٣ ـ وجود عدد من مثقفى السوريين الذين هاجروا الى مصر فرارا من عنت السلطات العثمانية ، والتماسا لحرية نســـبية أتاحتها ظروف مصر الخاصـــة •

هذا اللون من الصحافة التى يصدرها الحاكم أو يوجهها أو تنشأ فى

---

(١) صدر العدد الأول من «الوقائع المصرية» فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ • وكان محمد على يصدر قبلها «جرنال الخـــديوى» الذى يعتبره بعض المؤرخـــين صـــحيفة سبقت «الوقائع» (انظر : ابراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية ، القاهرة، ١٩٤٩ ، ص ٢٩ ـ ٣٤). ولكننا لا يمكن أن نقوم هذا «الجرنال» بأكثر مما يستحقه ، فلم يكن فى الحقيقة سوى نشرة تتضمن خلاصة بالتقريرات الاحصائية الواردة من مختلف أقاليم مصر ، ترفع الى الباشا وعدد محدود من كبار موظفى حكومته • ولم يكن لفظ « جرنال » فى مصطلح ذلك العصر يعنى أكثر من « تقرير مكتوب » .

(٢) أول الصحف غير الحكومية التى ظهرت فى عهـــد اسماعيل كانت « وادى النيل » ، التى أصدرها عبد الله أبو السعود تلميذ رفاعة الطهطاوى بالقاهرة عام ١٨٦٧ . ولكن هذه الصحيفة لا يمكن اعتبارها صحيفة « اهلية » كاملة . فقد كان اسماعيل هو الذى أوعز الى صاحبها باصدارها بعد انشاء مجلس شورى النواب ، وأمده بالمعون المادى حتى تخدم الصحيفة أغراضه وتؤيد سياسته . أما أول الصحف الأهلية الحرة فى رأيى ، فهى « نزهة الأفكار » التى أصدرها ابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال بالقاهرة عام ١٨٦٩ . وقد أغلقتها حكومة اسماعيل بعد عددها الثانى لتجرأتها فى النقد وطرقها فى آرائها التحررية .

كنفه بصورة ما ، هو أبسط أشكال الاعلام الذى ينطبق عليه ويحكمه مايسمى بالنظرية الفاشية او نظرية السلطة المطلقة (١) (Authoritarian Theory). وقد تكون نشأة الصحافة على هذه الصورة فى مصر أمرا اقتضته ظروفها الخاصة وقتئذ • فلم يكن المجتمع المصرى قد بلغ من النضج أو الوعى ما يسمح بأن تنشأ الصحافة فيه نشأة ذاتية ، فيظهر من بين أفراده من يبدأ أولى المحاولات فى هذا الحقل الاعلامى •

وكذلك لم تكن هناك أية عوامل اقتصادية أو اجتماعية تهيئ لظهور الصحافة ، أو تجعل وظيفة الاعلام ضرورة تدعو اليها الحاجة • فقد حدث فى جمهورية البندقية فى القرن الثالث عشر وما بعده مثلا ، أن أدى نمو طبقة التجار وثراؤها وتمتع أفرادها بشىء من فراغ الوقت ، الى ظهور طائفة من الناس احترفوا نسخ الأخبار وتوزيعها على أولئك التجار ، لارضاء حاجتهم الى معرفة كل ما يتصل بتجارتهم من أنباء ومعلومات من ناحية ، ولازجاء وقت فراغهم من ناحية أخرى •

وكان بونابرت قائدا لحملة استعمارية ، غزا مصر وفى جعبته كثير من المشروعات والأحلام التى كان يعتقد أن الأقدار اختارته لتحقيقها ، ولم تكن وسيلة الاعلام التى هيأها للمصريين الا أداة يريد أساسا أن يتألف بها وقت فراغهم من ناحية أخرى •

وقد كان لبونابرت تجربة سابقة مشابهة فى مثل هذا النوع من الاعلام ، عندما كان يقود حملته الايطالية • فقد أصدر هناك كثيرا من المنشورات الى الشعب الايطالى (شكل ٤) (٢) • وهذه المنشورات ، وان اختلفت عن المنشورات العربية الموجهة الى الشعب المصرى فى كثير من التفصيلات ، فانها تماثلها من حيث شكلها العام والفكرة فى اصدارها •

هذا الى أن بونابرت كان بطبعه حاكما أوتوقراطيا • وقد رأينا كيف

---

(١) تنسب المدرسة الأمريكية فى فلسفة الاعلام الى ان له نظريات أو مفهومات أربعة ، حكمت نظمه على طول تاريخه ، وهى : نظرية السلطة المطلقة (Authoritarian)، ونظرية الحرية (Libertarian)والنظرية السوفيتية (Soviet) ونظرية المسئولية الاجتماعية (Social Responsibility) • ويتبع معظم الاعلاميين فى العالم الآن هذا التقسيم • انظر : Sibert, Peterson and Schramm, Four Theories of the Press, Univer. of Illinois Press, 1963.

(٢) من محفوظات دار الوثائق القومية بباريس • وهذا المنشور ، الذى صدر بالفرنسية والايطالية ، مؤرخ ٢٣ فلوريال سنة ٥ (١٢ مايو ١٧٩٧) •

حقن نظرية السلطة المطلقة فى الصحافة ، عندما كان قنصلا أول ، ثم عندما أصبح امبراطورا لفرنسا ٠

اما محمد على فكان حاكما يؤمن ـ كبونابرت ـ بالاستئثار بالسلطة وسيلة لبناء الدولة ، وتحقيق الاشراف الجدى على ما وضع من خطط للنهوض بها ٠ وأيا ما كان حكم المؤرخين على نظام محمد على ، فقد كان أبرز سمات هـذا النظـام أنه يمثـل نوعـا من الحكومة الأبويـة (Patriarchal) التى كان فيها محمد على الزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر الوحيد٠ ويمكننا أن نضيف الى هذا أنه كان ايضا الصحفى الوحيد ٠

وقد لا يكون محمد على اقتفى أثر بونابرت فى سياسته الاعلامية اقتفاء مباشرا ٠ ولكن لا شك فى أنه تأثر بما فعل بونابرت بشكل عام ٠

ان العهـد بين الرجلين قريب ، ومحمـد على كان ضابطا فى الجيش التركى الذى أعاد مصر الى حظيرة الخلافة العثمانية ، ثم أصبح واليا على البلاد بعد جلاء الفرنسيين بأربع سنوات فحسب ٠ ولا شك أنه لمس بنفسه كثيرا من آثار الحملة الفرنسية وانجازاتها ٠ واذا لم يكن محمد على قد رأى ما أصدره الفرنسيون من صحف ومنشورات ، وهو ما نشك فيه كثيرا ، فلابد أنه على الأقل قد سمع بأمرها ٠ هذا الى أن محمد على كان شـديد الاعجاب بشخصية نابليون بونابرت ، فضلا عن ايمانه بالحضارة الغربية بعامة وحضارة فرنسا بوجه خاص ٠ ولا ننس استعانة هذا الحاكم فى بناء دولته الحديثة بكثير من الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الفرنسيون ، ومنهم بعض رجال حملة بونابرت (١) ٠

ومع أن الفرنسيين لم يبقوا بمصر زمنا يكفى لكى ينفعل المصريون بتجربتهم الاعلامية ، الى الحد الذى يجعلهم ينشئون من أنفسهم صحفا أو نشرات مشابهة لما أصـدرته الحملة ٠ ومع أن المصريين لم يهضموا الحكم الفرنسى وقاوموه مقاومة عنيفة ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة لفشـل دولته الحديثة بكثير من الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الفرنسيون ، ومنهم بعض رجال حملة بونابرت (١) ٠

ومع أن الفرنسيين لم يبقوا بمصر زمنا يكفى لكى ينفعل المصريون بتجربتهم الاعلامية ، الى الحد الذى يجعلهم ينشئون من أنفسهم صحفا أو نشرات مشابهة لما أصـدرته الحملة ٠ ومع أن المصريين لم يهضموا الحكم الفرنسى وقاوموه مقاومة عنيفة ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة لفشـل الحملة فى تحقيق مخططاتها ٠ ومع أن المجتمع المصرى لم يكن قد تطـور فى الفترة التى تلت الحكم الفرنسى بما يؤهله لظهور وسيلة اعلامية مطبوعة أو منسوخة على يد بعض أبنائه ٠ مع ذلك كله فان تجربة الحملة الاعلامية مع المصريين لم تمر دون أثر على من أعقب الفرنسيين فى حكم البلاد ٠

---

(١) مثل جومار (Jomard) عضو المجمع العلمى ، الذى استعان به محمـد على فى مشروعاته التعليمية ، ومثل الأب دوفاتيل الذى عمل فى الترجمة وكان أحـد المشرفين على انشاء مطبعة بولاق ، كما سيأتى ذكره ٠

فقد أثبت الجبرتي في تاريخه أن الولاة الذين عينوا بعد جلاء الفرنسيين استخدموا أحيانا طريقة المنشورات التي تلصق بالطرق أو الأسواق وسيلة للاعلام ، وان كانت منسوخة لا مطبوعة ، لأن الفرنسيين جلوا عن مصر بمطابعهم (١) .

يقول الجبرتي متلا في حوادث شهر شوال ١٢١٦ (يوافق فبراير ١٨٠٢) : « وفيه **كتبت فرمانات والصقت بالشوارع ومفارق الطرق** مضمونها .. فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل » (٢) .

ويقول كذلك عن تعيين خسرو باشا في ولاية مصر : « وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه (رجب ١٢١٧ ، ويوافق نوفمبر ١٨٠٢) حضر رجل من طرف الدولة .. وعلى يده فرمان .. وملخصه اننا اخترناك لولاية مصر .. واطلقنا لك التصرف في الأموال .. وفي يوم السبت ثالث عشرينه **كتبت أوراق بمعنى ذلك والصقت بالطرق** .. » (٣) .

وفي عهد ولاية احمد باشا خورشيد ، الذي أعقبه محمد علي في الحكم، يسجل الجبرتي مرة أخرى اتباع هذا التقليد نفسه ، فيقول : « وفي يوم الخميس رابع عشره (صفر ١٢١٩ ، الموافق مايو ١٨٠٤) **كتبوا أوراقا والصقوها بالأسواق** بطلب مرى سنة تاريخه المجملة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها .. » (٤) .

وهناك فارق آخر بين نشأة الصحافة في مصر على تلك الصورة ونشأتها في أوربا ، غير ما أوضحنا من ظهورها على يد الحاكم وبتوجيهه

---

(١) لا مجال مطلقا للقول بأن مطابع الحملة بقيت في القاهرة حتى اشتراها محمد علي وجعل منها نواة مطبعة بولاق ، كما وهم فيليب دي طرازي (**تاريخ الصحافة العربية** ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص ٤٩) ، وتابعه في وهمه بعض المؤرخين . فالثابت أن الفرنسيين اعتمدوا بأن ينقلوا معهم في خروجهم من مصر كل معداتهم وأجهزتهم وآثارهم العلمية ، واشترطوا ذلك في مفاوضاتهم الخاصة بالجلاء مع الانجليز . وقد أثبتت الوثائق أن بونابرت (وكان تنمسلا أول في ذلك الوقت) اهتم اهتماما خاصا باعادة مطابع الحملة وكتبها ومخطوطاتها ، وان برتييه (Berthier), وزير حربيته قد اصدر أمره بذلك الى الجنرال بليار قائمقام (نائب) آخر قواد الحملة في مصر ، وان هذا الأمر قد تم بتنفيذه . انظر :

Canviet, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », pp. 14-5.

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

واشرافه . ذلك أن مصر عرفت الصحافة والطباعة معا فى وقت واحد ، بينما عرفت أوربا الصحف المنسوخة أو الخطية قبل اختراع المطبعة بأمد طويل . بل ان المطبعة لم تستخدم فى اصدار الصحف الا بعد اختراعها بنحو قرن ونصف قرن من الزمان .

ولقد كانت المطابع التى استخدمتها الحملة الفرنسية شيئا جديدا تماما على المصريين ، وكان ادخال المطبعة العربية بالذات حدثا تاريخيا بالغ الأهميـة . ويقول شارل رو ان المطبعـة كانت أكثر الأشياء التى تقبلها المصريون واحسنوا الاهتمام بهـا ، من بين الأشـياء الكثيرة التى ادخلتها جيوش بونابرت الى مصر (١) .

ونشرت صحيفة «لوكوربيه» فى أواخر أيام الحملة بمصر (٢) موضوعا عن أمر مطابع الحملة على نفوس زوارها من المصريين وغيرهم من الشرقيين ، بمناسبة زيارة الشيخ البكرى لها قبل أيام قليلة . وجاء فى هذا الموضوع أن بعض علماء الازهر من أعضاء الديوان وغيرهم زاروا المطابع أكثر من مرة ، وكانوا يتابعون باهتمام ما يشاهدونه من عمليات الطباعة المختلفة .

وأشارت الصحيفة الى اعجاب الشيخ محمد الفاسى بالذات بتقدم العمل فى هذه المطابع وارتفـاع مستواه عما رآه من قبل فى مطـابع الآستانة ، عاصمة الخلافة العثمانية . وأشارت كذلك الى اعجاب زوارها السوريين المقيمين سبق أن رأوا مطابع الموارنة فى لبنان .

وذكرت الصـحيفة بالتفصـيل زيارة الشـيخ البـكرى وأسئلته واستيضاحاته الكثيرة التى دلت على اهتمامه الكبير بهذه الصناعة الفذة .

وقالت الصحيفة كذلك ان الشيخ المهدى سكرتير الديوان كان يبدى اهتماما كبيرا بأمر المطابع ، وان ذلك كان سبب اتصال الود بينه وبين المستشرق ماوسيل مديرها .

ولم تكن مصر أول بلد عربى . أو أول اقليم من أقاليم الدولة العثمانية يعرف الطباعة . فقد سبقتها فى ذلك لبنان ، التى أنشئت بها أول مطبعة فى « دير قزحيا » عام ١٦١٠ (٣) ، ولكنها لم تعمر طويلا ، ولم تنتج سوى

---

(١) Op. cit., p. 152.

(٢) العدد ١٠٢ الصادر يوم ٢٤ بلوفيوز سنة ٩ (١٣ فبراير ١٨٠١) . انظر كذلك الموجع السابق .

(٣) خليل صـابات ، تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، القـاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ — ٧ .

كتاب ديني واحد باللغة السريانية • ثم كانت مدينة حلب السورية أول مدينة في الشرق العربي تستخدم الطباعة العربية ، بعد أن أنشأ بها البطريرك اثناسيوس دباس أول مطبعة عام ١٧٠٦ (١) ، وكانت كتبها هي الأخرى دينية •

وكذلك سبقت حاضرة الدولة العثمانية مصر في هذا المضمار ، اذ أنشأت أول مطبعة بالآستانة عام ١٧٢٨ (٢) ، وكانت تقوم بطبع الكتب العربية والتركية (٣) •

ويلاحظ من ناحية أخرى ان أوربا عرفت الطباعة العربية قبل أن يعرفها الشرق بزمن طويل • فقد قامت بايطاليا عدة مطابع تشتغل بالنشر العربي الديني ، منذ أوائل القرن السادس عشر • ثم تحول الاهتمام في أوربا الى طبع الكتب غير الدينية ، وانتشرت المطابع العربية في بعض المدن الأوربية الكبرى ، ومن أشهرها مطبعة ليدن (Leiden) بهولندا التي أنشئت في أواخر القرن السادس عشر • وكذلك عرفت باريس ولندن وغيرهمـــا الطباعة العربية في القرن السابع عشر (٤) •

ولم تكن المنشورات الاعلامية العربية هي الانتاج الوحيد الذي أصدرته مطابع الحملة للمصريين • فقد أنتجت هذه المطابع ، الى جانب المنشورات ، بعض المطبوعات العربية الخاصة التي وجهت الى صفوة المصريين ، من أعضاء الديوان وغيرهم من مثقفي العصر • ولعل أهم هذه المطبوعات ثلاثة :

١ ــ كتيب يقع في خمس وعشرين صفحة بعنوان « تنبيه فيما يخص داء الجدري » ، بقلم ديجنت كبير أطباء جيش الحملة (شكل ٥) (٥) • وقد طبع هذا الكتيب طبعتين ، أولاهما في شهر شعبان ١٢١٤ (ديسمبر ١٧٩٩)، عندما كان وباء الجدري متفشيا في البلاد ، وصدرت الطبعة الثانية بعـد عام ، وهي موجهة الى « أرباب الديوان بمصر القاهرة » • وقد أشار الجبرتي الى هذه الطبعة في حوادث شهر شعبان ١٢١٥ بقوله ان « رئيس الأطباء الفرنساوي » أرسل منها نسخة الى كل عضو من أعضاء الديوان « على

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ ــ ٥ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ •

(٣) يلاحظ ان اللغة التركية كانت حتى الثورة الكمالية في العشرينات من القرن الحالي تكتب بحروف عربية •

(٤) أبو الفتوح رضوان ، تاريخ مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٦ ــ ٨ •

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال » (١) ٠

٢ ـ مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ثانى قواد الحملة ٠ وقد صدرت بعنوان « مجمع التحريرات المتعلقة الى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر العام كليبر » ، وذلك ضمن كتاب يشتمل ، مع هذا الجزء العربى ، على جزء مماثل بالفرنسية وآخر بالتركية (شكل ٦) (٢) ٠

٣ ـ أجرومية للعربية الدارجة لاستعمال الفرنسيين والعرب ، بقلم جان جوزيف مارسيل ٠ ولم يستكمل طبعه (٣) ٠

***

قدر لمصر أن تحرم من المطبعة نحو عشرين عاما ، بعد أن جلا الفرنسيون بمعداتهم عن البلاد فى عام ١٨٠١ ٠ وقد أدى ذلك بالتالى الى انقطاع أثرها فى حياتهم طيلة تلك المدة ، حتى بعثها محمد على الى الحياة من جديد ، عندما أنشأ مطبعة بولاق فى أواخر عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) (٤) ، بعد أن

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ٠ انظر كذلك : «لاديكاد» ، المجلد الثالث ٠

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويقع الجزء العربى فى ١٤٠ صفحة ، ويلاحظ أن بعض هذه المستندات طبعت كذلك فى منشورات مستقلة لاعلام الجماهير ، ومنها المنشور الذى يسجل آخر جلسات المحاكمة التى صدرت فيها الاحكام ، وسوف نشير اليه فيما بعد ٠ هذا وكان مصرع كليبر يوم ١٤ يوليو ١٨٠٠ ٠

(٣) أورد « جس » قائمة بمطبوعات الحملة فى بحثه الذى سبقت الاشارة اليه ٠ ولكن المؤلف لم يستطع ، رغم البحث الدقيق فى مكتبات القاهرة وباريس ولندن ، أن يعثر من المطبوعات العربية الصادرة للمصريين ـ الى جانب المنشورات ـ الا على المطبوعين اللذين ذكرا آنفا ٠ ومن ناحية أخرى هناك عدة مطبوعات فرنسية اشار اليها عدد من مؤرخى الحملة وأمكن العثور على بعضها فى القاهرة وباريس ، دون أن تتضمنها قائمة «جس» ٠ وعلى أية حال ، فمن المشكوك فيه كثيرا ان يكون أحد من جمهور المصريين قد أفاد حقا من هذا الكتاب ٠

(٤) أثبت التاريخ الهجرى لانشاء المطبعة على اللوحة التذكارية التى أقيمت بهذه المطبعة وحدها فى خدمة حضرة محمد على ، بل انشئت الى جانبها عدة مطابع أخرى صغيرة زادت على الزمن حتى بلغت سبعا ، وكان معظمها ملحقا بوحدات الجيش أو بالمدارس المتخصصة ٠

(انظر : ابراهيم عبده ، تاريخ الوقائع المصرية ، ص ٢٤ ، ٢٨) ٠ ويقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر محمد =

وفر لها من الرجال والمعدات ما يكفل لها النجاح والاستقرار (١) . وساعده على ذلك مشروعاته الاصلاحية لبناء مصر الحديثة ، التى جعلت من المطبعة أداة لازمة لتنفيذ تلك المشروعات ، وجهازا أساسيا من أجهزة الدولة . هذا الى أن محمد على كان يؤمن بصفة خاصة بأن الحاكم الذى يبغى ترقية بلده والعمل على تقدمه لابد أن ينشىء به مطبعة (٢) .

ومع أن عمل المطبعة اقتصر طيلة ثماني سنوات على تزويد الجيش والمدارس بما احتاجت اليه من مختلف المطبوعات ، فقد كانت هى التى مكنت الوالى بعد ذلك من نشر صحيفة « الوقائع المصرية » وغيرها ، كما مر ذكره . ولقد كانت الطباعة ولا شك « من أقوى الأدوات فى تثبيت دعائم الادارة المركزة النافذة السلطان التى تقترن باسم محمد على » (٣) .

أحدثت مطابع محمد على انقلابا فى الحياة الثقافية للبلاد . فقد تجاوزت النطاق الاعلامى الذى اقتصر عليه معظم الانتاج العربى لمطابع الحملة الفرنسية فى حياتها القصيرة ، وركزت اهتمامها على الكتب المؤلفة

= على ، القاهرة ، ١٩٣٨ » ، معتمدا فى ذلك على بعض وثائق المصر : « كان لمدة هذا مطابع الحكومة مطبعة الفرنكية بالقاهرة يملكها اجنبى ، وكانت الحكومة تطبع بها أحيانا الكتب الفرنسية التى يحتاج اليها التلاميذ .. وكان للحكومة كذلك مطابع حجر فى الاسكندرية ورشيد وبعض المديريات » (ص ٤٧٩) .

(١) كان من أعضاء بعثات حكومة محمد على الى أوربا بعض من تخصصوا فى الطباعة . ومن هؤلاء « نقولا مسابكى البيروتى » الذى أرسل الى ميلان مع ثلاثة صبيان آخرين عام ١٨١٥ لتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ودراسة فن الطباعة ، وقد نقلت نقولا ادارة مطبعة بولاق فيما بعد . ومن هؤلاء كذلك عثمان نور الدين مضو البعثة الأولى الى فرنسا (١٨١٨ — ١٨٢٠) . وتابع محمد على هذه الخطة بعد انشاء مطبعة بولاق ، فكان من أعضاء البعثة الثالثة الى فرنسا عام ١٨٢٦ (التى ضمت رفاعة الطهطاوى) عضوان لدراسة الطبع بأنواعه والحفر . (انظر : أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٤ — ٥ ، ابراهيم عبده ، تاريخ الوقائع ، ص ٢٠ — ٢١ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٨ — ٤٠) . وكذلك أحضر محمد على من ايطالية لم من فرنسا كل ما احتاج اليه انشاء المطبعة وتوسيعها من أحدث الآلات والمعدات .

(انظر : محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود المتالى وسيد محمد خليل ، بناء دولة ، مصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٠) .

(٢) نقلا عن جيس : القسم الثانى من البحث السابق ذكره ، الثورية للصحف ، مجلد ١٩٠٨ .

(٣) محمد شفيق غربال ، تقديم كتاب « تاريخ مطبعة بولاق » ، السابق ذكره ، صفحة هـ .

والمعربة التي اعتمدت عليها النهضة التعليمية • وكانت هذه المطابع ـ دون مبالغة ـ « هي أساس البعث الفكرى الذى قامت عليه نهضة مصر فى العصر الحديث » (١) •

وكان طبيعيا بعد نجاح هذه المطابع واستقرارها واتصال آثارها اتصالا مباشرا بحياة المصريين ، أن يفكر بعض الأفراد والجماعات فى غزو الميدان الطباعى ، كما غزوا غيره من الميادين التى أتاحتها لهم الحياة الجديدة للبلاد •

وقد حدث ذلك على نطاق ضيق أيام الوالى سعيد باشا ، ثم اتسع النطاق أيام خلفه اسماعيل • وما أن قارب عهد اسماعيل على نهايته حتى تحولت الطباعة على يد أفراد من المصريين والسوريين الى أداة من أدوات النهوض القومى والحيـاة الفكرية • وارتبط ذلك ارتباطا قويا بنشأة الصحافة الأهلية الحرة •

واذا كانت المطبعة هى الأداة التى مكنت قيادة الحملة الفرنسية فى القاهرة من اصدار منشوراتها الاعلامية للمصريين ، ومكنت كذلك كليبر ـ عندما كانت فى حوزته ـ وهو بعد قائد للاسكندرية ، من اصدار منشورات مماثلة لجمهور الثغر ، ، فقد أثبت البحث كذلك أن الجنرال منو كان يصدر ، وهو حاكم لاقليم « رشـيد وسـكندرية والبحيرة » ، منشـورات أخرى مخطوطة خاصة باقليمه (٢) • وسوف نتعرض لهذه المنشورات فى موضع آخر من الكتاب •

وقد يكون حكام محليون آخرون غير منو فعلوا ذلك باقاليمهم ، ولكن منشوراتهم ضاعت مع ما ضاع من وثائق غيرها لم تكن ، على ما يبدو ، فى نظر رجال الحملة أو مؤرخيها أو جامعى تراثها ، بالأهمية التى تنظر بها اليها الآن •

---

(١) أبوالفتوح رضوان ، المرجع السابق ، المقدمة ، صفحة ش •

(٢) عثر الباحث على عشرات من نسخ متكررة لبعض هذه المنشورات فى قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس • وهى من حجم كبير يسهل معه تعليقها وقراءتها مثل المنشورات المطبوعة •

الفصل الثاني

الإعلام لجنود الحملة

كان من أسباب اصطحاب الحملة الفرنسية على مصر لجهازها الطباعي الكبير ، كما ذكرنا ، أن يكون أداة لاصدار وسائل اتصال لجنود جيش الشرق .

وكانت وسيلة الاتصال الرئيسة التي أصدرتها الحملة لجنودها هي صحيفة « لوكوريبه دى ليجبت » (Le Courrier de l'Egypte) التي ظهر العدد الأول منها في ١٢ فروكتيدور سنة ٦ (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، أى بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين الى القاهرة .(١) (شكل ٧) (٢) .

وقد طبعت « لوكوريبه » في بادىء الأمر بمطبعة مارك أوريل ، التي استقرت بالقاهرة ، بينما كانت مطابع الحملة الرسمية مازالت بالاسكندرية . ثم ما لبثت الصحيفة ، ابتداء من العدد ٣١ (بتاريخ ١٩ مسيدور سنة ٧ = ٧ يوليو ١٧٩٩) أن بدأت تطبع بالمطابع الرسمية ، وكانت هذه قد نقلت

---

(١) دخل بونابرت القاهرة مع عدد قليل من جنوده يوم ٢٤ يوليو ، وبقى الجزء الاكبر من جيشه فى معسكر الجيزة ، يعد معركة امبابة .

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية . ويوجد بالدار مجموعتان من هذه الصحيفة . احداهما كاملة ، والثانية ينقصها العدد ٢٤ الذى استعيض عنه بنصه منسوخا بخط اليد .

قبل ذلك الى القاهرة (١) . وما لبث مارك اوريل نفسه أن باع مطبعته لحكومة الحملة ، ثم عاد الى فرنسا .

ومن الخطأ ان تعتبر مارك أوريل مالك هذه الصحيفة أو ناشرها ، كما فعل بعض المؤرخين (٢) ، اعتمادا على ما جاء بالصحيفة فى أعدادها الأولى ، خاصا بثمن البيع والاشتراك وما الى ذلك .

فلم يدع مارك أوريل لنفسه مطلقا صفة المالك أو الناشر ، بل كان لا يصف نفسه ، فى كل ما أخرج من مطبوعات ، باكثر من «طابع الجيش» . وقد منحه بونابرت نفسه لقب « طابع جيش الشرق » ، عندما اصطحبه مع حملته ، كما سبق ذكره . وانما كانت « لوكوريبه » صحيفة شبه رسمية تصدر لجنود الحملة باشراف مباشر من قيادتها . وكان قواد الحملة هم الذين يعينون المسئولين عن تحرير الصحيفة . فقد أصدر بونابرت أولا أمرا بتعيين برسفال جرانميزون (Perceval Grandmaison) وهو من الأدباء الذين صحبوا الحملة . لتولى هذه المسئولية . ولما اعتذر عين بدله العالم الرياضى فوريبه (Fourier) الذى وصل من رشيد بعد أسبوعين من صدور هذا الامر شغل مكانه خلالهما المهندس كوستاز (Costaz) (٣) .

ولما خلف كليبر بونابرت فى قيادة الحملة عين لرئاسة تحريرها ديجنت كبير أطباء الجيش ، فباشر مهمته فعلا ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر فى ٢٩ فروكتيدور سنة ٧ (١٥ سبتمبر ١٧٩٩) (٤) .

وكان بونابرت كبير الاهتمام بأمر الصحيفة وما تنشره . وقد شمل اهتمامه كل التفصيلات ، بما فى ذلك الأخطاء المطبعية ، التى كان ضيقه بها من الأسباب التى دعته الى أن يطلب سرعة ارسال مطابع الحملة الرسمية من الاسكندرية ، لتتولى اصدارها بدلا من مطبعة مارك أوريل .

---

(١) كانت اعداد الصحيفة حتى العدد ٣٠ (بتاريخ ١٩ جرمينال سنة ٧ = ٨ ابريل ١٧٩٩) تذيل بعبارة « طبعت بالقاهرة » بمطبعة مارك اوريل ، طابع الجيش الفرنسى . وابتداء من العدد ٣١ صارت تذيل بعبارة « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقاهرة » . ويلاحظ أن هناك فجوة زمنية بين تاريخى صدور العددين تبلغ ثلاثة اشهر ، بينما كانت الاعداد قبل ذلك وبعده تصدر فى العادة متتابعة كل بضعة أيام .

(٢) انظر : ابو الفتوح رضوان ، موجز سبق ذكره ص ٢١ ، وكذلك
Wassef, Amin, **L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française**, Paris, 1952, pp. 111-14.

بل ان كريستوفر هيرولد يعتبره ناشر صحيفة لاديكاد كذلك (op. cit., p. 166).

(٣) Charles-Roux, op. cit., p. 145.

(٤) Canviet, «L'Imprimerie de l'Expédition Française», p. 15.

والطابع الرسمي للصحيفة واضح فى الاعداد التى طبعها مارك أوريل وضوحه فى الأعداد التى طبعت بعد ذلك ، فكانت تنشر الأوامر والقرارات الحكومية دون أى تعليق ، وتؤيد سياسة الجمهورية الفرنسية ، وتنفذ مخططات الحملة الاعلامية دون مناقشة .

ثم ان لبونابرت تجربة سابقة . فقد أصدر لجنود حملته على ايطاليا ـ كما قلنا ـ صحيفتين أخريين ، استخدمهما لتحقيق أهدافه . وليس من المعقول أن يكل أمر اصدار الصحيفة الجديدة لذلك الطابع الشاب الذى صحب الحملة .

ولقد كان مارك أوريل يطبع ، الى جانب « لوكوربيه » صحيفة « لاديكاد اجبسيين » ، التى سبأتى الحديث عنها ، فضلا عن المنشورات والأوامر الفرنسية التى كانت تصدرها قيادة الحملة من وقت لآخر . وعندما سحب منه هذا الاختصاص وعهد به الى مطابع الحملة الرسمية ، لم يكن ذلك أكثر من تغيير للأداة التى تصدر كل هذه المطبوعات ، وليس لجهة النشر أو صاحب الامتياز .

وانما الأصح أن يقال أن مارك أوريل كان بالنسبة لصحيفة «لوكوربيه» ولغيرها من المطبوعات التى كان يخرجها مجرد « ملتزم طبع ونشر » .

ولم يكن ظهور « لوكوربيه » منتظما تماما . فقد صدرت الأعداد الستة الأولى كل أربعة أيام ، ثم صدرت الصحيفة كل خمسة أيام حتى العدد ١٢ الذى طبع يوم ٣٠ فندمير سنة ٧ (٢١ أكتوبر ١٧٩٨) . وبعد ذلك كان بين كل عدد وآخر فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ، باستثناء تلك الفجوة التى أشرنا اليها عندما ذكرنا انتقال الصحيفة من مطبعة مارك أوريل الى مطبعة الحملة الرسمية . وقد صدر آخر عدد منها ، وهو المرقم ١١٦ ، يوم ٢٠ بريريال سنة ٩ (٩ يونيو ١٨٠١) (١) .

ويدل استقراء مواد هذه الصحيفة على أن المسئولين عن تنفيذ السياسة التى وضعت لتحريرها بذلوا جهدهم لكى يجعلوا منها وسيلة اعلام ناجحة لجنود جيش الشرق ، الذين قادهم ذلك الجنرال الشاب الى مغامرة غزو مصر . فقد كانت هذه الصحيفة :

---

(١) يبدو أنه لم يكن مقدرا أن هذا هو العدد الأخير . فقد نشر به مقال من عادات المصريين المعاصرين وتقاليدهم ، وجاء بآخره ان باقى الموضوع سينشر بالعدد التالى .

١ ــ نحاول أن نخفف من وحشة اغتراب الجنود ، بنشر ما أمكن الحصول عليه من أنباء وطنهم .

٢ ــ ونعمل على رفع روحهم المعنوية ، فنعرض على صدر صفحاتها أنباء الانتصارات الفرنسية فى مختلف الجبهات (١) .

٣ ــ وتطلعهم على ما يدور فى بيئتهم الجديدة ، فتزودهم بأخبار القاهرة والأقاليم ، وتقفهم على أنباء الديوان ، والأحكام التى تصدر ضد الثوار المصريين (٢) ، وتترجم لهم أهم البيانات التى نشرت بالعربية ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين قواد الحملة وكبار المصريين أو الحكام العرب (٣) .

٤ ــ وتربط بينهم وبين قيادتهم ، كما تربط بين وحداتهم بعضها وبعض ، فتنشر الأوامر والقرارات العسكرية ، حتى ما سبق منها نشره منفصلا ، وتنشر أنباء الفرق المعسكرة فى شتى الجهات ، وتسجل بوجه عام حياة الجنود اليومية .

٥ ــ وتعرفهم بهذا البلد الغريب الذى ساقتهم المقادير اليه ، فتقص عليهم من تاريخه ، وتحكى لهم بعض أحداثه ، وتفصل لهم القول فى تقاليد شعبه وعاداته .

٦ ــ وتحاول أن تزيل من نفوسهم ما قد يلم بها من مشاعر اليأس او الضيق أو خيبة الأمل ، بسبب ظروف حياتهم فى مصر ، فتقنعهم بجمال هذا البلد وثراء امكاناته ، وتؤكد لهم ذلك بأن تنشر مثلا ترجمة كاملة لرسالة عمرو بن العاص المشهورة الى عمر بن الخطاب التى يقول فيها « مصر

---

(١) مثل انتصار الفرنسيين فى موقعة أبو قير البرية على القوات العثمانية ، الذى أشادت الصحيفة به وقالت انه ازال من البلاد خطر تهديدها بغزو جديد (العدد ٣٥ : ١٩ ترميدور سنة ٧ = ٦ المحرم ١٧٩٩) .

(٢) مثل خبر الحكم بالاعدام على ستة من شيوخ الأزهر ، لأنهم كانوا من زعموا ثورة القاهرة الأولى (العدد ١٥ : ٢٠ برومير سنة ٧ = ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) وقد اشار الجبرتى الى هذه الواقعة (عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٢٧ ــ ٩) ، ولكنه اخطأ فى عدد من اعدموا ، فذكر اسماء خمسة واهمل السادس .

(٣) مثل رسالة بونابرت الى شريف مكة (العدد ٢٤ : ٢٧ نيفوز سنة ٧ = ١٦ يناير ١٧٩٩) ، ومثل رسالة اعضاء الديوان الى بونابرت لتهنئته بمنصب القنصل الأول (العدد ٩١ : ١٥ فريمير سنة ٩ = ٦ ديسمبر ١٨٠٠) ولم يشر الجبرتى الى هذه الرسالة بالرغم من انه كان فى ذلك الوقت عضوا بالديوان ! .

تربة غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ٠٠ » ، وكذلك رد الخليفة على رسالة قائده (١) ٠

٧ ــ ولا ننسى الجانب التثقيفي من مهمتها ، فتنشر بين حين وآخر مقتطفات من جهود المجمع العلمي ، وأخبار الرحلات الدراسية التي يقوم بها أعضاؤه في الأقاليم المصرية ، فضلا عن بعض المقالات الأدبية والقصائد الشعرية ٠

٨ ــ ولا تغفل نسلية قرائها ، فتنشر لهم من الطرائف ما يذهب عنهم الملل ويروح عنهم ويزجي وقت فراغهم ٠ ومن ذلك وصفها لبعض الاحتفالات التي كان يقيمها المصريون في مختلف المناسبات ، كالموالد ، ويحضرها كبار الفرنسيين (٢) ٠

٩ ــ ثم تقدم لهؤلاء القراء خدمة اعلامية خاصة ، فتنشر لهم من الاعلانات ما يساعدهم في الحصول على احتياجاتهم من السلع ، أو يرشدهم الى ما أعدته القيادة لهم من وسائل اللهو والتسلية (٣) ٠

وتختلف « لوكوربيه » عن سميتها الايطالية في أنها كانت أقل منها اهتماما ببحث ما يتصل بسياسة حكومة باريس ٠ ولعل ذلك كان راجعا الى قلة الأنبـاء التي كانت تصل من فرنسا ، بسبب الحصار الذي فرضه الأسطول البريطاني على الشواطىء المصرية (٤) ٠

ولكن الصحيفة المصرية ، مع ذلك ، كانت تتفق مع زميلتها الايطالية ، ومع كل الصحف التي أشرف بونابرت على اصدارها ، في أن موادها كانت تخضع لرقابة واختيار دقيقين ، منه تم من خليفتيه (٥) ٠

ولم يقتصر توزيع هذه الصحيفة على جنود جيش الشرق وحدهم ، اذ ثبت أنها كانت تصل الى أوربا ، رغم حصار الأسطول البريطاني ٠

---

(١) العدد ٢٠ (١٨ فريمير سنة ٧ = ٨ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وقد ترجم الرسالتين المستشرق فانتور ٠

(٢) مثل وصف المأدبة التي اقامها الشيخ السادات بمناسبة مولد السيدة زينب (العدد ٢٢/٢ ليفوز سنة ٧ = ٢٢ ديسمبر ١٧٩٨) ٠

(٣) حفلت أعداد « لوكوربيه » بكثير من الاعلانات عن محلات بيع الخمور والقهوات والتبغ ، ومن الحفلات التمثيلية والراقصة ٠

(٤) Périvier, op. cit., pp. 80, 83.

(٥) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠ ص ٧٣ ، انظر كذلك : Wassef, op. cit., p. 129.

وعمائه أكبر من دليل على ذلك ، وان كانت هذه الحقيقة تبدو للوهلة الأولى غريبة أو مبالغا فيها .

فقد كان بونابرت حريصا على أن يبعث الى قيادة الأسطول البريطانى امام الاسكندرية باعداد هذه الصحيفة مع زميلتها « لاديكاد اجبسيين » (١). وكذلك وصلت الصحيفة الى أوربا عن طريق النهريب . فبعد أن انقطع الاتصال بين جيش الحملة واوربا نتيجة لموقعة أبو قير البحرية ، فكر المستشرق فانتور فى أن يفيد من معرفته الواسعة باقاليم الشمال الافريقى . فاستعان بالحجاج المغاربة وبحاكم مدينة طرابلس لاقامة خط اتصال بين مصر وفرنسا ، عبر درنة وبنغازى وطرابلس ، ليرسل عن طريقه البريد بين حين وآخر (٢) .

وفى جانب « لوكوريبيه » أصدرت مطابع الحملة وسيلة أخرى للاتصال السريع بالجنود تتمثل فى تلك المنشورات الفرنسية التى كانت تتضمن ما يراد توجيهه الى الجنود من نداءات وبيانات وأوامر . وكانت هذه نصدر ـ مثل المنشورات العربية ـ كلما اقتضى الأمر ذلك ، أى دون ما توقيت معين .

وأول ما صدر من هذه الوسيلة الاعلامية هو ذلك المنشور الذى طبع ووزع على جنود الحملة فى البحر ، يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٨ ، أى قبل الوصول الى الشواطىء المصرية بثلاثة أيام . وفيه حاول بونابرت أن يثير حماس جنوده وخيالهم ازاء الغزو المرتقب ، كما دعاهم الى احترام عقائد المصريين وتقاليدهم وحذرهم من اساءة التصرف معهم .

وهذه المنشورات نوعان :

١ ـ منشورات طبعت للجنود وحدهم ، ومعظمها كان يتضمن أوامر يومية (Ordres du jour) مما جرى العرف العسكرى على اصداره للجيوش بين وقت وآخر . وقد تنوعت موضوعات هذه الأوامر اليومية ، ولكنها لم تخرج كلها عما يتصل بالحياة العسكرية لمن وجهت اليهم ، من حيث هم جنود جيش معين يقوم بمهمة معينة (الاشكال ٨ ، ٩ ، ١٠) .

---

(١) أشار الى هذه الحقيقة الدكتور ابراهيم عبده فى مرجعه المتقدم ذكره ، ص ٨٨ ، نقلا عن « Mimiér, La Presse en Egypte » . وقد أكدها الدكتور أمين واصف (op. cit., p. 215). بأن نقل نصا من احدى رسائل بونابرت ، يتضمن أمرا صريحا بارسال الصحف الى الاميرال الانجليزى .

(٢) Wassef, op. cit., pp. 214-15.

٢ ــ منشـورات تتضـمن رسائل اعلامية ذات طابع مشـــترك بين جمهورى المصريين والفرنسيين ، بل وسكان مصر من غير أهلها كذلك • وهذه كانت تصدر اما فى طبعتين منفصلتين ، احداهما بالعربية للمصريين والثانية بالفرنسية للجنود وغيرهم ، واما فى طبعة واحدة تضـم اللغتين معا • واحيانا أخرى كان يصدر مع هذه الطبعة المزدوجة اللغة طبعة ثانية بالفرنسية وحدها • وتضم مجموعة المنشورات المصورة بهذا البحث عدة نماذج على ذلك كله (أنظر بالذات الاشكال ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦) •

وشمل النشاط الطباعى للحملة ، الموجه فى المقام الأول الى جنودها، كذلك ، عددا من المطبوعات ، بعضها ذو طابع اعـــلامى صريح ، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب التثقيفى أو التعليمى (١) • فمن النوع الأول :

١ ــ تقارير قواد الحملة الفرنسية ، مثل التقرير المفصل الذى كتبه بونابرت عن خط سيره حتى احتلال الاسكندرية (٢) ، والتقرير المماثل الذى كتبه عقب احتـــلال القاهرة عن المعـــارك التى خاضتها قواته (شكل ١١) (٣) ، ومثـــل تقرير الجنرال داماس (Damas) عن الأحـــداث التى وقعت بالبلاد منـذ توقيع اتفاقية العريش (٢٤ يناير ١٨٠٠) حتى آخر شهر بريريال سنة ٨ (١٩ يونيو ١٨٠٠) » •

٢ ــ بيان بالأحـداث التى وقعت فى أوربا خلال الأشـهر الاربعة الأولى من العام السابع للجمهورية (أى التى تقع بين ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ و ١٩ يناير ١٧٩٩) • وقد جاء فى مقدمته انه صدر لأن الاخبـــار التى

---

(١) لم تكن قالمة « جيس » ــ التى سبقت الاشارة اليها ــ دقيقة أو شاملة ، اذ اغفلت كثيرا مما اصدرته مطابع الحملة كالمنشورات • ومن هنا تعتمد الباحث فيمـــا اثبته من هذه المطبوعات على ما أكدت صدوره عدة وثائق ومصـادر أخرى ، فضلا عما اطلع عليه منها فى دور المحفوظات والمكتبات المختلفة .

(٢) بتاريخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يوليو ١٧٩٨) • وتوجد نسخة منه بدار الوثائق القومية بالقلعة •

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة ، وتوجد نسخة أخرى منه بالمكتبة القومية بباريس ، وهو بتاريخ ٦ ترميدور سنة ٦ (٢٤ يوليو ١٧٩٨) . وقد طبع هذا التقرير وسابقه بمطبعة مارك اوريل . ويبدو انهما من اول ما أخرجته هـــذه المطبعة بمجرد استقرار الحملة بالقاهرة .

(٤) يقع هذا التقرير فى ٦١ صفحة . وتوجد نسخة منه بقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وداماس هو رئيس اركان حرب جيش الحملة فى ذلك الوقت . ويلاحظ أن كليبر قتل فى ١٤ يونيو ، أى قبل نهاية هذه المدة بخمسة أيام.

تضمنها آخر بريد وصل من فرنسا لم تتح معرفتها لغالبية جنود الجيش والملحقين به • وقد صدر في ١٢ ترميدور سنة ٧ (٣٠ يوليو ١٧٩٩) •

٣ ــ نصوص خطب القادة في المناسبات المختلفة ، مثل الخطاب الذي القاه كليبر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الجمهورية (أول فندمير سنة ٨ = ٢٣ سبتمبر ١٧٩٩) (١) •

٤ ــ دستور الجمهورية الفرنسية الجديد ، سنة ٨ جمهورية •

٥ ــ النص الفرنسي لمجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبي ، قاتل الجنرال كليبر وشركائه (شكل ١٢) (٢) وقد صدرت هذه المجموعة ــ كما ذكرنا ــ في كتاب واحد باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والتركية •

ومن النوع الثاني :

١ ــ تعريفات في المطالعة العربية (شكل ١٣) (٣) • وهو كتيب يتضمن مختارات من القرآن الكريم ، لاستعمال دارسي العربية الفصحى ، جمعها المستشرق مارسيل • وقد طبع في الاسكندرية قبل نقل مطابع الحملة الى القاهرة •

٢ ــ اجرومية للعربية الدارجة • وهو كتاب كبير ظهر منه جزء واحد في ١٦٨ صفحة • وقد الفه كذلك المستشرق مارسيل (٤) •

---

(١) محفوظ كذلك بقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية •

(٢) من المطبوع المحفوظ بدار الكتب المصرية ، وتقع هذه المستندات الفرنسية في ٤٨ صفحة •

(٣) يقع في ١٢ صفحة • وكان ثاني مطبوع ــ غير المنشورات ــ تخرجه مطابع الحملة بعد اقامتها في الاسكندرية • وسنشير الى المطبوع الذي سبقه في الفصل التالي • وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة •

(٤) سبقت الاشارة اليه ، انظر ص ٤٤ •

الفصل الثالث

الإعلام المتخصص

كان فريق العلماء والباحثين الذين صحبوا جيش الشرق الى مصر يمثلون ، كما سبق أن أوضحنا ، ركنا أساسيا من أركان الحملة الفرنسية • وكانت جهودهم التى ضمنوها عملهم الجماعى الخالد « وصف مصر » وغيره من الأعمال الفردية ، هى أبقى آثار الحملة ، التى فشلت فى تحقيق أهدافها العسكرية والاستعمارية •

وكان لابد لهؤلاء العلماء الذين كونوا « المجمع العلمى المصرى » من دورية خاصة ، تتخذ وسيلة لنشر بحوثهم ، وسجلا لمناقشات مجمعهم ، وتتسع كذلك لما قد يسهم به غير أعضاء المجمع من مواد ترقى الى مستوى النشر بها • وغنى عن القول أن « لوكوربيه » لم تكن ـ بحكم طبيعتها ـ لتتسع لمثل هذا النوع من النشر المتخصص • ومن هنا لم تحظ أخبار نشاط المجمع من صفحاتها الا بنصيب ضئيل ، لا يتجاوز بضعة أسطر بين حين وآخر •

وقد تقرر انشاء هذه الدورية فى أول اجتماع للمجمع العلمى ، واختير لها اسم « لاديكاد اجبسيين » (La Décade Egyptienne) (١) ،

---

(١) أى « العشرية المصرية » ، نسبة الى الوحدة الزمنية التى تبلغ عشرة أيام ، أى ثلث شهر فى التقويم الفرنسى للجمهورية • والاسم مشتق أصلا من اليونانية • وقد أطلق على هذه الدورية لأنه كان المفروض أن تصدر كل عشرة أيام، بالرغم من أن موعد =

بعد مناقشة طويلة ، واضيفت تحته عبارة « صحيفة للآداب وللاقتصاد السياسى » (شكل ١٤) ٠

وعهد المجمع الى ديجنت بالاشراف على طبع « لاديكاد » ، ثم حل محله العالم الرياضى فوريه عندما صحب ديجنت حملة بونابرت على سوريا (فى أوائل ١٧٩٩) ٠ غير أنه من الواضح ، وان لم تشر المراجع الى ذلك ، أن عددا من أعضاء المجمع كان يتولى مسئولية « تحرير » هذه الدورية ، من حيث اختيار الموضوعات وترتيبها وتبويبها واختصارها احيانا ٠٠٠ الخ ٠ فقد تصدر كلا من المجلدين الثانى والثالث كلمة ورد فيها ذكر « محررى » الصحيفة ٠

وكان فى مقدمة هؤلاء المحررين ، ولا شك ، عضو المجمع تاليان (Tallien) الذى كتب مقدمة طويلة قيمة للمجلد الأول (١) ٠ وقد نوه تاليان فى هذه المقدمة بالحاجة الى الدوريات التى تتخصص فى الآداب والعلوم والفنون ، بعد أن زاد عدد الصحف السياسية والحزبية ، نتيجة للحرية التى أتاحها الحكم الجديد فى فرنسا ٠

وقال ان نجاح الحملة الفرنسية فى غزو مصر لا ينبغى أن تقتصر نتائجه على النواحى السياسية والتجارية وحدها ، بل ان هذا النجاح لايكتمل دون أن يكون للعلوم والفنون فيه نصيب ٠

وأكد تاليان أن صفحات « لاديكاد » سوف تقتصر على المواد العلمية

= صدورها تنير لى مرة كل شهر ، ثم طالت الفترة بين كل عدد وآخر الى أكثر من شهر ، فقد احتفظت باسمها الأول ٠ وقد اقترح لها هذا الاسم كاتاريلى ، على غرار دورية كان يصدرها المجمع الفرنسى فى باريس باسم « La Décade Philosophique » انظر : Charles-Roux, op. cit., p. 149.

(١) هو جان لامبرتاليان (Jean Lambert Tallien) ، من شباب الثورة الفرنسية المعروفين ٠ بدأ حياته تعلم الطباعة ، وفى عام ١٧٩١ أصبح مشرفا على مطبعة صحيفة « لوموتيتور » ٠ وقد ابتدع وقتئذ فكرة صحيفة الحائط المطبوعة (Journal-affiche) ٠ وبعد القبض على الملك لويس السادس عشر ، أخذ يصدر صحيفة حائط تعلق فى كل انحاء باريس مرتين فى الاسبوع اسمها :
Ami des Citoyens, Journal Fraternel

وهذه الصحيفة التى كان يمولها اليعاقبة جعلته معروفا لقادة الثورة ، ومالبث أن علا ذكره واقتضب عضوا بالجمعية التأسيسية ٠ وقد ضمه بونابرت الى حملته على مصر ، ولكن هنو أبعده الى فرنسا ٠ وذكرت دائرة المعارف البريطانية أنه « حرر » صحيفه « لاديكاد » انظر : Encyclopaedia Britannica, Vol. 21, Tallien.

والأدبية والقانونية والفنية ونحوها ، وانه لامكان فيهـــا للموضوعات السياسية على الاطلاق .

وأشار تاليان كذلك الى أن سـيطرة الفرنسيين على الاقاليم المصرية كافة سوف تتيح لعلمائهم أن يبحثوا ويدرســـوا على الطبيعة كثيرا من الموضوعات التى تتصل بالآثار والمناخ والزراعة والمحصولات وما اليها ، دون أن يواجهوا من العقبات والصعاب ماواجه بعض الرحالة الذين حاولوا ان يجوسوا خلال البلاد . وقال ان هذه الطمأنينة سوف تساعدهم على أن يخرجوا من دراســـاتهم بنتائج قيمة ، وأن يصححوا اخطـــاء المحاولات السابقة .

وذكر تاليان أن الغرض من اصدار هذه الدورية هو التعريف بمصر ، لا للفرنسيين الموجودين بها عندئذ فحسب ، وانما لفرنسا وأوربا بأسرها كذلك .

ولقد جاءت موضوعات « لاديكاد » بالفعل مصداقا للخطة التى بسطها تاليان فى مقدمته الى حد بعيـد . وكانت أنموذجا فريدا للاعلام العلمى الذى يحـاول أن يقـــدم صورة واضحة الملامح لبيئة معينة بكل ما يتصل بطبيعتها وناسها ، من خـــلال مجموعة الابحاث والتقريرات والمشروعات الجـــادة ، التى تناولت مختلف الجوانب فى هـــذه البيئة بالدراســـة والتمحيص .

ان المجلدات الثلاثة التى تضم ما صدر من أعداد هـــذه الدورية ، تحتوى على عدد كبير من الموضوعات التى كتبها علماء الحملة وباحثوها ، والتى تحفل بالمعلومات والبيانات والاحصاءات المفيدة الممتعة عن مصر .

فقد قدم العلماء فى هذه الموضوعات أول دراسات تفصيلية من نوعها عن جغرافية مصر ومناخها ، وظواهرها الجـــوية ، وآثارها ، (١) وطبيعة أرضها ، ورمالها ، ومياه نيلها وبحيراتها وبحريها . وكتبـوا فى الزراعة والمحصولات والأسماك والمعادن والنباتات المصرية .

ودرسوا ما ينتشر فى البلاد من أمراض وأوبئة . وشرحوا حساب الزمن عند المصريين ، وما يستخدمونه من مقاييس وموازين ومكاييل .

---

(١) مثل الدراسة الخاصة بتحديد الموقع الجغرافى لأهرام الجيزة ، وقياس ارتفاع الهرم الأكبر : الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

وحققوا مراجع أهم المدن المصرية القائمة (١) والمندثرة (٢) . وقدموا دراسات حقلية متكاملة لبعض المناطق فى القاهرة والاقاليم ، واحصاءات مصنفة مقارنة (٣) . وعرضوا مشروعات مفصلة ، ادارية وصناعية واجتماعية (٤) .

صحيح أن بعض ما نشرته « لاديكاد » من موضوعات لم يكن يتصل بمصر اتصالا مباشرا ، مثل ترجمة بعض آيات القرآن الكريم ، وترجمة قصيدة أو رسالة (٥) . ولكن هذه الموضوعات ، بما يصحبها من شروح وتعليقات ، توضح بعض المعالم التى تتصل بحياة المصريين ، مثل الدين والأدب وأسلوب التفكير .

وصحيح كذلك أن بعض الموضوعات كان مجرد انتاج أدبى أو دراسة لا علاقة لها بمصر من قريب أو بعيد (٦) . ولكن عدد هذه

---

(١) مثل الاسكندرية : العدد السادس من المجلد الاول ، والقاهرة : العدد الخامس من المجلد الثانى .

(٢) مثل مدينة ايليثيا (Eleithias) بالفيوم طبية القديم : الكراسة الثانية من المجلد الثالث (موقعها الحالى قرية الكاب شمالى مدينة ادفو) .

(٣) مثل الاحصاء المصنف لوقيات مدينة القاهرة فى عام ٨ جمهورية (١٧٩٩ – ١٨٠٠ م) الذى نشره ديجنت فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث ، مقارنا نتائجه باحصاء العام الذى سبقه .

(٤) مثل مشروع انشاء ادارة شئون الرياه ، الذى قدمه نكتو (Nectoux) ونشر بالعدد الرابع من المجلد الأول ، والتقرير الخاص بصناعة الحديد والصلب الذى كتبه ليون لوفافاسير (Léon Le Vavasseur) بالعدد الخامس من المجلد الاول ، ومشروع انشاء ملجأ للمحرة الذى قدمه ستة من أعضاء المجمع ونشر بالعدد الاول من المجلد الثانى .

(٥) نشرت الترجمة الفرنسية لفاتحة الكتاب مسبوقة بمقدمة طويلة ، مع النص العربى ، فى العدد الرابع من المجلد الاول . ونشرت قصيدة نقولا الترك فى مدح بونابرت ، مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوقة بمقدمة كذلك ، فى العدد الثالث من المجلد الاول . ومع تهافت القصيدة وتفاهة معانيها وركاكة الفاظها ، فان مقدمة ترجمتها الفرنسية تستعرض فى دراسة موجزة جادة تاريخ الشعر العربى وخصائصه ، والموضوعات بقلم المستشرق مارسيل . وكذلك نشر نص الرسالة التى بعث بها أعضاء ديوان القاهرة الى ديجنت بمناسبة اهدائه اياهم كتيبه عن مرض الجدرى ، مع ترجمة الرسالة بالفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

(٦) مثل بعض القصائد التى نشرت بالعددين الأول والسابع من المجلد الأول ، ومثل الدراسة الخاصة بالبحر الاسود التى نشرت مسلسلة بالاعداد الأول والثانى والثالث من المجلد الثانى .

الموضوعات كان قليلا جدا ، بحيث لا يؤثر فى الطابع المصرى الغالب على سائر الموضوعات .

ولم تغفل « لاديكاد » الجانب الاخبارى البحت ، وان كان محـدودا بنطاق المجمع ونشـاطه ، فكانت تنشر فى كل عدد ملخصـا بما دار فى جلساته . وكذلك كان ينشر بين حين وآخـر باب عن المطبوعات الجديدة بعنـوان « Bibliographie » ، يتضمن أنبـاء النشر العلمى لاعضاء المجمع أو غيرهم ، خارج نطاق الصحيفة ، مع التعليق المناسب أحيانا .

وهكذا كانت « لاديكاد » بحق سجلا اعلاميا لعالم مصر من ناحية ، ولجهود أعضاء المجمع العلمى المصرى من ناحية أخرى .

وقد ساعدت حروف الطباعة المختلفة اللغات بمطابع الحملة على أن يكتمل لهـذه الدورية مقومات النشر الأكاديمى الدقيق . فقد استخدمت الحروف العربية والفارسـية واليونانية والقبطية والعبرية والسريانية وغيرها ، لتوضيح اسماء الاعلام والنصـوص فى كثير من موضوعاتها (شكل ١٥) .

وكانت « لاديكاد » تظهر فى أعداد متتالية ، ثم تضم كل مجموعة منها فى مجلد . وبلغ عدد مجلداتها ثلاثة ، أهدى كل منها الى أحد قادة الحملة على التوالى : بونابرت ، وكليبر ، ومنو . وينتهى كل مجلد بقائمة بالملاحظات والتصويبات ، ثم بفهرس بموضوعاته .

وقد انتهى المجلد الثالث فى شهر فنتوز سنة ١٠ (مارس ١٨٠١) . ويقول بعض المؤرخين ان هناك ثلاثة أعداد صدرت بعد هـذا التاريخ ، ولكنها لم تضم الى المجلد الثالث (١) .

وتختلف « لاديكاد » عن زميلتها « لوكوربيه » فى أمر جوهرى . فقد صدرت « لوكوربيه » أساسا لجنود الحملة ، تحمل اليهم الخبر والرأى والتوجيه ومواد التسلية والاعلان ، من خلال مخطط اعـلامى مدروس ، وضعته قيادة الحملة بما يتفق وأهدافها وأشرفت على تنفيذه . أى أن هذه

(١) انظر : Wassef, op. cit., pp. 190-91 . وربما كان ذلك صـحيحا ، ولكن المجموعات الموجودة بدار الكتب المصرية والمكتبة القومية الفرنسية والمتحف البريطانى لا تضم تلك الاعداد . وقد أعادت بعض دور النشر مؤخرا طبع هذه الدورية بطريقة « الأوفست » بعد تصويرها ، واصدرتها فى ثلاثة مجلدات كذلك . وهذا ولا شك عمل جليل يحفظ للتاريخ ذلك التراث الاعلامى القيم . أنظر طبعة مكتبة بيلوس ببيروت ، ١٩٧٥ .

الصحيفة بعبارة اخرى كانت ـ كما سبق القول ـ صحيفة حكومية تصدرها قيادة جيش الشرق لجنودها • فمصدر الاعلام هنا هو رأس الحملة ، وجمهوره هو قاعدتها العريضة •

اما « لاديكاد » فقد صدرت بقرار من المجمع العلمي المصرى ، لتكون في المقام الأول سجلا لنشاط أعضائه • فمصدر الاعلام هنا هو المجمع نفسه ، وجمهوره يتكون من أعضاء لجنة العلوم والفنون ، ومثقفى الحملة وقوادها ، ثم من الدوائر الثقافية فى أوربا •

وصحيح أن بونابرت هو صاحب فكرة جمع هذا الحشد الكبير من العلماء والباحثين ، ليكونوا ركنا أساسيا من أركان حملة على مصر •

وصحيح أنه هو الذى أنشأ المجمع العلمى (١) ، بل وكان نائبا لرئيسه وعضوا بلجنة الرياضيات به •

وصحيح أنه حضر الجلسة الأولى التى عقدها المجمع (٢) ، وشارك فى المناقشة التى دارت خلالها بشأن اصدار صحيفة دورية له • والراجح انه هو الذى أوحى بهذه الفكرة • فقد رأينا مدى ايمان بونابرت بالاعلام بوجه عام ، وتتبعنا حرصه على توفير ما يلزم لتنفيذ سياسته الاعلامية فى مصر من رجال وأدوات • وفضلا عن ذلك فقد لمسنا مدى اهتمام القائد الشاب بأمر « لاديكاد » بالذات ، اذ ذكرنا كيف انه سحب امتياز طبع هذه الصحيفة مع زميلتها « لوكوريير » من صديقه مارك أوريل وعهد بهما الى مارسيل مدير مطابع الحملة الرسمية ، وكان ذلك بعد أن ضايقته كثرة الأخطاء الطباعية فى « لاديكاد » بوجه خاص (٣) • ومما يدل على مواصلة اهتمام بونابرت بأمر هذه الصحيفة انه خصها بالذكر فى المادة الثانية من آخر أمر رسمى أصدره فى مصر ، قبل تحركه ليقود حملة سوريا • فقد كان نص تلك المادة : « على المطبعة الرسمية أن تبذل أقصى جهدها فى طبع « لاديكاد » (٤) •

---

(١) أصدر أمره بذلك فى ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٠ أغسطس ١٧٩٨) •

(٢) يوم ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٣ أغسطس ١٧٩٨) • انظر « لا ديكاد » : العدد الأول ـ المجلد الأول •

(٣) انظر ص ٢٥ ـ ٦ •

(٤) صدر هذا الأمر فى ٩ فبراير ١٧٩٩ • وغادر بونابرت القاهرة فى اليوم التالى ليلحق بقواته التى كانت قد بدأت تحركها قبل ذلك بمدة أيام • انظر : Périvier, op. cit., p. 90.

ولكن « لاديكاد » ، مع كل ذلك ، لم تكن تعكس اثر السلطة الحاكمة او تردد صدى سياستها في وضوح ، كما فعلت « لوكورييه » •

ولعل السبب في هذا أن « لاديكاد » التزمت منذ عددها الأول بخطتها التي بسطها تاليان في مقدمته ، أي بأن تقتصر موضوعاتها على المواد العلمية والأدبية والفنية ، وأن تبعد تماما عن كل ماله علاقة بالسياسة •

ولا شك أن ذلك ، بالاضافة الى دسامة موضوعات « لاديكاد » وتنوعها وجدتها ، قد أكسبها مكانة في التاريخ لم تبلغها « لوكورييه » او أشباهها •

ولم يقتصر نشاط علماء الحملة في مجال النشر على هذه الدورية • فقد أخرجت لهم مطابع الحملة عددا من المطبوعات التي اكتفت « لاديكاد » بالاشارة الى بعضها أحيانا ، وتناولتها بالتعليق أحيانا أخرى ، في الباب الذي كانت تقدم به لقرائها المطبوعات الجديدة ، التي يصدرها علماء الحملة أو يتلقونها •

ولم تكن هذه المطبوعات موجهة الى سائر العلماء والمثقفين من رجال الحملة وحدهم ، وانما اتسع جمهور بعضها أحيانا ليشمل جنود جيش الشرق ، وليضم كذلك المصريين وساكني مصر من الأجانب أحيانا أخرى ، حسب طبيعة ما تتناوله من موضوعات ، واللغة التي طبعت بها • ومن أهمها :

١ ــ كتيب يتضمن قائمة مفصلة بحروف الطباعة العربية والتركية والفارسية التي تستعملها « المطبعة الشرقية والفرنسية » بالاسكندرية • وقد أعده مارسيل مدير مطابع الحملة (شكل ١٦) (١) •

٢ ــ كتيب عنوانه « وصف الرمد في مصر وطرق علاجه » ، بقلم انطونيو سافاريزى (Antonio Savaresi) الطبيب بجيش الشرق •

---

(١) كان هذا هو أول مطبوع ــ غير المنشورات ــ يصدر في مصر • وقد أخرجه مطابع الحملة بمجرد اقامتها بالاسكندرية ، ويقع في ١٦ صفحة من القطع الصغير • ويمثل الشكل الصفحتين الأولى والأخيرة من الكتيب ، وهو من محفوظات دار الكتب المصرية •

وقد طبع بالايطالية ، ونشرت « لاديكاد » ترجمته الفرنسية مجزأة فى أكثر من موضوع بالمجلد الثانى (شكل ١٧ ، ١) .

٣ ــ كتاب بعنوان « أمثال لقمان الحكيم » . وقد طبع بالعربية مع ترجمة فرنسية ، مسبوقة بمقدمة شارحة عن هذا الحكيم ونشأة الأمثال فى الشرق ، بقلم المستشرق مارسيل . ونشرت « لاديكاد » هذه المقدمة ، معتذرة من عدم نشر النصوص نفسها بضيق الحيز ، فى العدد السادس من المجلد الثانى (شكل ١٨) (٢) .

٤ ــ الطبعة الفرنسية من الكتيب الخاص بوباء الجدرى ، الذى كتبه ديجنت وسبقت الاشارة الى طبعتيه العربيتين (٣) . وقد ظهرت هذه الطبعة مع الطبعة العربية الأولى ، واشارت «لاديكاد » اليها ، فى العدد السابع من المجلد الثالث . وكذلك نشرت «لاديكاد» ــ بالعربية ــ نص الرسالة التى بعث بها أعضاء الديوان الى ديجنت لشكره على اهدائهم الطبعة الثانية من هذا الكتيب ، التى أكدت الصحيفة أنها صدرت بالعربية وحدها ، مع ترجمة الرسالة الى الفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث (شكل ١٩) .

٤ ــ حوليات (Annuaires) الجمهورية الفرنسية ، للاعوام السابع والثامن والتاسع . وتتضمن كل حولية عددا من البيانات والاحصاءات عن فرنسا ومصر ، وجداول مقارنة للمقاييس والموازين الفرنسية والمصرية ، وكذلك مقارنة بين التقويم الهجرى والتقويم الفرنسى الجديد . وقد قامت بتصنيف هذه الحوليات لجنة خاصة من المجمع العلمى . واشارت «لاديكاد» فى العدد الخامس من المجلد الثانى ، الى ظهور الحوليتين الأوليين معا ، اذ أن الحولية الأولى لم يمكن صدورها فى موعدها ، فلم تكن مطابع الحملة وقتئذ قد نقلت بعد الى القاهرة (شكل ٢٠) (٤) .

---

(١) تشير قائمة «جيس» الى صدور طبعة عربية من هذا الكتيب ، غير ان «لاديكاد» لم تذكر ذلك ، بل انها اشارت فى المجلد المذكور الى صدور الطبعة الايطالية . وكذلك لم يعثر المؤلف على أى دليل يؤيد ماذهب اليه «جيس» . وهذه النسخة من قسم المخطوطات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) لم يستطع المؤلف العثور على هذا الكتاب كذلك .

(٣) انظر ص ٤٣ . هذا ولم يتيسر العثور على الطبعة الفرنسية .

(٤) يمثل هذا الشكل الصفحة الأولى من حولية العام الثامن . وهى من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتوجد هناك ملحقه بأحد مجلدى صحيفة « لوكوريه دى ليجيت » وتقع فى ١٠٨ صفحات .

الفصل الرابع

الإعلام لغير المصريين من السكان

أشارت بعض المصادر الفرنسية القديمة ، التى تناولت مطابع الحملة الفرنسية أو أرخت لمديرها المستشرق مارسيل ، الى أن هذه المطابع أخرجت ، الى جانب المطبوعات الفرنسية والعربية ، مطبوعات أخرى باللغتين اليونانية والتركية ، أغلبها ترجمات لبعض المنشورات التى صدرت بالعربية او الفرنسية ، موجهة الى اليونانيين والأتراك من سكان مصر (١) .

وقد ردد بعض من كتبوا عن الحملة الفرنسية من المحدثين هذه الأقوال دون تعليق (٢) . وزاد البعض الآخر من هؤلاء ، فقال انه رأى بعض مطبوعات الحملة باليونانية ، ولكنه لم يشفع قوله بأية اشارة توثقه أو توضح مصدره (٣) .

---

(١) انظر مثلا : Taillefer, « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, Tome XVI, Paris, 1854, p. 318.

(٢) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ، ص ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٤ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ .

(٣) Wassef, op. cit., pp. 86-7.

ومع أن المؤلف ، في بحثه عن نماذج مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات ، لم يعثر على مطبوع يوناني واحد ، فهناك من المراجع ما يشير الى صدور بعض المنشورات اليونانية • فقد نشرت صحيفة «لو كوريير» (١) نص بيان موجز أصدره الجنرال مينو الى اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر من قبل قدوم الحملة الفرنسية ، يدعوهم فيه الى استئناف أعمالهم التجارية ، ويطمئنهم الى انهم سوف يتمتعون بالأمن والحماية •• ويؤكد لهم أن عهد الظلم والاضطهاد قد زال •• الخ • وذيلت الصحيفة هذا البيان بعبارة تقول انه صدر في منشور طبع بالفرنسية واليونانية « Cette proclamation a été imprimée en français et en grec »

صحيح أن مطابع الحملة كانت مزودة بحروف يونانية ، ولكن هل صدرت حقا منشورات باللغة اليونانية ؟ وهل تمثل هذه المنشورات جانبا له وزنه من مطبوعات الحملة ؟ أم أن تلك الحروف اقتصر استخدامها على جمع بعض الكلمات فيما نشر بصحيفة « لاديكاد » من بحوث ؟

ان عددا كبيرا من المنشورات التي تتضمن تعليمات أو اخطارات عامة ، والتي تحتوي من البيانات والتنظيمات ما يهم السلطات الفرنسية أن تبلغه الى الجاليات الأجنبية ، وما يفيد هذه الجاليات كذلك أن تطلع عليه ، كان يصدر اما في نسخ مستقلة بالفرنسية الى جانب النسخ العربية ، واما في نسخ باللغتين معا • هذا سواء أكانت تلك المنشورات موجهة الى سكان مصر جميعا ، أم الى أهالي منطقة معينة كالقاهرة أو الاسكندرية •

وسنكتفي هنا بالاشارة الى نماذج قليلة من هذه المنشورات ، اذ أن الفصول القادمة من البحث سوف تتعرض — بالضرورة — لعدد كبير من المنشورات مزدوجة اللغة •

وأول هذه النماذج المنشور الذي يتضمن قائمة بأسعار العملات المتداولة ، والذي صدر بالاسكندرية ، بعد أيام قليلة من احتلال الفرنسيين للمدينة (٢) ، بقرار من لجنة مشتركة ضمت ممثلين للسلطة الفرنسية وعددا من كبار التجار المصريين • وقد جاء في مقدمة القرار انه

---

(١) العدد ٩٢ ، بتاريخ ٢١ فريمير سنة ٩ (١٢ ديسمبر ١٨٠٠) •
(٢) في ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يوليو ١٧٩٨) •

اتفق على طبعه بالفرنسية والعربية (الطبعة الفرنسية شكل ٢١) (١) .

ومنها المنشور الخاص بالتقسيم الادارى لمصر ، الذى أصدره كليبر فى أوائل عهد قيادته للحملة . (شكل ٢٢) (٢) .

وهناك مثلا المنشور الذى صدر بالفرنسية والعربية معا ، ليذيع امر منو بتحديد مقادير عدد من الضرائب فى كل أنحاء البلاد (٣) وقد تضمنت هذه الضرائب فرض « عوايد على القبط وأهل بر الشام وعلى الأروام واليهود والافرنج :
« sur les nations copte, syrienne et damasquine, grecque et juive ». (شكل ٢٣)

ثم هناك المنشور الذى يعلن عن بيع بالمزاد العلنى لكميات من الأرز والحلبة والترمس بمخازن الحملة ، الذى أصدره بالعربية والفرنسية رينييه (Reynier) فى عهد منو كذلك (شكل ٢٤) (٤) .

ويلاحظ على مثل هذه المنشورات أمران :

١ ـ انها لا تدخل فى نطاق المنشورات الموجهة الى جنود الحملة وحدهم . فلا علاقة للجنود ـ مثلا ـ بمزاد تباع فيه آرادب الارز والحلبة، ولا يهمهم كثيرا أمر العوائد المفروضة على المدن وطوائف السكان . وحتى اذا كان بعض ما تتضمنه هذه المنشورات ذا قيمة اعلامية لهم ، فقد كان يغنيهم عنه عادة ما تنشره لهم صحيفة « لوكوريبه » والمنشورات التى تصدر خصيصا لهم .

---

(١) لم تعثر على النسخة العربية . ولكن منشورا عربيا آخر صدر بعد ذلك بعامين (فى ٢٢ ترميدور سنة ٨ ـ ١٠ اغسطس ١٨٠٠) ومشير اليه فيما بعد) بعنوان « هذه تعريفة التقود » ، أشار فى بدايته الى سبق صدور ذلك المنشور الاقدم بعبارة « وكنا عملنا التعريفة وطبعناه بالعربى والفرنساوى فى ١٧ يوم من شهر مسيدور سنة ٦ للمشيخة الفرنساوية » . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى ٢٨ فروكتيدور سنة ٧ (١٤ سبتمبر ١٧٩٩) .

(٣) فى ٢٠ فندمير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) .

(٤) فى ٢٥ فندمير سنة ٩ (١٧ أكتوبر ١٨٠٠) . وكان رينييه يتولى منصب « مدير ادارة الايرادات العينية والممتلكات الحكومية » (Directeur des Revenus en nature, et du mobilier national). وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

٢ ـ ان أصولها تتضمن في العادة نصا على أن تنشر بالفرنسية والعربية فقط ، مع ان مضمونها يهم سكان مصر جميعا من مختلف الجنسيات • وحتى اذا تضمنت ذكر اليونانيين (الاروام) صراحة ، باعتبارهم من الطوائف التى يهم اعلامها بأمر ما ، فان اليونانية لا يرد ذكرها باعتبارها احدى اللغات التى سيطبع بها المنشور • وذلك واضح مثلا من المنشور الخاص بالضرائب الذى أشرنا اليه آنفا • ولو كان أى من هذه المنشورات قد طبع بلغة أخرى لورد فيه ذكر ذلك ضمن عبارة « أمر النشر » المقلبدية التى يذيل بها نص المنشور •

وفوق ذلك ، فان المنشور الذى يتضمن أمر بونابرت بتجنيد ثلاث سرايا من أبناء الجالية اليونانية بمصر ، صدر باللغة الفرنسية وحدها (شكل ٢٥)(١) ، دون ما اشارة الى طبعه باليونانية كذلك •

ومعنى هذا أن هناك شكا كبيرا فيصدور منشورات باللغة اليونانية الى المتكلمين بها من سكان مصر ، حتى اذا كانت تتضمن ما يهمهم من الامور •

واذا كان ما ذكرناه «لوكورييه» بشأن صدور منشور بهذه اللغة قد حدث بالفعل ، وكانت أمثال هذا المنشور قد ضاعت مع غيرها منمطبوعات الحملة ، رغم مابذله الباحث من جهد فى البحث عنها بالقاهرة وباريس ولندن ، فمن المؤكد أن ذلك كان أمرا نادر الحدوث • ومن الراجح فى هذه الحالة أن المنشور الذى أشارت اليه «لوكورييه» كان من الظواهر الطباعية النادرة فى ذلك العهد •

* * *

أما عن اللغة التركية ، فقد أشارت بعض المصادر الى أن عددا من المنشورات لم تصدر بالفرنسية والعربية وحدهما ، وانما صدرت كذلك بالتركية •

فقد ذكر جيس ، فى قائمته التى ضمنها مطبوعات الحملة ، مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، باللغات الفرنسية والعربية والتركية •

---

(١) بتاريخ ٧ بروميير سنة ٧ (٢٨ أكتوبر ١٧٩٨) • وكانت كل سرية مكونة من مائة رجل ، وذلك للقيام ببعض مهمات الحراسة فى مدن القاهرة ودمياط ورشيد • وهذه النسخة من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة •

ومن قبله اشار الجبرتى الى ذلك فى حديثه عن مصرع كليبر . فقد قال بعد ذكر الحادث وما تبعه من اجراءات سريعة (١) : « والفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كبيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية » .

وقد تأيد بالفعل ما أشار اليه كل من الجبرتى وجيس ، فهناك — كما ذكرنا — مطبوع يتضمن مستندات محاكمة سليمان الحلبى وشركائه باللغة التركية (شكل ٢٦) ، الى جانب نصوصها العربية والفرنسية (٢) .

وكذلك فان المنشور المستقل الذى سجل آخر جلسات المحاكمة التى صدر فيها الحكم ، نص فى صراحة على أن هذه الشريعة والفتوة (الفتوى) لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية من كل لغة قدر خمسماية نسخة لكى يرتسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة » . وهذا فى حد ذاته دليل على صدور طبعة تركية من ذلك المستند بالذات .

ولعل ذلك راجع الى طبيعة تلك الوثائق التى تتعلق بحادث مبر من أبرز الحوادث فى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، وما ترتب عليه من اجراءات التحقيق والمحاكمة ، وما يتصل به من ملابسات سياسية .

فقد ثبت من اعترافات سليمان الحلبى التى أذاع نصوصها الفرنسيون ، الى جانب أنه اعتبر قتل كليبر جهادا فى سبيل الله ، ان بعض المسئولين العثمانيين فى حلب حرضوه على قتله . ومن هنا اتخذ هذا الحادث طابعا سياسيا ، وأصبح بذلك جزءا من الصراع الكبير بين الفرنسيين والعثمانيين حول مصر .

ولما كان الفرنسيون قد حرصوا على أن يوفروا لهذه المحاكمة كل مظاهر الضمانات التى تكفل اجراءات قضائية سليمة ، الأمر الذى لفت نظر الجبرتى وأشاد به (٣) ، فقد حرصوا كذلك على أن ينشروا كل مادار

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ١١٦ .

(٢) أنظر ص ٤٤ ، ٥٤ . وتقع هذه المستندات التركية فى ٨٨ صفحة .

(٣) قال الجبرتى فى هذا الصدد (المرجع السابق ، ص ١١٦ — ١٧) : « والفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها .. وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية المحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تحارى على كبيرهم وبصبوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره وتبضوا عليه وقرروه ولم يحاولوا بقتله وقتل من ه

فيها بالتركية ، الى جانب العربية والفرنسية • وذلك لكى يتخـذوا منها اداة دعائية فى وجه العثمـانيين الذين كانوا يحشدون قواتهم لاسترداد مصر ، فى بلاد الشام وفى البحر المتوسط • ولا شك انه كان من اليسير أن تصل هذه المطبوعات أو مضمونهـا اليهم ، ولو بتدبير من السلطات الفرنسية ذاتها •

ويلاحظ انه لم ترد اشاره صريحة ممائلة فى وثائق الحملة ، تدل على طبع منشور أو مستند معين آخر باللغة التركية • بل ان وثيقة مهمة مـثل اتفـاقية العريش التى ابرمت فى عهد كليبر بين قيـادة الحملة والعثمانيين للجلاء عن مصر(١) ، وان كانت لم يقدر لها أن تنفذ ، طبعت بالعربية والفرنسية وحدهما • وخلا نص هذه الاتفاقية من أية اشارة الى طبعها بالتركية ، بالرغم من ملاءمة ذلك لطبيعتها • فقد جاء فى ختـامها انها « منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوى الى الوكلا العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية » • ومعنى ذلك أن لهذه الاتفاقية «أصلاه باللغة التركية ، ولكنه لم يطبع •

وكذلك فان اتفاقية الجلاء الاخيرة التى عقـدها بليار (Belliard) قائمقام (نائب) منو بالقاهرة(٢) ، نشرت بالعربية والفرنسية ، دون أدنى اشارة الى طبعها بالتركية أيضا •

غير أن أحد مؤرخى الحملة المعروفين(٣) يقـول ان منشور بونابرت الأول الى المصريين طبع بالفرنسـية والعربية والتركية . ويردد هذا القول عنه أحد المؤرخين المحدثين(٤) • مع أن هذا المؤرخ نفسه يذكر فى صفحات

اخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سنوى عسكرهم وامرهم بل ونبوا حكومة ومحـاكمة واحضروا القـاتل وكرروا عليـه السؤال والاستفهام .. ثم أحضروا من اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم .. » •

(١) وقعت فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، واذيع نصها فى منشور طبع بالعربية والفرنسية ، محرر بتاريخ ٨ بلوفيوز سنة ٨ (٢٨ يناير ١٨٠٠) • وسرعان ما نقضت هذه الاتفاقية •

(٢) وقعت فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ . وقد اذيع نصها الفرنسى كاملا فى طبعة مستقلة ؛ كما نشرت بعض موادها بالعربية والفرنسية فى طبعة اخرى . وكان بليار قد عين حاكما للقاهرة وقائدا لحاميتها يوم ٢١ يونيو ١٨٠٠ ، عقب تولى منو قيادة الحملة .
وسوف تستكمل دراسة هذين المنشورين فى مواضع تالية من الكتاب .

(٣) Lacroix, Désiré, Bonaparte en Egypte, Paris, 1899, p. 80.

(٤) Herold, op. cit., p. 68.

سابقة قصة الضابط التركي الذى زار بارجة القيادة «لوريان» قبل نزول الفرنسيين الى الشاطىء ، وأعطى نسخة عربية من المنشور • وعندما اعتذر بانه لا يقرأ العربية ، ترجم له المستشرق فانتور ـ مشافهة ـ نص المنشور الى التركية (١) •

فمتى طبع هذا المنشور بالتركية ، اذا كان بونابرت بمجرد النزول الى الاسكندرية ، وقبل نقل المطابع ، قد أمر ـ كما قيل ـ بأن يعلن باللغات الثلاث ؟

وحتى اذا كان الفرنسيون قد تمكنوا من طبع ترجمة للمنشور بالتركية فى البحر ، بعد زيارة ذلك الضابط التركى وقبل النزول الى المدينة ، وهو احتمال ضعيف ، فلا شك أن ذلك كان أيضا بسبب طبيعة هذا المنشور الخاصة • فهو أول خطاب من قائد الحملة الى شعب مصر • وكانت مصر من الناحية الرسمية ايالة عثمانية ، يمثل سيادة الدولة بها جهاز تركى على رأسه الوالى • كما كانت أمورها من الناحية الفعلية فى أيدى آلاف المماليك ، الذين يتكلمون التركية •

هذا فضلا عن أن بونابرت أراد أن يؤكد فى المنشور صداقة الفرنسيين للسلطان العثمانى ، وأنهم ما قدموا الى مصر لينتزعوها من حوزته ، وانما قصدوا بحملتهم أن يخلصوا مصر من شرور المماليك الذين عصوا السلطان واستبدوا فيها بالأمر دونه • فقد جاء بهذا المنشور أن «الفرانساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا المحبين الاخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعدا أعدايه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب (يقصد « وعلى العكس من ذلك » ، ترجمة للأصل الفرنسى « au contraire » المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما طاعوا أصلا الا لطمع انفسهم » • وجاء به كذلك: «المادة الثالثة . كل قرية التى تطيع للعسكر الفرانساوى الواجب عليها نصب السنجاق (العلم) الفرانساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » •

وكانت آخر عبارات المنشور : « ادام الله اجلال السلطان العثمانى ادام الله اجلال العسكر الفرانساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية » •

ومن هنا فان اصدار هذا المنشور بالتركية كذلك له ما يبرره • غير

---

(١) راجع ص ٢٢ •

انه من المستبعد ـ فيما نرى ـ أن يكون الفرنسيون قد أصدروا أية مطبوعات أخرى باللغة التركية • فلمن يصدرونها ؟

انهم سرعان ما قضوا على المماليك ، وفر من بقى من هؤلاء اما مع ابراهيم بك الى الشام ، واما مع مراد بك الى أقاصى الصعيد • وكذلك خرج من مصر مع مماليك ابراهيم معظم من كانوا يعملون بها قبل الحملة من رجال الدولة العثمانية • بل ان زعماء المماليك الذين بقوا بصعيد مصر كانوا ـ اذا دعا الأمر ـ يكاتبون السلطات الفرنسية باللغة العربية • ومن ذلك، مثلا ، رسالة مراد بك الى الجنرال منو التى ضمنها تعزيته فى مصرع سلفه الجنرال كليبر، وأكد فيها استمرار الاتفاق الذى سبق أن عقد بين الطرفين (شكل ٢٧) (١) • وقد بعث مراد بك عدة رسائل مماثلة الى جنرالات الحملة الآخرين • وهذه وغيرها من رسائل المماليك وعرائضهم العربية محفوظة بقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ، مع ترجمتها الفرنسية ، شأنها فى ذلك شأن سائر الرسائل التى كان يبعث بها الى قيادة الحملة مختلف الافراد والطوائف من المصريين وغيرهم •

وعى ذلك فيمكن الجزم بأن العربية والفرنسية كانتا لغتى الاعلام الرئيسيتين للحملة الفرنسية فى مصر ، وان اليونانية والتركية ، اذا كانتا قد استخدمتا ، فان ذلك لم يحدث الا قليلا جدا ، بل نادرا ، وفى مناسبات معينة اقتضت هذا الاستخدام •

وذلك بالطبع لا يتعارض مع ما سبق أن ذكرناه من استخدام بعض علماء الحملة فيما نشروه من بحوث بصحيفة « لاديكاد اجبسيين » لألفاظ وعبارات بلغات مختلفة غير الفرنسية ، تطلبت موضوعات البحوث استخدامها • ولا يتعارض كذلك مع ما أشرنا اليه من طبع أحد الكتيبات العلمية بالايطالية ، التى كانت اللغة الأولى لمؤلفه (٢) •

---

(١) من قسم المخطوطات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهى بتاريخ ١٥ صفر ١٢١٥ (يوافق ٨ يوليو ١٨٠٠) • وكان هذا الاتفاق يقضى بأن يحكم مراد بك الصعيد الأعلى جنوبى بلدة بلصفورة (بمحافظة سوهاج الآن) باسم الجمهورية الفرنسية ، وأن يمنع خراج اقليم جرجا •

(٢) انظر ص ٦١ ـ ٢ •

الباب الثالث

المنشورات العربية وسيلة إعلام

كثيرون ممن أرخوا للحملة الفرنسية فى مصر ، من أجانب ومصريين، أهملوا ذكر المنشورات العربية التى أصدرتها سلطات الحملة ، بل ان بعض من أرخوا للصحافة فى مصر أغفلوا أمر هذه المنشورات اغفالا تاما ، مثل فيليب دى طرازى(١) ٠

وهناك مؤرخون آخرون ، قدامى ومحدثون ، تناولوا فى كتاباتهم هذه المنشورات ٠ وقد تفاوت ماكتبوه عنها بين الاشارات العابرة والفقرات الموجزة ٠

وهناك أيضا ، غير هؤلاء وأولئك ، من سجلوا نصوصا كاملة أو مجتزأة لعدد من المنشورات العربية أو ترجمتها (أصولها) الفرنسية ٠ ولكن معظمهم تعرض لهذه النصوص من حيث صلتها بموضوع معين ، وقليل جدا منهم من التفت الى «ظاهرة» اصدار المنشورات نفسها ٠

لقد كان الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، هو أول من سجل نصوص عدد كبير من هذه المنشورات ، فى مناسبات صدورها ٠ وكلما تناول بالسرد أو التعليق مضمون أحدها ، كان لا يفوته أن يسجل كذلك عملية نشره واذاعته ٠ فيقول مثلا : «٠٠٠ وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد» ، أو «٠٠٠ كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصقوها بالاسواق مضمونها ٠٠٠» ، أو «٠٠٠ وكتبوا بذلك طومارا(٢) كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة ٠٠ والصقوا منها بالاسواق على العادة » ٠

---

(١) فى كتابه « تاريخ الصحافة العربية » الذى سبقت الاشارة اليه ٠ وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبع أجزاء الكتاب الأربعة بالأوفست ـ بعد تصويرها ـ عام ١٩٧١ ٠

(٢) « الطومار » و « الطامور » : الصحيفة ٠

وسجل نقولا الترك ، وقد عاصر الحملة الفرنسية كذلك ، نصوص عدد من تلك المنشورات ، ولكنه لم يكن فى ذلك دقيقا . كما ان كتاباته عن الحملة بوجه عام اتسمت بالخفة والسطحية ، والافتقار الشديد الى الصدق والموضوعية (١) .

وعن الجبرتى نقل كثير من المؤرخين المحدثين ، وبخاصة من كتبوا بالعربية ، ما أرادوا الاستدلال به أو التعليق عليه من نصوص تلك المنشورات .

وممن حص هذه المنشورات بالذكر من المؤرخين الفرنسيين لاكروا (٢) ، الذى أورد نصوصا فرنسية دقيقة وكاملة لعدد من المنشورات العربية فى مناسباتها .

وفى دراسة البير جيس لمطابع الحملة فى مصر ، قال عن المنشورات بوجه عام انها « كانت كثيرة متواترة ، وكانت تطبع طبعتين ، واحدة للصق والأخرى من حجم اصغر للتوزيع » . وقال ايضا انه تمكن من رؤية عدد من المنشورات التى اصدرها قواد الحملة الثلاثة للأهالى ، « ولكن الجزء الأكبر من هذه المنشورات ضاع أو تمزق » . وكذلك وصف جيس فى دراسته أحد المنشورات التى طبعت بالعربية والفرنسية ، فذكر طوله وعرضه وعدد سطوره (٣) .

واكتفى شارل رو بأن أشار الى المنشورات العربية ضمن غيرها من المطبوعات المشابهة : كالأوامر اليومية والنشرات الادارية التى كانت تصدرها قيادة الجيش أو الادارة المالية للحملة (٤) .

أما مؤرخونا وباحثونا المحدثون ، فقد كان فى مقدمة من اهتم منهم

---

١ - ان الترك يعمل فى خدمة الأمير بشير اللبنانى ، ثم أولده هذا الى مصر ايام الحملة لمراقبة الاحوال . فاتصل بالفرنسيين اتصالا وثيقا . وكتب الترك عن الحملة يومياته صدرت مع ترجمتها العربية فى ضخمتين : احداهما فى باريس عام ١٩٢٩ بواسطة المستشرق دبجرانج (Desgranges) صدرت « ذكر تصدك جمهور الفرنساوة الاقطار المصرية والبلاد الشامية » ، والثانية فى القاهرة عام ١٩٥٠ على يد حاسنن فيت (G. Wiet) بعنوان « مذكرات نقولا الترك » . وقد طالع هذا المؤرخ كثيرا فى تمجيد الفرنسيين ، كما تحامل بشدة على مسلمى مصر وسوريا .

٢ - فى مرجعه السابق ذكره .

(٣) Op. cit., pp. 152. 154.

(٤) Op. cit., p. 153.

بالمنشورات العربية الأستاذ عبد الرحمن الرافعي (١) ، الذى أورد نصوص عدد منها ، نقلا عن الجبرتى ، أو ترجمة عن أصولها الفرنسية من بعض الكتب والمراجع أو من صحيفة «لوكوريير» • وفعل مثل ذلك أيضا الاستاذ أحمد حافظ عوض (٢) •

واستند الدكتور عبد العزيز الشناوى كذلك الى نصوص عدد من هذه المنشورات ، نقلا عن الجبرتى أو نقولا الترك أو المصادر الفرنسية ، فى دراسته الأخيرة عن موقف الأزهر ورجاله من الحملة الفرنسية (٣) •

ومن ناحية أخرى ، أشار بعض مؤرخينا الى هذه المنشورات ، من حيث استخدامها وسيلة دعائية ، حاول الفرنسيون عن طريقها توثيق صلة المصريين بهم • فقال الدكتور محمد فؤاد شكرى مثلا «••• جريا على سياسته (فى الاستعانة بنفوذ علماء الدين لتنفيذ خططه) لم يلبث بونابرت أن استخدم الديوان والعلماء فى اصدار المنشورات لتسكين خواطر الأهالى وحضهم على التزام الهدوء والسكينة ، ثم لنقل الاخبار الهامة التى رأى اذاعتها على المصريين فى أثناء الحملة السورية » (٤) •

وقال الاستاذ محمود الشرقاوى : «أظهر نابليون كل ماعنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر فى المصريين عن طريق منشوراته العربية• ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها •• » (٥) •

أما الدكتور ابراهيم عبده فقال فى تأريخه للطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ان «أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية ،فى مصر هى مطبعته العربية . فبواسطتها اذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شك على توجيه الوطنيين توجيها خاصا » (٦) •

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزءان الأول والثانى ، القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٤٨ •

(٢) فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ •

(٣) صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر فى أوائل القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

(٤) الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٢ •

(٥) مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الثالث : شعب مصر وكفاحه ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٦ — ٧ •

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦ — ٧ •

ثم قال ، عندما كان يدلل على عدم صدور صحيفة عربية أيام الحملة، انه « لم يكن من المستبعد أن يكون (بونابرت) قد فكر في انشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه • وقد رأيناه شديد العناية باذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد• بيد ان ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تتصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرؤها الناس في ميعاد معلوم ، وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر في مثل هذا التفكير •• » (١) •

وأما الدكتور لويس عوض فكان أكثر نفـــاذا الى حقيقة المنشورات العربية للحملة ، وأقرب الى تقويم دورها • لقد تحدث عنها من حيث صلتها بالمبادىء الدستورية ، التي اعتبر أن سلطات الحملة الفرنســـية حاولت اقرارها في مصر • فقد قال انه لمعرفة الأوضاع الدستورية في تلك الفترة «ينبغي تتبع الملصقات الكثيرة التي كانت أجهزة الحكم تنشر بها البيانات والمراسيم والقـوانين والقرارات وعامة ما تنظم به العـــلاقة بين الحاكم والمحكوم » • ثم قسم هذه «الملصقات» الى ثلاثة أنـواع : فهي اما موجهة من السلطات الفرنسية الى الشعب ، أو منها الى أحد الديوانين(٢) ، أو من أحد الديوانين الى الشعب • ولكنه لم يتعمد في حديثه القصير عن المنشورات بعد ذلك نطاق صلتها بما سماه بالأوضاع الدستورية (٣) •

* * *

هذه النماذج تمثل أبرز الزوايا التي نظر منها المؤرخون والباحثون الى المنشورات العربية التي أصدرتها الحملة الفرنسية في مصر •

ومع التفاوت الكبير في اتجاهات هذه الزوايا ، وفي مدى نفاذ النظر منها ودقته ، ومع تعدد أساليب التناول واختلاف حصيلته كمـا وكيفا ، تكونت من تلك الكتابات والاشارات المتناثرة حزمة ضوء هادىء ، لفت نظر الباحث الى أهمية تلك الظاهرة الفريدة في تاريخ مصر الحديث ، وضرورة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩ •

(٢) يقصد الديوان العمومي والديوان الخصوصي ، وهما يمثلان الشـكل الثاني من أشكال نظام التمثيل الشعبي الذي وضعه بونابرت لمصر • وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد •

(٣) تاريخ الفكر المصري الحديث، الجزء الثاني : الفكر السياسي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٦ ص ٨٣ — ٥ •

أن نوفى حقها من البحث ، وأن يبـــذل فى دراستها وتحقيقها مزيد من الجهد .

وقد سبق أن أشرنا (١) الى الاهمية التاريخية التى يمثلها اصـــدار الحملة الفرنسية للمنشورات العربية المطبوعة . وقلنا ان ظهور هذه المنشورات كان نقطة تحول كبرى فى نظام الاعلام بمصر ، حددت النهج الاعلامى الذى عرفته مصر بعد الحملة لسنوات طويلة .

ومعنى هذا انه كان لتلك المنشورات فى مجمـــوعها قسمات معينة تمثل كيانا متميزا لوسيلة اعلامية ذات مقومات واضحة . فما هو هـــذا الكيان المتميز ؟ وهل يمكن اعتبار تلك المنشورات صـــحيفة أو ما يشبه الصحيفة ؟ ان تحديد سمات المنشورات العربية ، أيا كانت درجة نضجها واكتمال مقـوماتها ، أمر ضرورى لابراز صـــورتها واستجلاء حقيقتها ، وبالتالى لتأكيد ما ذكرناه من أهميتها .

وهذا التحديد يقتضى تحليـــلا لمضمون تلك المنشـــورات ، سواء ما استطعنا الحصول على صوره منها أو ما نقلته المصادر المعاصرة للحملة من نصوصها ، وفى مقدمة هذه المصادر تاريخ الجبرتى . وذلك من حيث دلالة ما يحمله ذلك المضمون من رســـائل اعلامية ، ومن حيث لغة هذه الرســـائل وأســـلوب تحريرها . ويقتضى كذلك دراسة للخصـــائص التيبوغرافية للمنشورات ، أى من حيث الطبـــاعة والاخراج وما يتصل بهما . هذا فضلا عن بحث بعض الجـــوانب الاخرى المتعلقة بظهورها أو بامتداد أثرها .

***

وقبل هذا لا بد من جلاء نقطة أساســـية ، وهى الخـــاصة باصدار صحيفة عربية فى عهد الحملة الفرنسية .

لقـــد ظن بعض المؤرخين أن قادة الحملة أصـــدروا فى مصر بالفعل صحيفة عربية كاملة المقومات . فقال فيليب طرازى ان هـــذه الصحيفة كانت تسمى «الحوادث اليومية» ، وكان يحررها اســـماعيل الخشاب ، وقد أنشأها بونابرت . وقال ان هذه الصـــحيفة كانت تصدرها «البعثة العلمية» ، الى جانب «لاديكاد» و «لوكوريير» . واعتبر طرازى أن هـــذه

---

(١) راجع ص ٣٦ — ٤١ .

الصحيفة هي « جده الصحف في لغة الناطقين بالضاد » (١) .

وزعم مؤرخون آخرون ان الصحيفه كانت تسمى «التنبيه» (٢) ، وان منشئها هو الجنرال منو ، ثالث قواد الحمـــلة وآخرهم . وأول هؤلاء المؤرخين هو جيس الذى ذكر «التنبيه» ضمن قائمته المشهـورة لمطبوعات الحملة في مصر (٣) . وقد نقل عنه شارل رو دون تحفظ أو تعليق (٤) . ومن المحدثين الذين قالوا بذلك جرجى زيدان (٥) وأبو الفتوح رضوان(٦)

وقد تصدى عدد من المؤرخين والباحثين ، من قدامى ومحدثين كذلك، لنفي صدور هذه الصحيفة ، وان تفاوتت درجة النفي بين القطع الحاسم ، وبين الترجيح الهادىء الذى لا يوصد الباب تماما في وجه الاحتمال المضاد أيا كان ضعفه . ومن هؤلاء ريجو (٧) وأوجين آتان (Eugène Hatin) (٨) ثم عبد الرحمن الرافعى (٩) وابراهيم عبده (١٠) وأمين واصف (١١) .

واكتفى آخرون بموقف سلبى بحت ، فأغفلوا الاشارة تماما الى أية صـــحيفة عربية ضمن ما ذكروه من مطبـــوعات الحمـــلة . ومن هؤلاء كانيفيه (١٢) وديهران (١٣) .

فما هي الحقيقة وراء هذا كله ؟

لا شـــك أولا في ان طرازى قد أخطأ خطأ كبيرا عندما فسر وطيفة اسماعيل الخشاب في ديوان القاهرة بانها تحرير لصحيفة عربية اسمها «الحوادث اليومية» . لقد وصف الجبرتى عمل صـــديقه الخشـــاب في

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

(٢) ترجمة للكلمة الفرنسية « L'Avertissement »

(٣) Op. cit., p. 149.

(٤) Op. cit., p. 153.

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٤ القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٥١ ــ ٢ .

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

(٧) Rigault, Georges, Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1911, p. 161.

(٨) انظر : Wassef, op. cit., p. 245.

(٩) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ص ١٤٥ ، جـ ٢ ص ٢٢٨ ــ ٩ .

(١٠) مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ ــ ٧ .

(١١) Op. cit., p. 245.

(١٢) « L'Imprimerie de l'Expédition Française ».

(١٣) Deherain, Henri, Dans Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome V, p. 367.

الديوان وهو يترجم له ضمن وفيات عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م ، في عهد محمد علي) بقوله : «ومات البليغ النجيب ٠٠ السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ٠ تولع المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ٠٠ ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ **لحوادث الديوان وما يقع فيه** من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء **بضبط الحوادث اليومية** في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الأرياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر او نهي او خطاب أو خطأ أو صواب » (١) .

وواضح من هذا النص أن عمل الخشاب في الديوان ، كما وصفه الجبرتي ، كان «سكرتير الجلسات» بالمعنى الحديث ٠ وعلى ذلك فلا علاقة بين عمل الخشاب في الديوان وبين تحرير الصحف ٠ ولم تكن «الحوادث اليومية» في الحقيقة سوى وقائع جلسات الديوان التي تسجل في مضابطه ٠ ثم ان الخشاب ــ كما سنرى ــ الحق بالعمل في الديوان الأخير الذي أقامه منو في صورة جديدة ، بدلا من الديوانين اللذين قاما قبله(٢)، أي انه لم تكن له صلة بالديوان أيام بونابرت ، الذي يقول طرازي انه مؤسس تلك الصحيفة المزعومة ٠

ويلاحظ أيضا أن الجبرتي أشار في النص نفسه الى عناية الفرنسيين «بضبط الحوادث اليومية» ، لانهم كانوا « يجمعون المتفرق في ملخص » ويوزعونه «في جميع الجيش ٠٠الخ» وواضح انه يعني بذلك صحيفة «لوكوربيه» أو المنشورات الفرنسية ــ اذ ليس من المعقول أن يوزع ذلك الملخص على جنود الحملة باللغة العربية ٠ ومع ذلك فهو لا يذكر في هذه المناسبة شيئا عن صدور صحيفة عربية ، مع أن الاستطراد هنا الى ذكر مثل تلك الحقيقة ــ اذا وجدت ــ أمر منطقي ٠

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢) يتضح ذلك من المنشور الذي اذاع انشاء هذا الديوان والذي مستعرض له بعد قليل ٠ ويقول الجبرتي عن هذه الحقيقة في بقية ترجمته للخشاب « ٠٠ فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم ٠٠ » ٠ كما ان مؤرخنا قد أكد ما ورد في ذلك المنشور عند حديثه عن تكوين الديوان الجديد وسرده لاسماء اعضائه والعاملين به (جـ ٣ ، ص ١٣٧ ــ ٨) ٠

ومن ناحية أخرى فليس من المعقول ، كما قال الدكتـــور ابراهيم عبده (١) ، أن يغفل الجبرتى ذكر تحرير صديقه الخشاب لأول صحيفة عربية ، اذا كان ذلك قد حدث ، مع أنه ذكر عن أعمـاله المختلفة وشعره وحبابه كثيرا من التفصيلات .

أما الذين قالوا بصـدور صحيفة «التنبيه» ، فقد كانت حجتهم اقل بهافا . وكان رأيهم يستند الى ظـــل من حقيقة . لقد اعتمد هؤلاء على مرسوم اصدره الجنرال منو بالفعل فى ٥ فريمير سنة ٩ (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠) . وأشارت اليه صحيفة «لوكوريبه» فى عـــددها الصـــادر يوم ١٥ فريمير (٦ ديسمبر) (٢) ، ويقضى هذا المرسوم بانشاء صحيفة عربية تسمى «التنبيه» (l'Avertissement) .

وقد أصدر منو هذا المرسوم بعد أن فكر فى أن انشاء صحيفة عربية منتظمة سوف يساعد على تحسين العلاقات بين المصريين والفرنسيين ، وعلى ازالة ما قد يشعر به الشعب المصرى من سوء الظن وعدم الثقة نحو سلطات الحملة . ونحن نرى صدى ذلك التفكير واضحا فى نص بعض مـواد المرسوم .

وقد تجاوب مع القائد الفرنسى فى هذا التفـــكير ، وكتب له مجبذا مشروعه ، ديجنت كبير أطبـــاء الحملة (٣) ، الذى كان فى الوقت نفســـه مسئولا عن صحيفة « لاديكاد » (٤) .

ويلاحظ فى هذا الصدد أمران :

أولهما أن منو كان أكثر من سلفيه محاولة للتقرب من المصريين . فقد شهر اســـلامه ، وتزوج من مصرية مسلمة ، وكان حريصا فى كل أوامره وقراراته ومنشوراته الفرنســـية والعربية على التوقيع باســـمه الجديد «عبـد الله جاك منـو» . وكذلك كان يكثر من التردد الى المصريين وزيارة العلماء والمساجد .

---

(١) تاريخ الطباعة والصحافة ... ، ص ٩٧ .

(٢) ذكر جيس فى مقاله الذى تقدمت الاشارة اليه هذا التاريخ باعتباره تاريخ صدور المرسوم ولكنه لم يحدد تاريخ صدور « التنبيه » نفسها !

(٣) Rigault, op. cit., p. 161.

(٤) راجع ص ٥٦ . ويقول دجرد ان منو ودجنت كليهما قد فكرا فى وقت واحـد فى هذا المشروع . وينقل عن رسالة كبير الأطباء الى قائد الحملة فى هذا الشـــأن قوله « ان هذه الفكرة قد شغلته كثيرا » .

وثانى الأمرين أن ظروف الحملة فى أيامه كانت أسوأ من ظروفها فى أيام بونابرت وكليبر • فالاضطرابات الداخلية كثيرة ، وتحالف الانجليز والاتراك ضد الفرنسيين يزداد توطدا ، وحصارهم لمصر من الشمال والشرق يزداد احكاما • وهم ، مع من بقى من المماليك ، لا يكفون عن تأليب المصريين على الحكم الفرنسى وتشجيعهم على مناوأته •

ومن هنا فقد تهيأ المناخ المناسب تماما للتفكير فى انشاء تلك الصحيفة •

وأهم ما تضمنه مرسوم انشاء « التنبيه » (١) :

١ ــ أن الهدف من الصحيفة هو التعريف بأعمال الحكومة الفرنسية، وتبصير الاهالى حتى لا يسيئوا الظن بالفرنسيين ، أو يقعوا فريسة للقلق الذى قد يعمل البعض على بثه فى نفوسهم ، ثم تمكين الثقة والترابط بين المصريين والفرنسيين •

٢ ــ أن الذى سوف يتولى تحريرها هو السيد اسماعيل الخشاب . أمين محفوظات الديوان (Archiviste du divan) ، ومحرر الحوليات العامة (rédacteur des annales publiques) به (٢) •

---

(١) نشرت نص المرسوم ، عدا « لوكورييه » ، صحيفة « Le Moniteur Universel » التى كانت تصدر فى باريس ، بتاريخ ١٥ نيوتو سنة ٩ (٥ يناير ١٨٠١) • وكذلك أوردت نصه عدة مصادر تاريخية أخرى فى مقدمتها : Rousseau, M.F., Kléber et Menou en Egypte, Paris, 1900, pp. 373-5.

(٢) مما كتبه الجبرتى عن صديقه الخشاب فى مناسبات متفرقة ، ومن بعض ما وصفته به الوثائق الفرنسية المعاصرة ، نلمح قسمة واضحة من قسماته ، فقد كان « اسماعيل بن سعد الوهبى الشهير بالخشاب » ــ بمستوى عصره ــ اديبا مطلعا موهوبا فى الكتابة . ومن هنا كان اهم ما تولاه من اعمال يتصل بالانشاء او التحرير فى صور مختلفة . فعندما اخذ الجبرتى يعاون استاذه مرتضى الزبيدى (صاحب « تاج العروس ») فى وضع كتاب من اعلام القرن الثانى عشر الهجرى ، استعان بصديقه الخشاب ليحقق له المعلومات التى تتصل بكثير من أولئك الاعلام ، من المكوك ، وحجج الملكية بالمحكمة ، حيث كان يعمل شاهدا عدلا . وبالفعل أمد الخشاب مع صديقه عددا من الطبارات (البطاقات) والكراديس . ولعل هذا العمل هو الذى أوحى للخشاب بكتابة مؤلفه « تاريخ حوادث وقعت فى مصر من سنة ١١٢٠ الى دخول الفرنسيس » (مخطوط رقم ٢١٠٧ تاريخ ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية) •

وعندما انشأ منو ديوان القاهرة الجديد (فى أكتوبر ١٨٠٠) ، تولى الخشاب به عدة أعمال كتابية وتوثيقية . فقد وصف فى المنشور الذى اذاع مرسوم الانشاء ، وكان من الموقعين عليه ، بأنه «كاتب الخزانة السرية» أى أمين المحفوظات • وقد =

٣ ـ أن موادها سوف تتضمن : أعمال الحكومة الفرنسية ، وأعمال الديوان ، والاخبار الخارجية التى قـد يهم المصريين معرفتها ، ثم نبذا علمية وفنية ٠

٤ ـ انها سوف توزع على نطاق واسع بالقاهرة والاقاليم ٠ وسوف تعمل سلطات الحملة كذلك على ارسال بعض أعـدادها الى اليمن والشام وداخل افريقيا ، عن طريق القوافل ٠

٥ ـ ان العلماء أعضاء الديوان سوف يراقبون موادها لاجازتها قبل الطبع ، حتى لا ينشر بها شىء يسىء الى الدين أو التقاليد(١) ٠

٦ ـ انه سوف يشرف على اصـدارها فورييه رئيس ادارة العدل (الريس على سياسة الاحكام الشرعية)(٢) ٠

وقد اعتمد من قالوا بصدور صحيفة «التنبيه» فعلا على هذا المرسوم وحده ، دون أن يتحققوا من وجود أعداد الصحيفة نفسها أو يذكروا أية تفصيلات عنها ، كمـا فعـل بعضهم بالنسـبة للصحيفتين الفرنسيتين «لوكوربيه» و «لاديكاد» ٠

= عناء ذلك للرسوم أيضا بقوله انه سيكون ضمن هيئة موظفى الديوان « شخص متشرع ومؤرخ ينوط (يناط) به أن يقيم كامل الوقائع السنوية بالاعلام » ٠ ومن الواضح أن هذا الاختصاص هو الذى أطلق عليه الجبرتى « كاتب سلسلة التاريخ » (عجائب الآثار جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، ١٥٤) ٠

وبعد رحيل الفرنسيين عين الخشاب محررا فى ديوان الوالى ، حيث كتبت « بترصيفه » و « انشائه » مدة قرمانلى وحجج بالغة العربية ، واستمر يمارس هذا العمل كذلك فى السنوات الأولى من حكم محمد على (الجبرتى ، المرجع السـابق ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ ، ٢٠٥ ، جـ ٤ ، ص ٥٦) ٠

وعلى ذلك فقد كان الخشاب من أصلح الشـخصيات لتـولى مهمة تحرير أول صحيفة عربية ، سواء أكانت تلك الصحيفة قد صدرت بالفعل ، أم ان الظروف لم تتح لصاحب مشروعها أن ينفذه ٠

(١) يلفت النظر فى مرسـوم انشاء « التنبيه » دور الديوان البارز فى مشروع هذه الصحيفة ٠ وكان لذلك أربعة ملامح واضحة : (١) اختيـار الخشـاب ، أمين محفوظات الديوان ، لتحرير الصحيفة ، (٢) تأكيد حق العلماء أعضاء الديوان فى اجازة نشر مواد الصـحيفة أو منعـه ، (٣) النص على ضرورة توقيع المترجم الأول للديوان على الأصول العربية باعتمادها ، (٤) النص على ايداع الأصول المعتمدة لمواد الصحيفة فى محفوظات الديوان بعد اعداد نسخة منها للمطبعة ٠

(٢) كان فورييه (Fourier) كذلك عضوا بالمجمع العلمى ، ووكيل (قوميسير) ديوان القاهرة الذى أنشأه هو ٠

واما من نفوا صدورها فكانت أهم حججهم :

١ ــ أن ريجو ، الذى كتب دراسة تاريخية قيمة لفترة حكم منو ، اورد قصة المرسوم ورسالة ديجنت الى منو ، ثم عقب على ذلك بقوله ان الصحيفة لم تصدر وان مرسوم انشائها ظل حبرا على ورق ٠

٢ ــ انه لا يوجد أثر لعدد واحد من اعداد هذه الصحيفة، وبخاصة فى مكتبات القاهرة وباريس ولنـدن ، بالرغم من وجـــود أعداد كل من «لوكوربيه» و «لاديكاد» كاملة ٠ ولا شك أن الفرنسيين الذين اعتنوا الى حد كبير بحفظ تراث الحملة ومطبوعاتها ، كانوا جديرين أن يحتفظوا بما صدر من هذه الصحيفة ، لأهميتها التاريخية القصوى ٠

٣ ــ ان من قالوا بصدور الصحيفة ، وأبرزهم جيس ، لم يعتمدوا الا على مرسوم انشائها ، دون أن يكلفوا أنفســهم عنـــاء البحث ٠ أى انهم بعبارة أخرى اكتفوا بأن حولوا صيغة المستقبل فى مرسوم القائد الفرنسى الى صيغة الماضى ٠ وحسبوا أن الامر وضع بالفعل موضع التنفيذ ، مع أن المنطق التاريخي يناقض بعض ما قرروه بشأنها ٠ فقد قال جيس مثلا ان السلطات الفرنسية كانت ، فضلا عن اهتمامها بتوزيع الصحيفة فى القاهرة والاقاليم ، تعمل على توزيعها فى اليمن وسوريا وداخل افريقيا ٠ وليس هذا ، ببساطة ، سوى تجسيد لفقرة المرسوم التى تقول «ان نسخا كثيرة من هذه الصحيفة سوف توزع على القوافل المختلفة التى تصل الى القاهرة ، وأنه سوف لا تهمل أية فرصة لارســـالها عبر الطرق التجارية التى تصل مصر باليمن وسوريا وداخـــل افريقيا » ٠ ومـــع أن حكومة الحملة قد نجحت بالفعل فى تأمين تجارة مصر مـــع بلاد الجزيرة العربية بالذات ، فقد كانت أحوال مصر فى أيام منو مضطربة ، ولا تسمح ظروف حصار أعدائها لها بأن تتصل كما اعتادت بالبلاد الاخرى المجاورة ٠

ولا ريب أن هذه حجج قوية ، بالرغم من أنهـــا فى مجملها جدلية ستنتاجية تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على براهين يقينية ٠

ويرجح جانب هذه الحجج أن الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، لم يشر ــ كما قلنا ــ الى تلك الصحيفة بكلمة ، حتى عندما ترجم لصديقه الخشاب ٠ هذا مع أن كتابه حفل بذكر كثير من المنشورات العـربية والمناسبات التى صدرت فيها ٠ وكان ينقل نصوص هذه المنشورات مهما بلغ بعضها من الطول ، مثل المنشورات الخـــاصة بالتحقيق مع سليمان الحلبى قاتل كليبر وشركائه ، ومحاكمتهم ٠

ولكننا مع كل ذلك لا نقطع مما بعدم صدور صحيفة « التنبيه » ، وان كنا نرجحه . فمن الجائز أن تكون اعدادها قد فقدت مع كثير غيرها مما دفعه من مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات . وقد رأينا مثلا كيف انه لم يمكن العثور على منشور واحد باللغة اليونانية ، رغم الشواهد التى تشير الى صدور بعض منشورات بهذه اللغة .

ومن ناحية أخرى ، فقد عثرنا فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية على منشور عربى يحمل فى رأسه الاسم المقترح لهذه الصحيفة بالذات (شكل ٢٨) . ومع أن تاريخ المنشـــور هو ٤ فروكتيدور ســـنة ٧ (٢١ أغسطس ١٧٩٩)(١) ، أى أنه صدر قبل يوم واحد من مغـادرة بونابرت للاسكندرية عائدا الى فرنسا ، فيلفت النظر فيه أمران :

١ ـ انه المنشور الوحيد الذى عثر عليه يحمل اسما محددا واضحا . هذا بينما خلت المنشورات الاخرى ، عربية وفرنســـية ، من أى اسم . وكانت تبدأ بعنوان أو مقـــدمة ، أو تبدأ بالنص المراد اذاعته مباشرة ، كما سنرى .

٢ ـ صحيح أن كلمة « تنبيه » وما يشـتق منهـــا استخدمت فى المطبوعات العربية للحملة عدة مرات . فقد وردت مثـــلا فى بداية نص منشـور صدر فى عهد كليبر (٢) : « تنبيه بموجب أمر من حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ..» . واستخدمت كذلك أحيانا فى بعض العبارات الواردة فى سياق المنشورات . ففى منشور مطول يتضمن أمرا « لترتيب دواوين الجمرك » صـــدر فى عهد منو (٣) ، جاء بالمادة الرابعة

---

(١) يتضح من صورة المنشور انه ابتدأ بعبارة « انه من أول يوم من شـــهر فركتيدور سنة ٧ للمشيخة الفرنساوية فصاعدا سيبتدئ مزاد الأقلام الآتى ذكرها . » ومعنى ذلك انه اعد على أن يذاع فى ذلك اليوم أو قبله بقليل . ولكن العبارة المطبوعة صححت باليد الى « انه من عشرة أيام من شهر فركتيدور .. » ، ثم أثبت على يمين الرأس بخط اليد كذلك تاريخ « ٤ فركتيدور سنة ٧ » وتحتـه بين قوســين « ٢١ اغسطس ١٧٩٩ » . وواضح أن هذا هو التاريخ الحقيقى لصدور المنشور الذى تأخر طبعه أو توزيعه لسبب ما . وعلى يســـار الرأس كتب اســـم « دوجا »(Dugua) ولعل هذه النسخة التى صدرت من المنشور كانت خاصة بذلك الجنرال . وهى من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية بباريس .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن يبدو من استقراء مضمونه انه صدر فى النصف الاول من شهر برييال سنة ٨ (أواخر مايو ١٨٠٠) .

(٣) بتاريخ ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠)
وسوف نشير الى هذين المنشورين فى مواضع أخرى لاحقة من هذا البحث .

عشره : « وقت دخول المراكب الموسوقة بضايع فى مينا من الديار المصرية مدبرين الكارنتينا .. ملزومين .. انهم يعطوا الى الريس **تنبيه** ويكون محرر فى **التنبيه** من عند صارى عسكر .. وثانى يوم .. مدبرين الجنـــوس .. يحرروا الى الريس **التنبيه** الذى اوصـــله مدبرين الكارنتينا .. » واستخدمت هذه الكلمة كذلك فى عنوان الطبعة العربية من الكتيب الذى اصدره ديجنت كبير اطباء الحملة ، والذى سبقت الاشارة اليه : « هذا **تنبيه** فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن » . وقد كانت الكلمة فى كل من هذه الاستخدامات ترجمة للكلمة الفرنسية «Avis» . ولكن الكلمـــة تميزت فى ذلك المنشـــور الفريد بانها ابرزت بطريقة تشد الانتباه . فهى تحتل وحدها راس المنشور ، غير مسبوقة او متبوعة بأية الفاظ اخرى . وهى كذلك مطبوعة من قالب محفور عن اصل كتب بخط اليد الكبير ، وليست من حروف مجموعة . ثم انها مقترنة بأداة التعريف ، بينما كانت الالفاظ التى تبدأ بها بعض عناوين المنشورات لتحدد صفتها او مضمونها تستخدم عادة دون تعريفها بهذه الاداة ، مثل : **امر** من حضرة صارى عسكر ، **ايجار** قلم سوق الرز ، **صورة** مكتوب ، **صورة** نصيحة ، **بيان** المبيع ... الخ .

ويثير هذا تساؤلا ملحا . فهل كان ذلك المنشور تجربة قصـــد منها منح المنشورات العربية شخصية الصحيفة المنتظمة ذات الاسـم الثابت ، ثم انقطعت هذه التجربة لســـبب ما ، ولم تتح الظروف استئنافها فى عهد كليبر حتى أراد منو اعادتها وأصدر من أجلها ذلك المرســـوم ؟

ان مضمون المنشور قد يكون ذا صلة مبـــاشرة بالمدلول اللغوى للفظ « التنبيه » بمعنى الاعـــلان أو لفت النظر . فهو خاص بمزاد لاستئجار عدد من الوكالات والحصول على « التزامات » بعض الأعمال . وقد استخدم الفعل « نبه » نفســه فى نص المنشور : « اول دفعة التى يقدمها الطالب . وهنا **انبه** ان الطالب لا يمكنه أن يدفع اقل من هـــذا الرقم المسطر » . وفى هذه الحالة لا يكون لاستخدام لفظ « التنبيه » اية دلالة منفصلة عن مضمون المنشور .

ومن ناحية اخرى ، قد يكون استخدام لفظ « التنبيه » فعلا بقصد اتخاذه اسما ثابتا لوسيلة اعلامية مطبوعة هى المنشورات العربية . ويدعو الى التفكير فى هذا الاحتمال وجود اداة التعريف فى الكلمة ، والطريقة التى ابرزت بها فى راس المنشور .

وعلى اية حال ، فسواء وضع مرسوم منو بانشاء صحيفة «التنبيه» موضع التنفيذ ، ولكن التاريخ لم يحفظ لنا عددا من اعدادها ، أو أن هذا المرسوم ظل مجرد حبر على ورق ، وهو الأرجح . وسواء أكان ذلك المنشور تجربة مبتورة تشى بسبق التفكير فى انشاء الصحيفة العربية الأولى ، أم ان ظهور لفظ « التنبيه » فى راسه على تلك الصورة كان أمرا غير مقصود . فالذى نستطيع أن نقرره أن مشروع منو بانشاء صحيفة عربية ، الذى رسم فيه سياستها وحدد ملامحها ، لم يكن مبادرة جديدة تماما نبعت من فكرة طارئة خطرت للقائد الفرنسى وبعض رجال الحملة . وانما كان مرسوم منو مجرد مرحلة تطورية ، أراد بها آخر قواد الحملة أن ينظم عملية اصدار المنشورات العربية للمصريين ، بحيث تكتمل مقومات الصحيفة شكلا وموضوعا ، فينتظم صدورها ، وتحمل اسما ثابتا ، وتكون ذات سياسة واضحة محددة .

وسنرى كيف أن تلك المنشورات بخصائصها المختلفة لم تكن بالفعل الا صحيفة لا ينقصها سوى عملية تقنين وتنظيم ، تحدد لها من السمات ما تبدأ به طورا جديدا من حياتها ، تغدو فيه مخلوقا اعلاميا كامل التكوين .

الباب الرابع

الدور الدعائي للمنشورات العربية

كان للفرنسيين سياستهم التى وضعها بونابرت لحكم البلاد ، حتى تحقق الحملة أهدافها الاستعمارية التى قدمت من أجلها • وكان لابد لهذه السياسة من لسان يعبر عنها ويحاول اجتذاب المحكومين اليها ، ويساعد بالتالى على نجاحها •

ومما يناسب هذه السياسة كذلك أن يعمل الفرنسيون على اشاعة جو من الألفة والثقة فى علاقة المصريين بهم ونظرتهم اليهم • ويمكن أن يتحقق ذلك ، الى جانب الفعل ، بالكلمة تنقل الى المحكومين بعض أخبار الحاكمين ونشاطاتهم فى داخل البلاد وخارجها •

ثم ان الفرنسيين أرادوا أن يغيروا الشكل الحكومى للبلاد ، وان يحدثوا ثورة فى نظمها التشريعية والادارية والمالية • وهذا كله يحتاج الى عملية « نشر » حتى يعرف المصريون معالم هذه التنظيمات الجديدة ليعملوا بها ويجتنبوا نتائج مخالفتها •

ومن هنا يمكن القول ان المنشورات العربية صدرت لتكون وسيلة الاعلام الرئيسة التى تصل بين السلطات الفرنسية والمصريين ، لكى تعمل على تحقيق غرضين أساسيين :

١ ــ لن تكون أداة دعاية للحكم الفرنسى الجديد ، تتسع لأساليب شتى تشترك جميعها فى العمل على تثبيت أركان هذا الحكم .

٢ ــ أن تكون أداة اعلام بحت تضطلع فى هذا المجال بمهمة مزدوجة فهى من ناحية لسان رسمى يحقق مبدأ قانونيا تقليديا ، هو اتاحة الفرصة للأفراد لكى يعرفوا حقوقهم وواجباتهم ، وأن يتبينوا حدود مخالفة القانون ونتائجها • وهى من ناحية أخرى وسيلة نشر تطلع المحكومين بين حين وآخر على كل ما يهم الحاكم أن يعرفوه عن نشاطه ،

حتى يدعم مركزه ، وحتى تضيق الفجوة العديدة التى كانت تفصل بين أبناء البلاد وحكامهم السابقين .

وقد برز الغرض الدعائى سافرا فى عدد من المنشورات ، وامتزج بالاعلام البحت امتزاجا شـــديدا ، بل طغى عليه فى منشورات أخرى . هذا الى أن النشر الرسمى نفسه لم يخل أحيانا من مقدمات أو تعقيبـــات دعائية .

ولقد كان رضاء المصريين عن الحكم الفرنسى الجديد مطلبا أساسيا للحكام الجدد . فتحقيقه يعنى تحقيق العامل الرئيس لنجاح الحملة فى تجسيد أملها بانشاء مستعمرة فى مصر .

ولذلك خطط قائد الحملة منـذ البداية لاستمالة المصريين الى هـذا الحـكم . وارتكزت خطته على سياسة ذات ثلاث شعب : تستهدف أولاها ارضاء المشاعر الدينية للمصريين ، وتعمل الثانية على اذكاء مشـــاعرهم الوطنية ، أما الثالثة فتلوح لهم بذهب المعز وسيفه . أى أن هذه السياسة كانت اسلامية من ناحية ، وطنية من ناحية أخرى ، ترغيبية ترهيبية من ناحية ثالثة .

ولم يقتصر مجال النشاط الدعائى للحملة على مصر . فقد مارست قيادتها هـــذا النشاط كذلك فى الأراضى السورية ، عندما غزتهـــا أيام بونابرت .

ومن جهة أخرى فان اعداء الحملة كانوا لها بالمرصاد ، فاقضـــوا مضجعها بدعايتهم المضادة فى مصر وخارجها .

وكانت حصيلة هذا وذاك معركة حامية سلاحها المنشورات المطبوعة، تلك الوسيلة التى ابتدعتها الحملة الفرنسية ، واتخذت منها أداة أعـــلام ودعاية ، وكانت من أبرز المعالم التى تميز بها عهدهـــا القصـــير فى مصر .

الفصل الأول

السياسة الإسلامية

كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد فى اللغة والجنس والعقيدة السائدة • ولم يكن الاختلاف فى اللغة ليمثل عقبة ذات بال أمام استقرار الحكم الفرنسى • فقد خضع المصريون قبل الحملة قرونا طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية • ثم ان الفرنسيين حرصوا من ناحية اخرى على أن يخاطبوا المصريين بلغتهم العربية بواسطة المترجمين ، وعلى صفحات ما أصدروه من منشورات •

وكذلك لم يكن الاختلاف فى الجنس عائقا ذا خطر • فقد كان حكام مصر ، منذ ما قبل الحملة بقرون ، ينتمون الى عدة جنسيات غير عربية •.

أما الاختلاف فى العقيدة مع معظم الاهالى ، فقد كان هو العقبة الرئيسة التى تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين ، بل التى كانت خليقة بأن تثير عدام العالم الاسلامى كله لفرنسا •

ومن هنا اتخذ بونابرت سياسة « اسلامية » ، تقوم على أساس احترام المشاعر الدينية للقطاع الاكبر من المصريين • وكانت لهذه السياسة عدة مظاهر ، من أبرزها :

١ ـ اهتمامه بالاحتفالات الدينية كالمولد النبوى وسفر كسوة الكعبة واشتراكه فى بعض الاحتفالات بنفسه •

٢ ـ حرصه فى تعليماته وأوامره الى رجاله على اظهار احترام العقيدة الاسلامية وشعائرها وتقاليدها ٠

٣ ـ محاولته انشاء صلات ودية مع الحكام المسلمين فى الأقطـــار المجاورة ، مثل حاكم طرابلس الغرب ، وشريف مكة ، وأمام مسقط ، وسلطان دارفور ٠

وقد لعبت المنشورات العربية دورا رئيســـا فى بســـط هـــذه السياسة والدعوة لها ، فى عهد بونابرت أولا ، ثم فى عهد خليفتـــه من بعده ، مع تفاوت فى درجة الاهتمام ٠

لقد وضع بونابرت وهو فى الطريق الى مصر أساس هذه السياسة، بما حاول أن يبرزه للمصريين فى منشوره العربى الأول ، (شكل٢٩) (١) ، ثم تابعها فى اهتمام خاص بعد ذلك ٠

بل انه قبل أن يطبع هذا المنشور أصدر منشورا فرنســـيا لجنود الحملة فى البحر ، يسفر بوضوح عن ملامح تلك السياسة ٠ فقد أمر الجنود فى هذا المنشور باحترام الدين الاسلامى ورجاله وشعائره وأماكن

---

(١) أورد الجبرتى نص هذا المنشور (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤ ـ ٥) ٠ غير أن هـــذا النص الذى نقـــل عنه كل من تناول عهد الحملة الفرنســـية من المؤرخين والباحثين العرب ، به عدة اختلافات عن نص المنشور الأصلى ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وتوجد نسخة ثانية فى المتحف الحربى الفرنسى وثالثا فى المتحف البريطانى بلندن ٠ ولم يعثر الباحث على أية نسخ أخرى من هـــذا المنشور النادر فى القاهرة أو لندن أو باريس ٠ أما الأصل الفرنسى للمنشور فقد تضمنته ، مع معظم أصول المنشورات العربية الأخرى لبونابرت ، مجـــلدات الكتـــاب المعروف « مراسلات نابليون » ومن عدد الأصول نقل عدد كبير من الباحثين ٠ (انظر : مراسلات ٠٠ جـ ٤ ، وثيقة ٢٧٢٣) ٠

هـــذا وقد قارن الدكتور مارســـدن جونز (Marsden Jones) بـــين نص الجبرتى والنص الأصلى للمنشور ، فى بحث بعنوان The First Proclamation and « Al-Jabarti » قدمه الى النـــدوة التى عقدتهـــا الجمعية المصريـــة للدراســـات التـــاريخية من الجبرتى بالقـــاهرة (١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤) ، معتمدا فى ذلك على صورة من المنشور قدمهـــا له المؤلف ٠ وتاريخ المنشور ١٣ مسيدور سنة ٦ (يوافق أول يوليو ١٧٩٨) ٠

عبادته (١) • وكذلك أصدر قائد الحملة منشورا فرنسيا آخر عقب احتلال الاسكندرية ، يتضمن أمرا عسكريا الى قادة جيشه بأن يعملوا على احترام الدين الاسلامي واطلاق حرية العبادة كاملة للمصريين • وأمر بونابرت بابلاغ هذه التعليمات الى جميع الضباط والجنود ، مع التشدد فى عقاب من يخالفها • (٢)

وكذلك أفرج بونابرت ، فى حركة دعائية بارعة ، عن الأسرى المسلمين الذين كانوا فى قبضة فرسان مالطة المسيحيين ، واصطحب عددا منهم الى الاسكندرية • وهناك أطلقهم ليوزعوا منشوره العربى الأول فى مختلف أنحاء البلاد ، وليكونوا تزكية حية لسياسته الاسلامية التى عبر عنها هذا المنشور •

راح بونابرت ، فى منشوره العربى ذاك ، يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين • فهو يبدؤه بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه »

ثم حاول أن يزعم لهم أنه « أكثر من المماليك يعبد الله سبحانه وتعالى ويحترم نبيه والقرآن العظيم » (٣).

بل ذهب بونابرت الى أبعد من ذلك ، فادعى أن « الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين (كذا) (٤) ، وانهم اثباتا لذلك « قد نزلوا فى

---

(١) بدأت مطابع الحملة عملها فى البحر ، وسلمنا نقترف من الشواطىء المصرية . وكان أول ما اخرجته هذا المنشور ومعه أمران يوميان لجنود الحملة . وقد كتبها بونابرت على ظهر باوجة القيادة « لوريان » يومى ٣ و ٤ مسيدور سنة ٦ (٢١ و ٢٢ يونيو ١٧٩٨) ، وطبعت كلها يوم ١٠ مسيدور (٢٨ يونيو) ، وقام برتييه (Berthier) رئيس اركان جيش الحملة بتوزيعها على قواد الوحدات لاذاعتها بين الجنود • وقد عثر المؤلف على نسخة من أحد الأمرين فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٠) ، أما المنشور فلم يعثر عليه ، ولكن نصه الكامل مذكور فى أكثر من مصدر • انظر مثلا : Charles-Roux, op. cit., pp. 22-4. ، وكذلك : Lacroix, op. cit., pp. 63-4.

(٢) انظر : الشناوى ، موجز سبق ذكره ، ص ١٣ •

(٣) فى الأصل الفرنسى « واننى أحترم الله ورسوله والقرآن أكثر من المماليك » : Je respecte, plus que les Mamelouks, Dieu, Son prophète ou Al Coran ». انظر : Lacroix, op. cit., p. 80.

(٤) فى هذه العبارة تحريف واضح للاصل الفرنسى الذى يصف الفرنسيين بأنهم أصدقاء للمسلمين الصادقين « amis des vrais musulmans » (المرجع السابق) • ولاشك فى أن هذا التحريف مقصود • فهو ادعاء حاول بونابرت أن يتملق به عواطف المصريين الدينية • ولكنه لم يستطع بالطبع أن يواجه به الفرنسيين أنفسهم •

رومية الكبرا (كذا) وضربوا فيها كرسى البـــابا الذى كان يحث دايما النصارا (كذا) على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالييريه (١) الذين كانوا يزعموا أن الله تعـالى يطلب منهم مقـــاتلة المســلمين .. » .

وتلمح مظاهر هذه السياسة فى كثير من المنشورات التى أصدرها بونابرت بنفسه بعد ذلك أو صدرت فى عهده على لسان غيره (٢) . فمن الشائع أن يبدأ المنشور بالبسملة ، تتلوها عبارة مثل « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه » ، أو « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أو « الحمد لله وحده » .

وينتهز بونابرت كل فرصة تسمح بها طبيعة موضـــوعات بعض ما كان يصدره باسمه من منشورات ، أو يوعز ــ فى ذكاء ــ الى علمـــاء ديوان القاهرة باصداره ، ليؤكد أنه حريص على احترام الاسلام والحفاظ على أحكامه وشعائره .

ففى منشور صدر بعنوان « صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » ، ووقعه أعضاء ديوان القاهرة لتحذير المصريين من الاستجابة الى محاولات المماليك تحريك الفتن (شكل ٣١) (٣) ، أكد العلماء « أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوايف الافرنجية دايما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم » .

---

(١) « الكوالـــييريه » تعريب للفـــظ « Chevaliers » الفرنسى ، بمعنى « فرسان » . والمقصود فرسان القديس يوحنا الاورشليمى . وهم طائفة دينية تكونت فى الأصل فى مدينة القدس فى اعقاب الحرب الصليبية الاولى (أوائل القرن الثانى عشر) . وبعد أن تنالت عليهم احداث مختلفة استقروا فى جزيرة مالطة فى أوائل القرن السادس عشر . وقد انخذت حكومة الثورة الفرنسية عدة اجراءات ضد اتباع هـذه الطائفة وأملاكها فى فرنسا . ثم قررت حكومة الادارة (الديركتوار) احتلال جزيرة مالطة نفسها بواسطة الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت ، وهى فى الطريق الى مصر .

(٢) كانت بعض المنشورات تصدر عن غير بونابرت ، وخليفتيه كليبر ومنو ، من كبار رجال الحملة المسئولين . وكذلك صدر عدد من المنشورات على لسان أعضـاء الديوان وغيرهم من طوائف المصريين . وسنتعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى نصه فى حوادث يوم ٨ جمادى الثانية سنة ١٢١٣ (١٧ نوفمبر ١٧٩٨) : عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢١ . وربمـــا يكون المنشور قد صدر قبل ذلك وتأخر الجبرتى فى تسجيله كما كان يفعل كثيرا . وهـــذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ونصح العلماء مواطنيهم بالهدوء والانصراف الى اعمالهم وأداء التزاماتهم ، «الأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام » .

ونرجح أن هذا هو أول منشور عربى « يطبع » فى القاهرة (١) ، إذ سبقته بعض منشورات خطية ، عندما لم تكن مطابع الحملة الرسمية قد استقرت بعد فى العاصمة .

وفى منشور صادر « من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة » ، بتوقيع الشيخ عبد الله الشرقاوى « رئيس الديوان » والشيخ محمد المهدى « كاتم سر الديوان » (٢) ، ان بونابرت استجاب لما طلبه منه العلماء من استئناف الاحتفالات الدينية المعتادة بشهر رمضان ، وأمر باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها العظام .. وأمرنا الا ننقص شيئا من شعايرها ونظامها .. الخ » .

وفى المنشور الذى صدر على لسان الزعماء المصريين ، خليل البكرى « نقيب السادة الأشراف » وعبد الله الشرقاوى « رئيس الديوان » ومحمد المهدى « كاتم سر الديوان » ، بمناسبة احتفالات القوات الفرنسية على يافا (٣) ، ملحظان يستحقان التسجيل فى هذا الصدد ، وهما :

١ ــ أن الكتاب الذى بعث به قائد القوات الفرنسية المحاصرة ليافا الى حاكم المدينة لتسليمها يبدأ بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

٢ ــ ان حبس رسول الفرنسيين الى حاكم المدينة اعتبر أمرا مخالفا للقوانين الحربية « والشريعة المطهرة المحمدية » .

وفى منشور صدر على لسان «محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » ، بمناسبة عودة بونابرت من حملة الشام (٤) ، وصف أعضاء

---

(١) يلاحظ انه ذيل بعبارة « بمطبع (كذا) مصر المحروسة » .

(٢) فى ١٦ بلوفيوز سنة ٧ (٤ فبراير ١٧٩٩) . وسنتعرض لهذا المنشور مرة اخرى فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى قصة وصول الأسد الفرنسى للمنشور مع بعض الرسل ، ثم قراءته على أعضاء الديوان « بعد تعريبه » يوم الخميس ١٤ شوال سنة ١٢١٣ (يوافق ٢٠ مارس ١٧٩٩) ، وأثبت بعد ذلك نصه كاملا : جـ ٣ ، ص ٤٩ ــ ٥١ . وسنتعرض لهذا المنشور كذلك فيما بعد .

(٤) لم نعثر على نسخة من هذا المنشور ، لان عثرنا على طبعته الفرنسية فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٢) . وقد أورد الجبرتى نصه (جـ ٣ ، ص ٧٠ ــ =

الديوان العائد الفرنسي بأنه « محب الملة المحمديه » ، ودعوا له بقولهم « شرح الله صدره للاسلام » . ثم ذكروا أن بونابرت لما دخل غزة « أمر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء » . وختموا المنشـــور بقولهم « ولما حضر صاري عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان .. أنه يحب دين الاسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وأمر باقامة شعائر المساجد .. وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له فى الأقطار وأنه يدخل دين النبى المختـار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام » ! .

وأصدر بونابرت منشورا موجها الى « محفل الديوان » (١) يبرر فيه عزله لقاضى القضاة التركى ورغبته فى أن يحل محله أحد العلماء المصريين . جاء فيه : « فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا بانفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقـلائهم **لأجل موافقة القـرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين** .. » . وقد قصد بالجزء الأخير من العبارة حسب ما جاء فى الأصل الفرنسى ، « اتباعا لتعاليم القرآن الصحيحة » .

والمنشـــور الذى أذاعه بونابرت على المصريين من معســـكر الرحمانية (٢) ، بينما كان يتأهب لمعركة أبوقير البرية (شكل ٣٣) (٣) ، حافل بالشواهد على هذه السياسة .

= ٧٢) ، كما أثبته نقولا الترك (مذكرات ، ص ٥٠ ـ ٥٤ ، ذكر تملك ص ١٠٤ ـ ١٠٥) . وكـذلك كان هو المنشـــور الوحيد الذى نشر الأستاذ أحمد حافظ عوض صـــورته ، وأثبت منهـا نصه ، نقـلا عن كتـاب « Bonaparte et l'Islam » بقلم C. Cherfils، Paris, 1914. وقد قارن بين هذا المنشور وتلى الجبرتى والترك ، وعلق على ذلك بقوله « ان الاعتماد عليهما بغير تحقيق ولا تدقيق اساءة للتاريخ (**مرجع سبق ذكره** ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(١) لم تعثر كذلك على نسخة من هذا المنشور . وقد ذكره الجبرتى بنصه (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٧٣) . أما الرافعى فنشر مع هـــذا النص ترجمة أخرى دقيقة لأصله الفرنسى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ ـ ٩) . وتاريخ المنشور يوافق يوم ٢٧ يونيو ١٧٩٩ .

(٢) بمحافظة البحيرة ، على الطريق بين الاسكندرية والقـاهرة . ولقد سبق أن مر بها جيش الحملة ، قبل عام ، فى زحفه لاحتلال البلاد .

(٣) تاريخ المنشور ١٧ صفر ١٢١٤ (٢١ يوليـو ١٧٩٩) . وقد أخطأ الجبرتى (**المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٧٥ ـ ٦) فى هـــذا التاريخ ، فذكر أنه ١٥ صفر . وكذلك لم يكن دقيقا فى نقل نص المنشور ، فأسقط بعض عباراته وألفاظه وأضـــاف أخرى ، كما بدل بعض كلماته . وقد يكون ذلك أو بعضه من فعل الناسخين قبل طبع الكتاب . وهـــذه النسخة من محفوظات قسم الوثائق التاريخيـة بوزارة الحربيـة الفرنسية بباريس .

فهو مثلا يكفر الروس الذين ادعى أنهم كانوا ضمن قوات الحملة العثمانية التى نزلت الى الساحل المصرى لمحاربة الفرنسيين (١) ، ويذهب فى ذلك الى حد مهاجمة عقيدة التثليث المسيحية نفسها : « وفى هذه العمارة خلق كبير من الموسعوا (الروس) الافرنج الذين كراهيتهم ظاهرة لكل من كان موحدا لله وعداوتهم واضحة لمن كان يومن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهه ثلاثة وأن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل بل أن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين القوى للعادلين الموحدين .. » .

وهو يؤكد فى مقابل ذلك اعتقاد الفرنسيين فى وحدانية الله وايمانهم بكتبه المنزلة : « .. لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثلنا فوقنا لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف أنه العزيز القادر .. هذا ما فى الآيات وفى الكتب المنزلات » .

وتمشيا مع هذه السياسة فقد حرص بونابرت ، منذ منشوره الأول ، على أن يؤكد صداقة الفرنسيين للدولة العثمانية ولسلطانها خليفة المسلمين ، وعداءهم لأعدائه ، وأنهم سوف يعاونونه للقضاء على هؤلاء الأعداء . ولم يعدل عن هذه النغمة الا بعد أن تحالف السلطان مع الانجليز ضد فرنسا ، واتخذ الموقف بين الجانبين شكلا جديدا بعد الحملة السورية .

فهو يقول فى ذلك المنشور أن « الفرانساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعدا أعدايه (أى وأعداء أعدائه) أدام الله ملكه » .

وكذلك ينبه أهالى القرى التى يمر بها الجيش الفرنسى الى ضرورة « نصب السنجاق (العلم) الفرنساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » .

ثم يطلب فى ختام المنشور من المصريين أن يهتفوا « أدام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى » .

---

(١) لم يكن مع الجيش العثمانى الذى نزل فى ابو قير أية قوات روسية أو انجليزية ، وانما ساعد الانجليز ـ فحسب ـ بسفنهم فى نقل القوات العثمانية ، وبهيئة استشارية تعاون أركان حرب القائد التركى .

وفى منشور «صورة نصيحة من علما الاسلام» السابق ذكره (١)، جاء على لسان موقعيه « ان الطايفة الفرنساوية أحباب مولانا السلطان مايمون بنصره وأصدقا له ملازمون لجودته وعشرته ومعونته يحبسون من والاه ويبغضون من عاداه .. »

وجاء كذلك فى هذا المنشور أن الروس (الموسقو) كفرة يضمرون الشر للمسلمين ويتطلعون الى احتلال عاصمة الخلافة « اسلامبول المحروسة » ، والاستيلاء على مسجد أياصوفيا « وبقية المساجد الاسلامية يعلبوها كنايس للعبادة الفاسدة .. **والطايفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية ..** »

ويبالغ بونابرت أحيانا مبالغة غريبة فى احاطة نفسه بهالة دينيه ضخمة . انه يذهب الى حد تصوير نفسه للمصريين فى صورة « المهدى » المبعوث العناية الالهية ، البطل الملهم الذى قدر فى الأزل أنه سوف يحكم مصر ليخلصها من ظلم المماليك ، ويصد عنها عدوان الكفرة ، وأنه سوف يكون حامى حمى الاسلام ومحطم أعدائه .

فقد أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة (شكل ٣٤) (٢) ، بعد نحو شهرين من ثورتها الأولى ، أعلن به تشكيل ديوان العاصمة فى صورته الجديدة (٣) . وفى هذا المنشور مقدمة طويلة (٤) ندد فيها القائد الفرنسى بالثورة ، وأشاد بعدله ورحمته ، وقال « وأعلموا أيضا أمتكم

---

(١) انظر ص ٩٤ .

(٢) بتاريخ ١٨ رجب ١٢١٣ ، ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) كان الاعداد لهذا التنظيم الجديد قد بدأ قبل ثورة القاهرة . وقد ذكر الجبرتى أن ممثلى الاقاليم حضروا الى القاهرة يوم ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٢١٣ ، ٥ أكتوبر ١٧٩٨) ، ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه » . ثم ذكر بايجاز أهم الموضوعات التى دارت فيهما مناقشات هذه « الجمعية العمومية » حتى اندلاع الثورة (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٢٢ — ٣) .

انظر كذلك : الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٤ — ١٧ ، حـ ٢ ، ص ١٤ — ٢٠ .

(٤) يبدو أنه صدر بهذه المقدمة وحدها — قبل ذلك بفترة أيام — منشور مستقل (لم نعثر عليه) ، ثم أعيد طبعها مع التنظيم الجديد للديوان فى هذا المنشور . فقد ورد الأصل الفرنسى للمقدمة فى : **مراسلات نابليون** (جـ ٤ : وثيقة ٣٧٨٥) ، باعتبارها نص منشور تاريخه ١ نيفوز سنة ٧ (٢١ ديسمبر ١٧٩٨) .

ان الله قدر فى الأزل هلاك أعداى (أعداء) الاسلام وتكسير الصليبان على يدى وقدر فى الأزل بعد ذلك أن أجى من المغرب الى أرض مصر لهـــلاك الذين ظلموا فيها وأجرا الامر الذى أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته وقضايه » ٠

ثم يستطرد فى حديث غيبى لعل مبله يمنع المصريين « وأعلموا ايضا امتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشـار فى آيات أخر الى أمور تقع فى المستقبل وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يتخلف » ٠

وفى المنشور الذى وجهه بونابرت الى أعضاء الديوان بمناســبه عزله لقاضى القضاة التركى قال : « ٠٠ وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم **لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم** ٠٠ » ٠

وفى المنشور الذى أذاعه من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية ، قال ان الله « قد سبق فى علمه القديم وقضـاءه العظيم وتقديره المستقيم أنه أعطانى هذا الاقليم العظيم وقدر وحكم بحضورى الى مصر لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم ٠٠ » ٠

ومادام احتلال مصر على يد الفرنسيين بقيادة بونابرت قدرا مقدورا سبق به علم الله . وما دام انتصار الفرنسيين بقيادة ظلمهم الملهم حتما مقضيا ، فليس أمام المصريين سوى الرضى بقضاء الله والامتثال لارادته ، والا حقت عليهم لعنته ٠ ولينعموا بما يتيحه لهم الحكم الجـديد من أمن ورخـــاء ٠

وقد تردد هذا المعنى ، مع تفاوت فى درجة ما يصحبه من تهديد ووعيد ، فى كثير من منشورات عهد بونابرت ٠ ففى المقـدمة الطويلة للمنشور الذى أذاع به تشكيل الديوان الجديد بعد ثورة القاهرة الأولى ، قال : « ٠٠ الذى يعادينى ويخاصمنى ٠٠ لا ينجـــو من بين يدى الله لمعارضته لقادر الله سبحانه وتعـــالى » ، « ٠٠ الذى يفعل ذلك (أى يعارض بونابرت) يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله ٠٠ » ٠

وفى المنشور الذى وجهه الديوان « الخصوصى » الى المصريين بعد

بكوبه (سكن ٣٥) (١) قال موعاه (الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى) نواطنيهما : « .. فاستغلوا بامر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا طيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة » .

وفى المنشور الذى وقعه زعماء الديوان أيضا بمناسبة استيلاء المرنسيين على باقا ، جاء بالعنوان بعد البسملة « سبحان مالك الملك تعمل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش الشديد » . وجاء فى المختام « فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يوتيه من يشاء .. » .

وفى منشور تضمن نص رسالة بعث بها غالب بن مساعد شريف مكة الى الجنرال بوسيلج (Poussielgue) (شكل ٣٦) (٢) ، ردا على رسالته اليه ، جاء فى المقدمة : « وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل ما يعتبر به الكبير والصغير ويسلموا الى مولاهم فى ساير المقادير فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وهو اللطيف الخبير » .

وفى المنشور الذى صدر على لسان أعضاء الديوان فى مناسبة عودة بونابرت من حملة الشام ، وجهوا النصح الى مواطنيهم بقولهم : « فالويل كل الويل لمن عاداه (أى بونابرت) والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمائكم .. » .

***

وليس من العسير أن نلحظ سذاجة منطق بونابرت والتهافت الواضح فى حججه التى كان يسوقها ليؤكد بها موقفه وموقف الفرنسيين

---

(١) مؤرخ ٩ شعبان سنة ١٢١٣ (١٦ يناير ١٧٩٩) . وقد اشار الجبرتى عجائب الآثار ، (جـ ٣ ، ص ٤٢ ـ ٣) الى اذاعة هذا المنشور فى حوادث يوم ٢١ شعبان (٢٨ يناير) . وربما يكون طبع المنشور قد تأخر بعد أن كتب فى الشمايع الأول . أو يكون الجبرتى نفسه تأخر فى ملاحظة توزيعه ، أو فى تدوين خبره ، وكثيرا ما كان يفعل ذلك . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على انه صدر فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢١٣ (النصف الثانى من مايو ١٧٩٩) . وقد ذكر الجبرتى نصه فى حوادث شهر ذى الحجه أيضا (المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٥٩ ـ ٦٠) ، دون تحديد اليوم . هذا وكان شريف مكة يتبادل الرسائل مع بونابرت نفسه كذلك .

من الاسلام ، وبخاصة ماردده فى منشوره الأول ، مستهدفا بذلك اجتذاب المصريين الى تأييد حكمه • ولكن لا شك فى أنه كان من اركان سياسة بونابرت فى مصر احترام شعائر أهل البلاد المسلمين وتقاليدهم ، وكانت هناك مظاهر عملية عدة لهذه السياسة •

وكان بونابرت فى الوقت نفسه حريصا على عدم اثارة الباب العالى ـ خليفة المسلمين ـ أو العالم الاسلامى بعامة ، ضده • ويتضح ذلك من رسائله الى المسئولين العثمانيين ، حتى من قبل أن يدخل مصر ، وكذلك من محاولاته اقامة علاقات ودية مع حكام المسلمين فى البلاد المجاورة لمصر (١) •

ومهما يكن من أمر فقد أثار بونابرت سخرية المصريين ، بل الفرنسيين كذلك ، بادعاءاته الاسلامية التى بسطها فى منشوراته وبمبالغته فى تلك الادعاءات •

فكان الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، كثيرا ما يردد أن الفرنسيين لا يؤمنون بدين ، وأنهم يكذبون فى ادعائهم انهم يحترمون الاسلام•• الخ، وذلك كلما أثبت نصا لأحد منشورات بونابرت التى يتضح فيها هذا الاتجاه • فهو يقول مثلا فى التعليق على بعض عبارات المنشور الأول (٢) : « وقوله ، فاما رب العالمين القادر على كل شىء قد حتم على انقضاء دولتهم ، هذا تحكم على الغيب وما بعد الكفر عيب • وقوله : انى ما قدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين ، هذه أول كذبة ابتدرها وفرية ابتكرها •• وقوله : ان جميع الناس متساوين عند الله ، هذا كذب وجهل وحماقة • كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض وشهد بذلك أهل السموات والأرض » •

---

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى : **الحملة الفرنسية** •• ص ١٦٣ ـ ٤ ، وكذلك : Charles-Roux, op. cit, pp. 85-9 ; Wassef, op. cit, p. 42.

وينقل بوريين سكرتير بونابرت فى مذكراته نص رسالة كتبها القائد الفرنسى الى الوالى التركى على مصر قبيل نزول الحملة الى الأرض المصرية (بتاريخ ١٢ مسيدور سنة ٦ = ٣٠ يونيو ١٧٩٨) • وقد جاء فيها : « انك تعلم دون شك اننى ما حضت لكى أقوم بعمل ضد القرآن أو ضد السلطان • وانك لتعلم أيضا ان الأمة الفرنسية هى خليفة السلطان الوحيدة فى أوربا » • انظر :

Bourrienne, L.A., Fauvelet de, **Mémoires sur Napoléon**, (1795-1814), Paris, 1828-30, Tome II, p. 95.

(٢) **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** • القاهرة ، ١٩٦١ ، جـ ١ ، ص ٦١ ـ ٢ •

بل ان الجبرتي لم يصدق ان يكون كل مورعي ذلك المنشور من اسارى مالطة المسلمين ، وانما اعتقد أن منهم جواسيس « من كفار مالطة مبرين برى الاسارى » ويعرفون العربية (١) .

ويقول مورخنا كذلك تعقيبا على المنشور الذى أصدره بونابرت بعد انتهاء ثورة القاهرة الاولى . وكرر فيه بعض مزاعمه « الاسلامية » : « ... وقد اوردت ذلك للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر » (٢) .

وعلق جوبير (Jaubert) المندوب البحرى المصاحب لجيش الشرق ، فى رسالة له الى وزير البحرية الفرنسية . على النص الفرنسى (المخفف) للمنشور الأول بقوله : « لعلكم أيها الباريسيون تضحكون حين تقرءون هذا المنشور الذى أصدره قائدنا . ولكنه هو لم يعبأ بكل سخريتنا من المنشور » . والغريب أن بونابرت نفسه اعترف ، وهو يعلق على هذا المنشور فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة . بانه كان « قطعة من الدجل ، ولكنه دجل من أعلى مستوى » (٣) .

ولم تخل كتابات المؤرخين المحدثين كذلك ، من مصريين وغيرهم ، من تعليقات مماثلة . فقد قال كريستوفر هيرولد مثلا (٤) : « وكان الاسلام .. هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة (الذى كان ينشده بونابرت) . لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل يوم انه ليس مسيحيا . وان رجاله كذلك ليسوا مسيحيين . وكان يمكنه أن يكرر أن الفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس ، وانهم يحترمون الاسلام ... ولكن فى نظر المسلمين فان الفارق بين المسيحيين ، والربوبيين ، وعباد العقل أو الكائن الأعظم . والملحدين ، واليهود ، وغيرهم ... ليس بذى أهمية . الكل غير مسلمين ، فهم فى الكفر سواء » .

وقال محمود الشرقاوى (٥) : « .. أظهر نابليون كل ما فى قدرته من الحيل . واستنفد كل ما عنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) Herold, op. cit., p. 70. (نقلا عن بعض المصادر الفرنسية القديمة) .

(٤) Ibid., p. 142.

(٥) مرجع سبق ذكره ، جـ ٣ ، ص ٣٦ ـ ٧ .

عن المضربين عن طريق منشوراته العربية ... يقول لهم انه محب للاسلام وصديق دولة آل عثمان ، وانه عازم على اقامة مسجد عظيم لا نظير له في الاقطار والدخول في دين النبي المختار .. وقال انه خرب كرسي البابا لانه كان يحرض على حرب المسلمين ... قال نابليون ذلك وفعله يترضى به ويتملق عواطف المسلمين حتى لا يقاوموه . ولكنهم قاوموه اعنف المقاومة واشدها . لم يكفوا عن ذلك يوما أو بعض يوم ... » .

***

وفي عهد كليبر خفت هذا الصوت الدعائي « الاسلامي » الى درجة ملحوظة . ويرجع ذلك دون شك الى الاختلاف بين تفكير هذا القائد وتفكير سلفه بشكل واضح . فقد كان وراء سياسة بونابرت الاسلامية دوافع أو أحلام استعمارية معينة ، لم تكن طبيعة كليبر الواقعية تجعله من المتحمسين لها كثيرا . ولعل ذلك يرجع أيضا الى الظروف التي تولى فيها كليبر قيادة الحملة بعد رحيل بونابرت المفاجيء ، وعدم رضائه عن هذا الرحيل .

لقد كانت معظم المنشورات التي صدرت في عهد كليبر تتعلق بأمور ادارية أو تنظيمية ، وليس فيها من الدعاية التي تعتمد على تلك القاعدة الاسلامية الا النادر .

ولعل المنشور الوحيد الذي أصدره كليبر ، وردد فيه بعض ما عرضنا له من أساليب الدعاية « الاسلامية » في منشورات سلفه ، هو أول منشور وجهه الى شعب مصر بعد أن تولى قيادة الحملة (شكل٣٧) (١) .

لقد بدأ المنشور بالبسملة ، وهو أمر نادر الحدوث في منشورات هذا القائد . ثم ان كليبر وصف في بداية المنشور بأنه « محب أهل الملة المحمدية » . وفيه يخاطب المصريين بقوله : « علمنا أن غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على أحكام الشريعة المحمدية واكرام الملة الاسلامية فاعلموا ان الدين المحمدي هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا بأحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه أكثر مما كان في زمن المماليك ... » .

---

(١) صدر في ٢٠ فروكيدور سنة ٧ (٦ سبتمبر ١٧٩٩) . ومع ان كليبر كان قد خلف بونابرت في قيادة الحملة قبل هذا التاريخ بأكثر من شهر ، فان بعض عبارات المنشور تعطي انه أول ما أصدره كليبر من منشورات بعد توليه القيادة ، اذ جاء به : « اعلموا .. ان لم يحصل منا خطاب لكم الا في هذا الوقت .. » وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ثم يختم المنسور بهذه العبارة : « وهذا مما نحن نعوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التي أمرت بكل خير ونهت عن كل شر ... » .

وان مقارنة سريعة بين هذا الكلام وبين ما قاله بونابرت في منشوره العربي الأول ، لتوضح الى حد كبير موقف كل من القائدين من خطة الدعاية « الاسلامية » .

***

أما في عهد منو ، فقد كان الخط الاسلامي في السياسة الدعائية التي اتبعها حكومة الحملة من خلال المنشورات العربية أكثر وضوحا منه في عهد سلفه كليبر .

ومع أن الاساليب التي لجأ اليها منو في هذا الصدد تحمل سمات واضحة من أساليب بونابرت ، المخطط الاول لذلك الاتجاه ، فقد امتاز منو عن قائده بانه اعتنق الاسلام بالفعل ، واتخذ اسم « عبد الله » فوق اسمه القديم « جاك منو » ، وأصهر الى أسرة مصرية بمدينة رشيد (١) .

وأيا ما كان القول في الدوافع الحقيقية التي أدت بمنو الى اعتناق الاسلام ، وسواء أكان ذلك في حد ذاته جزءا من السياسة الدعائية الاسلامية ، أم كان لأسباب أخرى ، فقد كان هذا القائد يضمن منشوراته ما يلقي في روع قارئها أنه مسلم حقيقة .

لقد رأينا أن ما عبر عنه بونابرت في منشوراته من اتجاهات اسلامية كان موضع تعليقات لاذعة من المصريين وغيرهم . أما منو فلم يثر ـ بما رددده في منشوراته ـ ما أثاره بونابرت قبله من ردود فعل غير مواتية ، وان سخر بعض معاصريه الفرنسيين من اعتناقه الاسلام وزواجه من سيدة مسلمة .

ان منو لم يلجأ في هذا الاتجاه الى الادعاء أو المبالغة أو التمويه ، ولم يدر حول المعاني كما فعل قائده الأول ، ولكنه كان يخاطب المصريين بلسان المسلم الصادق ، وفي بساطة وتلقائية . وما دام قد اعتنق

---

(١) تزوج منو من السيدة زبيدة بنت السيد محمد البواب من أعيان رشيد . وقد اكتشف على بك بهجت عضو المجمع العلمي المصري (وهو امتداد لمجمع الحملة الفرنسية) وثائق هذا الزواج في محفوظات رشيد ، وترجمها وعلق عليها بمحاضرتين بالفرنسية نشرتا بمجلة المجمع . انظر : الرافعي ، عصر اسماعيل ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ ـ ١٥ ، ٣٩٦ ـ ٤٠٢ ، وكذلك : Rigault, op. cit., p. 43.

الاسلام ، أو تظاهر باعتناقه « رسميا » ، فلم تعد به حاجة الى الافتعال فى التعبير ٠

لقد حرص منو ، فى منشوراته الموجهة الى المصريين ، على أن يذكر اسمه بالكامل « عبد الله جاك منو » ، سواء أكان ذلك فى بداية المنشور أم عند التوقيع عليه فى نهايته (١) ٠

وحرص كذلك على أن يبدأ المنشورات بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ٠ وأحيانا كان يزيد على هذه العبارة « صلى الله عليه وسلم » ٠ وكانت ترجمة هذه العبارات تتصدر كذلك مادة النص الفرنسى للمنشور ، اذا طبع باللغتين معا ، بل تتصدر أيضا الطبعة الفرنسية منه اذا كانت منفصلة (شكل ٣٨) ٠

واستخدم منو عبارة « الحمد لله الذى يعطى ملكه من يشاء من عباده » ، بعد البسملة ، فى صدر المنشورات المتضمنة لصيغ الفرمانات الجديدة ، التى أصدرها ليعين بمقتضاها بعض أصحاب الوظائف العامة ٠

أما المنشور الذى يتضمن فرمان تعيين مشايخ البلاد (العمد) ، فزاد على ما سبق عبارة « والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى لطريق اسعاده » ٠

وكثيرا ما كانت هذه العبارات وأمثالها ، مما يتصدر منشورات منو ، تطبع بحروف العناوين الكبيرة ، ابرازا لها وتمييزا عن سائر النص (شكل ٣٩) ٠

واعتاد منو أن يستعمل عبارات ذات طابع اسلامى ، ترد فى سياق منشوراته بطريقة طبيعية ، مثل : « قدام الله ورسوله » ، خوفا من الله ورسوله » (٢) ، « هذا الرجل المرفوض من الله ورسوله » (٣) ، « شهر رمضان الشريف ٠٠ سنة ٠٠ من الهجرة النبوية » (٤) ٠

---

(١) مما يذكرنى هذا الصدد أنه كان لمو خاتم عربى يبصم به أصول الوثائق ، ونسخ المنشورات ، التى كانت تحفظ بملفات القيادة العامة ، والتى يوجد الكثير منها فى قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ، وبضمن الخاتم هذا الدعاء : « الهى أنت رجائى رجائى منك فخرانى ولا تعاقب بحسانى وكمل كل نقصانى » ٠

(٢) منشور ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) ٠

(٣) منشور ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) ٠

(٤) منشور ٨ ليفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) ٠

وكثيرا ما كان يختم منشوراته بعبارات مثل : « والصلاة والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة » (١) . أو « والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة » (٢) . أو « وعزة الله وحرمة رسوله » . « فاقسمنه لكم باسم الله الحي باسم الله الذي يرى ويهدى كل سوء ويعرف ما في الضمائر وسرائر قلوبنا » (٣) ، أو « فاقسمت باسم الله الحي القيوم وبحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » (٤) . أو « فاقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم » (٥) .

ويبدأ منو احد منشوراته (٦) ، بعد البسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » بمقدمة يمتد فيها من القرآن الكريم مرجعا يستند اليه . قبل أن يعلن خبر اعدام بعض قطاع الطريق ؛ فيقول : « يا أهالي بر مصر القرآن عظيم الشـــان الذي هو الكتاب المفضـــل بالحق نهى عن السرقة ... »

ويتخذ في منشـــور آخر (٧) موقف الحاكم المسلم ، الحريص على اقامة حدود الله ؛ مهما تاثرت بسبب ذلك مشاعره الخاصة . فيقول بعد أن أعلن اعدام احد ثوار الأقاليم الذي زعم أنه لص وقاتل : « انى أنا باعمق الحزن كلمـا لزم بالتعـذيب وأنا مجبور عليه ولكن الحق الذي جـــاء من الله تعالى هو وظيفتي وأمرني به والســـلام على من اتبع الهدى » .

ويردد منو ما سبق أن أدعاه بونابرت من أن الفرنسيين مؤيدون دائما بنصر الله . فيقول في بداية منشور أصدره (٨) ليحـذر المصريين

---

(١) منشور ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) .

(٢) من منشور نقله الجبرتي (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ ـ ٤٧ ، في حوادث ١٤ شوال سنة ١٢١٥ (٢٨ فبراير سنة ١٨٠١) ، ولم نعثر على نسخة منه .

(٣) منشور ٦ بروميير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) .

(٤) منشور ١٥ فرمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٥) منشور ١٤ فنتوز سنه ٩ (٥ مارس ١٨٠١) . وقد نقله الجبرتي (جـ ٣ ، ص ١١٨) في حوادث ٢٠ شوال سنه ١٢١٥ .

(٦) بتاريخ ٢٩ بروميير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) .

(٧) بتاريخ ٣٠ مريير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٨) راجع هامش (٥) . وكانت حملة انجليزية بقيادة السير رالف ابروكرومبي (R. Abercromby) قد اقتربت من شاطىء ابو قير ومعها قوة بحرية عثمانية وتحركت في الوقت نفسه قوة عثمانية برية بقيادة الصدر الأعظم يوسـف ضيا نحو حدود مصر الشرقية .

من التمرد ، بمناسبة تحرك الانجليز والعثمانيين تجاه مصر ، وان كان تعبيره عن هذا المعنى ليس « اسلاميا » تماما : « ان الله هو هادى الجنود ويعطى النصرة الى من يشاء والسيف المشتعل فى يد ملاكه يسابق دايما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم ... »

ويكرر هذا المعنى . مؤكدا كذلك أن الله يشمل بونابرت (الذى أصبح قنصلا أول لفرنسا) بعنايته . فيقول فى صدر منشور آخر (١) ، مقدما لنبأ انتصار فرنسا على النمسا : « .. ان كلما أراد الله لا بد يصير وهو هو الذى يرا (يرى) ويهدى كل شى وانما أراد أن الفرنساوية يكونوا دايما مظفرين فالفرنساوية غلبوا أعداءهم أينما وجدوهم وأراد أن القنصل بونابرته الشهير .. يفوق فى كل ما أجاد ... » .

ويقول فى المنشور نفسه ، بعد أن أذاع نبأ وصول بعض السفن الفرنسية الى الاسكندرية : « ... ان الله الذى كرم الفرنساوية بعواطف حسن نظره وحمايته أجاز أن المراكب المذكورة وصلوا بمدة عشرة أيام من بلاد فرنسا الى اسكندرية فاذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه » .

ولم تقتصر مظاهر هذه السياسة على المنشورات التى أصدرها منو بتوقيعه ، بل اننا نلمحها كذلك فى بعض المنشورات التى كان يوجهها الى الشعب المصرى غير منو من المسئولين الفرنسيين فى مناسبات معينة .

فعندما تحرج مركز الحملة فى أواخر أيامها ، أصدر الجنرال بليار حاكم القاهرة وقائد حاميتها منشورا ينوه فيه بحسن سلوك المواطنين فى تلك الأيام العصيبة ، وينذر بشديد الانتقام كل من يناوىء الفرنسيين (٢) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة « الحمد لله وحده » مطبوعة بحروف كبيرة تتوسط وحدها أول سطور العنوان .

---

(١) بتاريخ ١٩ بلوفيور سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) . والمنشور موجه « الى كافة المشايخ والعلما الكرام فى محل الديوان الكبير بمحروسة مصر » .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن من استقراء مضمونه يتضح انه صدر بعد موقعة كانوب (Canope) جنوبى ابو قير (٢١ مارس ١٨٠١) ، التى هزم فيها منو وارتد الى الاسكندرية ليتحصن بها ، بينما واصلت القوات الانجليزية زحفها نحو القاهرة ، تدعمها القوات العثمانية وفرسان المماليك من الشرق ، وقبل ان يطلب بليار الصلح فى يونيو ١٨٠١ . وتؤكد ذلك السفقة التى أضافها بليار الى وظيفته فى عنوان المنشور « .. قايمقام مصر .. وحاكم العرضى وعساكره المنصورة » فالعرضى ، وهى كلمة منقولة عن الأصل التركى « أوردو » أو « أوردى » تعنى الجيش او الفيلق ، وتؤدى كذلك معنى المعسكر الذى ينصب من اجل معركة معينة . وتؤكده ...

وجاء كذلك فى هذا المنشـــور عبارات مثل : « والله تعالى يساعدنى » ، و « والله تعالى يرشدكم » ، كما ختم بعبارة « فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جل جلاله ... » .

وبعد ان وقع بليار اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر مع قواد الحملة الانجليزية العثمانية أصدر منشورا اذاع به على المصريين هذا النبأ وضمنه من مواد الاتفاقية ما يهم الشعب معرفته (١) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة : « ثم انه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر .. » ، وختمه بقوله : « .. أن الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شىء .. »

= كذلك ان المنشور يحمل فى آسفله عبارة « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بقلعـــة مصر المحروسة » . ولم تنقل مطابع الحملة الى القلعـــة الا فى أواخر شـــهر مارس ١٨٠١ ، بعد معركة كانوب بالذات . ويتضح ذلك من العبارة التى ذيل بها العـــدد ١٠٩ من صحيفه «توكوريه٩» ، بتاريخ ١٠ جرمينال سنة ٩ (٣١ مارس ١٨٠١) ، والاعداد التالية له : « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقلعة .. » وسنتناول هـــذا المنشور مرة أخرى فيما بعد .

(١) مؤرخ ١٨ صفر ١٢١٦ (يوافق ٢٨ يونيو ١٨٠١) . وقد أشار اليه الجبرتى فى حوادث يوم ٢٠ صفر (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ٣) .

الفصل الثاني

السياسة الوطنية

لم تتح الظروف السياسية للمصريين من قبل الحكم الفرنسي بقرون أن تنمو شخصيتهم القومية . وصحيح أنه حدثت في مصر بعض الانتفاضات الشعبية التي سجلها المؤرخون المعاصرون قبل الحكم العثماني وفي أثنائه (١) ، ولكنها لم تكن من القوة أو الاتساع بحيث تؤدي الى بلورة الشعور القومي . ولقد كان الحكم التركي المملوكي بالذات يقوم على نظام لا يجعل للمصريين أدنى نصيب في حكم بلادهم أو ادارتها ، ويسلبهم حقهم في أن يكون لهم رأي في أي شأن من الشئون العامة .

ولذلك رأى قائد الحملة ان تكون بعض وسائله لاجتذاب المصريين الى تأييد الحكم الفرنسي تنمية احساسهم بمصريتهم الى حد ما ، عن طريق ما انشأه من دواوين في القاهرة والأقاليم ، وعن طريق تمصير

(١) سجل المقريزي وابن تغري بردي والقلقشندي وابن اياس والجبرتي عددا من هذه الانتفاضات الشعبية ، سواء ضد الحكم الأجنبي أو ضد النظام الاقطاعي . ولعل من أهم هذه الحركات واقربها الى عهد الحملة الفرنسية ، الثورة التي قامت في الصعيد بزعامة همام شيخ قبيلة الهوارة ، الذي طل يحكم الصعيد جنوبي المنيا من عام ١٧٦٦ حتى عام ١٧٦٩ (الجبرتي : عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ـ ٦) . وكذلك حركة الاحتجاج التي زعمها علماء الأزهر عام ١٧٩٥ ، وانتهت باضطرار الوالي والمماليك الى كتابة ميثاق أو « حجة » تحدد الحقوق والواجبات بين الوالي والرعية (الجبرتي : المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٢٥٨ ـ ٩) .

بعض الوظائف الكبيرة . وكان ينهز كل مناسبة لاشعار قادة المصريين بان لهم نصيبا ، ولو محدودا ، فى ادارة شئون بلادهم .

ولعل فضى التكوين الاجتماعى والفكرى للشعب المصرى فى العصر الذى آذنت الحملة الفرنسية بنهايته ، ان تتمثل قياداته فى فئات معينة على راسها علماء الازهر ومن اليهم من الزعماء الدينيين ، مثل نقيب الاشراف وكبار مشايخ الطرق الصوفية ، ومن هذه الفئات كذلك كبار التجار فى المدن ، ومشايخ البلاد (العمد) فى القرى ورؤساء البدو فى مجتمعات الأعراب القبلية .

ومن هنا كانت هذه العيادات ، وفى مقدمتها علماء الأزهر ، هى محور التنظيمات التشريعية والادارية ، وغيرها من الاجراءات المعبرة عن السياسة الوطنية التى انتهجتها الحملة الفرنسية ، وقد رأى بونابرت أن ذلك ضرورى ، بعد القضاء على سلطة المماليك وازاحة طبقتهم من مراكز الحكم والادارة .

وكان انشاء الدواوين أبرز مظاهر هذه السياسة ، وقد بدأ بونابرت عهده بانشاء ديوان فى القاهرة ، يتالف من عدد من الزعماء الدينيين ، ودواوين على غراره فى سائر الأقاليم .

وتعرض تكوين هذه الدواوين لعدة تطورات فى ايام بونابرت نفسه ، ثم فى أيام منو .

وقد تفاوتت آراء المؤرخين فى الحكم على هذه المجالس التى مثلت شعب مصر ، سواء على المستوى القومى أو المحلى ، وأيا ما كان الرأى فى تقويم هذه المجالس التمثيلية للشعب المصرى ، فهناك أمران لا شك فيهما : اولهما أن هذه المجالس أنشئت لتكون واسطة حيوية بين حكومة الحملة والشعب ، يتعرف ممثلوه عن طريقها على اتجاهات الحكومة ، وينقلون اليها بدورهم تطلعات الجماهير وردود الفعل لديها ، وبذلك لا يبقى ثمة مجال للدسائس او لسوء الفهم ، وثانيهما أنها أتاحت للمصريين فرصة ليست لها سابقة للتدريب على ممارسة شىء من مسئولية الحكم ، وان كانت اختصاصاتها محدودة وسلطتها مقيدة .

وكانت المنشورات مرآة صادقة لسياسة الفرنسيين الوطنية ، تحدد أبعادها ، وتجلو صورتها ، وتعمل على اقناع المصريين بها . بل ان الفرنسيين كثيرا ما اتخذوا من اصدار المنشورات فى حد ذاته مظهرا من مظاهر هذه السياسة ، وذلك بجعلها على لسان ممثلى الشعب .

ومن اليسير ان نلمس المظاهر الدعائيه لهذه السياسة . سانها في ذلك شان السياسة الاسلامية ، من منشور بونابرت الاول . بل ان هذا المنشور في الحقيقة يتضمن المبـــادئ الإساسية لســـياسة بونابرت الوطنية .

فهو يؤخر صدور المصريين ضد حكامهم المماليك الذين افسدوا بحكمهم هذه البلاد ، كنانة الله في ارضه : « وحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من جبال الأباذا والكرجستان(١) ليفسدوا في الاقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها .. » .

ثم ان المماليك لا يمتازون عن المصريين بعقل او فضيلة أو معرفة . بحيث يحتكرون دونهم اطايب العيش ومتع الحياة : « ان جميع الناس متساويين عند الله وان الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضـايل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يمتلكوا وحدهم كلما يحلو به حيات الدنيا » (أي كل ما تحلو به الحياة الدنيا) . وهو بذلك يهاجم اقطاع المماليك وما اقترن به من حقوق امتصابية .

على ان أهم ما تضمنه المنشور في هذا الصدد هو العباره التاليه التي تؤكد ان المماليك ليس لهم اي سند شرعي في حكم البلاد ، وان الباب مفتوح أمام المصريين لتولي اكبر المنـاصب ، وان كبـــارهم سيشـتركون في ادارة شـؤون البلاد : « ان كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فيلورون الحجت (اي فليظهروا الحجة) التي كتبها الله لهم فلكن رب العالمين هو رؤوفا وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيديروا الأمور (٢) وبذلك يصلح حال الأمة كلها » . أي انه لا امتياز الا للعقل والفضائل والعلم وحدها .

ويذكر المنشور المصريين بثروة بلادهم ورخائها القديم الذي ازاله المماليك ، محاولا بذلك ايقاظ مشاعرهم الوطنية ، في قوله : « سابقا في الأراضي المصرية كانت المدن المعظمة والخليجات الواسعة والمتجر المتكاثر وما ازال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك » .

---

(١) الاباذا (أو الابازة) من شعوب القوقاز ، والكرجستان هي جورجيا . وفي الأصل الفرنسي « achetés dans la Georgie et le Caucase » .

(٢) العبارة في الأصل الفرنسي أكثر تحديدا ، فهي تقول « gouverneront ... » اي « سيتولون الحكم » . وهذا من الاختلافات الأساسية بين النصين .

وبلفت النظر ـ الى جانب ذلك ـ فى هذا المنشور أمران :

١ ـ انه يحرص على تذكير المصريين بكيانهم القومى المتميز . فهو يوجه الخطاب اليهم ، باعتبارهم ابنـاء وطن معين له كيانه الخاص ، وله امجاده وحضارته القديمة : « .. يعرف أهالى مصر جميعهم .. » ، « يا أيها المصريين .. » . « .. لا يستثنى أحدا من أهالى مصر .. » . وآخر عبارة فى المنشور هى « ... واصلح حال الأمة المصرية » . أى أن المصريين ، بمضمون هذه العبارات ، ليسوا مجرد أفراد يعيشون فى « دار الاسلام » الكبيرة ـ أو مجرد رعايا للسلطان العثمانى خليفة المسلمين . وهذا أمر لم يكن مألوفا لهم قبل الحملة الفرنسية . وبغض النظر عن المطامع الاستعمارية للحملة ، فالواقع ان بونابرت فى هذا المنشور ، كما يقول الرافعى (١) ، « قد استثار الروح القومية المصرية ولم يسبق لفاتح قبل هذا العصر ان يشيد بمكانة مصر وعظمتها ويوجه خطابه الى المصريين وبعدهم بأن يكونوا أصحاب الحل والعقد » .

٢ ـ انه يبدأ بعبارة « من طرف الجمهور الفرنسـاوى (اى الجمهورية الفرنسية) المبنى على أسـاس الحرية والتسوية (اى المساواة) وكلمتا « الحرية » و « المساواة » هما ـ كما نعلم ـ شعـار الثورة الفرنسية (٢) . ولا شك أن استخدام هذا الشعار فى رأس المنشور العربى الأول ـ وهو ما لم ينضمنه أصله الفرنسى ، له دلالته . ففيه ايحاء للمصريين بالمبادىء الوطنية والديموقراطية التى تعد بها الحملة الفرنسية . وسوف نلحظ استخدام هذا الشعار فى الأغلبية الساحقة من المنشورات العربية التى صدرت فى عهد الحملة .

* وفى اليوم التالى لانتصار جيش الحملة على المماليك فى موقعة (مبابة (الأهرام ، أى فى يوم ٢٢ يوليو ١٧٩٨ ، أرسـل بعض علماء الأزهر الى بونابرت ، وهو بعد فى معسكر الجيزة لم يعبر النيـل الى القاهرة ، رسالة يستفسرون فيها عن نواياه ، ويطلبون تصريحا يطمئن الأهالى . فاصدر بونابرت، فى اليوم نفسه ، منشورا ثانيا يؤكد به منشوره الأول . وقد أمر الجنرال ديبوى (Dupuy) الذى عينه بونابرت قائدا لمنطقة القـاهرة بتعليق نسـخ هذا المنشـور بمجرد وصوله

---

(١) مرجع سبق ذكره . جـ ١ ، ص ٨٨ .

(٢) Liberté, Egalité.

الى الفلعة (١) .

ومع انه من المؤكد ان هذا المنشور لم يطبع ، فلم تكن مطابع الحملة ـ التى تحتوى على الحروف العربية ـ قد بدأت عملها بعد فى القـــاهرة ، فانه قد أذيع على الأهالى ، وأحدث بالفعـــل أثره فى تهدئة خواطرهم ، اذ تقـــول الجبرتى : « فلما رجع الجواب بذلك اطمـــأن الناس .. » .

واهم ما ورد فى هذا المنشـــور ، بعد ترديد بعض ما جاء فى المنشور الأول من عبارات ومعان ، قول القائد الفرنسى : « .. لابد ان المشايخ والجربجية (٢) يأتون الينا لنرتب .. ديوانا ننتخبه من ســـبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » (٣) .

وبالفعل أصدر بونابرت بعد ثلاثة أيام (فى ٢٥ يوليو) مرسوما بتأليف أول ديوان مصرى (٤) ، وكان يتكون من تسعة من علماء الأزهر ، ثم اختار هؤلاء أمينا (كاتم سر) للديوان من العلماء أيضا . وبعد يومين أصـــدر بونابرت مرســـوما آخر يقضى بانشاء دواوين اقليمية ، يتألف كل منها من سبعة أعضاء ، ويتعاون مع السلطات الفرنسية المحلية فى

---

(١) ذكر لاكروا ذلك بالتفصيل ، واورد الأصل الفرنسى للمنشور (نقلا عن : مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة ٢٨١٨) . انظر :

Lacroix, op. cit., pp. 122-3.

وقد أوجز الجبرتى مضمون المنشور (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٠) ، كما نشر الرافعى (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٩١) ترجمة عن أصـــله الفرنسى ، وكذلك فعل أحمد حافظ عوض (مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) « الجربجية » أو « الشوربجية » تعنى هنا كبار الأعيان . وكانت هـــذه الكلمة التركية تطلق كذلك ، فى الاصـــطلاح المتخصص ، على الضـــباط حامل رتبة « جوربجى » وهى تعادل رتبة « النقيب » الحالية .

(٣) الأصل الفرنسى أكثر دقة وتفصيلا من نص الجبرتى . فهو يقول : « بما انه من الأمور الملحة أن يعهـــد الى بعض الأشـــخاص بالاشراف على النظام العام حتى لا يعكر صفو الأمن معكر ، فستكون ديوان من سبعة أعضـــاء يجتمعون فى الأزهر ، وسيكون الثانى منهم على اتصال دائم بقائد المنطقة ، ويتولى أربعة آخرون مهمة المحافظة على الأمن العام ومراقبة أعمال الشرطة » .

(٤) كان من أجهزة الحكم الثابتة فى مصر طوال العهد العثمانى « ديوان » أو مجلس حكم . ولكن عضويته كانت مقصورة على الأتراك والمماليك . والأصل الفرنسى لهذا المنشور فى : مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، ونيقة ٢٨٣٧ . وكذلك أورده لاكروا (المرجع السابق ، ص ١٢٧ ـ ٨) .

السهر على مصالح الاقليم (١) .

* وبعد ثورة القـــاهرة الأولى - التى اندلعت فى ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ ، تعطل عمل الديوان شـهرين . ثم أعاده بونابرت فى صـــورة جديدة ، استئنافا لسياسته الوطنية . وقد أصدر بهذه المناسبة منشورا ضمنه ، بعـد مقدمة سبعت الاشارة اليها (٢) ، مواد التنظيم الجـديد . واهم معالم هذا التنظيم :

١ ــ ان الديوان الجديد يكون من هيئتين : ديوان عمومى من ستين عضوا عينتهم السلطة الفرنسية بالفعل وذكر المنشور اسماءهم . وديوان خصوصى (ديمومى) من اربعة عشر عضوا ينتخبهم اعضـــاء الديوان العمومى من بينهم . ولهذا الديوان كذلك وكيلان (قوميسيران) معينان ، احدهما فرنسى (هو جاوبيبه : Gloutier) والثانى مسلم منصر (هو الامير ذو الفقار كتخدا (٣) بونابرت) .

٢ ــ أن مهمة الديوان العمـومى الرئيســـة تنتهى بانتخاب أعضاء الديوان الخصوصى . ولا يجتمع بعد ذلك الا بدعوة .

٣ ــ ان الديوان العمومى يمثل قاعدة عريضة جدا من اهالى القاهرة . فهو يضم ممثلين عن علماء الأزهر ومشايخ الطرق الصوفية والتجار وارباب الحرف والمسيحيين (من المصريين والسوريين) ، وكذلك الأجانب (٤) ، فضـــلا عن ممثلين للعســكريين القـــدامى من رؤساء الأوجاقات (٥) . ومما يلفت النظر فى تكوين هذا الديوان أن بونابرت

---

(١) نص الرسوم ، معربا عن « مراسلات نابليون » (جـ ٤ ، وثيقة ٢٨٥٨) . فى كتاب الرافعى (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣) .

(٢) راجع ص ٩٨ .

(٣) ورد الاسم فى المنشور هكذا «ذلفقار كاخياه . وكلمة وكاخياه او وكخياه محرفة من « كتخدا » ، ومعناها « وكيل » الوالى او من اليه . وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز الشناوى ــ دون ما سند واضح ــ ان اسم هذا الوكيل كان « زين الفقار » (توجع سبق ذكره ، ص ١٧٢) .

(٤) كان ممثلو الأجانب هم : فولنر (Wolnar) الطبيب السويدى المستوطن بالقـــاهرة ، وكاف (Caffe) وبودوف (Beaudeuf) التاجران الفرنسيان .

(٥) « اوجاق » أو « وجاق » كلمة تركية معناها فى الأصـــل « موقد » ، ثم استخدمت بمعنى « فرقة عسكرية » . وصيغة الجمع « اوجاقات ــ وجاقات » تستخدم وحدها احيانا ، على سبيل الايجاز ، بمعنى رؤساء الفرق العسكرية ، بدلا من الصفة « وجاقلية » (مفردها « وجاقلى ») .

حرص على أن يضم اليه عضوين يمثلان اهم أحياء (أخطاط) القاهرة التى تركزت فيها الثورة . وهما ــ حسب نص المنشور ــ شيخ الجزارين بالحسينية وشيخ العطوف (١) . ولا شك فى أنه قصد بذلك التمثيل العريض لسكان القاهرة ، وبضم ممثلين شعبيين الى الفئات التقليدية . وبالاهتمام بالاحياء التى تزعمت الثورة ، مزيدا من التأكيد لسياسته الوطنية . وقد حرص بونابرت على أن يحتفظ الديوان العمومى بهذا التمثيل الشامل لسكان القاهرة . ويتضح ذلك من الأمر الذى أصدره فيما بعد الى الوكيل الفرنسى للديوان ، بأن يبلغه بما يخلو من مقاعد الأعضاء لكى يعمل على شغلها بأعضاء جدد ، لأنه يريد للديوان أن يكون مؤلفا دائما « من هيئة تمثل تمام التمثيل سكان القاهرة ، بحيث تطمئن الحكومة وهى تخاطب الديوان الى أنها تواجه فيه الراى العام » (٢) .

٤ ــ أنه ينص على الأخذ بالأسلوب الديموقراطى فى استكمال تكوين الديوانين . فهو يحتم أن يختار أعضاء الديوان العمومى رئيسه وكاتبيه ، وكذلك أعضاء الديوان الخصوصى ، بالانتخاب المباشر : « المادة الرابعة ــ وعليهم أن يختاروا من بينهم رئيس الديوان وكاتبين اثنين بالقرعة باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا . المادة الخامسة ــ بعد ذلك يشرعوا فى تعيين أربعة عشر نفس الذين يجتمعوا فى الديوان الديمومى (الخصوصى) بالقرعة أيضا باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا .. » (٣) .

---

(١) يتضح من رواية الجبرتى (جـ٣ ، ص ٢٥ ــ ٧) أن دور هذين العينين فى الثورة كان اكبر من غيرهما . هذا وقد نشرت « لوكوربيه » فى العدد ٢٣ (بتاريخ ٩ نيفوز سنة ٧ = ٢٩ ديسمبر ١٧٩٨) نص المرسوم . ويلاحظ على هذا النص أن هناك اختلافات طفيفة مع المنشور المطبوع فى بعض الأسماء ، لعل مردها الى ضعف الترجمة ، كما يلاحظ أن هذه الأسماء مقسمة الى ثمانى فئات توضح انتماءاتها ، بل ان التجار انفسهم قسموا الى ثمانى حسب تخصصاتهم .

(٢) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٢٠٨ ، بتاريخ ١٠ مسيدور ــ ٧ (٢٨ يونيو ١٧٩٩) .

(٣) يرجع الرافعى (مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ص ١٩) ، الله حدث تدخل ما أو توجيه من السلطات الفرنسية فى اختيار أعضاء الديوان الخصوصى (الديمومى) ، لكى يكون كامل التمثيل للقاعدة العريضة التى انبثق منها . ويستدل على ذلك بوجود الأعضاء الاوربيين فى هذا الديوان ، مع انهم فى غالب الظن لم يكونوا معروفين لأعضاء الديوان العمومى . وهذا احتمال غير قوى . وحتى اذا كان ظن الرافعى صحيحا ، فالأرجح بعد ذلك النص الصريح فى المرسوم وما تلاه من نصوص مماثلة ، أن التدخل كان فى نطاق ضيق جدا لمجرد توجيه الأعضاء الى الانتخاب على أساس قوى وبنسب =

وهو يغفى كذلك فى المادة السادسة بأنه « بعد ما يستحسن حضره السارى عسكر الكبير أشخاص الذين يتعينوا من أهل الديوان العمومى برسم الديوان الديمومى (أى بعد أن يصدق القائد العام على انتخابهم) فيشرع الأربعة عشر المعينين فى تعيين (اختيار) رئيس من جملتهم وكاتب أيضا .. » .

وقد أثبت الجبرتى صدر هذا المنشور وحده (١) ، مما يؤكد أنه طبع — كما سبق أن ذكرنا — فى منشور مستقل . ولكن الجبرتى لم ينقل نص مواد التنظيم الجديد ، ولا أسماء الأعضاء الذين اختيروا للديوان العمومى . وانما قدم للجزء الذى أثبته بقوله « .. شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا منهم أربعة عشر .. يقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى .. والاربعة عشر هم ... » ، ثم ذكر أسماء ثلاثة عشر فقط . ويبدو أنه أضاف هذا الجزء الى أصول كتابه بعد ان كان أعضاء الديوان العمومى قد اختاروا بالفعل أعضاء الديوان الخصوصى (٢) . ومن هنا أهمية المنشور المطبوع نفسه ، من حيث هو وثيقة أصلية فى هذا الموضوع .

= عميقة ، وأن الأسلوب الديموقراطى قد اتبع بالفعل داخل الديوانين . ويدل على أن ذلك كان أصلا من أصول التنظيمات النيابية لذلك العهد عدة شواهد ، منها ما حدث عند انتخاب الشيخ الشرقاوى رئيسا للديوان العام الذى يمثل مختلف أقاليم مصر . والذى انعقد بناء على دعوة القائد العام قبيل ثورة القاهرة الأولى . وقد روى الجبرتى تفصيل هذه الواقعة ، فقال انه فى أول جلسة لذلك الديوان تليت خطبة الافتتاح « ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم .. فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال لو نو (أى لا لا) وانما يكون ذلك بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الاكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس .. » (عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٢٢ — ٢٣) . ومن هذه الشواهد كذلك ما جاء فى المنشور الذى أصدره أعضاء الديوان الخصوصى أنفسهم بعد تكوينه . فقد قالوا ان هذا الديوان يتألف من « أربعة عشر شخصا » خرجوا بالقرعة من ستين رجلا » (راجع ص ٩٩ — ١٠٠) .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ — ٨ ، من حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ (أى قبل تاريخ المنشور الآخر) ، مما يؤكد أن هذا الجزء تضمنه منشور مستقل ، ثم ذكر ضمنه بعد ذلك مع مواد التنظيم الجديد ، انظر ص ٩٨ ، هامش ٢ .

(٢) مما كتبه الجبرتى نفسه فى مقدمة « عجائب الآثار » نعرف انه كان عادة يدون الحوادث بعد وقوعها بأيام ، ومن هذه الحوادث « أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها » . ونعرف كذلك ان مؤرخنا بدأ فى تنسيق مادة كتابه فى عام ١٢٣٦ ، أى بعد خروج الفرنسيين بعشرة أعوام . ومن هنا فانه يخطىء أحيانا فى تواريخ بعض الحوادث ، أو يغفل تسجيلها أو يخلط بينها . هذا وكان أعضاء الديوان الخصوصى هم : « المشايخ » الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى (من العلماء) ، =

ونتيجة لورود ذلك النص وحـــده فى الجبرتى ، اعتمد المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى مناقشته لتكوين الديوان فى صورته الجديدة (١) على الترجمة من النص الفرنسى الذى نشر فى صحيفة « لو كوريبه » ، وكذلك فعل الأستاذ أحمد حافظ عوض (٢) . وعندما أثبت ترجمة المادة السابعة من أمر التنظيم ، التى تنص على أن أعضاء الديوان الخصوصى يجتمعون يوميا « للنظر فى مصالح الناس وتوفير اسباب الســـعادة والرفاهية لهم ومراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية » ، عقب على ذلك بقوله ان عبارة « مراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية وردت فى الأصل الفرنسى ولم تردفى بيان الجبرتى (مع أنها وردت بالفعل فى المنشور العربى المطبوع) .

وقد تابع الدكتور لويس عوض الأستاذ الرافعى فى ذلك ، وزاد عليه قوله « وربما مرد ذلك الى وجود صيغتين ، صيغة رسمية فرنســة وصيغة عربية روعى فيها ألا تخدش شعور المصريين » (٣) .

والحقيقة أنه لا تناقض هناك بين الصيغتين . فنص المادة المذكورة كما وردت فى المنشور العربى هو : « فالأربعة عشر المعينون للديوان الدِيعومى لابد من اجتمـــاعهم كل يوم ويلقوا بالهم ونظرهم فى كل ما يتحصل منه الخير لأهالى البلد ولجمهور الفرانســـاوى والعدل والتوفيق بين الجميع » .

ونتج عن عدم اطلاع الرافعى على هذا المنشور كذلك انه اجهد نفســـه فى التعليق على تسمية « الديوان العمومى » و « الديوان الخصوصى » بقوله انها « التسمية الواردة فى الجبرتى ، أى التى كانت معروفة فى عصره ، فأبقيناها كما هى لأنها صـــارت من المصطلحات التاريخية لنظام الحـــكم فى ذلك العصر . وفى الجبرتى ان الديوان

= واحمد المخروقى واحمد محرم (من النجار) ، ولطف الله المصرى وابراهيم جر العايط (من الاقباط) ، ويوسف فرحات وميخائيل كحيل (من السوريين) ، ثم الثلاثة الاوربيين الذين مر ذكرهم (فولار وكاف وبودوف) . وانتخب الأعضـــاء الشـــيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ المهدى كاتبا للسر . وقد أغفل الجبرتى اسم ابراهيم جر العايط ، كما اخطأ فى أسماء الأعضاء الأجانب وحرفها جميعا . ويلاحظ ان هـــذا التكوين قد تعدل فيما بعد ، مع المحافظة على الثلث الممثل ونسب التمثيل . .

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٦ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ــ ٧٠ .

الخصوصي يسمى ايضا الديوني . ولعلها اسمه بالفرنسية Divan permanent: (١) .

وللسبب نفسه وقع احمد حافظ عوض فى خطأ آخر . فقد اعتمد ان بونابرت « اعقب الأمر بانشاء الديوان .. بمنشور طويل قصد به اكتساب مودة المصريين مع الارهاب والانذار » (٢) . وهذا غير صحيح . فعد رأينا أن ذلك المنشور انما صدر أولا مستقلا ، ثم ظهر مرة اخرى مع الأمر بانشاء الدوان ؛ على شكل مقدمة أو مذكرة ايضاحية .

والى جانب هذه المنظمات النيابية ، شملت سياسة بونابرت الوطنية انشاء هيئات اخرى عهد الى المصريين بمسئوليتها أو بالنصيب الاكبر منها . وكانت المنشورات كذلك هى وسيلة الاعلام بهذه الخطوة والتنويه بها .

فقد انشأ قائد الحملة بالقاهرة «ديوانا» سمى «محكمة القضايا» ، ويقول الجبرتى (٣) ان الفرنسيين عينوا لهذا الديوان « ستة انفار من النصارى القبط وستة انفار من تجار المسلمين .. وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى .. وفوضوا اليهم القضايا فى امور التجار والعامة والمواريث والدعاوى .. » .

واذاع المسئولون مضمون هذا الاجراء فى منشور خطى (٤) ؛ فقد « كتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الاعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » .

ويتضح مما نقله الجبرتى من محتوى هذا المنشور ، ومن تعقيبه عليه ؛ أن الديوان المذكور كان جهازا يجمع بين اختصاصات المحكمة المدنية التجارية وادارة الشهر العقارى . ويقول الرافعى (٤) انه انشئت على غرار هذا الديوان « دواوين مماثلة فى بعض الأقاليم . وقد عثرنا على نسخة من المنشور الخطى الذى أصدره منو ، وهو بعد

---

(١) المرجع نفسه ، جـ ٢ هامش ص ١٥ . وكذلك أورد فى ص ٣٨٤ – ٥ نص الجزء الأول وحده من المنشور نقلا عن الجبرتى .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٧ .

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٩ – ٢٠ ، حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ (يوافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨) .

(٤) لم تكن المنشورات العربية قد بدأ طبعها بعد فى القاهرة .

(٥) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

حاكم لرشيد والاسكندرية والبحيرة ، بانشاء « ديوان التجار » فى اقليمه من سبعة اعضاء من المصريين والمستوطنين برئاسة فرنسى ، مع تحديد اختصاصات هذا الديوان بما لا يكاد يخرج عن مثيله القاهرى (شكل ٤٠) (١) .

***

ومن الاساليب الدعائية البارعة التى لجأ اليها بونابرت لتدعيم هذه السياسة انه لم يكتف بأن تصدر المنشورات باسمه لكى تذيع انباء اجراءاته التصحيرية ، وانما أراد أن يجعل من طريقة اصدار كثير من هذه المنشورات برهانا على انتهاجه تلك السياسة . فقد كان يستكتب العلماء اعضاء الديوان منشورات تصدر على لسانهم الى أفراد الشعب ، فيتأكد بذلك مكانهم من المسئولية القيادية . هذا بالطبع الى جانب ما يجنيه من كسب سياسى ، فما يتمتع به هؤلاء الأعضاء من مكانة فى نفوس الشعب كفيل بأن يقنع الناس بما يذيعونه عليهم فى تلك المنشورات .

وكان من المنطقى أن يتخذ بونابرت من طائفة علماء الأزهر بالذات واسطة بين سلطات الحملة وبين الشعب . فلقد كان التوسط بين الشعب وحكامه دورا تقليديا لعلماء الأزهر من قبل الحملة ، وبخاصة فى العهد العثمانى ، وان اتخذ ذلك صورا مختلفة . فالشعب كثيرا ما كان يستجير بهم لرفع المظالم عنه ، والحكام كانوا يلجأون اليهم أحيانا ليهدئوا ثائرة الناس أو ليحولوا دون انفجار سخطهم . وهم أنفسهم — من ناحية أخرى — كانوا يتدخلون لدى الحكام ليتحدثوا باسم الشعب ويدافعوا عن مصالحه .

والمنبع الفرنسى للمنشورات التى صدرت على لسان العلماء واضح تماما مما تتضمنه من عبارات وما تردده من معان . ويؤكد الجبرتى ذلك ، بما لا يدع مجالا للشك ، فى اشاراته التى يقدم بها لنصوص تلك المنشورات ، كما سنرى .

---

(١) من قسم المخطوطات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . ومن تاريخ المنشور (١٩ بلوفيوز سنة ٧ = ٧ فبراير ١٧٩٩) نتبين انه صدر بعد المنشور الخاص بانشاء الديوان المماثل فى القاهرة بأكثر من اربعة أشهر ، أى ان انشاء هذه « الدواوين » بالأقاليم تأخرعنه فى القاهرة بمدة طويلة . وقد يرجع ذلك الى اضطراب احوال المقاومة وقتئذ ، اذ اعتدلت ثورتها الأولى وتعطل ديوانها شهورين . ولما هدأت الأحوال وبدأت الأمور تستقر للفرنسيين ، كان طبيعيا أن يستأنفوا اجراءاتهم الادارية والتنظيمية .

* وكان أول ما أصدره العلماء اعضاء الديوان فى هذا القبيل منشورا تضمن نص كتاب أرسلوه الى السلطان العثمانى وآخر الى شريف مكة « يصوا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق » . وقد أورد الجبرتى ملخصا لهذا المنشـــور (١) وقال ان العلماء بدءوه بذكر دخول الفرنســـيين مصر « وقتالهم مع المماليك وهروبهم (أى المماليك) وان جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم وكذلك الرعية دون المماليك .. » . وأكد الفرنسيون فى هذا المنشـــور على لسان العلماء « أنهم من اخصاء السلطان العثمانى واعداء أعدائه وان السكة والخطبة باسمه وشعائر الاسلام مقامة على ما هى عليه .. الخ » .

واعلن الفرنسيون كذلك حرصهم على سيادة السلطان الروحية على مصر ، فقالوا باسم العلماء « واتفق إرائنا ورأيهم على لبس حضرة الجنـــاب المحترم مصطفى اغا كتخدا بـــكر باشا والى مصر حالا » ، أى على تعيين وكيل الوالى التركى فى منصب أمير الحج ، بعد خروج أمير الحج الســـابق من مصر ، مع ابراهيم بك ، الى ســـوريا (٢) . وكذلك طمأنوا شريف مكة والمواطنين الى أنهم « أوصـــلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم » ؛ وانهم كذلك « مجتهدون فى اتمام مهمـــات الحرمين » .

* وعقب ثورة القاهرة الأولى أصدر العلماء أعضاء ديوان القاهرة المنحل (٣) منشورا تبرءوا فيه ممن أشعلوا الثورة ، ونصـــحوا مواطنيهم بالاخلاد الى الهدوء وعدم الاصغاء الى المحرضين على الفتن .

---

(١) قال الجبرتى فى هذا الصدد (عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٢١) : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة .» .. الخ . ولكن السياق بعد ذلك ، فضلا عن المضمون الذى أوجزه الجبرتى ، يدلان على أن الكتاب واحد ، أرسلت منه نسخة الى السلطان وأخرى الى الشريف . انظر كذلك ص ٢٤ ، هامش ٤ ، من هذا البحث .

(٢) قال الجبرتى فى ذلك (المرجع السابق جـ ٣ ص ١٦) ، من حوادث ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ (يوافق ١ سبتمبر ١٧٩٨) : «.. قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحج فحضروا الى المحكمة عند القاضى وليس هناك الخلعة بحصرة مشـــايخ الديوان والتزم بوظائفه بتسهيل مهمات الحج .. » .

(٣) كان النشاط فى ديوان القاهرة قد فتر من قبل الثورة بأكثر من شهر . ويبدو ان ذلك كان تمهيدا للاعداد للنظام التشريعى الجديد . وقد أشار الجبرتى الى هذا فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى (٢٧ سبتمبر) : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، ـ

وفى المنشور أشـــادا بموقف « صارى عســكر » الذى قبل شفاعتهم « ومنع عسكره من حرق البلد ونهبها لأنه رجـل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وحب للفقراء والمساكين ولولاه لهلكت مصر أجمعين .. » .

وأشار الجبرتى الى هذا المنشـــور بقوله : « .. كتبوا (اى الفرنسيين) عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع » ، ثم أثبت نص النسخة الموجهة الى سكان القاهرة (اهل مصر المحروسة) .

وقد عثرنا على النسخة الموجهة الى « أهل اقليم رشـــيد » (شكل ٤١) (١) . ولهذه النسخة اهمية تاريخية متعددة الجوانب :

١ ــ أنها خطية ، وهى بذلك برهان مادى على أن مطابع الحمـلة الرسمية لم تكن بعد قد بدأت تمارس نشاطها فى القاهرة ، اذ لو كانت هذه المطابع تعمل حينئذ لأنتجت هذا المنشور بنسخه المختلفة .

٢ ــ أن مضمونها لا يكاد يختلف فى لفظه عن مضمون نص الجبرتى، بل انه يكشف كذلك سقوط عبارة من هذا النص ، اما لخطأ فى النقـل من الكاتب او الناسخ ، او نتيجة خطأ مطبعى ، فنص الجبرتى يقول بعد الاســـتهلال (٢) « نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية » . وهذا كلام مضطرب ، يستقيم اذا اضيفت اليه العبارة الساقطة التى اثبتها نص نسخة رشيد : « نعرف أهل اقليم رشيد .. **انه حصل بعض فتنة وخلل بمدينة مصر من بعض الجعيدية وأشرار الناس فحركوا الشرمابين ..** » .

= بقوله « وفيه اعمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ .. فاستمروا أياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا » . اما الديوان الكبير الذى انبثق عن « جمعية عمومية » ، وضم ممثلى القاهرة والأقاليم ، فقد مارس نشاطه فعلا طيلة الاســبوعين اللذين سبقا نشوب الثورة ، وفى خلالهما اتخذ عدة قرارات مالية وقضائية . كما درس النظام الجديد المقترح للدواوين . ولكن فى أيام الثورة ومابعدها «بطل العمـل بالديوان المعتاد» كما يقول الجبرتى (المرجع السابق ، ص ٢٩) . وكان طبيعيا أن يستمر هذا التوقف بأمر بونابرت بعد ذلك «عقب اخماد الثورة عقابا لسكان القاهرة» ، كما يقول الرافعى (مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٣٠٨) .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) جـ ٣ ، ص ٣٠ .

٢ ـ انه موضع عليها من نعيب الاشراف وعشره من علماء الازهر (١) . ومع أنهم لم يضيفوا الى توقيعاتهم أية صفات رسمية . فان أسماءهم هى بعينها أسماء أعضاء الديوان الذى توقف عمله باندلاع ثورة القاهرة . وقد ذكرهم الجبرتى من قبل ، بالاضافة الى اسم الشيخ محمد الأمير . وربما يكون قد اختير لعضوية الديوان فيما بعد . فقد تضمن مرسوم بونابرت الصادر فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ اسماء تسعة اعضاء من العلماء (منهم محمد الأمير) ؛ غير أن ثلاثة منها غايرت اسماء الثلاثة أخرى ذكرها الجبرتى .

وقد أخذ الرافعى بقائمة الجبرتى (٢) . ولكنه خطأ فى اعتبار الشيخ محمد المهدى عاشر الأعضاء ؛ بينما هو سكرتير (كاتم سر) الديوان الذى اختاره أعضاؤه من خارج دائرتهم . ثم فسر اختلاف الأسماء الثلاثة بين النصين ، بأن اولئك الذين تضمنهم المرسوم كانوا بين غائب عن مصر ورافض لعضوية الديوان .

ووقف الدكتور لويس عوض عند هذه النقطة ، فقال (٣) ان الاختلاف فى تلك الأسماء الثلاثة بين نص الجبرتى ومرسوم بونابرت « يشير الى وجود مرسوم بونابرتى ضائع يجب مرسوم ٢٥ يوليو .. فمن غير المعقول أن يباشر الدمنهورى والشبراخيتى والدواخلى فى التشكيل الجديد سلطة الوزراء عرفيا وبغير سند قانونى » . وبغض النظر عن تعبير « سلطة الوزراء » الذى بالغ فيه هذا الكاتب كثيرا ، فالذى لا شك فيه أن فكرة وجود مرسوم ضائع هى التفاتة وجيهة . ومن المحتمل فى هذه الحالة أن يكون التعديل المفترض قد أعاد تعيين الشيخ الأمير ، الذى لم يكن قد مارس مهمته بعد المنشور الأول .

٤ ـ انها اثبت توجيه المنشور لأهالى مصر جميعا ؛ وليس لأهالى القاهرة وحدها كما ظن بعض المؤرخين ، حتى فى أحدث ما ظهر من بحوث عن الحملة الفرنسية . فقد أشار الدكتور عبد العزيز الشناوى

---

(١) السيد خليل البكرى ، والمشايخ عبد الله الشرقاوى ومحمد المهدى وسليمان الفيومى ومصطفى الصاوى وموسى السرسى واحمد العريشى ومصطفى الدمنهورى ويوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى ومحمد الامير .

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٩٧ ـ ٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

مثلا الى هذا المنشور (١) وعلق عليه بقوله : « كان هذا البيان موجها الى سكان القاهرة فقط ، خلافا لبيان اذاعه علماء الأزهر بتاريخ ٨ من جمادى الآخرة ٠٠ وكان موجها الى الشعب المصرى » (٢) ٠

وهذا المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى انه صدر يوم اول جمادى الثانية عام ١٢١٣ (يوافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) . غير ان الرافعى يصحح هذا التاريخ (٣) الى ١٤ جمادى الأولى (يوافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨) ٠ اعتمادا على ما جاء بالترجمة الفرنسية للمنشور التى ظهرت بصحيفة « لوكوربيه » (٤) ٠ وهذا التاريخ ولا شك أدق وأكثر اتفاقا مع الواقع مما ذكره الجبرتى . ففيه لم تكن مطابع الحملة الرسميه — كما قلنا — قد مارست نشاطها بعد فى القاهرة ، ولذا صدر ذلك المنشور بنسخه المتعددة مخطوطا . والواضح ان الجبرتى قد تأخر فى اثبات هذا المنشور كما كان يفعل كثيرا .

وبعد أيام أصدر العلماء منشورا آخر بعنوان : صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » ٠ وقد قدم له الجبرتى بقوله (٥) : « ... كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ..» . وفضلا عن ملامح السياسة الاسلامية لبونابرت الواضحة فى هذا المنشور ، والتى سبقت الاشارة اليها (٦) ، فان له عدة دلالات أخرى :

١ — انه صدر على لسان العلماء ، لا على لسان قيادة الحملة . ردا على محاولات دعائية من جانب المماليك والعثمانيين . وفى ذلك اثبات لزعامتهم ولحقهم فى توجيه الشعب فى مثل تلك المواقف . ويبدو ، كما يقول الرافعى (٧) ، أن منشور العلماء الأول « لم يكن له الأثر المطلوب فى تهدئة الخواطر .. لأن فكرة الثورة .. كانت قد عمت الأقاليم ٠٠ وتواترت الأنباء بأن سلطان تركيا قد

---

(١) مرجع سبق ذكره ، هامش ص ١٤٢ ٠

(٢) هو البيان الذى تضمنه منشور سبق الحديث عنه فى صفحه ٩٤ ، وسنعرض له مرة أخرى بعد قليل . ورواية الجبرتى نفسها تصحح استنتاج الدكتور الشناوى . فهو يقول فى التعليم لنص المنشور : «كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع» .

(٣) جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٤) بتاريخ ١٠ برومير سنة ٧ (٣١ أكتوبر ١٧٩٨)

(٥) عجائب الآثار جـ ٣ ، ص ٣١ ٠

(٦) راجع ص ٩٤ ٠

(٧) مرجع سبق ذكره جـ ١ ، ص ٣٢٠ ؛

جاهر الفرنسيين بالعداء .. » . ومن ثم طلب بونابرت من العلماء اذاعة هذا المنشور الثانى على لسانهم . ولا شك ان اصدار هذا المنشور على لســـان العلماء يدل على تخطيط دهائى ذكى . فهم بالطبع اقدر من الفرنسيين على مواجهة دعاية المماليك واقناع المصريين بما يضادها .

٢ ــ انه يستثير كراهية المصريين للمماليك ، مذكرا بطغيانهم ومظالمهم ، ثم يحاول تفنيد دعواهم بانهم مؤيدون من السلطان وحكومته . وفى ذلك تنديد بحكم المماليك ، وتأكيد لخلاص مصر من هـذا الحكم ولعدم شرعيته على السواء .

٣ ــ ان الجزء الأخير منه يؤكد من ناحية ان العلماء هم قادة الشعب الذين يتحدثون باسمه مع السلطات ، ويرسم من ناحية اخرى حدود علاقة الحاكم الفرنسى بالمصريين . فيقول العلماء فى هذا الجزء ان « حضرة صارى عسكر .. بونابرته اتفق معنا على انه لا ينازع احدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام .. الخ » .

٤ ــ ان الموقعين على هذا المنشور هم انفسهم الذين وقعوا المنشور السابق ، فيما عدا الشيخ يوسف الشبراخيتى . ولعله كان غائبا عن القاهرة لسبب ما ، أو لعله استبعد لعلة لا ندريها . والواقع اننا لا نلمح اسمه منذ ذلك الوقت فى اى تنظيم ، فلم يكن عضوا بالديوان العمومى أو الخصـــوصى ، ولا بالديوان الأخير الذى انشاه منو .

٥ ــ انه أول منشور عربى طبع فى القاهرة . وهو بهذا يؤكد ان الانتاج العربى لمطابع الحملة الرسمية بدأ فى الظهور منذ اوائل شهر نوفمبر ١٧٩٨ . وبذلك يصحح خطأ المؤرخين الذين قرروا ان مطابع الحملة لم تبدأ عملها ــ بعد نقلها من الاسكندرية ــ الا فى شهر يناير ١٧٩٩ (١) .

* وأقبل شهر رمضان عام ١٢١٣ . واهتم بونابرت هو ورجاله بأن يشـــاركوا المسلمين احتفالاتهم التقليدية بحلول شهر الصوم ، كما فعلوا

---

(١) راجع ص ٢٥ .

فى مناسبات سابعة مثل المولد النبوى • وزاد فى اهتمام الفرنسيين بمجاملة المسلمين اتفاق أول أيام هذا الشهر مع اليوم الذى بدأ فيه تحرك الحملة التى جردها بونابرت لغزو بلاد الشام (٦ فبراير ١٧٩٩) ، وحرص القائد الفرنسى على تأمين ظهره فى أثناء غيابه عن مصر •

وبدأ بونابرت بأن أقام احتفالا كبيرا برؤية (باستطلاع) الهلال ، هيأ له كل المراسم التقليدية ، وماعتاده الناس من مظاهر التكريم والابتهاج• والتفت كعادته الى كبار العلماء ليكونوا لسانه الذى يذيع به على الناس أنباء هذا الاهتمام • فاستكتب أعضاء الديوان الخصوصى منشورا وقعه الشرقاوى والمهدى (شكل ٤٢) (١) •

وفى هذا المنشور أبرز العلماء عدة نقاط :

١ ــ فقد بدءوا خطابهم للشعب بقولهم انهم طلبوا من بونابرت أن يأمر بفتح أسواق مصر فى ليالى الشهر المبارك «حكم عادتها السابقة» • وفى هذا الاستهلال البارع تأكيد لمكانهم القيادى وحقوقهم الرسمية التى يتيحها لهم تمثيلهم للشعب فى الديوان •

٢ ــ وقالوا ان بونابرت أجابهم «بالقبول والموافقة» • وفى هذا اثبات لموقف ديموقراطى للحاكم الفرنسى •

٣ ــ ثم قالوا ان بونابرت أمر «باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها (أى مساجد القاهرة) العظام وعمرانها بالاذكارى (أى بالاذكار) والجموع والقناديل والشموع وأمرنا ألا ننقص شيا من شعايرها ونظامها وأن يدور فى الليل أمراها (أى أمراؤها) وحكامها ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتقسر بذلك قلوب أمة سيد المرسلين ••• • وفى هذا تنويه باحترام بونابرت لمراسم الشهر الكريم وحرصه على تقاليده (٢) •

---

(١) هذا المنشور غير مؤرخ ، وانما جاء فى رأسه بالفرنسية انه «صدر بمناسبة الاحتفال الذى أقيم بالقاهرة عشيه أول رمضان ، أى يوم ١٦ بلوفيوز سنة ٧ • وهذا اليوم يوافق ٤ فبراير ١٧٩٩ و ٢٨ شعبان ١٢١٣ • ويبدو أن هناك خطأ فى التاريخ الجمهورى ، لان يوم الاحتفال باستطلاع هلال رمضان (أى ٢٩ شعبان كما نعرف) وافق عامئذ يوم ٥ فبراير و ١٧ (لا ١٦) بلوفيوز• وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) الواقع أن السلطات الفرنسية ، بايعاز من بونابرت ، جاملت المسلمين فى هذا الشهر بالمدات الى حد بعيد ، مما كان موضع عجب الناس • وكان من مظاهر هذه =

٤ ـ وبعد ذلك وصفوا احتفال القائد الفرنسي بهذه المناسبة في منزله .. واستقباله لموكب الرؤية العظيم الذي « لم يسبق مثاله (أي مثاله) ولم يتقدم في الزمن السابق نظيره ومثواله » . وذكروا حسن استقباله للعلماء وكبار الموظفين ، وعطفه على الفقراء والمساكين . وفي هذا محاولة ذكية من بونابرت يستتر بها وراء ممثلي الديوان ليتقرب الى الشعب حتى يظفر بوده ورضاه .

وقد وصف الجبرتي الاحتفالات التقليدية التي سبقت تبوت رؤية هلال رمضان في تلك السنة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن اختفاء بونابرت بهذه المناسبة ، مما يبرز الفارق بين النص التاريخي للجبرتي والنص الدعائي للمنشور . قال الجبرتي (١) : « وفيه (٢٦ شعبان) أعرض (أي عرض) حسن اغا محرم المحتسب لساري عسكر أمر ركوبه المعتاد لانبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل بذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة في بيته أربعة أيام .. وركب يوم الثلاثاء (٢٩ شعبان) بالابهة الكاملة زيادة عن العادة .. وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام (أي نائب القائد العام وحاكم القاهرة) وأمير الحج وساري عسكر بونابرته ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضي .. » .

ولهذا المنشور أهمية خاصة . فمن الغريب أنه لم يرد ذكره مطلقا في أي مرجع من مراجع الحملة الفرنسية . ولم يشر اليه الجبرتي الذي تابع عهد الحملة يوما بيوم ، أو نقولا الترك الذي عاش أيام الحملة كذلك وسجل أحداثها ونقل نصوص كثير من منشوراتها .

ولم يلبث بونابرت أن اجتمع في اليوم الرابع من شهر رمضان هذا ، وهو اليوم السابق على سفره للحاق بحملته السورية ، بالمشايخ والوجاقات . وفي هذا الاجتماع أبلغهم بسفره للقضاء على البقية الباقية من المماليك الذين فروا مع ابراهيم بك : « .. تكلم معهم في أمر خروجه للسفر وأنهم (أي الفرنسيين) قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم الى أقصى الجنوب (أتباع مراد بك) وأنهم متوجهون الى الفرقة

= المجاملة أن الفرنسيين كانوا يقيمون ولائم الافطار والسحور ويدعون اليها كثيرا من المسلمين . ومنها كذلك التنبيه على المسيحيين بألا يجاهروا بالاكل أو الشرب أو التدخين بمرأى من المسلمين ، وترك الحرية المطلقة للناس في اجتماعهم وتحركهم ليلا ـ انظر : الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٥ و ٤٨ ؛ الشناوي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٠ ـ ٨٢ .

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٣ .

الأخرى (أتباع ابراهيم بك) بناحية عزة فيقطعونهم (أى ليقضوا عليهم) ويمهدون البـــلاد الشامية لأجل ســـلوك الطريق ومشى القـــوافل والتجارات ... » (١) . وأبلغ القائد الفرنسى المجتمعين أنه سيغيب سهرا وأن عليهم « ضبط البلد والرعية » فى مدة غيابه ، وأن ينبهوا « مشايخ الاخطاط والحارات كل كبير بضبط طائفته خوفا من الفتن مع العســـكر المقيمين بمصر » .

ويقول الجبرتى ان المجتمعين « التزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك والصقوها بالطرق ..» . ولكنه لم يذكر نص ما كتبوه ، ولم نستطع نحن العثور على أصله . غير أن نقـولا الترك نقل نص هذا المنشور (٢) الذى اكتفى الجبرتى بالاشارة اليه فى ايجاز شديد .

ويعلل أحد المؤرخين ايجـــاز الجبرتى (٣) بأن بونابرت لقب فى المنشور لأول مرة بلقب «سلطان» ، وان الجبرتى «ضن أن يكون فى مصر لقب سلطان مع وجود سلطان آل عثمان خليفة المسلمين » ، ولذلك رفض تسطير المنشور .

وهذه ملاحظة تلفت النظر ، وقد تكون صحيحة . غير أننـــا نلاحظ من ناحية أخرى أنه بالرغم مما يقال عن مبالغة بعض المؤرخين الفرنسيين عندما يؤكدون أن المصريين كانوا يلقبون بونابرت «بالسلطان الكبير» (٤)، فان استخدام لقب « سلطان » مع اسم بونابرت لم يكن أمرا غير معروف فى بعض وثائق ذلك العهد . فقد عثرنا على أصل خطى لمنشور أصدره . باسم بونابرت ، بوسيلج مدير الشئون المالية ، خاصا ببعض الاجراءات . وهو يبدأ بعبارة « من مشيخت السلطان بونابرتو جنرال أعنى آمير عام على جيـوش الفرنساوى » ، ويختم بعبارة « تحريرا بنزول (أى بمقر) بونابرتو سلطان عام .. » (شكل ٤٣) (٥) . ويلاحظ كذلك أن تاريخ

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ـ ٥ ، من حوادث ٤ رمضان ١٢١٣ .

(٢) ذكر تملك ... ص ٧٥ ـ ٧ .

(٣) أحمد حافظ عوض ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٤ ـ ٥ .

(٤) مثل بينفيل ، انظر :
Bainville, Jacques, Bonaparte en Egypte, Paris, 1936, p. 53.

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . ويلاحظ أن لغة هذا المنشور شديدة الركاكة ، وانه يستخدم الفاظا وتعبيرات كثيرا مما =

صـــدور هذا المنشور قريب جدا من تاريخ المنشور سالف الذكر ، فهو محرر يوم ١٣ بلوفيوز سنة ٧ ، الذى يوافق ٢٥ شعبان ١٢١٣ وأول فبراير ١٧٩٩ ، أى قبل تاريخ اثبات ذلك المنشور فى الجبرتى بثمانية أيام .

ومهما يكن من أمر فقد وقع ذلك المنشور باسم الديوان ـ كسابقه ـ الشيخان الشرقاوى والمهدى ، وفيه بسطا ما ذكره الجبرتى موجزا عن اجتماع بونابرت «بالمشايخ والوجاقات» قبيل سفره :

١ ـ «هو يخبر المصريين أن « السر عسكر الكبير بونابرته » سوف « يغيب ثلاثين يوما لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية حتى تحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية .. » .

٢ ـ ويبشرهم بانه عن قريب سوف يأتيهم « خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك نظير ما وقع فى قطيعة أخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد .. » .

٣ ـ ثم يتضمن بعد ذلك بعض عبارات الوعد والوعيد التى سنتعرض لها فيما بعد .

ويلاحظ على الأسلوب الدعائى لبونابرت فى المنشـورات التى أصدرها على لسـان العلماء فى أعقاب ثورة القاهرة الأولى انه تحـاشى أن يشير الى عدائه مع الدولة العثمانية ، وانما ركز هجومه على المماليك الذين خرجوا من مصر مع ابراهيم بيك ، وعلى أحمد باشا الجزار والى صـيدا وعكا . وظـل بونابرت متمسـكا بالخط الدعـائى الذى حـددده منذ دخل مصر ، وهو أن الفرنسيين أصدقاء للسلطان العثمانى ، وأنهم ماحضروا الى هذه البلاد الا لتخليصها من طغيان المماليك وظلمهم . وبذل القائد الفرنسى جهودا مسـمميتة فى سـبيل الحيلولة دون أن يعلن العثمانيون عداءهم لفرنسا بسبب الحملة المصرية . ودعمت حكومة الادارة هذه الجهود بعدة محاولات دبلوماسية .

هذا بينما كان الباب العالى قد انضم الى المحالفة الدولية ضـــد

= كان مألوفا فى منشورات ذلك العهد . ومن مراجعة المنشورات المماثلة التى كان يصدرها أحيانا بعض كبار المسئولين فى حكومة الحملة (خارج نطاق القيادة العامة) ، يتضـح ـ بوجه عام ـ أن تحريرها لم يكن يلقى عناية كافية .

(١) انظر : محمد لزاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ، ص ١٨٩ ـ ٩٦ .

فرنسا منذ اواخر سبتمبر ١٧٩٨ ،بالرغم من الجهود التى بذلها بونابرت للحيلولة دون اتخاذ هذه الخطوة ، ومن المحاولات المتعددة لحكومة الادارة تدعيما لهذه الجهود .

* وحرص بونابرت طيلة غيابه عن مصر مع حملته السورية على أن يواصل العلماء قيامهم بتحرير المنشورات الى الشعب المصرى ، يضمنونها ما يبعث به اليهم من أخبار انتصارات جيشـــه ، ويرددون نصائحهم (أو نصائح بونابرت) التقليدية للمواطنين بالانصراف الى أعمالهم والتزام الهدوء وتجنب اثارة الفتن .. الخ .

فبعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة العريش ، تلقى علمـاء ديوان القاهرة أنباء هذا الحدث من الجنرال دوجا نائب (قائمقام) القائد العام ، فى رسالة ارفق بها رسالتين بعث بهمـا اليه بونابرت ورئيس أركان حربه الجنرال برتييه ، تتضمنان تفصيلات تلك الأنباء .

وقد أذيعت رسالة دوجا ومعها رسالتا بونابرت وبرتييه فى منشور عثرنا على طبعته الفرنسية ، وعنوانها : « من الجنرال دوجـا الى أعضاء ديوان القاهرة (شكل ٤٤) (١) وواضح أن هذه الطبعة تهدف الى اعلام جنود الجيش الفرنسى الذين لم يخرجوا مع الحملة الســورية ، وأعضاء المجمع العلمى ، ثم الأجانب المقيمين فى مصر بأمرين ، هما :

١ ـ أنباء الانتصار الفرنسى فى العريش ، من ناحية ؛

٢ ـ أن هذه الأنباء أبلغت فى الوقت ذاته الى أعضاء الديوان لاذاعتها على المصريين ، من ناحية أخرى .

ويلفت النظر فى رسالة دوجا الى العلماء قوله ان القائد العام بعث اليه بثلاثة عشر بيرقا غنمتها القوات الفرنسية من المماليك ، وانه أمر بأن تعلق هذه البيارق على الجامع الأزهر ، « رمزا لانتصاره على الجزار وعلى أعداء المصريين » .

وختم دوجا رسالته قائلا انه يرفق بها التفصيلات التى تلقاها من القائد العام ورئيس أركان حربه . وطلب من العلماء أن يبادروا بالعمل على طبعها واعلام الناس بها . وطلب أن يذيعوا على الناس كذلك أن القائد

---

(١) بتاريخ ١٣ فنتوز سنة ٧ (يوافق ٣ مارس ١٧٩٩ و ٢٦ رمضان ١٢١٣) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

العـام رأى أن ينم الاحتفال بذلك الانتصار ، مع الاحتفال بختام شهر الصـوم ٠

وأصـدر العلماء بالفعل منشورا ، ذكروا فيه انتصـار الفرنسيين وسقوط قلعة المدينة ، وتوهوا بعفو « السر عسكر » عمن استسلموا من المماليك وقوات الجزار باشا ٠ ثم وجهوا النصح للمواطنين كالمعتاد ، بعد أن طمأنوهم الى تامين طريق القوافل التجارية بين مصر و «بر الشام» (١) ٠

وهكذا نفذ كبار العلماء ما طلبه القائد العام ، فأبلغوا رسالته الى الشعب ، ورددوا بالضبط ما تضمنته من معلومات ٠ وبذلك قاموا بدور الوسيط الاعلامي ٠ ولكنهم في الوقت نفسه كانوا بهذا العمل يحققون سياسة بونابرت الدعائية في ابراز مكانهم القيادى من الشعب ، وفي اسباغ صفة « المصرية » على حكومة الحملة وجيشها ٠

وتأكيدا لهذا الخط الدعائي اشترك العلماء فعلا في الاحتفال برفع البيارق التي غنمها الفرنسيون فوق الأزهر ، بعد أن تسلمها الشـيخ الشرقاوى رسميا « فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا ٠٠ » (٢) ٠

وقد عزز بونابرت فكرته في اسباغ صفة المصرية على جيش الحملة السورية برسالة بعث بها في هذه المناسبة الى نائبه الجنرال دوجا من العريش ، وطلب اليه فيها مقابلة أعضاء الديوان والاتفاق معهم على الاحتفال باستقبال البيارق « ٠٠٠ واذا كان في الاستطاعة تنظيم هذا الاحتفـال بطريقة طبيعية فضعوها (البيارق) في الجامع الأزهر رمزا للانتصـار الذى أحرزه جيش مصر على جند الجزار وأعداء المصريين » (٣) ٠

وتكرر قيام العلماء بهذا الدور بعد استيلاء القوات الفرنسـية على مدينة غزة ٠ فقد أرسل الجنرال برتييه أخبار هذه الواقعة الى الجنرال دوجا **وقرئت بالديوان** ، ثم أصدر العلماء بها منشورا كسابقه ضمنوه

---

(١) لم ينقل الجبرتي نص هذا المنشور ، ولكنه أشار الى حادث الاستيلاء على العريش وحضور الرسل بهذه الانباء (عجائب الآثار جـ ٢ ، ص ٤٥ ــ ٦) ٠ هـذا بينما أثبته نقولا الترك (مذكرات ص ٠٠ ، ص ٧٩ ــ ٨١) ، وذكر أن موقعيه كانوا : البكرى والشرقاوى والمهدى ، ولقد نقله عنه أحمد حافظ عوض (مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٣ ــ ٤ ٠ ولم نستطع العثور على نسخة أصلية منه ٠

(٢) الجبرتي : المرجع السابق جـ ٣ ، ص ٤٦ ــ ٧ ٠

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ١٩٨٧ ٠

ما يلفهم من تفصيلاتها . وختموا هذا المنشور بقولهم : « هذا ما وقع للكم لفزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم ... » (١) .

وبعد أن استولى الفرنسيون على مدينة يافا وقلعتها (٢) وردت الأنباء بتفصيلات هذا الحدث ، وأصدر بها علماء الديوان ـ كالمعتاد ـ منشورا الى الشعب ، طال فى هذه المرة الى أكثر من ثمانين سطرا (شكل ٤٥) (٣) . وهذا المنشور لا يختلف كثيرا عن سابقه ؛ فهو ملىء بتفصيلات المعارك والأسلاب ، وحافل بالطعن فى الجزار والمماليك ؛ وهو يردد فى البدء والختام دعوة المواطنين الى التسليم بقضاء الله الذى يهب ملكه من يشاء . وقد وقعه كذلك خليل البكرى نقيب الأشراف وعبد الله الشرقاوى رئيس الديوان ومحمد المهدى كاتم سره .

ومع أن الاستيلاء على يافا قد صحبته مذبحة من أبشع ما عرف التاريخ ، سجلت أحداثها الرهيبة اقلام عدد من شهودها العيان ، فقد أغفل المنشور أهم التفصيلات المشينة للجيش الفرنسى ، وحول غيرها الى بطولات وأمجاد ، ثم حرص على امتداح سلوك بونابرت والاشادة بانسانيته !

وقد ذكر الجبرتى نص هذا المنشور (٤) ، وقدم له بقوله : « حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر واخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس (١٤ شوال ١٢١٣) واجتمع أرباب الديوان فقرأ (؟) عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية وهى عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك وصورتها ... » .

---

(١) كان الاستيلاء على غزة يوم ٢٤ فبراير ١٧٩٩ (الموافق ١٩ رمضان ١٢١٣) . وقد أورد الجبرتى نص هذا المنشور فى ختام تاريخه لحوادث شهر رمضان دون ما تحديد ليوم صدوره : جـ ٣ ، ص ٤٧ ـ ٨ . ولم تعثر على نسخة مطبوعة منه .

(٢) تم ذلك فى يوم ٧ مارس ١٧٩٩ (الموافق آخر رمضان ١٢١٣) .

(٣) من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وهو غير مؤرخ .

(٤) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ـ ٥١ ، فى حوادث يوم ١٣ شوال ١٢١٣ (٢٠ مارس ١٧٩٩) .

وسنضمن عبارات الجبرتي اشارتين بالغتي الأهميه :

١ ــ أن الأنباء التي حضرت بها الرسل من القيادة العامة لحملة سوريا عربت وفرنت بالديوان في أقل من أربع وعشرين ساعة • ويدل ذلك على حرص السلطات الفرنسية على تأكيد أهمية الديوان ومكانه من المسئولية العامة •

٢ ــ أن أقطاب الديوان أصدروا ذلك المنشور على لسانهم بأمر السلطات الفرنسية . وتؤكد العبارات بما لا يدع مجالا للشك أن أولئك الزعماء كانوا يصدرون المنشورات تنفيذا لمخطط دهائي مدروس: ذي أهداف سياسية معينة •

* واصلت قوات الحملة السورية تقدمها بعد احتلال يافا ، وبدأت حصارها لمدينة عكا (١) . وطال الحصار بعد أن توالت النكبات على الجيش الفرنسي ومال ميزان القوة الى غير جانبه ؛ فلم تعد قيادته تبعث الى القاهرة بأنباء معاركها كالمعتاد .

وفي الوقت نفسه كانت المقاومة في صعيد مصر تشتد في وجه القوات الفرنسية الزاحفة جنوبا لتتم احتلال البلاد •

وتسربت الأخبار الى القاهرة • وأخذ الناس يلغطون ، وانتشر القيل والقال • وبدا أن الأمر في حاجة الى منشور جديد على لسان المشايخ ، يستأنف الحديث عن قوة الفرنسيين وانتصاراتهم ، ويحذر الناس من تصديق الأخبار الكاذبة • وفعلا أصدر العلماء المنشور المطلوب •

ويقول الجبرتي في تقديمه لهذا المنشور (٢) : لخص الفرنساوية طوماراقرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ والصقت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه (٣) وغير ذلك وصورتها ...» .

---

(١) يوم ١٩ مارس ١٧٩٩ •

(٢) المرجع السابق ، جـ ، ص ٥٦ ــ ٧ • في حوادث يوم ٢٧ ذي القعدة ١٢١٣ (مايو ١٧٩٩) • ولم تعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور •

(٣) الشيخ الكيلاني (أو الجيلاني) رجل مغربي « كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف » • فلما ردحت أخبار الحملة الفرنسية على مصر قاد الكيلاني حركة تدعو الى الجهاد ضد الفرنسيين عن طريق التطوع لمساعدة المصريين في الدفاع عن بلادهم • =

وقد اتبع فى هذا المنشور الأسلوب الاعلامى نفسه الذى اتبع من قبل فى منشورات العلماء التى أصدروها بعد قيام الحملة السورية • فقد أبلغوا مضمونه والتعليمات الخاصة باصداره من الجنرال دوجا نائب القائد العام • وفى هذه المرة كان دوجا قد تلقى نص ما يراد ابلاغه من زميله حاكم دمياط الذى تلقاها بدوره من بونابرت •

ويتضمن المنشور نص رسالة بونابرت التى تحدث فيها عن سلامة موقف القوات الفرنسية ، وذكر عدة تفصيلات مبالغ فيها عن قوة الفرنسيين ، ثم بشر بقرب سقوط عكا » (١) •

وبعد أن فرغ العلماء من ذكر رسالة القائد العام وجهوا الخطاب الى مواطنيهم ، فكذبوا ما شاع بينهم من حديث عن الأشراف : « والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم ••• بأن الأشراف المذكورين الذين بصحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا ••• » •

ويتضح من نص نداء العلماء فى هذه المرة كذلك انهم أصدروه بأمر السلطات الفرنسية • فقد قالوا فى مستهله : « ••• أرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا •••• يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا اننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والانصاف ويتركوا الكذب والخراف ••• » •

= واستجاب له عدد كبير من العرب ، فعبروا البحر الى الضفة ، حيث انضموا الى قوات الثوار ضد الزحف الفرنسى على الصعيد • وقد مات الكيلانى فى أثناء عمليات المقاومة هذه ، وكانت وفاته فى شهر ذى القعدة ١٢١٣ (ابريل ١٧٩٩) (الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ، ٥٧) • وأما الاشراف فهم زعماء مكة الذين قادوا حركة جهاد كبيرة لتدعيم مقاومة المماليك والمصريين بالصعيد • وقد نجحوا فى تكوين قوة من نحو ثمانية آلاف رجل من أهالى مكة والمدينة وينبع وجدة والطائف وغيرها ، أبلوا فى مقاتلة الفرنسيين بالصعيد بلاء حسنا ، وبذلك كان الفرنسيون يراجعون فى زحفهم على مصر العليا مقاومة اشتركت فيها ثلاثة عناصر هى : المصريون من فلاحين وأعراب ، والمماليك الذين استجيروا جنوبا بعد موقعة امبابة ، وعرب الحجاز المتطوعون • انظر : الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٦ •

(١) هذا مع أن الفرنسيين بدءوا يرفعون الحصار عن عكا ويتقهقرون ماثلين الى مصر ، بعد صدور المنشور بخمسة عشر يوما • وذلك لفشلهم الذريع فى اقتحام حصونها، ولما منوا به من خسائر فادحة فى الحصار •

واختتم «رؤساء الديوان» هذه الدورة الاعلامية التى صاحبت الحملة السورية بمنشور طويل أصدروه عقب عودة بونابرت بجيشه ، بعد أول اندحار فى حيـاته أمام عكا ، التى صمدت بشجاعة لحصاره أكثر من شهرين .

ولقد حرص القائد المندحر على أن تكون عودته مظاهرة ضخمة يستر بها فشله ويكذب ما أشيع عن وفاته من ناحية ، ومناسبة تعزز سياسته فى التقريب بين المصريين والفرنسيين من ناحية أخرى . ولذلك دخل القاهرة دخول الظافرين فى موكب ضخم ، اشترك فيه رسميا كبار المصريين وذوو المكانة فيهم مع غيرهم من المستولين . ثم أقيمت الاحتفالات «مثل أيام الاعياد والمواسم» ، كما يقول الجبرتى (١) واستمرت ثلاثة أيام» .

واحتاج الأمر الى خطاب يوجهه بونابرت الى الشعب ، يدعم به هذه المظاهرة ، ويرد فيه على التساؤلات التى ثارت والشائعات التى انتشرت فى غيبته . ومن ثم صدر ذلك المنشور على لسان العلماء (٢) .

والى جانب العبـارات الدعائية التى تتصـل بسياسة بونابرت الاسلامية ، والتى سبق أن أشرنا اليها ، فان محتوى هذا المنشور يدور حول النقاط التالية :

١ ــ التأكيد على أهمية مكانة الزعماء المصريين ، والتنويه فى الوقت نفسه بحسن الصـلة بينهم وبين القـائد الفرنسى ، فقد خصهم بذكر استقبالهم لبونابرت ، ومرافقتهم اياه فى دخوله القاهرة : «..ودخل الى مصر من باب النصر .. وصحبته العلماء الأزهرية والسـادات والبـكرية .. » .

---

(١) وصف الجبرتى بالتفصيل موكب دخول بونابرت وجيشه الى القاهرة . ولم يفته أن يلاحظ ، رغم كل المظاهر ، أن الجنود الفرنسيين قد « اصفرت الوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب» .. وعلق على ذلك بأنهم «اقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا وابلى أحمد باشا (الجزار) وعسكره بلاء حسنا ونهبه له الخصم .. » المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٦٩ .

(٢) أورد الجبرتى ــ كما ذكرنا من قبل ــ نصه ، وذكر أنه صدر يوم ١٩ محرم ١٢١٤ (٢٣ يونيو ١٧٩٩) ، أى بعد وصول بونابرت الى القاهرة بتسعة أيام (انظر ص ٩٥ ــ ٩٦) .

٢ ـ محاولة اثبات قيام العلاقات الطيبة والمشاعر الودية المتبادلة بين المصريين وسارى عسكر • فقد « •• خرجت سكان مصر جميعا للاقائه •• » • ثم ان « حبه لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته فى الخير لأهلها وقبيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب يحب الخير لأهل الخير والطاعة ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة•• » •

٣ ـ تكذيب ما شاع ولفظ به الناس ، من أن بونابرت قد قتل فى حصار عكا وخلفه فيره فى قيادة الجيش الفرنسى. فقد بدأ المنشوربوصف وصـــول بونابرت الى مشارف القـــاهرة « سـليما من العطب والاسقام..». وقال أن مستقبليه جميعا تحققوا من انه «..الأمير الأول بونابرته بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه •• والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز (المماليك) الهـــاربة •• » • وقد كانت هذه النقطة هى الوحيـــدة التى لفتت نظر الجبرتى فعلق عليها ، بعد أن أثبت نص المنشـــور ، بقوله : « وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بان سارى عسكر بونابرته مات بحرب عكا وتناقله الناس وانهم ولوا خلافه فهـــذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار : وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم » •

٤ ـ الطعن على المماليك و « العربان » الذين « يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المســلمين » ويريدون كذلك « وقوع النـاس فى الهلاك والضرر » •

٥ ـ مهاجمة الجزار بقسوة ، ووصفه باقبح النعوت ، وتصويره للمصريين بصورة الطاغية الســـفاح الذى كان يستهدف الاستيلاء على مصر « •• لأخذ أموالها وهتك حريمها •• » • ويلاحظ فى هذا الصدد أن المنشور تحاشى تماما أن يشير الى أى عـــداء مع الســـلطان العثمانى ، وانما ركز على أن حملة سوريا كانت لمحاربة الجزار ورده ، والمماليك الهاربين ، عن غزو مصر !

٦ ـ تبرير عودة بونابرت بجيشه الى مصر • فقد أكد المنشور على لسان العلماء ، أن ذلك كان لسببين : « الأول ، انه وعدنا برجوعه الينا بعد أربعة اشهر ووعد الحر دين عليه • والسبب الثانى أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيـــابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدأن قلما حضر سكنت الفتنة وزالت

الانسرار مسل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار » • أى ان العودة لم تكن أبدا بسبب الفشل فى اقتحام حصـــون المدينة بعد حصارها الطويل ، وهو ما علمه المصريون يقينا وتوثروا به، ورددد الجبرتى كما رأينا •

وتبقى على هذا المنشور بعد ذلك ملاحظتان :

١ ــ انه بينما اكتفى فى المنشـورات المشابهة الســابقة بتوقيع رئيس الديوان الخصـــوصى وكاتم سره ، او بتوقيعهما مع توقيع نقيب الأشراف ، فقد وقع على هذا المنشور ثمانية • ومن هؤلاء ستة من الأعضـاء الأصليين فى الديوان ، هم : البكرى نقيب الأشراف ، والمشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى ، وأحمد المحروقى كبير التجار • والاثنان الباقيان هما : يوسف باشى جاويش ، وعلى كتخدا باش اختيار مستحفظان ، وهما من رؤساء الاوجاقات (١) • وأول الاثنين كان عضوا بالديوان العمومى ، أما ثانيهما فلعله حل محل عضـو آخر نظيره بذلك الديوان • ويبدو أنه كان قد حدث تغيير فى تكوين الديوان الخصوصى بحيث أصبح يضم ــ كالديوان العمومى ــ ممثلين عن الاوجاقات ، لان المنشور يبدأ بعبارة « من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » •

ولا شك ان هذا التوسع فى قائمة الموقعين على المنشور ، بحيث أصبحت تضم ــ الى جانب الثلاثة الكبار ــ اثنين من العلماء وممثلا لطائفة التجار واثنين من رؤساء الاوجاقات ، لأمر ذو دلالة • فهو يشير الى الأهمية التى كان يعلقها بونابرت على المنشور ، الذى صدر بعد عودته من مغامرته السورية فى ظروف غير مواتية •

٢ ــ ان كلا من النص الذى أورده الجبرتى والذى نقله نقولا الترك لهذا المنشور يختلف عن النص الأصلى للمنشور فى عدة أجزاء • ويدل هذا على وقوع التحريف أحيانا فى رواية هذين المؤرخين المعاصرين للحملة ، كمـا سبق القول • ويؤكد ذلك أهمية النسخ الأصلية للمنشورات •

***

ولم يقتصر تكليف ممثلى الشعب باصدار المنشورات على المناسبات التى تتصل بالسياسة العامة لقيادة الحملة ، وانما امتد ذلك أيضـا الى

(١) نقلا عن النص الذى أورده نقولا الترك •

بعض الشئون الداخلية • وسنتعرض لهذه المنشورات التى يغلب عليها الطابع الاعلامى الخالص (الاخبارى) فيما بعد •

ولا شك ان فى تكليف الديوان باصـــدار مثل هذه المنشـورات اعترافا ، ولو شكليا ، بشخصيته وبشرعية نيابته عن الشعب • غير انه من المبـالغة أن يؤخذ ذلك دليلا على اتسـاع سلطات الديوان وشـمول ولايته • فالواقع ان الدواوين التى انشأها الفرنســيون ، بصـورها المختلفة ، لم تكن سوى تنظيمات نيابية محدودة السلطان • وهى تمثل تجربة جديدة لتنميـة الشخصية المصرية ، عن طريق تعويد القيـادات الوطنية على ممارسة عقد المجالس والمشاركة الضيقة فى تحمل أعبـاء الحكومة • وكان الفرنسيون يتخذون من هذه المنظمات واجهة دستورية يستعينون من ورائها بمكانة الأعضـاء على تفهم آراء الشعب ومطالبه ، ووسيلة تمكن الحاكم من انجـاز المشروعات التى يرى تنفيـذها من غير اصطدام مع الأهالى • والهدف من ذلك ضمان التفاهم مع المصريين من جانب ، وتوطيد السيطرة الفرنسية من جانب آخر (١) • ولم يكن نفوذ أعضاء الديوان يتجاوز بعض المسائل التفصيلية التى لا تتعارض وسياسة الحـملة •

وتمشـيا مع هذه الخطة التى انتهجها بونابرت لتأكيد مكانة أعضـاء الديوان من الشعب من ناحية ، ولاستغلال هذه المكانة من ناحية أخرى ، لم يكتف بان يصدر هؤلاء الأعضاء على لسانهم بعض المنشورات التى يوحى بها هو أو من ينوب عنه ، وانما كان يصدر هو نفسه أحيانا منشورات تتضمن بعض رسائله اليهم •

ومن ذلك المنشور الذى يحوى رسالته الى « السادات العلماء » بشأن عزل قاضى قضاة مصر التركى وتعيين خلف مصرى له ، والذى سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الاسلامية (٢) •

وهذا المنشور من أخطر المنشورات التى أصدرها بونابرت • فهو وثيقة تاريخية تحمل عدة دلالات بالغة الأهمية على سياسته الوطنية :

لقد أصدره بونابرت بعد عودته من مغامرته السورية بأيام • وكان « ابراهيم أدهم بجمقشى زاده » قاضى القضاة التركى (قاضى العســكر)

---

(١) انظر : محمد مؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ... ، ص ١٧١ •
(٢) راجع ص ٦٦ •

فقد خرج على الحكم الفرنسي في أثناء الحملة ، وانضم مع مصطفى بك (أمير الحج ونائب الوالي التركي) الى المعسكر العثماني (١) . ومن ثم ندب الجنرال دوجا (قائمقام ساري عسكر) « ملا زاده » ابن القاضي مكان أبيه . ليصرف الأحكام مؤقتا .

ولكن بونابرت رأى أن يحسم الأمر باتخاذ خطوة جديدة جريئة . لقد قرر تغيير النظام القضائي كلية ، بتمصير هذا المنصب الذي كان صاحبه منذ الفتح العثماني تركيا . فقبض على ابن القاضي الهارب، وأرسل رسالة الى اعضاء الديوان اخبرهم فيها بذلك وطلب منهم أن . يقترعوا ويختاروا « شيخا من العلماء » يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأي العلماء للعلماء» (٢) . وبالفعل اختار العلماء الشيخ أحمد العريشي عضـــو الديوان وأرسلوا الى بونابرت بذلك ، فأقر اختيـارهم واحتفل رسميا بالقاضي الجديد ، ثم أفرج عن ابن القاضي المعتقل استجابة لشفاعة العلماء .

وقد سجل بونابرت هذا الحدث التاريخي في صدر منشوره ، فقال: « .. ان القاضي لم أعزله وانما هو هرب من اقليم مصر .. وخانَ صحبتنا .. وكنت استحسنت أن يكون ابنه عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لانه صغير السن ليس هو أهلا للقضاء فعلمتم ان محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعي يحكم الشريعة واعلموا أني لاأحب مصر خالية من حاكم شرعي يحكم بين المؤمنين فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيـا من علماء مصر وعقـلائهم » . وأشاد بالعـلماء ، مستثيرا احساسهم بمكانتهم ، ، فقال : « ... والعاقل يعرف ان علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية واهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم ... » .

---

(١) طلب بونابرت ، قبل خروجه في الحملة السورية ، أن يصحبه مصطفى بك كتخدا (وكيل) الباشا ، وقاضي العسكر ، واربعة من علماء الأزهر ، «وجماعة ايضـا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام» ، وذلك لتنوير مركز حملته دينيا وسياسيا . وقد خرجوا بالفعل الى الدلتا ، ولكنهم لم يكملوا رحلتهم لاسباب لا محل لذكرها . ونجح الكتخدا وقاضي العسكر في اللحاق بمعسكر العثمانيين ، بينما رجع العلماء «والوجاقلية والتجار» الى القاهرة . انظر : الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) الحبرتي . المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٢ .

ولا شك أن هذا الاجراء التصعيدي الخطير له أكثر من دلالة : فهو يكسب المصريين حقا يختصون به ، لم يكن لهم من قبل • ثم هو ، كما قال الرافعي (١) ، « خطوة كبرى في سبيل تقدم النظام القضائي بمصر ، لان حكومة الآستانة لم تكن ترسل الى مصر سوى قضاة أكثرهم جهلاء لا يعرفون لغة البلاد وليس لهم قدم راسخة في العلم ولا في القضاء •• » • وفي تعيين قاضي القضاة بعد اختياره بالانتخاب من بين العلماء تكريم لهم ، وتقدير لأهمية هذا المنصب الخطير وضرورة ارتباطه بالتفقه في العلوم الشرعية ، كما أن في ممارسة الديوان لهذا العمل تقريرا لمبدأ ديموقراطي على قدر كبير من الأهمية •

٢ ــ وفي هذا المنشور أسفر بونابرت لأول مرة عن موقفه العدائي الصريح من الدولة العثمانية ، وأعلن قطع كل علاقة تربط مصر بها • ويتصل هذا الموقف اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية ، كما انه كان من ناحية أخرى تداعيا منطقيا لقراره بتمصير ذلك المنصب الكبير ، الذي كان صاحبه يعين بفرمان سلطاني • فهو يقول للعلماء : « وعرفوا أهالي مصر انه انتقضت وفرغت دولة العثملي من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها وأخبروهم أن حكم العثملي أشد تعبا من حكم الملوك (٢) وأكثر ظلما •• » •

ولتأكيد انقضاء تبعية مصر لدولة الخلافة قال بونابرت : « مرادي أن حضرة الشيخ العريشي الذي اخترتموه جميعا أن يكون لابسا من عندي وجالسا في المحكمة ••• » • ويقصد بتعبير « اللبس » هنا الخفل التقليدي الذي يقدم فيه الى القاضي الخلعة الدالة على تعيينه في منصبه الجديد » • وقد أقيم ذلك الخفل فعلا ــ كما أسلفنا ــ فذهب العلماء « ••• الى بيت ساري عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشي فالبسه فروة مثمنة وركبوا جميعا الى المحكمة ••• » (٣) .

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٨ •

(٢) يقصد «المماليك» كما جاء في الاصل الفرنسي للمنشور ، ولعله خطأ من الجبرتي في النقل كما كان يحدث كثيرا ، او لعله تحريف من ناقل نسخة الجبرتي الاصلية او خطأ مطبعي • انظر : مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٢٢٤ •

(٣) هذا الاجراء الذي يرمز الى قرار تقليد السلطة كان مألوفا في العرف الدستوري الاوربي كذلك • ولفظ « investiture » الذي يدل عليه يفيد في اصله معنى «اللبس» او «الكسوة» • انظر : لويس هوش ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٨ •

وقد عزز بونابرت هذا الاجراء برسالة وجهها الى حكام الاقاليم ، كلفهم فيها ان يبلغوا اعيان البلاد بما حدث ، وبانه ينبغي أن يتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضي القضاة المصري • وكرر اعلان انهاء السيادة التركية على مصر والتنديد بالحكم العثماني الذي هو أشد ظلما من حكم المماليك » (١) •

٣ ـ وكان مجرد تسجيل هذا الوضع الجديد وملابساته ، والاشارة الى ما دار بشأنه من اتصالات مع أعضاء الديوان ، في منشور يطبع ويذاع على الشعب باسم بونابرت ، عملا اعلاميا دستوريا ، يؤكد به القائد الفرنسي سياسته الوطنية الديموقراطية ، ويلتمس به سندا مصريا شعر بحاجته الشديدة اليه بعد الحملة السورية •

***

تحرج موقف بونابرت في مصر بعد فشل حملته السورية • فقد تحركت قوات العثمانيين ، بمساعدة حلفائهم الانجليز ، بحرا نحو الشواطىء المصرية ، لاسترداد البلاد من الفرنسيين • وبعد عودة بونابرت الى القاهرة بشهر (٢) ، نزل الأتراك الى شاطىء أبو قير واخذوا يحصون مواقعهم • وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يواجهون بعض المتاعب الداخلية ، فقد اشتدت حركات المقاومة ضدهم في عدد من الأقاليم المصرية • وكذلك حاولت بعض السفن الانجليزية ضرب الاسكندرية •

تحرك بونابرت بسرعة لمواجهة الحملة العثمانية ، وعسكر في الرحمانية بعد وصول العثمانيين • ومن هناك ، وقبل أن يشتبك في أية معركة ، واصل سياسته الجديدة التي اتضحت منذ عاد الى القاهرة • وكانت هذه السياسة تستهدف توثيق علاقته بالعنصر المصري ، عن طريق الاتصال بزعماء الشعب ، وادارة لون من « الحوار » معهم يستهدف اشراكهم معه ـ شكليا ـ في خططه ومشروعاته ، ثم اذاعة مضمون هذه الاتصالات على الشعب لكسبه الى جانبه (٣) •

---

(١) مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢٣٨ •

(٢) في ١٤ يوليو ١٧٩٩ •

(٣) الواقع ان هذه السياسة قد بدت بوادرها منذ اخفاق بونابرت في حصار عكا • فمن هناك بعث الى « محفل ديوان مصر » برسالة ، ذكر لهم فيها قرب عودته الى مصر ، وتحدث عن انتصاراته وغنائمه ، وابلغهم بعض انبائه • ولكن هذه الرسالة لم تطبع ، وانما تليت بالديوان فحسب • (انظر : الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٦٧ ـ ٨) •

ومن معسكر الرحمانية بعث بونابرت برسالة الى « ديوان مصر المحروسة » ، هى بمثابة تقرير الى ممثلى الشعب من القائد الذى ذهب لمحاربة أعداء البلاد . وقد طبعت هذه الرسالة فى منشور يحمل تاريخ تحريرها (١) ، رسبق أن تعرضنا للناحية الاسلامية من مادتها (٢) .

وفى هذا المنشور بالغ بونابرت فى تقربه وتوده الى أعضاء الديوان. فقد بدأ خطابه لهم بقوله : « نخبر محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس واكملهم بالعقل والتدبير ... » . وبعد أن وجه لهم « مزيد السلام وكثرة الأشواق ... » ، وصفهم « بالمكرمين العظام » .

ثم اشار الى أن قوات العثمانيين بدأت تنزل الى البر عند أبو قير ، وقال : « ... وأنا الآن تاركهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى باطياة طايعين وآتيكم بهم محبوسين تحت اليسق (٣) لأجل ان يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر » .

وحاول استثارة الشعور الوطنى ضد العثمانيين الذين سيروا حملتهم للانضمام الى « المماليك والعربان ... لأجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى » . ثم هاجمهم من زاوية جديدة ، هى انهم ـ كما سبق القول ـ متحالفون مع الروس (الموسقوا) أعداء الاسلام . وقد أوغل بونابرت فى تشويه صورة العثمانيين من هذه الزاوية ، محاولا بذلك زعزعة مايربط المصريين بهم من وشائج روحية . وكان ذلك ضروريا فى الوقت الذى تعددت فيه الاضطرابات الداخلية ، وانعشت أنباء قدوم العثمانيين أمل المصريين فى الخلاص من الحكم الفرنسى (٤) .

وتأكيدا للصفة النيابية والمركز القيادى لديوان القاهرة قال

---

(١) ١٧ صفر ١٢١٤ (يوافق ٢١ يوليو ١٧٩٩) .

(٢) راجع ص ٩٦ ـ ٧ .

(٣) أغلب الظن أن « اليسق » محرفة عن « الأيسق » ، وهو القلادة ، بمعنى كل ما يجعل فى العنق ، سواء أكان ذلك حليا ام طوقا مثلا . والجمع «ايأسق» . وقد اشارت المعاجم العربية الى شيوع استخدام صيغة الجمع والى ندرة استعمال المفرد . ويلاحظ ان هذا اللفظ ورد فى النص الذى أثبته الجبرتى للمنشور محولا الى «السيف» . وتبع الجبرتى فى ذلك كل من نقل عنه من المؤرخين .

(٤) الى جانب بعض الانتفاضات المحلية ، بدأت قوات المماليك تتحرك نحو الحدود الشرقية ، انتظار الانضمام الى حملة عثمانية متوقعة من بلاد الشام ؛ وكذلك اشار الجبرتى (المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٥) الى بعض الحوادث التى تدل على ترحيب الاهالى واستبشارهم بقدوم العثمانيين .

بونابرت لأعضائه فى آخر المنشور : « نريد منكم يا أهـل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار » .

وربط بونابرت نفسه ربطا قدريا حتميا بمصر ومستقبلها ، فقد أعطاه الله « هذا الاقليم العظيم » ، وقدر وحكم بحضوره الى مصر « لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والرأفة مع صلاح الحكم ... » .

هذا وتشير المنشورات التى صدرت منذ قيام الحملة السورية حتى معركة أبو قير البرية متضمنة أخبار تحركات القوات الفرنسية ، سـواء أكانت تلك المنشورات صادرة من بونابرت الى الشعب رأسا أم على لسان العلماء ، الى اتجاه جديد فى سياسة هذا القائد الوطنية . فهو يحاول فيها ايهام المصريين بأنه يعد نفسه ، من الناحيـة الشـكلية ، مسئولا أمام ممثليهم .

وتمشيا مع هذا الاتجاه كان طبيعيا ، بعد أن انتصر بونابرت على العثمانيين فى أبو قير انتصارا حاسما رد له اعتباره بعد هزيمة حصـار عكا (١) ، أن يحاط أعضاء الديوان علما بذلك . فاصدر رئيس الديوان وكاتم سره منشورا يتضمن نص رسالة الجنرال دوجا الى أعضاء الديوان، التى يبلغهم فيها نبأ ذلك الانتصار ، ويطلب منهم ــ كالمعتاد ــ على لسان بونابرت أن يشهروا ذلك الخبر « بين الخاص والعام » ، وأن يعلنوه « فى جميع أقاليم مصر» (٢) .

واختتم بونابرت هذه السلسلة الاعلامية التى كان لأعضاء الديوان فيها دور بارز كما رأينا ، برسالة بعث بهـا اليهم بمناسبة عودته الى فرنسا ، وأصدروها فى منشور وقعوه بأسمائهم .

---

(١) بدات المعركة يوم ٢٥ يوليو ، وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين ، وتم للفرنسيين احتلال القلعة يوم ٢ أغسطس ١٧٩٩ .

(٢) اشار الجبرتى الى هذا المنشور اشارة موجزة جدا دون أن يذكر نصه . فقال، بعد أن ورد ماشاع فى القاهرة من انتصار الفرنسيين وهزيمة العثمانيين ، انه فى يوم الخميس ٢٩ صفر (يوافق ٢ أغسطس ١٧٩٩) حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت لم ألف على صورتها (المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٧) . ولكن نقولا الترك أورد نص هـذا المنشور (مذكرات ... ، ص ٥٧ ــ ٨) ، وقال انه مؤرخ ٢٢ ترميدور سنة ٧ الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٢١٤ (٩ أغسطس ١٧٩٩) . ولم نعثر على نسخة منه .

وكان بونابرت قـــد غادر الاراضى المصرية سرا فى ٢٢ اغسطس ١٧٩٩ ، ومعه عدد قليل من خلصائه ، بعد أن استخلف فى قيادة الحملة الجنرال كليبر • وقبل سفره كتب عدة رسائل أهمها ما وجهه الى خلفه ، والى دوجا نائبه بالقاهرة ، وبوسيلج مدير الشـــئون المـالية للحملة ، وأعضاء الديوان • وهـكذا لم ينس بونابرت ، وهو يشد رحاله عائدا الى وطنه نهائيا ، أن يواصل الحفاظ على ذلك الجسر الذى اقامه على أساس اعلامى بينه وبين ممثلى الشعب المصرى لتحقيـق سياسته الوطنية • ومن ثم كان الديوان احدى الجهات الاساسية التى وجه لها آخر رسائله قبل السفر •

وقد أشار الجبرتى الى رسالة بونابرت لاعضاء الديوان التى قراها عليهم دوجا ، وأوجز مضمونها ، ولكنه لم يذكر أنها طبعت فى منشور(١)• غير أن نقولا الترك أورد نصها كاملا(٢) وأكد طبعها واذاعتها • وكذلك فعل عدد من مؤرخى الحملة الفرنسيين(٣) •

وهذا المنشـــور وقعه أعضـــاء الديوان الخصوصى ، الذين وجهوا خطابهم « لسايز الاقطار المصرية والاقاليم من الجهـات القبلية والبحرية وكامل رعاياها ... » • وفيه أعلنوا ان دوجا أبلغهم رسالة «صارى عسكر الكبير بونابرته ...» بأنه «سافر الى بلاد الفرنساوية لأجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية ...» • وقالوا ان القائد المسافر ولى بدله «على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعها» الجنرال كليبر• وختم أعضاء الديوان منشورهم بنصيحتهم التقليدية الى المواطنين بالتزام الهدوء وتجنب الفتن •

ولم يشأ بونابرت فى رسالته أن يسـفر عن نيته المبيتة فى عدم العودة الى مصر ثانية • وانما أراد أن يؤكد استمرار صلته بهذه البلاد ،

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٨ ربيع الاول ١٢١٤ (٣١ أغسطس ١٧٩٩) •

(٢) مذكرات ... ، ص ٦٢ ــ ٣ • وقد نقل أحمد حافظ عوض هذا النص كاملا من الترك : مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٤ •

(٣) انظر مثـــلا : Charles-Roux, op. cit., p. 365. ، فقد قال هـــذا المؤرخ بالنص :

« Son (Bonaparte) épitre au Divan faite pour être paraphrasée en proclamation aux indigènes, contenait... »

اى أن «رسالة بونابرت الى الديوان التى كتبت لكى تصاغ فى منشور الى المواطنين تضمنت ...» • ولم نعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور •

وان يضرب فى الوقت نفسه على وتر الاحساس بالمصرية • فقد قال انه سيعود «بعد شهرين أو ثلاثة » ، وذلك بعد «تسليك البحر» بين فرنسا ومصر ، التى هى «أجمل بلاد الدنيا»(١) •

* * *

امتدت طاهرة اعتبار القيادات المصرية ركنا اعلاميا أساسيا فى عملية اصدار المنشورات للشعب الى غير القاهرة •

ففى الاسكندرية كان من أوائل المنشورات العربية التى يقرؤها المصريون ، بعد المنشور الشهير الذى أعده بونابرت قبل نزوله الى الثغر منشور صادر على لسان عدد من كبار علماء المدينة وأعيانها •

صدر هذا المنشور يوم ٢٥ محرم ١٢١٣ (١٢ يوليو ١٧٩٨) ، أى بعد يده الاحتلال الفرنسى ببضعة أيام • وقد طبع المنشور ـ اذ كانت مطبعة الحملة قد أقيمت بالاسكندرية ـ ووقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، من بينهم اثنان من أبرز علمائها ، هما الشيخ محمد المسيرى شيخ علماء الاسكندرية ورئيس أول ديوان لها(٢) ، والشيخ ابراهيم البرجى مفتى الحنفية (شكل ٤٦)(٣) •

والمنشور موجز . وهو ، الى جانب ما تضمنه من اخبارية بحت سنشير اليها فيما بعد ، يطمئن المواطنين على استئناف الحياة العادية

---

(١) اعتمدنا فى الالمام بمضمون هذا المنشور على نصه الفرنسى . ونقلنا نماذج العبارات العربية من كل من الملخص الذى أورده الجبرتى ، والنص الناقص الذى أورده نقولا الترك •

(٢) اختير الشيخ المسيرى رئيسا لديوان الاسكندرية الذى انشأه كليبر فى ٢١ أغسطس ١٧٩٨ • وقد اشتهر بالورع والنزاهة ، وكانت له منزلة كبيرة فى نفوس المصريين والفرنسيين على السواء • وقد اليه بونابرت فى رسائله أكثر من مرة • فقد أرسل من القاهرة رسالة الى الجنرال مارمون (Marmont) قائد المنطقة ، يطلب منه فيها أن يتوجه للمقابلة الشيخ المسيرى ويشرح له كيف احتفل قائد الحملة بالمولد النبوى فى القاهرة ، وكيف انه يجتمع مع كبار علمائها وأشرافهم •• الخ • (**مراسلات نابليون** ، جـ ٤ ، وثيقة ٣١٤٧ ، فى ٢٨ أغسطس ١٧٩٨) • وكتب بونابرت الى الشيخ رسالة أخرى فى اليوم نفسه بدأها بقوله : « انك تعلم مدى التقدير الخاص الذى شعرت به تجاهك منذ اللحظة الأولى التى عرفتك فيها » (**مراسلات** ، جـ ٤ وثيقة ٣١٤٨) • انظر كذلك : الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ـ ٤٠ ، الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ص ٣٩ ـ ٤٠ •

(٣) عن نسخة وحيدة لهذا المنشور النادر ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

بالمدينة ، وينذر من ينسبب فى الاضرار بغيره • وفى هذا الصدد يحدث موفو المنسور بلهجة من يحتـــل مركزا من مراكز السلطة ، ومن يملك توجيه المطالب الى الحكام باسم الشعب : « ••• وكل من حدث منه ضرر الى غيره لايلوم الا نفسه وتكون جميع الناس مأمونين على أنفسهم ومتاجرهم ولا ضرر ولا ضرار حتى حصل الطلب أن تفتح الجوامع وتقام الصلاة حكم الشريعة وتفتح الحمامات ولا يخشوا من شيء •• » •

* وفى الاسكندرية كذلك اصدر قائدها (قومندانها) الجنرال كليبر منسورا يتضمن رسالة موجهة الى اعضاء ديوان المدينة ، عثرنا على أصله الفرنسى المخطوط ومســودته العربية ، دون نســخته المطبوعة (شكل ٤٧)(١) •

ويتميز هذا المنشور بظـاهرة فريدة غير مألوفة فى منشورات عهد كليبر ، وهى توجيه الخطاب الى اعضاء الديوان بعبارات تبالغ فى تحيتهم وتمجيدهم والتأكيد على أهمية دورهم القيادى وفعاليته • فهو يبدأ بمقدمة طويلة جاء فيها : «من طرف حضرة الجنرال •• الى المختـــارين الصلحا الكاملين افتخار العلماء المدبرين منظمين أمور أهالى الاســـكندرية بالفكر الثاقب متممين مهام البلاد بالرأى الصائب أصحاب العلوم والفضائل ملاك الفنون والخصائل أسيادنا المكرمين يعنى بهم أهل الديوان بثغر اسكندرية محبينا الصديقين ومودينا العزاز الحقيقيين زيد اقبـالهم مساواة لفضلهم وكمالهم آمين » •

ومضمون رسالة كليبر التى صدر بها هذا المنشور له أوثق الصلة بسياسة بونابرت الوطنية • فهو يطلب منهم أن يختـاروا ــ بنـــاء على تعليمات بونابرت ــ «ثلاثة انفار من المشايخ وثلاثة انفار من التجاروثلاثة أنفار من الفلاحين مشايخ البلد ومشايخ العربان بثغر اسكندرية •• » • والغرض من ذلك هو أن يذهب هؤلاء المنتخبون الى القاهرة لكى «يخبروا•• السر عسكر •• بجميع المطلوبات المتعلقة للخير العام والخاص •• »

وباستقراء حوادث تلك الايام يتضح أن المقصود من هذه العملية هو تمثيل فئات شعب الاسكندرية فى «الجمعية العمومية» التى أمر بونابرت

---

(١) تاريخ المنشور ٢ تسيه سنة ٦ (١٨ سبتمبر ١٧٩٨) وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس • ويلاحظ توقيع كليبر بخطه على كل من الاصلين • ولم يكن هذا الفالك رديف العربية ولكنه رسم اسمه بالعربية رسما هكذا وقلبه يره ، ويبدو أنه كتبه من اليسار الى اليمين !

(فى ٤ سبتمبر ١٧٩٨) بتكوينها من ممثلى العـــاصمة والاقاليم . وكان الهدف من دعوة هؤلاء المندوبين الى الاجتماع بالقاهرة هو استشارتهم فى النظام النهائى للدواوين التى أسســـها بونابرت ، وفى ادارة الحكومة ووضع نظامها الادارى والمالى والقضائى . وقد حدد لانعقاد هذه الجمعية يوم أول اكتوبر ، ثم عدل الموعد الى ٥ اكتوبر . وســـميت الجمعيه «الديوان العام» تمييزاً لها عن ديوان القاهرة (١) .

وتجلو هذه الفقرة من المنشـــور حقيقة تاريخية خفيت على المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لنظام الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية ، وهى طريقة اختيار ممثلى الاقاليم فى ذلك الديوان العـــام . وقد اكتفى بعضهم باغفالها ، بينما عبر البعض الآخر عن عدم التوصل الى معرفتها . ويمثل الفريق الاول الاستاذ الرافعى . أما الفريق الثانى فيمثله الدكتور لويس عوضى ، الذى قال بالنص : «أما طريقة اختيار هؤلاء المندوبين فغير معروف أن كانت مجرد تعيينات فرنسية أم انهـــا قامت على نـــوع من الانتخاب الفتوى أو شىء قريب من البيعة» (٢) . وكرر الكاتب هذا المعنى نفسه مرة ثانية (٣) . هذا بينما يبين المنشورق جلاء أن اختيار أولئك المندوبين كان يتم بواسطة أعضاء الدواوين الاقليمية .

ويختتم المنشـــور بتأكيد أن كلا من «الـــر عسكر» «وكليبر» «يحب الهنا والراحة لأهالى بر مصر كلها» .

***

ومما يلفت النظر ان السياسة الوطنية التى وضعها بونابرت ، والتى كان كثير من منشوراته ــ كما رأينا ــ مرآة تعكس مظـاهرها ، ووسيلة

---

(١) الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، نقلا عن عدد من المصـــادر الفرنسية . وقد اوجز الجبرتى كثيرا فى الحديث عن هذا التنظيم ، ولكنه اشار الى اجتماع الجمعية فى حوادث ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ (٦ اكتوبر ١٧٩٨) ، ووصفه بدقة . ولا يبعد انه كان من ممثلى علماء القاهرة فيها ، وان نحرج من الاشارة الى ذلك (عجائب الآثار جـ ٣ ، ص ٢٢٢) . ولم يعش هذا « الديوان العام » أكثر من أسبوعين ، انحلت جمعية ثورة القاهرة الأولى . ثم عدل النظام التشريعى بعد ذلك ، ، كما سبق ان اشرنا ، الى شكل جديد ، جمع فيه بين «الديوان العمومى» و «الديوان الخصوصى» أو «الديوموى» .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٣) **المرجع السابق** ، ص ١٦٢ .

اعلامية تدعو لها وتسجل معالمها ، قد تهـــافتت بشكل حاد أيام خليفته كليبر ، شأنها فى ذلك شأن السياسة الاسلامية .

ويرجع ذلك الى موقف كليبر من مستقبل الحمـلة بوجه عـــام ، وبخاصة بعد سفر بونابرت المفاجىء . فمن الثابت ان كليبر لم يكن يرغب فى بقاء الحملة بمصر ، وانه أصبح بعد توليه قيادتها أشد معارضة لفكرة تكوين مستعمرة فرنسية بهذه البلاد . ويتضـح ذلك من تقريره المطول المشهور الذى بعث به الى حكومة الادارة بباريس بعد شـــهر من توليه القيادة ، والذى رسم فيه صورة قاتمة لمركز الحملة فى مصر (١) . وقد سعى كليبر بالفعـل الى الخروج بحملته من مصر ، ففـاوض العثمانيين والانجليز ، وانتهت المفاوضات بعقد اتفاقية العريش ، كما سنرى .

ويمكن أن يعزى تهافت سـياسة كليبر الوطنية كذلك الى موقفه الشخصى من المصريين وزعمائهم . فلم يكن كسلفه حريصا على مودتهم أو راغبا فى التقرب اليهم ، مع أن بونابرت أوصاه قبل سفره بقوله : « ان من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يكسب ثقة الشعب المصرى» (٢). وقد اتضح هذا الموقف منذ مقابلته الاولى لكبار المصريين بعد وصوله الى القاهرة خلفا لبونابرت . ويصف الجبرتى هذا اللقاء بعبارات موجزة قوية الدلالة ، فيقول : «ذهب أكابر البلد من المشايخ والاعيان لمقـــابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقـابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا وبباسط الجلســاء ويضـحك معهم » (٣) .

وقد لاحظ مؤرخو الحملة أن كليبر كان حريصا على ان يحيط نفسه بهالة من العظمة والجبروت ، مما ساعد على اتســـاع الفجوة بينه وبين

---

(١) محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** .. ، ص ٢٥٠ ـ ٥٥ . وتوجد نسـخة نادرة من هذا التقرير بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ملحقة باحد مجلدى صحيفة ولوكوريه دى ليجيبت » ، وهو يقع فى ٨٨ صفحة .

(٢) من رسالة مطولة هى اشبه بتقرير ، وصف فيه بونابرت الحالة التى ترك عليها مصر وصفا دقيقا ، وشرح فيه معالم الخطة التى رأى أن يتبعها كليبر (**مراسلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٣٧٤) . وقد عربها وعلق عليها الرافعى : **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٩٧ ـ ١٠١) .

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ (٣١ اغسطس ١٧٩٩) .

المصريين . على العكس من سلفه • ويكفي أن نقرأ في الجبرتي وصف مواقفه الحافلة . وماكان يضفيه عليها من مظاهر الابهة والارهاب (١) .

وفي مظاهر هذا الموقف الذي اتخذه كليبر من المصريين عدم تحمسه لفكرة انشاء الدواوين التي كانت أهم معالم سياسة بونابرت الوطنية • وكان يعتقد ان هذه الدواوين « لا فائدة منها مطلقا » ، فقد اوقف عمل ديوان القاهرة بعد انتصاره في موقعة عين شمس على العثمانيين (٢) . وكان قبل ذلك قد أبطل الدواوين الاقليمية بمجرد التوقيع على اتفاقية العريش . التي اتفق فيها على جلاء الفرنسيين عن مصر • وقد ظلت الدواوين المصرية معطلة ، حتى أعاد منو انشاء ديوان القاهرة أولا . ثم دواوين الاقاليم بعد ذلك . (٣)

وبعد ان اخمد كليبر ثورة القاهرة الثانية (٤) . عامل المصريين وزعماءهم أسوأ معاملة وأقساها ، وأهانهم اهانات بالغة ، وفرض عليهم الغرامات الفادحة • وقد لقي المصريون من ذلك عنتا شديدا ، «•• ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف •• فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه» (٥) .

وعلق أحد مؤرخي الحملة الفرنسيين على هذا الموقف من كليبر ، فقال ان القائد الفرنسي كان في الحقيقة لا يهتم بشعور المصريين ، أو عطفهم أو ميلهم اليه والى جيش الشرق ، مادام يستطيع ابتزاز الاموال التي يريدها لملء خزانته والانفاق منها على جيشه (٦) .

وكان المصريون من جانبهم قد اندفعوا في التعبير عن كراهتهم للحكم الفرنسي ، وتطلعهم الى الخلاص منه ، مع انتشار انباء الزحف العثماني

---

(١) مثل وصف موكبه الهائل عقب توليه قيادة الحملة ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٠ .

(٢) في ٢٠ مارس ١٨٠٠ .

(٣) Rigault, op. cit. p. 152. • وليس صحيحا ما ذكره الرافعي (مرجع سبق ذكره ، جـ ٣ ص ٣٦٩) من أن دواوين الاقاليم في عهد كليبر « قد بقي نظامها كما وضعه نابليون من قبل» .

(٤) من ٢٠ مارس الى ٢٠ ابريل ١٨٠٠ .

(٥) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ • وقد وصف الجبرتي ما لحق بعامة الناس وكبارهم ، من جراء انتقام كليبر ، عقب ثورة القاهرة الثانية التي ايدتها عدة ثورات اقليمية ، بعبارات مؤثرة للغاية (المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٠٦ — ٩) .

(٦) Rigault, op. cit. p. 77.

المملوكي على مصر من الديار الشامية ، واللغط حول مشروعات الانفاق على جلاء الفرنسيين عن البلاد .

ولذلك لانكاد نلمح أثرا لمنشور دعائي واحد أصدره كليبر . يدور حول فكرة مصر والمصرية ، أو يمجد الزعامة الوطنية ، بطريق مباشر أو غير مباشر . وما أبعد الفارق هنا بين هذا الموقف وبين الاتجاه الذي عبر عنه منشور كليبر ، الذي أصدره متضمنا رسالته الى أعضاء ديوان الاسكندرية ، وهو بعد «قومندان» لهذه المدينة ، والذي تعرضنا له من قبل .

لقد سبق أن أشرنا الى المنشور الذي أصدره كليبر في بداية عهده، وحاول فيه أن يتقرب الى الشعب متبعا أسلوب الدعاية الاسلامية (١). ولم يسجل له التاريخ بعد ذلك سوى منشور واحد وجه فيه الخطاب الى ممثلي الشعب بأسلوب معقول ، يحفظ لهم قدرهم ، ويؤكد مكانهم من مواطنيهم ، وهو الذي أصدره من معسكر الصالحية ، بعد أن وقع اتفاقية العريش مع العثمانيين وأذاع نصوصها على المصريين ببضعة أيام .

صدر هذا المنشور بالعربية والفرنسية ، ووجهه القائد العام الى «جميع أرباب الديوان بمصر المحروسة والى كافة دواوين الاقاليم المصرية أعزهم الله» (شكل ٤٨) (٢) .

وقد نوه كليبر في هذا المنشور بعقد الصلح مع العثمانيين ، الذي بدأ السعي من أجله في عهد سلفه . وقال ان بونابرت ترك البلاد بسبب «اشغال مهمة .. وخلفني عوضه لاجل تمام ذلك وانا في هذا الوقت أتممه واسلم هذا الاقليم المصري لبد أحبابنا قديما .. »

ثم أشاد كليبر بسياسة الفرنسيين قبل المصريين عامة ، فقال : « وقد عرفتم ورأيتم ترتيب قوانيننا في الديار المصرية خليناكم واكرمنا شريعتكم ودينكم وأجريناكم على قوانين ملتكم وأبقينا بدكم متصرفة في أموالكم وأملاككم ولم نكدر عليكم في تعلقاتكم حتى لا يخطر ببالكم اننا ظلمناكم .. »

وأكد الجانب الوطني من هذه السياسة ، مذكرا ومنوها بالدور الذي

---

(١) راجع ص ١٠٣ ـ ٤ .

(٢) بتاريخ ١٢ بلوفيور سنة ٨ (يوافق اول فبراير ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

قام به ممثلو الشعب أعضاء الدواوين ، فقال يخاطبهم: «فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية فانتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية القاطنين بالديار المصرية توسطتم بين الفرنساوية والرعية لأجل تمشـــية القوانين القديمة المصرية فى ســـاير بلادكم من غير تغيير عوايدكم ونظامكم وهذا النظام من تدبير سلفنا وأنا رأيته من المحاسن واللوازم الضرورية وبسبب همتكم وغيرتكم فى صلاح الرعية واستقامتكم فى الافعـــال التى الزمناكم استحقيتوا اعتباركم عند كل عاقل واستوجبتم شكركم عند كل كامل ...»

ولهذا المنشور قيمة خاصة • فقد اغفل الاشارة اليه تماما كل من الجبرتى ونقولا الترك ، وان كان بعض مؤرخى الحملة الفرنســـيين قد ذكروا نصه الفرنسى(١) • ومن هنا فانه يســـد ثغرة تاريخية فى قصة «الاتصال» . أو التخاطب ، بين قيادة الحملة الفرنسية والمصريين •

* * *

وفى عهد منو عاد الاتجاه الوطنى فى السياسة الدعائية للحملة الى الظهور فى المنشورات العربية • ولكنه اتخذ فى عهد هذا القـائد سمات متميزة ، تختلف الى حد ما عن سماته فى عهد بونابرت :

اولا : كان منو أكثر قصدا من قائده فى ترديد العبارات التى يخاطب بها مشاعر المصريين الوطنية ، أو يحاول أن يجتذب بها قادتهم وكبراءهم، وبالرغم من كثرة المنشورات التى أصدرها هذا القائد الى المصريين ، والتى تمتلىء بها دور المحفوظات الفرنسية ، والتى أشـــار الى بعضها المؤرخون المعاصرون للحملة كالجبرتى ، فان عددا قليلا جدا منها هو الذى نلمح فيه معالم ذلك الاتجاه • ويلاحظ من ناحية أخرى أنه لم يصدر فى عهـد منو منشور واحد بتوقيع ممثلى الشعب من أعضـــاء الدواوين ، يؤكد ــ ولو شكليا ــ مكانتهم القيادية من مواطنيهم ، كما لمسنا فى أيام سلفه الاول• وانما كان منو يفضل أن تكون المنشورات الموجهة الى الشعب صادرة منه مباشرة •

وقد نجد تفسيرا لذلك فى المبادىء التى أقام عليها منو حكومته • فقد أثبت أدق من أرخوا لعهـــده(٢) انه كان « يعتبر ان مصر مستعمرة فرنسية بالفعل ، هو حاكمها وممثل حكومة باريس فيهـــا • ولما كانت

---

(١) انظر مثلا :
Rousseau, op. cit., pp. 220-21.

(٢)
Rigault, op. cit. p. 111.

الاتصالات الطبيعية بين هذه المستعمرة والدولة الحاكمة غير قائمة وقتذاك، فانه جعل من نفسه رئيس دولة » • ويقول أحد كبار معاوني منو « ان أوامره اليومية (Ordres du Jour) قد حلت محل القوانين ؛ واتخذت أساسا لادارة جيش الحملة »(١) •

ثانيا : كان منو أكثر واقعية من بونابرت فى ذلك الاتجاه . فهو يربطه باجراءات وتنظيمات فعلية مفصلة ، أو بمواقف محددة ، ولا يكتفى فيه بمجرد المقولات النظرية •

ويتضح هذا الموقف بصفة خاصة فى منشور من أهم المنشورات التى صدرت فى عهده • وهو منشور مطول يتضمن مرســـوما بترتيب النظام القضائى للبلاد (شكل ٤٩)(٢) • وقد فصل القول فى هذا المنشور حول الهيئات القضائية وتكوينها ، وأسس التقاضى ودرجاته واجراءاته • وذكر فى خلال ذلك اعادة تكوين ديوان القاهرة فى صورة جديدة ، لابراز دور هذا الديوان فى مجال السلطة القضائية أساسا ، مع اشـارة موجزة جدا الى مهامه الاخرى • أى ان الامر باعادة تكوين الديوان قد ارتبط بوضع الاسس الجديدة للنظام القضائى •

ويبرز صدر المنشور هذا المعنى فى وضوح • فهو يتضمن ديباجة المرسوم التى نصها : «ان حضرة الجنرال سرى العسكر العام لما اعتبر انه من أخص المهمات الملاحظة الحكام هو الاعتناء باجرا العدل للرعايا أوليك الذين قد ايتمنا على سياستهم وأن يتحدد قيام المحاكم لمحاكمة الدعاوى المدنية التى تقع ما بين أبناء البلد ولعقاب الذنوب والجرايم التى ترتكب ضد النظام العام والجماعة فأمر بما يأتى بيانه » •

وبعد أن أعلن المرسوم فى مادتيه الاوليين انقضـــاء العمل بالنظام القديم وضرورة حصول القضاة على مراسيم التعيين الجـــديدة ، جاء فى المادة الثالثة (الشرط الثالث) : « فلا بد عن اقامة ديوان بمصر (بالقاهرة) مؤتلف من جماعة العلمـــاء •• **لكى يسهر على تقويم الحقوق** وعلى نظام

---

(١) سارتلون (Sartelon) ، فى رســـالة الى وزير الحربيـــة الفرنســـية ، بتاريخ ٢٢ برومير سنة ٩ (١٣ نوفمبر ١٨٠٠) ، نقلا عن المرجع الســابق .

(٢) تاريخ المرسوم ١٠ فندمير سنة ٩ (١ أكتوبر ١٨٠٠) . أما المنشـور العربى فقد صدر بتاريخ ١٧ فندمير (٩ أكتوبر) ، وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، ويبلغ عدد سطوره ٣١١ سطرا . وقد نشر دريج نصه الفرنسى بشىء من الايجاز ، ولكنه علق على كثير من نقاطه (المرجع الســابق ، ص ١٥٣ — ٩) .

الجوامع وعلى نظام الاوقاف والرزق وعلى الارشاد العام وعلى الاعمنا بمهمات الحج الشريف وأخيرا على أن تحفظ كامل العوايد الحميدة الدينية والمدنية وعلى العلما بوجهون لاهالى بلاد مصر كلما (كل ما) ينادى به عليهم ويقدمون ما يريدون اعراضه (عرضه) للحكام » .

وتنص المادة السابعة (الشرط السابع) من المرســـوم على أن يقدم أعضاء الديوان الى الحاكم في أول جلسة يعقدونها « اسما اوليـك الذين يعتبرونهم كفوا للقيام بوظيفة القضاء ويحررون قايمة للاقتراع على أكبر الاصوات ويشرعون أولا بما يلاحظ مرتبة قاضى عســكر أعنى به القاضى الاعظم بمصر الفاهرة ضامين اسما العلما الثلثة (الثلاثة) الذين منهم يختار حضرة سرى العسكر العام من يجب ان يكون قايما على هذه الوظيفة ثانيا اسما أوليك الذين يتقدمون على القيام بهذه الوظيفة فى باقى الاقاليم » .

وتمنح المادة السابعة عشرة الديوان حق عزل « القضاة والمتشرعين المفسدين ... » ، وكذلك حق الحكم «بابطال ساير القضـايا التى لا يكون رأى بهـــا كامل الظروف المعينة (أى التى لا تراعى فى أحكامها القواعد الموضوعة) والوقائع التحديد بها ان كان ذلك من قبل السنن المتقدمة أو من قبل هذا المرسوم ... » .

وتفصل المادة الثامنة عشرة حـق الديوان فى نظر حالات استئناف الاحكام أو الطعن فيها .

أما المادتان الرابعة والثالثة والعشرون فهما تحـــددان عدد أعضاء الديوان وأسماءهم ومواعيد اجتماعاتهم وما الى ذلك .

ان هذا المنشور وثيقة تاريخية خطيرة ، جديرة بدراسة تجلو صفحة غير معروفة من تاريخ التشريع الحديث فى مصر ، بكل دقائقها وما أحاط بها من ظروف ومقومات(١) . وهو فضلا عن ذلك يوضح عدة حقائق لها

---

(١) يتناول المرسوم الذى يتضمنه هذا المنشور ، والذى كان نتيجة لدراسة لجنة حاصة كونها منو ، عدة أمور تشريعية ذات أهمية كبيرة ، مثل التمييز بين القضـاء المدنى والقضاء الجنائى وقضاء الاحوال الشخصية ، والقضـاء المختلط . وحـق الاستئناف والطعن ، وغير ذلك مما لم تقنن قواعده وضوابطه فى مصر الا بعد الحملة بعشرات السنين . ويلاحظ أن الجبرتى لم يشر الى هذا المنشور ، وان اكتفى بذكر تكوين الديوان وأسماء أعضائه ومكان اجتماعهم ..الخ ، ضمن حوادث شـهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ــ ٨) . ولقد أخطأ الجبرتى فى ذلك ، وهم أنه كان من أعضاء الديوان ، فان أول شهر جمادى الثانية ١٢١٥ يوافق يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠ ، بينما صدر المنشور قبل ذلك بأحد عشر يوما ، أى فى خلال شهر جمادى الاولى» .

أهميتها فى التأريخ لسياسة الفرنسيين ازاء المصريين ، وبخاصه من خلال فكرة انشاء الدواوين . انه يثبت ما لم يذكره مؤرخ من قبل ، وهو ان منو أنشأ ، الى جانب الديوان المكون من تسعة أعضاء ، هيئة أخرى من غير المصريين المسلمين ، تتكون من «أربعة عشر عضوا فى محل كرامة (أى أعضاء شرف) فالمتقدمون بطايفة الاقباط وأهالى بلاد سوريا الشام والاروام(١) اذ يتعينون من حضرة سرى العسكر العام فيعطى لهم الاذن بالجلسة (أى بالجلوس أو بالحضور) فى الديوان والرأى بالمشورة ..»(٢)

وعلى ذلك فلم يكن الجبرتى دقيقا حين قال ، وتبعه فى ذلك معاصرون مؤرخينا ، ان الديوان الجديد كان يتكون « .. من تسعة أنفار متممين لا غير وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومى على ما سبق شرحه(٣) بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء .. »

ويوضح المنشور كذلك الاختصاصات القضائية الجديدة التى أضيفت الى مهام أعضاء الديوان . وقد أشار الرافعى الى هذه الاختصاصات بايجاز شديد ، نقلا عن بعض الوثائق الفرنسية لحكومة الحملة فى عهد منو ، لا عن المنشور نفسه(٤) وكان ريجو هو المؤرخ الوحيد الذى فصل القول فى مضمون هذا المنشور نقلا عن أصله الفرنسى .

وفضلا عن أن المنشور وثيقة أصلية تقطع بعضوية الجبرتى فى هذا الديوان(٥) ، اذ أثبت اسمه ضمن أسماء الاعضاء التسعة ، فانه يحدد عمل شخصية أخرى ارتبط اسمها بالحديث عن السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية ، هو اسماعيل الخشاب ، وذلك بصورة لا تدع مجالا لأى خلط أو خطأ . وقد سبق أن تعرضنا لهذه النقطة عند الحديث عن مشروع صحيفة «التنبيه»(٦) .

وفوق هذا كله فان المرسوم الذى تضمنه المنشور يقرر مبدأ

---

(١) يقصد بكلمة «الاروام» الاتراك ورعايا الدولة العثمانية ، من سكان الايالات غير العربية .

(٢) الشرط الرابع من المرسوم .

(٣) أى على أيام بونابرت .

(٤) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ — ٦ .

(٥) ذكر الجبرتى عضويته فى الديوان بطريقة ملتوية ، فقد أشار الى نفسه بكلمة «وكاتب» ، مما كان موضع تعليق المؤرخين .

(٦) راجع ص ٢٨١ — ٢ .

«مصيريا» فى غاية الاهمية ، فهو ينص فى «الشرط الثامن» على ضرورة ان من يتولى منصب القضاء بالجنسية المصرية : « فلا أحد من الافراد يتقدم على القيام بوظيفة قاض بمصر (اى بالقاهرة) كان ذلك أم بباقى الاقاليم ما لم يكن من أرض مصر ولودة (أى ولادة) أو لا يكن له عشرة (كذا) سنوات قاطنا بأرض مصر» .

ثالثا : يتضح من هذا المنشور نفسه ان منو كان أكثر صراحة فى تحديد الخط الوطنى فى سياسته الدعائية داخل نطاق الحكم الفرنسى . فقد حرص فى «الشرط الاول» من المرسوم على تأكيد ان **«كل المحاكم** الموجودة بالاقاليم المصرية وتلك التى يحكم بلزوم قيامها مع الزمان بأقاليم مصر يقضون بالعدل **وذلك على اسم الشيخة الفرنساوية** ..»

وكذلك أكد المرسوم فى هذا «الشرط» وفى «الشرطين» الثانى والتاسع على أن «سارى عسكر» هو الذى يقلد القضاة سلطة وظائفهم (يلبسهم) . وفى ثنايا غير ذلك من «الشروط» يخضع المرسوم كل «اجراء تنصيرى ، سواء بالنسبة للنظام القضائى أو للديوان الجديد ، **لاقرار «حضرة سرى العسكر العام»** .

وتتردد نغمة ان مصر صارت ملكا لفرنسا فى كثير مما أصدره منو من منشورات ، بطريق مباشر أو غير مباشر . ويؤكدها كذلك ما نقله الجبرتى من عبارات عن بيانات المسئولين الفرنسيين بالديوان ، وما استنتجه من معان تستتر وراء مضمون بعض تلك البيانات :

ـ فقد ذكر الجبرتى فى حوادث يوم ٢٤ رمضان ١٢١٥ (٨ فبراير ١٨٠١)(١) انه «ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فرانسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابرته أغار على بلاد النمسه وحاربهم .. وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران ..»(٢) ثم علق على هذا الحدث بقوله : « ويستدل بذلك على **ان مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقراوةفى ورقة بالديوان .**

ـ واورد الجبرتى كذلك فى حوادث آخر أيام شهر محرم ١٢١٦

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ .

(٢) الواقع ان منو أصدر بمضمون ذلك منشورا مطبوعا ، ولكن الجبرتى لم ينقل نصه ، بل ولم يشر أصلا الى أن هناك منشورا بهذا المعنى . وقد سبق أن أشرنا الى هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الاسلامية (ص ١٠٧) وسنتعرض له مرة أخرى بعد قليل .

(١١ يونيو ١٨٠١) (١) نص بيان طويل جاء فيه : «اجتمع المشايخ والوكيل وحضر استوف (يقصد استيف : Estève) الخـازندار وترجم عنه رفاييل (كبير مترجمي الديوان) بقوله انه يثنى على كل من القاضى والشيخ اسماعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث .. واعلموا ان أرض مصر **استقر ملكها للفرنساوية** فلازم من اعتقادكم ذلك وارکزوه فى اذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ..» . هذا مع أن الحكم الفرنسى فى مصر كان فى ذلك الوقت يلفظ أنفـاسه الاخـيرة ، وكانت القوات الانجليزية والعثمانية الزاحفة من الشرق والغرب قد أصبحت على مشارف القاهرة .

رابعا : فى الوقت نفسه اتخذ منو من زواجه بسيدة مصرية سببا قويا يتقرب عن طريقه الى المصريين . فكان يخاطب أبناء الشعب أو زعماءه فى منشوراته أحيانا بعبارات تتسم بطابع الألفة والمودة ، التى تنتج عن علاقة شخصية وطيدة باعتباره لم يعد غريبا عنهم . وقـد رأينا من قبل كيف استغل ما صحب هذا الزواج من اعتناقه الاسلام ، فى دعايته التى ترتكز على فكرة السياسة الاسلامية ، التى وضع أساسها بونابرت .

ونلمس مظاهر هذا الموقف منذ كان منو حاكما اقليميا لرشيد (٢). فقد أصدر منشورا خطيا (٣) الى أعضاء ديوان المدينة بمناسبة سفره لتولى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) جـرح منو فى أثناء احتـلال الاسكندرية ، معين بونابرت الجنرال فيـال (Vial) بـدلا منه على رأس الفرقة التى كان يقودها ، وجعله حاكمـا (Gouverneur) لرشـيد حتى لا يشترك فى عمليات الزحف الى القـاهرة . وفى ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ أضاف بونابرت الى دائرة حكم منو اقليمى البحيرة والاسكندرية (Rigault, op. cit., pp. 40-42) . ويلاحظ ان بونابرت أصدر هذا الامر الاخير الى منو بعد أن استدعى من الاسكندرية قائدها الاول الجنرال كليبر ليكون الى جانبه فى القاهرة . وقد وصل كليبر الى القاهرة بالفعل فى ٢٢ اكتوبر ، وأتبع بونابرت هذا الامر بتعيير الجنرال مارمون (Marmont) قائدا (قومندانا) لمدينة الاسكندرية (الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ص ٢٤٢ ، جـ ٢ ص ١٠٨) .

(٣) هو واحد من منشورات خطية عدة أصدرها منو فى رشيد . وقد آثرنا تناولها بالدراسة فى هذا الموضوع ، لا عند الحديث عن المنشورات أو كليبر ، لما تحمل به من دلالات على سياسـة منو منذ كان حاكما محليا ، أكثر مما تتصـل بالسياسة العامة للحملة . وتضم محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بباريس عددا لا بأس به من هذه المنشورات التى لم يتناولها أو يشر اليها من قبل أحد من مؤرخى الحملة الفرنسية . ومحتوى هذه المنشورات وطريقة عرض مادتها ، فضلا عن وجود نسخ كثيرة من كل منشور ، يقطع بأنها كانت بالفعل منشورات اذيعت على الناس ، لا مجرد رسائل الى أعضاء الديوان مثلا .

منصبه الجديد حاكما لاقليم فلسطين (شكل ٥٠)(١) . وفى هذا المنشور يحدث الى الاعضاء حديثا شخصيا بحتـــا ، فهـــو يوصيهم خيرا بزوجته واقاربها : ... قبل السفر قصدت أن أوضح لكم وهو أننى أبقيت بهذا الطرف زوجتى وكامل اقاربها .. نعرفكم أن تخـــلوا بالكم من حريمنا ووالدتهم وأخيهم وزوجة أخيهم بكامل ما يلزم الى راحتهـــم والمذكورين أبعبناهم فى طرفكم أمانة . ونظير معروفنا السابق معكم لازم تخلوا بالكم معاهم . ومثل ما أن نيتنا كانت دائما طيبة عليكم كذلك نكون نيتكم معنا لأن أعز ما عندى فى الدنيا حريمى » .

ومن هذا القبيل كتاب مطول وجهه ، وهو قائد للحملة ، الى «حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف بمصر القـاهرة»(٢) . والى جانب ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عامة ، فقد رد فيه على تهنئتهم له بولادة ابنه من زوجته المصرية ، اذ جاء فى أوله : «ان الذى حررتمـــوه لنـا ملأ نفوسنا سرورا وقلبنا حبورا» ، وجاء فى آخره : «اننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو ..»

ومن ذلك أيضا أن منو اعتاد أن يسـبق توقيعه على المنشورات بعد

---

(١) المنشور بتاريخ ٢١ فلوريال سنه ٧ (١٠ مايو ١٧٩٩) ، وهو من محفوظات قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية . وقد عين بونابرت منو فى هـــذا المنصب الجديد فى الناء تحركه ليلحق بقوات حملته السورية ، واحل محله فى منصبه القديم الجنرال جوليان (Jullien) ، وكان ذلك فى اوائل شهر مارس ١٧٩٩ ، أى عقب زواج منو . وتباطأ منو فى تنفيذ هذا الأمر شهرين ، وقد اعترف هو بذلك فى بداية منشوره : «انه قد حضر لى اذن التى أكون حاكما على اقليم الشام من مغى شهرين . وانا الآن مستعد على السفر الى الناحية المذكورة ...» . وعندما وصل منو الى بلدة عقبلية قرب حدود مصر الشرقية قابله بونابرت الذى كان راجعا بعـد اخماده فى حصار عكا فارسله للتفتيش على القوات الفرنسية بالعريش ، ثم عاد بعـد ذلك الى مقره القديم . وقد عرف عن منو تمسكه بالبقاء فى مدينة رشيد ، فقد سبق ان ظل فى تنفيذ أمر آخر لبونابرت بتعيينه قائدا للعاصمة عندما بدأ الاستعداد لتحرك الحملة السورية . وتعلل بمختلف المعاذير ، بل انه اعترض فى عهد كليبر أن يجعل من رشيد عاصمة للاقاليم الثلاثة التى يحكمها ، بالرغم من أن بونابرت كان قد أضـاف اليه قبل سفره منصب القائد العسكرى للمنطقة ، مما كان يقتضى اقامته بالاسكندرية. غير أن كليبر جعله قائدا للقاهرة (انظر : ريجو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ ، ٤٥ ؛ الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ـ ١١) .

(٢) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ ـ ٤٣) ، فى حوادث يوم ٢٥ شعبان ١٢١٥ (١١ يناير ١٨٠١) ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان هذا الكتاب قد طبع فى منشور ، وكذلك لم يعثر المؤلف على مايؤكد ذلك .

أن تولى قيادة الحملة بعبارة «خالص الفؤاد» . وهى عبارة نوددية واضحة، لم يفكر أى من سلفيه فى استخدامها هى أو ما يشبهها .

والى جانب ذلك فقد اتبع منو أسلوب بونابرت الدعائى الذى اختطه منذ منشوره الأول الى المصريين ، وجعله أساسا من أسس سياسته الوطنية ، وهو تذكيرهم بطغيان المماليك ، ومحاولة استثارة مشاعرهم ضد هؤلاء الذين اغتصبوا بلادهم واستأثروا بخيراتها ، وتأكيد أن الفرنسيين انما حضروا الى مصر لتخليصها من حكم هؤلاء الظلمة .

وكان طبيعيا ان يفعل منو ذلك فى المنشورات التى أصدرها وهو بعد حاكم اقليمى فى عهد بونابرت ، حيث الأسباب التى تستلزم اتباع هذا الأسلوب مازالت قائمة . فالحملة فى أول عهدها ، والمماليك يواصلون مؤامراتهم وجهودهم لمناوأتها :

ـ ففى منشور خطى اصدره الى أهالى « ولاية رشيد وسكندرية والبحيرة » (شكل ٥١) (١) أكد أن الفرنسيين « .. يبعملوا غاية اجتهادهم لأجل ان يروكم أن مجيهم بسبب خلاصكم من الحكم القاسى الذى كان ساير عليكم ... » .

وخاطبهم قائلا فى استنكار : « يا أهل مصر كيف ان لكم غرض وترضوا برجوع حكم المماليك ويعود عليكم وان لم عندهم شفقة ولا دين .. » ثم قال : « ان الله سبحانه وتعالى لم خلق خلقه لأجل انهم يطيعوا الطايفة الخاسرة الذى (كذا) كانوا جاطين انهم اسيادكم وانتم عبيدهم .. » .

ـ وفى منشور خطى آخر (شكل ٥٢) (٢) ، اصدره الى « كاهل أهل البلاد والعزب من ولاية رشيد » ، أكد أن « مراد بيك وابراهيم بيك والانجليز لم قصدهم الا هلاكم وهم سبب لقتل ثمانية آلاف نفس فى المدينة » .

---

(١) المنشور غير مؤرخ ، ولكنه يبدأ بعبارة «من مدة الاربع شهور المنوطين فيها الفرنساوية ببر مصر» ، ومعنى هذا أنه صدر فى أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) هذا المنشور أيضا غير مؤرخ ، ولكن مافضمنه من ذكر مقتل آلاف من الاهالى فى معركة مع القوات الفرنسية يرجح انه صدر فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، بعد ثورة «القاهرة» التى كان مركزها دمنهور ، والتى انتهت بمذبحة كبيرة فى تلك المدينة . وتكثر منو ببالغ فى عدد القتلى من الاهالى .

ـ وفى المنشور الذى ذكرنا آنفا، ان منو أصدره الى ديوان رشيد، قبل توجهه لتولى منصبه الجديد بفلسطين ، قال : « وهو (الله) تعالى الذى أرسلنا الى بلادكم لأجل انقاذكم وخلاصكم من أيادى حكامكم الظالمين الذين تبددوا ٠٠ » ٠

ثم حذر الأهالى من تصديق دعايات المماليك الذين « ٠٠ لم قصدهم سوا (كذا) فساد الرعايا والضحك والاستهزا فيما بعد» ٠ ٠

ومع انه لم يصدر فى عهد منو منشور واحد الى الشعب على لسان فادته من أعضاء الديوان ، كما كان الحال أيام بونابرت ، فقد اتبع منو سنة سلفه الأول فى الاتصال بهؤلاء القادة لاطلاعهم على بعض الأمور ، فى المناسبات التى تقتضى ذلك ، تأكيدا لصفتهم النيابية من الشعب ، وانهم الواسطة بينه وبين حكامه ٠ وفعل ذلك بوجه خاص عند ما اضطرته ظروف الحملة العسكرية الى مغادرة القاهرة ٠

واتخذ هذا « الاتصال » ـ كما رأينا ـ أحيانا شكل منشورات تأكد طبعها واذاعتها كالمعتاد ، وأحيانا أخرى شكل رسائل لم يتضح ما اذا كانت طبعت أو اكتفى بتلاوتها فى الديوان ٠

وعلى أية حال ، فقد كانت تتم اذاعة مضمون بعض الرسائل عن طريق « المناداة فى الأسواق » أو الاتصال فى شأنها بالمسؤلين من «مشايخ الحارات والاخطاط » ، أو « مشايخ البلاد » ، ومن اليهم ، كما ذكر الجبرتى فى أكثر من موضع ٠

ومن المنشورات التى طبعت بالفعل المنشور الذى أصدره منو فى ١٩ بلوفيوز سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) ، والذى أشرنا من قبل الى بعض ماتضمنه (شكل ٥٣) (١) ٠ وقد وجه منو الخطاب فى هذا المنشور الى «كافة المشايخ والعلما الكرام فى محفل الديوان المنيف بمصر المحروسة» ٠ ويتضمن المنشور أمرين رأى القائد الفرنسى ضرورة ابلاغهما لممثل الشعب ، وهما : انتصار الفرنسيين بقيادة بونابرت على النمسا ، ووورود بعض السفن الفرنسية الى ثغر الاسكندرية محملة بالجنود والمعدات ٠

وأراد منو بابلاغ هذه الأنباء الى القادة المصريين ان يؤكد قوة فرنسا واستكمالها لأسباب سيادتها على مصر ، وان كان قد غلف هذا المعنى ـ

(١) راجع ص ١٠٧ ، ١٥٤ : وهذه الصورة المنشورة مهداة من المتحف الحربى بباريس ٠

على غير عادته – بعبارات معسولة. فقد قال فى الفقره الأخيرة من المنشور: « ويا مشايخ ويا علماء الكرام فأعلمناكم بتلك الأخبار الخير لأجل تبتهجوا بها معنا ولأجل ما تتيقنوا ان بونابرته هو دايما ناظر الى بر مصر محبة وصيانة لأهلها كما هو بين لكم مرارا كثيرة حين اقامته بينكم .. » .

ومن الرسائل التى لم يوضح مؤرخها الوحيد ، الجبرتى عضو الديوان ، ما اذا كانت طبعت فى منشورات ، ولم نعثر نحن كذلك على ما يؤكد طبعها ، رسالة موجزة بعث بها منو من معسكره بالاسكندرية ، حيث كان يواجه زحف الحملة العثمانية الانجليزية المشتركة لاجلاء الفرنسيين عن مصر (١) . وفى هذه الرسالة أكد أنه يرجو النصر على أعدائه من أجل خير مصر وأهلها : «وان ابتغيت النصرة فما هو الا لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولايتها وخير امور أهلها» .

– ومنها كذلك رسالة أخرى بعث بها القائد العام من المعسكر نفسه ، بعد أيام من رسالته السابقة (٢) . وفى هذه الرسالة أبلغ اعضاء الديوان فى عبارات ركيكة آخر أنباء القتال بين الفرنسيين واعدائهم من العثمانيين والانجليز ، وأوهمهم بقرب جلاء قوات الأعداء عن البلاد ، ثم قال لهم : « فاعلنوا واخبروا كل ذلك الى أهالى مصر .. » .

– ومن هذا القبيل أيضا الرسالة التى أبلغها الجنرال بليار « قائمقام سارى عسكر » لأعضاء الديوان فى تلك الأيام المضطربة (٣) . وفيها ان «الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية **وان تنصحوا أهل البلد والرعية** بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم .. » .

(ذكر الجبرتى (**المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٥٣) ، ان هذه الرسالة قرئت بالديوان يوم ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ (يوافق ٢ ابريل ١٨٠١) . وكانت الحملة المشتركة قد بدأت انزال قواتها الى شواطىء ابو قير يوم ٨ مارس ، واخذت تنزل الفريضة تلو الفريضة بالقوات الفرنسية . وكان هناك فى الوقت نفسه جيش عثمانى آخر يزحف برا من جنوب سوريا صوب مصر ، بينما كانت القوات الفرنسية موزعة بين القاهرة وبقيادة بليار) ، والاسكندرية ورشيد وبلبيس والصالحية والجيزة وغيرها .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ١٥٥ . والرسالة مؤرخة – كما ذكر الجبرتى – يوم ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (يوافق ١٦ ابريل ١٨٠١) .

(٣) اشار اليها الجبرتى فى حوادث يوم ٢٦ محرم ١٢١٦ (يوافق ٨ يونيو ١٨٠١) : **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٧٩ .

ـ وحمل رسالة أخرى أبلغها بليار كذلك الى الديوان في جلسة غير عادية (١) . حضرها مع الأعضاء «التجار ومشايخ الحارات والاغا «المحافظ» » . وقد قال فيها ان منو «طيب بخير» . وان الأقوات في معسكر الفرنسيين) كسرد .. يأتي بها العربان اليهم .. » .

وتتضمن الرسالة كذلك اخبارا عن « وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر (الخزر (٢) وانها عن قريب تصل الاسكندرية .» .

ـ اما آخر هذه الرسائل فقد تليت ترجمتها العربية على أعضاء الديوان في آخر جلسة عقدها قبل جلاء الفرنسيين عن مصر (٣) . وفي هذه الرسالة جامل منو أعضاء الديوان مجاملة ظاهرة ، وشكرهم على جهودهم ودعا لهم ووعدهم بنصر الفرنسيين على أعدائهم في مصر كما انتصروا في أوروبا . ولم ينس في هذه الرسالة كذلك أن يوصيهم خيرا بزوجته وابنه ، وكانا قد حضرا الى القاهرة من رشيد قبل ذلك بنحو شهر .

والغريب أن منو عند ما كتب هذه الرسالة لم يكن يعلم بعد أن نائبه بليار قد وقع بالفعل ـ قبل أيام ـ اتفاقية الجلاء عن مصر (٤) . ومع أن الرسالة أصبحت بذلك غير ذات موضوع ، بعد أن أذيعت أخبار الاتفاقية ، فقد أمر جيرار (Girard) وكيل (قوميسير) الديوان بترجمتها وتلاوتها على الأعضاء في تلك الجلسة التي دعي لحضورها مع الأعضاء كبار التجار والوجاقية وكبار المسئولين الفرنسيين .

ويبدو أن السبب في الاكتفاء بتلاوة بعض رسائل منو الى أعضاء

---

(١) في ٣ صفر ١٢١٦ (يوافق ١٥ يونيو ١٨٠١) : الجبرتي ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) هكذا في الاصل . ولاشك انه يقصد البحر المتوسط ، لان بحر الخزر (وقد اخطأ كذلك في هجائه) ، ويسمى أيضا بحر قزوين ، هو بحر مغلق يقع ـ حاليا ـ بين ايران وجنوب الاتحاد السوفيتي .

(٣) ذكر الجبرتي (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٨٤) أن هذه الرسالة مؤرخة يوم ١١ مسرى سنة ٩ الموافق ١٨ صفر ١٢١٦ (٣٠ يونيو ١٨٠١) . وقد عقدت الجلسة في ٢٤ صفر (٦ يوليو) .

(٤) وقع بليار هذه الاتفاقية في ٢٧ يونيو ١٨٠١ ، واذيعت شروطها على الناس بالعربية والفرنسية ، كما سنرى .

الديوان عليهم . واذاعة مضمونها على الناس بالطرق التقليدية دون طبعها في منشورات ، هو حالة الاضطراب الى كانت تسود البلاد ، والشعور بالقلق وعدم الاستقرار الذى كانت تحسه أجهزة الحكم الفرنسى فى تلك الأيام الحافلة . الى نخرج فيها مركز الحملة ، وآذنت الاحداث بانحسار ظلها عن البلاد .

* * *

ويتضح من هـذا العرض لدور المنشـورات العربية في الدعاية للسياسة الوطنية في عهد قواد الحملة النلاثة ان منشورات عهد بونابرت كانت اصدق تعبيرا عن هذه السياسة ، من منشورات خليفتيه . ولاغرو فبونابرت هو المخطط الأول لهذه السياسة ، التى أراد أن يتخذ منها سبيلا يمهد لبناء المستعمرة الفرنسية انجديدة فى مصر ، ولتحقيق أحلامه فى غزو الشرق . وكان ايمانه بهـا عميقا ، كما يتضـح من اسـتقراء مراسلاته ومذكراته .

ولم يكن كليبر على دين سلفه فى هذا الصدد . وانما كان ــ كمـا رأينا ــ ضعيف الايمان بتلك السياسة ، راغبا أشد الرغبة فى تصفية موقف الحملة والعودة بفلولها الى فرنسا .

أما منو فقد كان من دعاة اتخاذ مصر مستعمرة فرنسية . ويدل ماأصدره من تشريعات ، وماقام به من تنظيمات ادارية لمختلف نواحى الحياة فى مصر ، على انه كان يعمل جهده لتثبيت أركان الحكم الفرنسى بها . ولكنه من ناحية أخرى كان ذا نزعة ديكتاتورية عنيفة ، فاتسمت تصرفاته قبل المصريين بكثير من القسوة والظلم . ولم يكن فى هذا خيرا من سلفه كليبر .

وتاريخ الجبرتى ملىء بالشواهد على ما عاناه المصريون فى عهد منو من عنت وارهاق ، نتيجة لما فرضه عليهم من اتاوات وضرائب فادحة ، ولما أصاب مصادر رزقهم من نهب وتخريب .

صحيح أن منو وجد من الضرورة ــ كما رأينا ــ اعادة تكوين ديوان القاهرة بعد تعطله مدة طويلة ، وصحيح انه وسع اختصاصات هـذا الديوان نوعا ما . ولكن علاقته بممثلى الشعب كانت تفتقر الى ذلك المخطط الواضح ، الذى كان يحدد معالمها وهدفها أيام بونابرت .

لقد حرص قائد الحملة الأول على أن يشعر المصريون وقادتهم ، من خلال منشوراته العربية ، بذلك الاتجاه « الوطني » في سياسته ، حتى يمكنه أن يكتسب تأييدهم لحكمه . وقد رأينا كيف تنوعت أساليبه اصدار المنشورات لتأكيد هذه السياسة .

ولكن يبدو ان منو ، رغم ولائه الكبير لبونابرت واعجابه البالغ بشخصيته ، لم يكن مقتنعا تماما بسياسته الوطنية أو متفهما لها ، من ناحية ، ولم يكن كذلك قد تمثل خطته الاعلامية الذكية ازاءها كما ينبغي ، من ناحية أخرى .

الفصل الثالث

سياسة الترغيب والترهيب

كانت هذه السياسة هي ثالثة الركائز التي قامت عليها الخطة الدعائية التي وضع بونابرت أساسها ، وحاول تحقيقها بمنشوراته العربية ، بعد السياسة الاسلامية والسياسية الوطنية .

واستهدف بونابرت من هذه السياسة أن تكون سندا يدعم السياستين الأخريين ، ويساعد على اجتذاب قلوب المصريين ، واقناعهم بالولاء للحكم الفرنسي .

وقد تعددت الأساليب الاعلامية لسياسة الترغيب والترهيب . ولكنها كانت تدور حول الاشادة بمزايا الحكم الفرنسي وازجاء الوعود لمن يؤيدونه من ناحية ، والتلويح بتهديد من يفكر في الانتفاض عليه بأشد النكال من ناحية اخرى .

واتضحت معالم هذه السياسة ، شأنها في ذلك شأن السياستين الأخريين ، منذ منشور بونابرت الأول . فهو يمنى فيه المصريين الذين سوف يساعدون قوات الحملة ، بل أولئك الذين سوف يكتفون بموقف الحياد بين الفريقين المتحاربين ، بأحسن الجزاء . ثم يهدد من ينضم الى جانب المماليك بأوخم العقاب : « طوبى ثم الطوبى لأهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المتحاربين فاذا يعرفونا بالأكثر

يسارعون الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما نجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر » .

ويذهب « المادة النانية » من هذا المنشور الى أقصى مدى فى انذار من يفكر فى مقاومة الغزو الفرنسى ، فتقول : « كل قرية انتى تقوم على العسكر الفرانساوى تنحرق بالنار» . ولاشك فى أن هذا الانذار الرهيب هو كما يقول الرافعى (١) « أمر لا يتفق والقواعد الانسانية فى معاملة الشعوب » . ولم يكن ذلك على أية حال مجرد تهديد أو لغو من القول. ولكن تاريخ الحملة فى مصر يحفل بالشواهد على أن الفرنسيين قد نفذوا بالفعل هذا الانتقام فى بعض القرى والأحياء التى كانت تقاوم زحفهم أو تتمرد عليهم (٢) .

* وفى بداية الجزء الأول من المنشور الذى أعلن به اعادة تكوين الديوان على أسس جديدة (عمومى وخصوصى) (٣) ، قال بونابرت ، « ان بعض الناس ضالين العقول خالين من المعرفة وادراك العواقب .. أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة .. » .

وفى هذا الجزء أيضا خاطب ممثلى الشعب . مهددا كل من تسول له نفسه التمرد على حكمه فقال : « .. ان الذى بعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ومخلصا ينجيه منى فى هذا العالم » . ثم ختمه بقوله : « .. فطوبى للذين يسارعوا فى اتحادهم وهمتهم معى فى صفا النية وخلاص السريرة .. » .

* وفى منشور الجنرال دوجا نائب القائد العام ، الذى وجهه الى أعضاء ديوان القاهرة ، متضمنا أخبار استيلاء قوات الحملة السورية على

---

(١) مرجع سبق ذكره جـ ١ ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .

(٢) مثل قرى الجمالية ومبت سلسيل والشعراء والورنا وطقام بالوجه البحرى، فى أوائل أيام الحملة (سبتمبر ــ أكتوبر ١٧٩٨) ، وقرى سرسنا وابو مناع وابنود بالوجه القبلى ، فى محاولة اخضاع الصعيد التى طالت حتى أواسط عام ١٧٩٩ . (انظر تفصيلات مقاومة القرى المصرية للحملة والمعارك التى دارت بها فى المرجع نفسه ، ص ٢٢٤ ــ ٢٣٣) .

(٣) سبق الحديث عنه فى ص ٩٨ ، ١١٤ ــ ١٨ .

العريش ورسالة بونابرت بهذا الشأن (١) ، اشادة بعفو بونابرت عن أسرى المعركة واطلاق سراحهم وتأمينهم .

وتتضمن رسالة كل من دوجا وبونابرت فى هذا المنشور كذلك تأكيدا للمصريين بأنهم يستطيعون أن يستأنفوا ارسال قوافلهم التجارية الى سوريا ، وتأمينا لهم على بضائعهم وأملاكهم ، فبونابرت « حريص دائما على رعاية مصالح الأهالى من سكان القاهرة وسائر المدن المصرية » .

* وفى صدر المنشور الذى تضمن رسالة الشريف غالب شريف مكة الى الجنرال بوسيلج «مدير الحدود العامة بمصر» (٢) بتهديد غير مباشر لمن يتمرد على الحكم الفرنسى . فهو يندد بمتطوعى الحجاز الذين انضموا الى المصريين فى مقاومتهم للزحف الفرنسى على الصعيد ، ويصفهم بأنهم « قطاع طريق » ، ويشير الى هلاكهم على أيدى القوات الفرنسية : «ان حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه (أى شريف مكة) وبغير اذنه فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير وقد هلكوا فى الصعيد بعسكر الفرنساوية أهل الشجاعة والمحاربة القوية الأسدية .. » .

* وتعلو نغمة التهديد فى المنشور الذى تضمن رسالة بونابرت الى « ديوان مصر المحروسة » من معسكر الرحمانية قبيل موقعة أبو قير البرية (٣) . فقد ختم رسالته تلك بقوله : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد لأن البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لها مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور (٤) وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم .. » .

***

ولم يكتف بونابرت بأن يستخدم هو فى خطابه للمصريين لغة الوعد والوعيد ، وانما انطلق بها كذلك أحيانا لسان زعمائهم من أعضاء الديوان

---

(١) أنظر ص ١٢٩ .

(٢) أنظر ص ١٠٠ .

(٣) أنظر ص ٩٦ — ٧ ، ١٤١ — ٢ .

(٤) يقصد المذبحة الفظيعة التى تعرضت لها المدينة ، وانتهت بها ثورة المهدى بالبحيرة . وقد أشرنا اليها من قبل .

فى المنشورات التى استكتبهم اياها ، واتضح ذلك بوجه خاص فى منشورات هؤلاء القادة الى الشعب فى الأوقات التى تأزمت خلالها أحوال الحملة ، كما حدث عقب ثورة القاهرة الأولى ، وفى أيام الحملة السورية .

* ففى المنشور الذى أصدره العلماء أعضاء الديوان بعد ثورة القاهرة الأولى ، ووجهت منه صور الى مختلف الاقاليم المصرية (١) ، قيل للمصريين : «لاتحركوا الفتن لتكونوا فى أوطانكم مطمئنين ولاتطيعوا امر المفسدين ولاتسمعوا كلام المنافقين ولاتكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرءون العواقب .. والذين حركوا الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد وقد نصحناكم لتسلموا من الوقوع فى البلية ..»

* ونرددت هذه التهديدات مرة أخرى فى منشور العلماء الذى صدر بعد ذلك بأيام، لتحذير الشعب من الاصغاء الى دعاية المماليك(٢): « فنصحكم أيها الأقاليم المصرية انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشىء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. » .

واتبع العلماء هذا التهديد بمحاولة لاظهار بونابرت للشعب فى صورة الحاكم العادل الرحيم «.. حضرة صارى عسكر الكبير .. بونابرته اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام .. ويرفع عن الرعية ساير المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .. » .

* ولما استقرت الامور فى القاهرة بعد ثورتها ، وأخذ بونابرت يستعد لحملته على بلاد الشام ، استكتب أعضاء الديوان الخصوصى المنشور الذى وجه «الى جميع اهل مصر من خاص وعام (٣)» . وتتردد فى الجزء الأكبر من المنشور نغمة ترغيب تشيد بحسن معاملة بونابرت للمصريين ، وتنوه باصلاحاته ومشروعاته :

ـ فقد « صفح الصفح الكلى عن كامل النـاس والرعية بسبب

(١) سبق الحديث عنه فى ص ١٢٠ ـ ٢٣ .
(٢) انظر ص ٩٤ ـ ٥ ، ١٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) انظر ص ٩٦ ـ ١٠٠ .

ما حصل من اراذل اهل البلد والجعيـدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية » .

ـ وعمل على انشاء الديوان العمـومي والديوان الخصوصي ، الذى يجتمع «كل يوم لأجل قضـا حوايج الرعايا وخلاص المظلوم من ظالم القوم » .

ـ ومما يدل على عدله المطلق انه اعدم اثنين من جنوده لاعتدائهم على منزل الشيخ محمد الجوهرى (١) ، وانه اعتقـل بالقلعـة أحد محصلى الضرائب «لانه بلغه انه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة..» .

* وفى المنشور الذى أصدره ممثلو الديوان الى الشعب فى مناسبه سفر بونابرت للحاق بحملته السورية (٢)، تحدثوا عن رحمته بالمصريين وشفقته عليهم و «نية الخير» لديه تجاههم ، وانهم بفضله سوف «يحصل لهم النجاح والصلاح ويكمل فى ساير أقطارها السرور والاصلاح وتفرح أقاليمها .. » .

ثم اخذ ممثلو الديوان يعـدون مواطنيهم ويمنونهم بالمستقبل الرغد السعيد على يد بونابرت . فالبلاد فى عهده سوف «تكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها بحسن رأيه وتدبيره التحف من أنواع الحرف .. ويجدد فيها ما اندثر من صنائع الحكماء والاولين ويرتاح فى دولته كل الفقراء والمساكين ..» .

وما لبث هذا الكلام المعسول أن اقترن بمر الوعيد : «فالتزموا .. بحسن المعاملة والادب واجتنبوا فى غيبته أنواع الكذب والقبائح .. وان حصل منكم فى غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولاينفعكم الندم ولا يقر لكم قرار ..» .

* وفى المنشور الذى صـدر على لسان ممثـلى الديوان بعد استيلاء القوات الفرنسية على يافا (٣) فقرة تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت فى ترغيب المصريين ومحاولة اجتذابهم اليه، بالتنويه بحسن صنيعه معهم.

---

(١) من شيوخ الازهر الاجلاء ، ترجم له الجبرتى فى وفيات سنة ١٢١٥ هـ ترجمة ضافية ، واشاد بخلقه وعلمه واستقلاليته ومكانته الرفيعة (عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ ـ ٦) .

(٢) سبق تناوله من وجهة نظر السياسة الوطنية . أنظر ص ١٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) أنظر ص ١٣١ .

وعول هذه العفرة : ٥٠٠٠ في يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عســكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانــوا فى يافا وأعطــاهم الامان وأمرهم برجــوعهم الى بلادهم مكرمين ٠٠٠ ٠

وفى ذلك اشارة الى المصريين الذين خرجوا من ديارهم وانضموا الى الجبهة المعادية للفرنســيين ، وكان منهم عدد كبــير مع حامية يافا عند محاصرتها ، وعلى رأسهم الزعيم المصرى السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى عين الفرنسيون بدله السيد خليل البكرى ٠

وبهذا التصرف يبدو بونابرت فى صورة القــائد الشفوق العطوف الذى يؤثرهم بكرمه وعفــوه ، فيحرص على ألا يمســهم أذى ، بالرغم مما صاحب تلك المعركة الرهيبة من أهوال وفظائع ٠

* وفى ختام المنشــور الذى أصــدره العلماء قبيل عودة الحملة السورية ، فى محاولة للرد على ما شــاع بين الاهالى من اخبــار المقاومة المصرية للفرنسيين فى الصعيد(١) ، وجهوا النصح التقليدى الى مواطنيهم بالانصراف الى أعمــالهم والتسليم باحكام الله ٠٠ ثم حذروهم ألا يصغوا الى أحاديث الفتنة وأن يجنبوا أنفســهم عواقبها الوخيمة : «فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهــلاك والتلاف وامسكوا ادبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقــكم النــدم والعار والاولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لاحكام الله وقضاه فان العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب ٠٠ » ٠

***

بقدر ما كان كليبر خافت الصوت فى الاعــلام الدعائى الذى يرتكز على السياسة الاسلامية، وبقدر تهافت دعايته القائمة على السياسة الوطنية لضعف ايمانه بهذه الســياسة ، فقــد كان كذلك مقلا الى حد كبير فى استخدام المنشورات لمحــاولة استرضاء المصريين بالوعد ، أو تخــويفهم بالوعيد ٠

ومن النماذج النادرة التى نلمح فيها ظلا ، ولو باهتا ، لهذا الاتجاه عند كليبر ، المنشور الذى سبق أن أشرنا الى انه أصــدره وهو بعد قائد

---

(١) انظر ص ١٣٢ — ٣٣ ٠

لمنطقة الاسكندرية (١)، يدعو فيه أعضاء ديوان المدينة الى اختيار ممثليها في الجمعية العمومية التى أمر بونابرت بتكوينها فى القاهرة .

ففى هذا المنشور الذى لاحظنا من قبل تضمنه لكثير من عبارات المجاملة والتودد الى ممثلى شعب المدينة اكتفى كليبر فى محاولة استرضاء المصريين بعبارات عامة رددها فى بداية المنشور ونهايته . لقد قال بعد عبارات المجاملة لأعضاء الديوان : «ان حضرة السر عسكر الكبير بونابرته دايما مشغول فى تحصيل أسباب الراحة والهنا لأهالى مصر كلها .. » ثم ختم المنشور بقوله : « مثل ما هو (أى بونابرت) يحب الهنا والراحة لاهالى بر مصر كلها وانا كذلك نحب الهنا والراحة لكم .. » .

* وفى المنشور الذى أصدره الى شعب مصر فى أوائل عهد قيادته للحملة (٢) ادعى أن مصر تتمتع بالرخاء والأمن « بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا محبكم حضرة صارى العسكر بونابرته فى أيام حكمه وبسبب ذلك دام مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية فى مدته.»

وعكست آخر فقرة فى هذا المنشور وجهى سياسة الترغيب والترهيب معا فى ايجاز ووضوح « واعلموا أن أيام حكمنا تكرم الناس الطيبين وتحبهم بغاية المحبة والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والأدب الشديد» .

* وفى ختام المنشور الذى أصدره كليبر من معسكر الصالحية بعد توقيع اتفاقية العريش (٣) ، قال بعد أن نوه بجهود أعضاء الدواوين فى تحسين العلاقات بين المصريين وحكامهم الفرنسيين : «ويعشمى أن هذا التوافق لم ينقطع الى تمام الشروط (٤) واذا وقع بعض خلل من سفهاء العقول يلزمنى بالقهر عنى قصاصهم بالسلاح والسلام » .

***

أما منو فقد كان أكثر قادة الحملة الثلاثة اهتماما بسياسة الترغيب والترهيب ، بحيث أصبحت تمثل الركن الأساسى من أركان اعلامه

---

(١) انظر ص ٩٨ ، هامش ٣ ، ١٤٥ ــ ٦ .

(٢) راجع ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٣) راجع ص ١٤٩ ــ ٥٠ .

(٤) يقصد الى تمام تنفيذ الاتفاق (الذى عقد بالعريش) ، كما جاء فى الاصل الفرنسى :

« jusqu'à l'entière exécution du traité ».

الدعائي . وقد نمادى منو في الأخـــذ بهذا الاتجاه حتى أن كثيرا من منشوراته المخصصة أصلا للاعلام البحت لا تخلو من عبارات وعد أو وعيد . بل انه اسرف في الأخذ باسلوب الارهاب في مخاطبة المصريين ، كمـــا سنرى . اسرافا شديدا .

ونلمح مظاهر هذا الاهتمام من قبل أن يتولى منو قيادة الحملة ، في المنشورات التي أصدرها وهو حاكم اقليمي . ففي المنشور الذي أصدره الى شعب ولايته في أوائل نوفمبر ١٧٩٨ (١) نقرأ عدة عبارات ترددبقوة، على ركاكتها واخطائها ، صوت هذه السياسة وتمتزج فيها الملاينة بالتهديد امتزاجا شديدا .

يقول منو في هذا المنشور ، محذرا المصريين من الانسياق وراء دعاية حكامهم السابقين ؛ بعد أن أكد ان الفرنسيين لم يجيئوا الى مصر الا لتخليصها من حكم المماليك : «وطول الأربعة أشهر المذكورين واحنا نلاطفكم ونشفق عليكم وأنتم ظانين فينـــا على قدر عفولكم وكراهتكم فينا وبتسمعوا الأخبار الكاذبة الذي يتورد عليكم وتميل عقولكم لتصديق الكلام الكذب من أتبـــاع الظلمة السابقين .. فلأي شي تتبعوا كلامهم أما علمتوا (كذا) ان بونابرته ان قال كلمة تـكون سبب هلاككم عن آخركم لكن لم مرادنا نحكم فيكم بطريق التخويف الا بالرضا والتسليم فاعلموا اننا أصحابكم ولم ترموا أنفسكم في الهلاك مثلما فعلوا أهل مصر (القاهرة) المخدوعين وبعض أهـــل الأرياف ولم لزمنـــا اننا عاقبناهم العقاب الشديد الا قهرا عنا فمن هو الذي عادانا وحاربنا وسلم من الموت فبقا (كذا) بسبب غرضكم للمماليك يحصلكم (يحصل لكم) كامل الهلاك .. » .

وكرر هذا المعنى في فقرة أخرى قائلا : « .. فاعلموا أن الفرنساوية كانوا تاركينكم طول هذه المدة لعدم ميلكم لهم وأنهم يحصل منهم عقاب شديد في حق أصحاب العقول الضالة الذي (كذا) قصدهم القيـــام علينـــا » .

وختم المنشور بأن كل من يخالف الأوامر « .. علمنـــا أنه مايل لطايفة الغز (المماليك) فلا يكون جزاه الا أخذ روحه .. » .

وكان المنشور الذي أصدره في أوائل مايو ١٧٩٩ ، محذرا أهل اقليمه مرة أخرى من الانخداع بدعاية المـــاليك والانجليز (٢) ، زاخرا

---

(١) و (٢) انظر ص ١٥٧ .

بعبارات التهديد والارهاب الصارخة • فبعـــد أن أكد أن أولئك الأعداء كانوا سببا فى قتل « ثمانية آلاف نفس فى المدينـــة وهم الذين مثلكم صدقوا قول الانجليز » ، استدرك معللا مقتل هذا العدد الكبير من الأهالى الثائرين ، على يد القوات الفرنسية ، بقوله ان «صارى عســكر الكبير بونابرته الذى هو دايما محب للناس الطيبين كان مقصوده عدم موت من قتل من أهل المدينة وتعب فى منعهم وردهم بكل معروف وكل لطف لكن هولاء الطايفة التعيسة من تسليط الغز فيهم لم سمعوا النصيحة فانفنو عن آخرهم من عجمة الفرنساوية عليهم كالرعد القاصف •• » •

واستطرد بعد ذلك الى الحديث عن موقفه هو فقال : « ان كما فعل صارى عسكر الكبير افعل معكم كل معروف وكل نصيحة لأردكم بحسن لطافة لكن الى (الذى) يسلك فى الأفعال القبيحة أكون له ضد وافعل معه كما فعل المذكور فاسمعوا منى لأنى أنا محب لكم وكلمن (كل من) خاصم الفرنساوية يقتل والذى يقول لـــكم خلاف ذلك هو عـــدوكم ومراده هلاككم •• » •

وفى المنشور الذى أصدره لتوديع أعضاء ديوان «بندر رشيد» قبل سفره لتولى مهام منصبه الجديد بالشام (١) غلبت نغمة الملاينة وخفض الجانب وانعاش الآمال فى مستقبل حافل بالرخاء والنعمة • فهو يخاطب أعضاء الديوان بقوله : «ونحن دايما شاكرين منكم لأننا من حين دخولنا الى هذا الطرف ولوقت تاريخـــه لم وقع منكم الا كل محبة ومعروف فى حق الجمهور الفرنســاوى •• » •

ثم يقول : «كل ابتدا صعب ولكن تجىء الآخـرة طيبة ومن قريب •• بعد وقوع الصلح وانفتاح البواغيز (أى الموانىء) تنظروا ما يكون فى الاقليم المصرى من معاملات (كذا) الأسباب والمتاجر والبيع والشرى (كذا) الذى لم صار مثله ولا فى الزمان السابق •• » •

ويردد بعد ذلك نغمة تحذير وتهديد ، ولكنهـا تظل ، الى جانب النغمة الأخرى ، هادئة الجرس : « فانتم دايما كونوا متحدين معنا ولم تصدقوا كلام المنافقين وأعداء الجمهور الفرنساوى •• وكلمن (كل من) يصدقهم ويسمع كلامهم يحصل على غاية الندم من حيث لا ينفعه ذلك •• »

لقد تولى منو قيادة الحملة عقب مصرع كليبر ، بوصفه أقدم قواد

---

(١) انظر ص ١٥٥ ــ ٥٦ •

الفرق في الحملة ، بالاضافة الى أنه كان قائداً (قومندانا) لمنطقة القاهرة (١) .

وكان مقتل كليبر من الحوادث التاريخية البارزة ، نظرا لمركز المجنى عليه وظروف الحادث وما ترتب عليه من نتائج . وكان طبيعيا أن تسود الأهالى حالة من الذعر والفزع بعد هذا الحادث ، وأن يتلقاه الفرنسيون بالغضب والسخط ، وأن تتوتر تبعا لذلك العلاقات بين الجانبين توترا شديدا .

وقد لعبت المنشورات العربية فى تلك الظروف غير العادية دورا تاريخيا ، عزز به منو الاجراءات التى اتخذها لكى تسترد الحملة هيبتها ، وتجتاز تلك المحنة دون صدام خطير مع الأهالى .

لقد أجمع المؤرخون ، وبخاصة المصريين منهم ، على الاعجاب بعدالة الاجراءات التى اتخذت فى التحقيق مع المتهمين باغتيال كليبر ومحاكمتهم . فيقول الجبرتى (٢) أن الفرنسيين « الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين » لم ينساقوا وراء انفعالهم فيقتلوا القاتل ومن أرشد اليهم من شركائه ، « بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل .. بل رتبوا حكومة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام .. ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكم » . ويقول الجبرتى بعد ذلك فى جراة ان عدل الفرنسيين فى هذا الموقف « بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من افعال أوباش العساكر (يقصد العثمانيين) الذين يدعون الاسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الأنفس .. بمجرد شهواتهم الحيوانية .. » .

ويقول الرافعى (٢) : « ولا جدال فى أن محاكمة المتهمين فى هذه القضية كانت عنوانا للعدالة العسكرية .. ومن الانصاف أن نقول أن القضاة الفرنسيين .. كان فى استطاعتهم أن يأخذوا كثيرا من الأبرياء بجناية القاتل ، لكنهم لم يفعلوا فكانوا نموذجا للعدل ومدعاة للاعجاب .. » .

واهتم لويس عوض (٤) بأن يبرز فى حماس « الوقفة الطويلة التى وقفها الجبرتى أمام محاكمة سليمان الحلبى قاتل كليبر واظهر فيها

---

(١) عين كليبر فى هذا المنصب فى شهر مايو ١٧٩٩ ، وذلك عقب اخماد ثورة القاهرة الثانية . وقد قتل كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٤) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

دهشته واعجابه من الطريقة التى يجرى بها الفرنسيون محاكمانهم » . وكذلك نوه بالتفـــات الجبرتى الى « احاطة المحاكمة بكافة ضـــمانات العـــدالة ، واكتشـافه أن الاجراءات الجنائية لها قوانين تنظمها .. »

ولا شك أن اعجاب الجبرتى ، الذى عبر عنه فى حرارة ، كان صورة لاعجاب غيره من المصريين الذين عاصروا تلك الوقائع • وواضح أن الاعجاب بعدالة الفرنسيين فى هذه القضية يرجع الى ما علمه الناس من اجراءات التحقيق والمحاكمة. ولم يكن ذلك ليتحقق لولا حرص السلطات الفرنسية على اذاعة تفصيلات تلك الاجراءات ، فى منشـــورات طبعت بالعربيـــة والفرنسية والتركية •

لقـد أثبت الجبرتى نصوص المنشورات التى تضمنت التقرير الطبى ومحاضر التحقيق وما اليها ، ثم نص المنشور الذى يتضمن وصفا كاملا لجلسة المحاكمة الأخيرة ، واستغرق ذلك من كتابه سبع عشرة صفحة (١) • وعثر المؤلف على نسخة من منشور الجلسة الأخيرة التى صدر فيها الحكم دون المنشـــورات الأخرى (شكل ٥٤) (٢) ، وهو بعنوان : فتـوة (الفتوى ، أى الحـكم) الخارجة من طرف ديوان القضاة المنشرين (المعينين) بأمر صارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوى فى مصر لأجل يشرعوا (أى لمحاكمة) كل من له جرة (أى كل من تسبب) فى غدر وقتل صارى عسكر العام كليبر •

ولا شك أن اصدار منشورات مفصلة بماجريات الحادث على هـــذه الصورة هو عمل اعلامى جدير بالتنويه • وسنتعرض له فيما بعد عنـــد الحديث عن المادة الاخبارية فى منشورات الحملة • غير أن لهذه المنشورات من ناحية أخرى جانبها الدعائى ، فلقد حقق اعجـاب المصريين بتصرف السلطات الفرنسية فى هذه المحاكمة ، نتيجة لما اطلعوا عليه من تفصيلاتها ، أحد جانبى سياسة الترغيب والترهيب التى طبقها منو بدقة فى ذلك الموقف العصيب •

أما الوجه الثانى من هذه السياسة ، فقد تحقق بدوره ، بطريق غير مباشر ، من خلال ما أذيع فى تلك المنشورات . ويتمثل ذلك فى نص العقاب القاسى الذى طالب به الادعاء للقاتل وشركائه ، وبخاصـــة تلك

---

(١) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ١١٧ — ٣٣ •

(٢) بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٨ (يوافق ١٧ يونيو ١٨٠٠) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

الصورة الانتقامية البشعة لعقاب سليمان الحلبى بالذات • وقد وافقت هيئة المحكمة بالفعل على العقاب المقترح ، ثم نفذ فيما بعد • وتكررت الاشارة الى هذا العقاب أكثر من مرة • ففى ختام مرافعة سارتلون (Sarteion) ممثل الادعاء طالب بأن سليمان الحلبى « يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور » • وطالب كذلك بقطع رءوس شركاء الحلبى الأربعة (١)

وتضمن آخر منشورات هذه القضية ، الذى عرض صورة الحكم ووصف الجلسة التى صدر فيها ، نصا أكثر توضيحا يحدد الشكل النهائى للعقوبة المقترحة ، كما استقر عليه رأى القضاة فقد جاء فى هذا المنشور أن القضاة « تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لايق لموت المذنبين .. ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر وأفتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور .. قدام كامل العساكر واهل البلد الموجودين فى المشهد .. » •

اما بالنسبة لشركاء الحلبى الأربعة ، فقد حكم القضاة بأن « تقطع رؤسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار .. ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شئ» •

ان مثل هذه العبارات لكفيلة بأن تبعث القشعريرة فى نفوس الناس ، وان تردعهم عن مجرد التفكير فى التآمر على الفرنسيين أو معارضتهم •

وكان من نتائج حادث مصرع كليبر ، وما تبعه من محاكمة سريعة وتنفيذ علنى لما صدر فيها من أحكام اتسمت بالقسوة والتفنن والارهاب ، أن ساد الفزع والذعر بين سكان القاهرة بالذات ، فسافر « بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعضهم بعث حريمه واقام هو .. » • وكان طبيعيا أن يتبع كثير من الأهالى هؤلاء الأعيان فى هجرتهم من مسرح الحوادث : « فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة واكثروا المراكب والجمال وغير ذلك .. » (٢) •

ورأى منو أن يقف هذا التيار من الهجرة فورا ، خشية شيوع

---

(١) الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣١ •

(٢) المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، من حوادث شهر صفر ١٢١٥ (يوليو ١٨٠٠) •

البلبلة والاضطراب ، واتبع فى ذلك أسلوبا تهديديا قاسيا • ويقـــول الجبرتى فى هذا الصدد (١) « فلما اشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقا ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره •• » • وكان لهذا التهـــديد أثره ، « فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على المســـفر •• » ولكن ما لبث الفرنسيون أن زادوا من مظالمهم ، « فقرروا فردة (غرامة) أخرى قدرها أربعة ملايين .. وكان الناس ما صدقوا قرب تمـــام الفردة الأولى (٢) بعد ما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ومات أكثرهم من الحبوس وتمت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه الداهية أيضا • • » (٣) •

خرج كثير من الناس هربا من هذه المغارم الجديدة • فأصدر « صارى عسكر بليار قيمقام مصر » منشورا بالعربية والفرنسية ، يتضمن أمرا شديد اللهجة من مقدمة وسبع مواد (شكل ٥٥) • (٤) •

ويقول بليار فى مقدمة أمره بلهجة منذرة (٥) ان كثيرا من سكان القاهرة غادروها ، وان المشايخ وكبار التجار بعثوا بعائلاتهم الى الريف، وان ذلك يخالف الأوامر السابقة • ثم يدفع هذه الهجرة بأنها تثير الذعر وتعطل مصالح الناس •

ويبقى نائب القائد العام فى انذار رهيب كحد السيف فى برودته وحدته معا ، موجه الى الأهالى وزعمائهم ، أو دهمـــائهم وسادتهم ، على السواء ، فيقول انه فى هذا الوقت الذى تلتزم القاهرة فيه بالعمل على أداء « الفردة » المقررة عليها ، يجب أن يبقى بها جميع سكانها • وينبغى كذلك ألا يغادر المشايخ والكبراء أماكنهم حتى يعملوا على أن يدفع كل صاحب نصيب ما فرض عليه •

---

(١) المرجع السابق •

(٢) يقصد الغرامة التى فرضها كليبر على سكان العاصمة عقابا لهم على ثورتهم الثانية •

(٣) الجبرتى ، المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ـ ٥ ، من حوادث شهر صـــفر ١٢١٥ أيضا •

(٤) مؤرخ ١٩ ترميدور سنة ٨ (٧ أغسطس ١٨٠٠) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٥) الصيغة العربية لهذا الأمر غاية فى الركاكة ، وبخاصة فى المقدمة • لذلك آثرنا هنا النقل عن الأصل الفرنسى •

وينص الأمر على منع الخروج من المدينـــة الا بتصريح من « حضرة قيمقام مصر » ، ومصادرة أموال كل من يخرج بغير هذا التصريح ، وكذلك على منح مهلة خمسة عشر يوما يعود خلالها الذين سبق أن خرجوا منـذ أيام القتال مع العثمانيين ، والا صودرت أموالهم ، أما المشايخ والتجار وغيرهم ممن بعثوا بأهلهم خارج المدينة فعليهم ارجاعهم فى مدة خمسة عشر يوما كذلك ، والا زاد نصيبهم من الغرامة بمقدار النصف .

ثم تفرض المادة الأخيرة من هذا الأمر على « المشايخ والعلماء » أن يرسلوا نسخا منه بمعرفتهم الى القرى التى هاجر اليها سكان القاهرة .

وقد أشار الجبرتى الى هذا المنشور واثره فى ايجـاز بقوله (١): « نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر .. نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاقت منافسهم .. » .

والظاهر أن ذلك المنشور ، على عنفه ، لم يحدث الأثر المطلوب ، وبخاصة لدى من غادروا الأراضى المصرية كلها . فأصدر منو منشـورا آخر بعد نحو خمسين يوما (شكل ٥٦) (٢) ، ضمنه أمرا جديدا يغلب عليه هدوء اللهجة ونعومة الأسلوب .

وقد بدأ «صارى عسكر» هذا الأمر بديباجة قال فيها انه يميل الى « عبرة العفو والكرم المعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين عن القنصـل الأول من الجمهور الفرنساوى » .

ثم حث منو « جملة الأشخاص المصرية الذين خرجوا من مصر خوفا من أسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفردة المأمورين بدفعها» على العودة، ووعدهم بأن يرد اليهم ما يكون قد صودر من أموالهم وأملاكهم .

واستدرك قائلا أن « هذا اللطف » الذى كرم به أولئك الأشخاص ، ما يحسب الا الى اليوم الأول من شهر برومير (برومير) الآتى (٣) ...

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ، من حوادث شـــهر ربيع الأول ١٢١٥ (أغسطس ١٨٠٠) .

(٢) فى فندمير سنة ٩ (٩ أكتوبر ١٨٠٠) . وقد طبع المنشور ـ كما يفهم منه ـ بالعربية والفرنسية ، ولاشك أن ذلك كان فى طبعتين منفصلتين، وهذه النسخة العربية من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) هو الشهر التالى لشهر فندمير الذى صدر فيه المنشور ، وأوله كان يوافق ٢٣ أكتوبر ، أى أن المهلة التى أشار اليها الأمر مدتها اسبوعان .

وبعد مرور هذه المدة كل من أهالى مصر ما يرجع الى موضعه فيكون ماله وأرزاقه كلها ميريا الى جمهور الفرنساوية » .

* ومن النماذج البارزة فى منشورات سياسة الترغيب والترهيب منشور مطول وجهه منو « الى جملة أهالى بر مصر » ، أى الى سكان مصر جميعاً ، لتنظيم عملية جباية الأموال الحكومية ومنع ما كان يشوبها من استغلال ومغارم (شكل ٥٧ ، ٥٧ أ) (١) . ومن هذه الزاوية انطلق منو يتحدث الى المصريين حديثا طويلا كله من وترغيب ، ومقارنة بين عدالة الحكم الفرنسى وظلم الحكام السابقين .

وهو اذ ينبه الأهالى الى ألا يدفعوا أكثر مما هو مقرر بحكم القانون ، يذكرهم بأن ثمار جهدهم كانت تذهب من قبل ، عسفاً واقتداراً ، الى جيوب الملاك وجباتهم وأتباعهم . ثم يقول : « فيا أهالى بر مصر أنا أوعدكم باسم الجمهور الفرنساوى .. ولا أنا ولا أحدا من الفرنساوية مادام بقالى شعرة فى رأسى لا يتصدوا الى أملاككم فما دام أنتم مؤيدين الرسم الموضوع قانونا .. فأنتم مأذونين بمحافظة (!) مع صفاء خاطركم كلما لكم مقتنى ...» (٢) .

ويلفت نظر المواطنين كذلك الى عدم تقديم هدايا أو « بلص » الى مشايخ البلاد أو المحصلين ومن اليهم ، وينذر كل من يحاول من هؤلاء تحصيل شىء يزيد على ما قرره القانون بأنه سوف يلقى أشد العقاب .

وتمضى عبارات المنشور على هذه الوتيرة ، فى محاولة ملحة من منو ليتألف قلوب المصريين . وهو يؤكد لهم أن واجبه وواجب كل المسئولين من عسكريين وادارين « هو أن يسمعوكم ويعينوكم ويحموكم ويجروا حقكم مدام أنتم سايرين فى خير حالكم .. » . ويقول انه أوصى رجال حكومته بتحرى الحق دون محاباة ، وبألا يطلبوا أو يقبلوا من الأهالى أية هدايا . « وكل من يخالف هذا الأمر فله عذاب عقيب (كذا) » .

---

(١) صدر بتاريخ ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) فى طبعتين ، احداهما عربية فرنسية والثانية فرنسية خالصة . وهاتان النسختان ، اللتان تمثلان الطبعتين ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس . والغريب أنه لم يشر الى هذا المنشور ، على أهميته ، أحد من مؤرخى الحملة ، حتى الجبرتى .

(٢) عبارات هذا المنشور العربية وكيكة . ولذلك حرصنا على ألا نستشهد منها الا بالقليل الذى يمكن فهمه ، ولو بشىء من الجهد أو الشرح . والعبارة الأخيرة فى هذه الفقرة ترجمة للأصل الفرنسى :

« vous serez libres de jouir de tout ce qui vous appartient... »

وأخذ منو يذكر المصريين ببعض أنواع المظالم المالية والابتزاز ، ويمن عليهم بأن حكومته أبطلتها • ثم يتساءل فى سخرية عن مصير الأموال التى أوقفها أجدادهم « طلاب ثراهم » على المساجد لتعميرها وصيانتها ، وعن الأوقاف الخيرية التى خصصوها للفقراء والمساكين ، بينما المساجد متهدمة ، والفقراء « فى كل الجوانب موتى من الجوع والسكك والطرق مليانين منهم •• » •

ويتضمن هذا المنشور فقرة خص فيها منو بالذكر ديوان القاهرة ومهمته • ويلفت النظر فى هذه الفقرة التهديد الصريح الذى وجهه القائد العام الى أعضاء الديوان ، اذا لم يؤدوا واجبهم كما ينبغى • وهذا أمر غريب لم يعهد من قبل فى منشورات بونابرت أو كليبر •

يقول منو فى هذه الفقرة : « يا أهالى بر مصر قد جعلنا •• ديوانا منيفا (١) بمصر القاهرة فهو مركب (مكون) من المشايخ الأبهى والأشهى بالتقوى والحكمة فهم منصوبين لتقوية الدين وطهره ومأمورين بمحاكماتكم • انى أنا ميقن (متيقن) أنهم يجروا وضايفهم (وظائفهم) كما ينبغى بين الناس خوفا من الله ورسوله والا أعلنت لكم واليهم أن كان لم هم ثابتين فى الاستقامة الواجبة لهم وان كان هم ناقصين من وجوب وضايفهم فلابد لهم منا من أعقب العذاب (كذا) » •

وختم منو هذا المنشور بعبارة وجه فيها انذارا قاسى اللهجة وتهديدا بأشد أنواع الانتقام الى كل من يناهض الحكم الفرنسى أو يعارضه • وتقول عبارات الفقرة الركيكة : « ولكن أخبركم أيضا ان كان أنتم غير صادقين لجمهور الفرنساوية وان كان أيضا أنتم منصتين لنصيحة الأشرار وتقوموا علينا بالضد والمخالفة ففى الحال انتقامنا قريب ومخوف وعزة الله وحرمة رسوله ان كل ما يوقع من الشرور ما يسقط الا على روسكم فاذكروا ما وقع بمصر القاهرة وببولاق والمحلة الكبرى وساير مدن بر مصر (التى ثارت على الفرنسيين) فان دماء آبايكم واخواتكم وأولادكم ونسايكم وأحبابكم قد جرى (كذا) مثل أمواج البحار وبيوتكم اهتدموا وأملاكم

---

(١) فى الأصل الفرنسى « tribunal suprême » ، أى « محكمة عليا » • وتعزز هذه الصفة للديوان ما أضافه منو اليه من اختصاصات قضائية • وقد سبق أن ألقينا الضوء على هذا الاجراء الخطير منذ الحديث عن المنشور الذى أعلن به منو تكوين الديوان فى صورته الجديدة (ص ١٥١ — ١٥٤) • وذلك فى ٢ أكتوبر ١٨٠٠ • أى قبل صدور المنشور الذى نحن بصدده بأقل من شهر •

انتهوا وتلفوا بالنـار .. فليكون دايما هذا الدرس لخيركم وكونوا بعـد اليـوم عاقلين .. » .

واصدر منو بعد ذلك باقل من شهر منشـــورا آخر بالعربيـة والفرنسية (شكل ٥٨) (١) ، ضمنه انذارا الى العصاة ومحركي الفتنة باسلوب جديد . فقد اعلن فيه أنه أمر « بقطع رأس المسمى يوســـف السمان بسبب أنه جهد بتحريك الاختلال بين أهالى مصر القاهرة » .. وكان هذا الناشر قد حرض الناس على ألا يبيعوا الفرنسيين شيئا ، لاعتقاده بقرب عودة العثمانيين .

ومضى المنشور يحذر الأهالى من دعاة العصيان : « واياكم من الناس الطالبين لتحريك الاختلال فهم أعدائكم الذين هم مفتشين على جلبـــكم للعصيان بعد ما هم عارفين يقينا أن انتقام الفرنساوية فى تقدير عصيانكم هو قريب مهيب فيضيعوا أعماركم الوفا الوف .. »

ويمثل هذا الانذار ، وهو لب المنشور ، الجزء الثانى منه . أما الجزء الأول فقد أذاع فيه منو نبأ اعدام ثلاثة من اللصوص قطاع الطرق وأعلن أن « كل من يصير مثلهم بالشر فلابد له من عذاب مثيله » . وقد فعل منو ذلك لأن «دولة الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول بونابارته»عهد اليه بالعمـل على ما فيه راحة الأهالى واطمئنانهم .

ويبدو أن الهدف الاعلامى من هذا الجزء من المنشور مزدوج . فهو يرمى الى مضاعفة التأثير النفسى المطلوب من التخويف فى الجزء الثانى من ناحية ، كما أنه يحاول من ناحية أخرى استرضاء المصريين باظهار منو بمظهر الحارس على أمنهم وراحتهم .

ولم ينس منو ، امعانا فى سياسة الترغيب والترهيب ، أن يوقع المنشور بعبارة « **خالص الفؤاد** .. **منو** » .

* وبعد أسبوعين أصدر منو منشورا هادىء النبرة (شكل ٦٠) (٢) طمأن فيه المصريين وأنذرهم ، وحضهم على الحرث والتعمير وحذرهم من

---

(١) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) . ولم يذكره الجبرتى أو غيره من المؤرخين المعاصرين ، وكذلك لم يشر اليه أحد من المتأخرين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . وللمنشور طبعة أخرى فرنسية خالصة ، عثر الباحث على نسخة منها فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن (شكل ٥٩) .

(٢) صدر بتاريخ ١٥ فريمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) . ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

الوقت نفسه من الشطط أو الانحراف • فجمع بذلك بين طرفى هـــذه السياسة جمعا متجانسا يلفت النظر •

لقد وجه المنشور هذا الخطاب الى « أهالى مصر القاهرة وجميع بر مصر » :

ـ « قلت لكم بمرات عديدة انما أنا لا أعاقب الا الأشرار •• قلت لكم أيضا أنا أعذب بالموت القتالين والحرامية •• » •

ـ « ان الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول •• أمرونى بحسن سياســـة هذه المملكة وأهاليها وذلك بالانصـــاف والعـــدل والمروءة •• فليعيشوا بالاستراحة ورفاهية البال الذين يهتدوا ويتمسكوا بالتقوى •• ولا أحدا منهم يفزع انما يفزع المفســـدون والأشرار والسراف (١) انما نحن ناظرون وتابعون خطواتهم وعارفون بتمشياتهم » •

ـ « انى أدعيكم بتفليح وتحريث أراضيكم •• وإغنوا بالبركة جميع أطيان بر مصر بالهنا والعافية فلا تفزعوا قط •• » •

وعاد منو الى أسلوب الردع بالتهديد مرة أخرى فى منشوره الذى أصدره بمناسبة اعدام أحد قادة الثورة فى اقليم البحيرة ، وهو ســـليمان محمد شيخ بلد (عمدة) قرية سنهور (شكل ٦١) (٢) :

ولكى يبرر منو اجراءه العنيف ضد هذا الثائر اتهمه باللصوصية والقتل : « اعلموا أن سليمان محمد •• قد جعل نفسه بين زمان مديد مذنب بأوحش وأغرب الخطايا سارقا وقاتلا فى كل الطرق والمواضع حتى أنشر (كذا) الخوف والفزع •• » •

ولم ينكر منو مع ذلك أن هذا الرجل كان « منذ سنتين » من الأسباب القوية « لعصيان أهالى مدينة دمنهور ضد الفرنساوية » ، أى عندما رددت الأقاليم صدى ثورة القاهرة الأولى فى بداية عهد الحملة ، (٣) ولكنه صوره

---

(١) فى الأصل الفرنسى :
« les méchants, les voleurs et les perturbateurs du repos public »
أى « المفسدون واللصوص ومعكرو صفو الأمن العام » •

(٢) أشرنا من قبل الى هذا المنشور فى ايجار (ص ١٠٦) ، وقد وجهه منو الى أهالى بر مصر وعصر القاهرة ، بتاريخ ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) • وهـــذه النسخة من قسم المخطوطات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

(٣) كانت منطقة دمنهور وماحولها بالذات من مراكز المقاومة ضد الحكم الفرنسى. وقد أشرنا من قبل الى حركة «المهدى» التى عنى منها الفرنسيون كثيرا هناك عام =

فى صورة الغادر الذى تظاهر بصداقة الفرنسيين ثم انقلب عليهم : « فهو أيضا هنالك إستغرق نفسه فى أسود السيئات فذبح فيها مقدارا كبيرا من الفرنساوية الذين كانوا يظنون أنه محبهم .. » . وعلى ذلك فان « هذا الرجل .. يستحق له القتل من كل بد فلذلك أمرت بضرب عنقه وأنما كل من يفعل بفعله لابد له بمثله » .

ثم وجه انذارا حاسما الى الشعب بأسره : «فيا أهالى بر مصر فليكون هذا الجزا للخاطى سليمان محمد المذكور عبرة لكل من يتبع هذه الطريق الشنيعة .. » .

وعاد مرة أخرى الى تبرير اجرائه القاسى بقوله انه فعل ذلك رغم انه يثير حزنه ، لأن مهمته هى تطبيق شريعه الله العادلة . ثم وقع المنشور بعبارته التوددية المعروفة « خالص الفؤاد ... » .

* ومن محاولات منو الدعائية لاغراء المصريين بالتعاون مع حكامهم الفرنسيين ، أو على الأقل بمسالمتهم ، أشادته بسلوك المصريين الذين يقومون للحكم الفرنسى بخدمات ما ، واعلانه مكافأتهم على صنيعهم . ومثال ذلك المنشور الذى أصدره موجها الى « المشايخ أبو كت وبركت مشايخ جلد قوة القدامى بولاية اطفيحية » (شكل ٦٢) (١) . فى هذا المنشور أعلن منو مكافأة الشيخين المذكورين لانهما قدما العون لثلاثة من الجنود الفرنسيين تحطم قاربهم على شاطىء القرية ، وقاما بحمايتهم من اعتداء الأهالى .

وقد خاطب منو الشيخين فى المنشور قائلا انه فى مقابل ما قاما به من عمل جليل « .... أرسلنا الى كل منكما فروة لاعلام محبتنا لكما وأنعمت عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم التى عليكما أداها بسنة تاريخه .. » . ثم دعا لهمـا بالخير والنعمة وطـول العمر ، ووقع « خالص الفؤاد » .

* وعندما تأزمت أحوال الحملة الفرنسية فى أواخر أيام منو ، وبدأ أعداؤها العثمانيون والانجليز تحركهم لاجلاء الفرنسيين عن مصر ،

= ١٧٩٩ ، والتى ارتكبوا بسببها فظائع عدة . وكانت صنهور بلدة هذا الثائر بالذات مسرحا لمعركة عنيفة بين الثوار والفرنسيين ، فى ٣ مايو ١٧٩٩ (الرافعى ، عوجع صيحق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٠) .

(١) بتاريخ ١٣ فلوز سنة ٩ (٣ يناير ١٨٠١) ، ولا يخفى تحريف الأسماء الواردة به ، ولعل اسم القرية محرف عن « القضايى » بمحافظة بنى سويف حاليا . ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

واخذ الناس على عادتهم يلغطون بما تواتر اليهم من انبـــاء ، تتابعت منشورات القائد العام تحذر المصريين من الفتنة ، وتهددهم بسـوء العواقب . فمن ذلك المنشور الذى وجهه منو محتقا الى « كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروســة مصر (أى القـاهرة) وبمملكة مصر » (شكل ٦٣) (١) .

وفى هذا المنشور نندمنو بمن يذيعون أخبارا كاذبة مضللة مثيرة للخواطر ، وهدد بأن كل من يثبت عليه قيامه باذاعة مثل تلك الأخبار « من أى طايفة وملة كان » ، سوف « يمسك وترمى رقبته بوسـط واحدة طرق مصر » .

ثم وجـه النصح الى المصريين بأن يقروا فى بيـوتهم وينصرفوا الى أعمالهم ، مطمئنين الى حماية السلطات الفرنسية لهم . ونبههم كذلك الى ان هذه السلطات لن تغفل عينها عن مثيرى القلاقل والمتمردين .

وختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير خفى مغلف بالود : «والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة» .

وقد علق الجبرتى على هذا المنشور بقوله : «فعلم النـاس من ذلك الفرمان ورود شىء وحصول شىء على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى» .

* ويبدو أنه بالرغم مما تضمنه هذا المنشور من تهـديد ، وبالرغم من حرص الفرنسيين على تكتم أنباء الحملة الانجليزية العثمانية بوجه عام، فقد ذاعت انباؤها بين المصريين وتحدثوا بها (٢) . ولذا رأى منـو من المناسب أن يصدر منشورا آخر يعترف فيه بحقيقة الموقف ، ويواصل فيه أسلوب التهديد لكل من يحاول اثارة الفتن .

وقد صدر هذا المنشور بالفعل بعد بضعة أيام من المنشور السابق

---

(١) فى ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) . وكان تحرك الانجليز والعثمانيين قد بدأ بالفعل ، بحرا من ساحل الاناضول سوب الاسكندرية ، وبرا عبر بلاد الشـام سوب برزخ السويس . وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور فى حوادث ١٤ شـوال ١٢١٥ ٢٨ فبراير ١٨٠١) ، أى بعد تاريخ تحريره بثلاثة أيام ، ولكنه حرف كثيرا من كلماته . وقدم له مؤرخنا بقوله : «قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان واصلقت منه نسخ فى مفارق الطرق والأسواق» : عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ ـ ٧ .

(٢) ذكر الجبرتى فى هـذا الصدد (المرجع السـابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٨) : «استفيضت الاخبار بوصول مراكب الى أبى قير ...» ، و «.. خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا ...» .

(شكل ٦٤) (١)، وتلى على اعضاء الديوان فى اجتماع خاص(٢) . وقد بداه منو بتأكيد قوة الفرنسيين، وان النصر حليفهم دائما . ثم اعترف بأن «الانجليز اقتربوا من السواحل المصرية ، وقال انهم «ان كانوا يستجروا ويوضعوا رجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال الى اعقابهم فى البحر » . أما العثمانيون فانهم «ان كان يقدموا ففى الحـــال يرتدوا ويبتلعوا فى غمار وعفار البادية » .

وبعد هذا التمهيد النفسى ، الذى قصد به ارهاب المصريين ، ارتفع صوت منو يهددهم بلهجة بالغة العنف : « فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر .. ان كان تسلكوا فى الطريق الخايفين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم .. فحينئذ لا شىء خوف عليـكم ولكن ان كان واحد منكم يسلك للفساد واضلالكم بالعصاوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فاقسمت الله العظيم وبرسوله الكريم ان رأس ذى المفسد ترمى فى ذيك الساعة ..» .

ولم يكتف منو بذلك ، وانمـا أخذ يذكر المصريين ، فى وعيد ، بما أصابهم ، وبخاصة أهالى العاصمة ، من أهوال ومغارم نتيجة ثورة القاهرة الثانية وما تبعها من اضطرابات فى بعض الاقاليم : «فتذكروا كل المواقع حين محاصرة مصر الاخيرة وجرى دماء آباء ونساء وأولادكم فى كامل مملكة مصر وخصوصا بمحروسة مصر وخواصكم (أى أمتعتكم وأملاككم) انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فرداة (أى فرضت عليكم غرامات) قوية غـير المعتـاد » .

ثم ختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير موجز حاسم : «.. فدخلوا (أى فضعوا) فى عقولكم وأذهانكم كلما (كل ما) قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد عن طريق الخير » .

وقد اعقبت تلاوة هذا المنشـــور على الاعضاء مناقشة حامية ممتعة

---

(١) فى ١٤ فنتوز سنة ٩ (يوافق ٥ مارس ١٨٠١) . وقد ذكر الجبرتى نصه مع بعض التحريف (المرجع السابق) . وسبق أن أشرنا فى ايجاز الى هذا المنشـــور عند الحديث عن السياسة الاسلامة (انظر ص ١٠٦) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى ٢٠ شوال ١٢١٥ (٦ مارس ١٨٠١) ، أى فى اليوم التالى لتـاريخ طبع المنشور .

دارت بينهم وبين وكيل الديوان (القوميسير) الفرنسي فوربيه(١) . وحاول الاعضاء في هذه المناقشة مراجعة ممثل السلطة الفرنسية في فكرة الانتقام الجماعي الذي هدد به القائد العام في منشوره . وأخذ العلماء يدللون على وجهة نظرهم بآيات من القرآن الكريم تقرر مبدأ شخصية العقوبة ، مثل «كل نفس بما كسبت رهينة» ، و «ولا تزر وازرة وزر أخرى» .

وحاول فوربيه من ناحيته أن يبرر موقف الفرنسيين بأنه لا مفر من أن تعم العقوبة كما حدث قبلا ، لان «المدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فانها لا تقرأ القرآن» . وأراد أن يؤكد مبدأ المسئولية الجماعية ، فلا يكفي صلاح الفرد أو خلوص نيته ، لان «المصلح من يشمل صلاحه الرعية فان صلاحه في حد ذاته يخصه فقط والثاني أكثر نفعا ..» .

* أقلقت أخبار هذه المناقشة منو . ولعله — كما يقول الرافعي(٢) — «ارتاب في نية أعضاء الديوان» ، فأصدر منشـــورا آخر في عصر اليوم نفسه . وقد حرص وكيل الديوان على أن يبعث به الى الأعضـــاء في بيوتهم فور صدوره (٣) .

وفي هذا المنشور الموجز ، الذي وجهه القائد العام «الى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر» ، أوضح منو انه يلقي عليهم تبعة ماقد يقـــوم به الاهالي من حركات ضـــد الحكم الفرنسي . ونبههم — لأول مـــرة — الى انهـــم « رجال دولة الجمهـــور الفرنساوي » ، كما كرر تذكيرهم بكل « ماوقع حين قصاص مصر الأخير »، ومن ثم فلكي يضمنوا أمنهم وسلامتهم يجب أن يعملوا على «ضبط الخلائق لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها تقع على رءوسكم ..» .

ولا شك أن أعضاء الديوان اضطربوا لذلك الانذار العنيف من قائد

---

(١) سجل الجبرتي هذه المناقشة ، التي يبدو انه اشترك فيها مع زملائه من أعضاء الديوان : الرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٨ — ٩ .

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ — ٤٢ .

(٣) يقول الجبرتي في هذا الصدد : «فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من سارى عسكر الى وكيل الديوان فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الفرتاتي (القاضي بالديوان) فاستدعاه وسلمه اليه والمره ان يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم فيقرءونه وهو مبني على جواب المناقشة المذكورة» . وقد ذكر الجبرتي نص هـــذا « الفرمان » وان كنا لم نعثر على نسخة مطبوعة منه . ويحتمل أن الوقت لم يتسع حينئذ لطبعه في منشور ، واكتفي بنسخ عدة صور منه . (الرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٩) .

الحملة • فقد ألقى على عاتقهم ــ كما يقول الرافعي(١) ــ تبعة رهيبة «لانهم اذا ضمنوا أنفسهم فمن أين لهم أن يضمنوا سلوك الجماهير ؟ »

على أية حال ، لقد أحدث الانذار أثره ، واحتى العلماء وعوسهم للعاصفة • ويذكر الجبرتي ــ دون ما تعليق(٢) ــ انه في اليوم التالي «اجتمع المشايخ ببيت النسيخ عبد الله الشرقاوي (رئيس الديوان) وحضر الاغا (المحافظ) والوالي (رئيس الشرطة) والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الاخطاط ونصحوهم وانذروهم وامروهم بضبط من هو دونهم وانهم لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وانهم هم المأخوذون بذلك كما ان من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقل يشتغل بما يعنيه •• » •

* وكان آخر منشورات الوعد والوعيد التي صدرت في عهد منو ذلك المنشور الذي وجهه الجنرال بليار نائب القائد العام الى «كافة أهل مصر المحروسة» (شكل ٦٥)(٣) •

والغريب ان عهد الحملة الفرنسية كان في تلك الايام يلفظ أنفاسه الاخيرة • ومع ذلك فان بليار تمسك في صلافة بالموقف التقليدي لقواد الحملة ، الذي يقوم على التودد الى المصريين بمعسول الكلام ، وتهديدهم في الوقت نفسه بأقسى العبارات •

ويبدأ بليار منشوره بالتعبير عن ارتياحه لحسن سلوك المصريين : «• فانا مسرور منكم لشغلكم بأسبابكم وعدم تداخلكم فيما لايخصكم •• » ثم يمن عليهم بقوله: «وقد جربتم جميعا شفقتي عليكم وعدلي في أغتنايكم وفقرايكم وأعيانكم وصغاركم فيجب عليكم أنكم تشكروا الله وتشكروني على علو همتي وحسن سنيعي معكم فانه لم ينقص عليكم شيء من مونتكم ولم أتأخر عن معونتكم في تحصيل جميع ما تحتاجون اليه من أصناف الاقوات واللوازم والمهمات •• » •

وشيئا فشيئا تتداخل مع هذه النغمة الرقيقة نغمة أخرى غليظة ، تبدأ بهمهمة خافتة : « انتم تجهلون الحروب .والى اليوم ما رأيتم شيئا من خرابها فأوصيكم كما يوصي الاب أولاده •• ان لا تخرجوا عن طريق

---

(١) المرجع السابق ذكره •

(٢) المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ٤٩ •

(٣) صدر في أواخر مارس ١٨٠١ • وقد سبق أن اشرنا الى مافضمنه هذا المنشور من عبارات تتصل بالسياسة الاسلامية في أعلام الحملة (أنظر ص ١٠٧) •

الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم .. واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فيذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة » .

ثم لا تلبث نغمة التهـــديد أن تعلو لتصبح زمجرة فزئيرا هادرا : «.. وان صادف أن جيش الاعدا تقارب من أسوار البلد فان حرك أحدا (كذا) منكم الفتنة وزينت له نفسه الانقياد أو اجتمع أهل خط أو حارة على ذلك وأعلنوا بقيام الفتن وتحريك الشرور .. فلا بد من ايقاع القصاص الزايد فاعيالهم (كذا) وأولادهم وأموالهم.. يكونوا للسيف والنهب والنار وجميع القلع (القلاع) الذين (كذا) بدايرالبلد تمطر عليهم جللا وقنابر.. على الخط الذى يخرج عن الطاعة وتظهر منه الفتنة فتفكروا المشقة والخراب الذى حصل لكم سابقا وكيف حل ببولاق والقرى الذين عادوا الجمهور(١) ويلزم ايضا أن تتيقنوا أن فتنتكم لاتربحوا بها شيا غير التعب والمشقة والخراب الذى ينزل بكم من جميع النواحى ويكون أكثر مما رأيتم ..»

وتهـدأ النغمة شيئا لتعـــود زمجرة غليظة تردد انذارا فى شكل نصيحة : «فاسلكوا طريق العقـلاء وتدبروا عواقب الامور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم .. » .

---

(١) يقصد الذين عادوا حكومة الحملة التى تمثل الجمهورية الفرنسية . وهو يشير بذلك الى ثورة القاهرة الثانية التى تابعتها فيها بعض الأقاليم ، والتى قمعها كليبر بكل قسوة وعنف . وكان نصيب حى بولاق بالذات من التدمير بالغا .

الفصل الرابع

المنشورات الدعائية بين الحملة وأعدائها

اتسعت دائرة النشاط الدعائي للمنشورات ، اذ تجاوز حدود العلاقة بين الحكام الفرنسيين وجماهير المصريين ، ودخلت فيه ـ بحكم الظروف ـ أطراف أخرى ٠

ولقد لمسنا من قبل طرفا من مظاهر هذا الاتساع ، عندما تحدثنا عن الكتب التى تبادلها بونابرت مع بعض الحكام المسلمين ، وأذاع نصوصها على المصريين فى عدد من المنشورات ٠

وكان ذلك فى المقام الاول جزءا من سياسة بونابرت الاسلامية ، التى استهدف من ورائها تثبيت دعائم الحكم الفرنسى الجديد فى مصر، عن طريق استرضاء الاغلبية العظمى من أبناء البلاد ٠ وقد ابتغى بونابرت من وراء هذا النشاط كذلك تحقيق بعض أغراض اقتصادية كتبادل التجارة ٠

وغنى عن القول انه لم يكن لهذا النشاط «الاسلامى» أى أثر سياسى موات يعتد به بالنسبة للحملة وتطلعات قادتها ، وبخاصة لدى السلطان العثمانى ، خليفة المسلمين ، الذى كان ممن كتب اليهم بونابرت ، فضلا عن الاشارة اليه فى كثير من المنشورات التى أصدرها للمصريين ٠

غير انه كان لنشاط الحملة الدعائى فى عهد بونابرت بالذات مجال آخر أوجدته ظروف مختلفة ، وان اتصلت أوثق اتصـــال بكيان الحملة وسياستها العامة .

لقد أعد بونابرت عدته لغزو ســـوريا . وتلخص أهـداف حملته السورية ــ كما بينها فى رســـالة منه الى حكومة الادارة قبيل رحيله من القاهرة (١) ، فى ثلاث نقاط هى : دعم نظامه فى مصر بتأمينها من أى غزو محتمل تقوم به جيوش الأعداء من الشرق ، وارغام الباب العالىعلى توضيح موقفه من الحملة فى المفـــاوضات المرتقبة بينه وبين فرنسا ، ثم حرمان الاسطول الانجليزى الذى كان يجوب البـحر المتوسط من قواعد تموينه فى سوريا .

وكان أعداء بونابرت الذين يود كسر شـــوكتهم فى ســـوريا هم المماليك الفارين من مصر بقيادة ابراهيم بك ، وقوات العثمانيين تحت امرة أحمد باشا (الجزار) والى صيدا وعكا ، فضلا عن الانجليز الذين يتحالفون مع العثمانيين ويساعدونهم من البحر .

وقد سبق نشاط بونابرت الدعائى فى سوريا نشـــاطه العسكرى بعدة شهور ، اذ انه بدأ فى أوائل عهد الحملة بمصر ، حتى قبل أن يكتب الى الشريف غالب بمكة وتبو صاحب بالهند وغيرهما من حكام المسلمين . فقد بعث الى أحمد باشا الجزار ــ ولما يمض على استقرار الحملة بالقاهرة شـــهر واحد ــ برســـالة عثرنا على نصهـا الفرنسى مطبوعا فى منشور (شكل ٦٦) (٢) . وأغلب الظن أنه كانت لهذا المنشور طبعة عربية لم نعثـر عليهـا .

ردد بونابرت فى هذه الرسالة ما سبق أن أعلن مثله أكثر من مرة فى منشوراته الدعائية للمصريين . فقد قال ، محاولا التودد الى الباشا ، الذى قدر له أن تتسبب مقاومته العنيفة فى هزيمة القـــائد الفرنسى أمام عكا بعد شهور : «انني عندما قدمت الى مصر لمحاربة البكوات المماليك ، انما فعلت ما يتفق تماما ومصالحك ، لانهم كانوا يعادونك ، انني لم أحضر لأحارب المسلمين مطلقا ، فينبغى أن تعلم انني عندما نزلت بمالطة ، كان

---

(١) بتاريخ ١٠ فبراير ١٧٩٩ . انظر : مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ٣٩٥٢ . ٣٩٥٢ .

(٢) بتاريخ ٥ فروكتيدور سنة ٦ (يوافق ٢٢ أغسطس ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

اهتمامى الأول موجها الى اطلاق سراح الفين من الاتراك(١) الذين ارهقهم ذل الأسر سنوات عديدة • وعندما وصلت الى مصر أشعت الطمأنينة بين الناس، وظللت بحمايتى رجال الدين والمساجد . هذا ولم يقدر لحجاج مكة (الذين يخرجون من مصر أو يمرون بها) أن ينعمـــوا من قبل بمثل ما اتحت لهم من رعاية وحدب ، كما انني احتفلت بمـــولد النبى احتفالا لم يسبق له نظير فى عظمته •• »

ثم قال بونابرت للجزار انه يبعث له بهذه الرسالة مع أحد ضباطه لتعبر له «بصوت قوى» عن رغبته فى أن تقوم العلاقات بينهما على اساس من الوفاق والمودة •• الخ •

والراجح أن الرسالة التى تضمنها هذا المنشور هى التى أشار اليها الجبرتى فى حوادث شهر ربيع الاول ١٢١٣ بقوله : « ••• حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا وذلك عند «استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام •• ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير (السفن) ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا وأمره بالرجوع من حيث أتى.» (٢) •

وتكشف رواية الجبرتي عن بوادر الموقف العدائى الذى اعتزم الجزار أن يقفه من قائد الحملة الفرنسية •

وعندما بدأ بونابرت زحفه على سوريا « •• أخذ معه المديرين (أى الموظفين الاداريين)وأصحاب المشورة والمترجمين وارباب الصنائع..»(٣). ولا شك أنه كان ضمن المعدات التى حملها معه بونابرت الى سوريا وحدة طباعية كاملة ، وان لم يرد ذكر ذلك صراحة فى المراجع • فقد أصدر فى أثناء هذه الحملة عدة منشورات أشارت اليهـــا المراجع واثبتت نصوص بعضها ، وان لم نستطع أن نعثر الا على النزر اليسير منها • هذا فضلا عن

---

(١) يقصد «المسلمين» بوجه عام ، لان هذا العدد كان يتكون من ٦٠٠ من الاتراك و ١٤٠٠ من المغاربة •

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٥ ــ ١٦ • وقد كان مبعوث بونابرت هو الضابط بوفوازان (Beauvoisins) الذى وصل الى القاهرة عائدا من مهمته الفاشلة بعد أن رده الجزار ردا غير كريم فى ١١ ســبتمبر (يوافق ٣٠ ربيع الأول) • أنظر : محمد فؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ، ص ١٩١ ــ ١٩٢

Lacroix, op. cit., pp. 166-67.

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٥ • •

عشرات الاوامر اليومية التي حفلت بذكرها مصـــادر الحملة التاريخية والعسكرية على السواء (١) . والراجح ان فانتور كبير مترجمي الحملة ـ الذى صحب قائدها فى الحرب السورية ومات أمام عكا ـ كان يعمل هناك فى ترجمة المنشورات الى العربية ، بحكم خبرته الســـابقة فى مثل هذا العمل بمصر .

لقد أثبت الجبرتى نص أول منشـــور عربى أصدره الفرنسيون فى بداية الحملة السورية ، بعد احتلال العريش (٢) . وقد وجه بونابرت الخطاب فى هذا المنشور الى «حضرة المفتين والعلمـــاء وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا» . وأكد لهم انه حضر «فى هـــذا الطرف لقصـــد طرد المماليك وعسكر الجزار» عنهم .

ثم صور الجزار فى صورة الباديء بالعدوان الذى يستحق الردع: « الى أى سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه والى اى سبب أيضا أرسل عساكره الى قلعة العريش بدلك هجم على أراضى مصر فلاشك كان مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحـــاربه » .

وأراد أن يطمئن الأهالى وينالف قلوبهم ، فقال : « فاما انتم يا أهالى الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فانتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الامان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا ان القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه » .

وعاد الى الضرب على وتر المشاعر الدينية قائلا : « وعلى الخصوص ان دين الاســـلام لم يزل معتزا ومعتبرا والجوامع عامرة بالصـــلاة وزيارة المؤمنين » .

ثم ألقى اليهم بوعده ووعيده فقال : «ان كل خير يأتى من الله تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم ان جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لان كل ما نضع به يدنا لا بد عن تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظـاهر بالغـــدر يهلك ومن كل

---

(١) انظر مثلا المجلد الرابع من :
La Jonquière, C. De, *L'Expédition d'Egypte*, Paris, 1899-1907.

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٧ .

ما حصل تفهمون جيدا اننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين » ٠

وبعد الاستيلاء على يافا بيومين(١) أصدر بونابرت عدة منشورات :

ـ منشور موجه الى «شيوخ وعلماء وأهالى غزة والرملة ويافا» يطلب منهم فيه أن «يلزموا بيوتهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة» ، ويتعهد لهم بانه يضمن سلامة الجميع وأمنهم ، «وســـوف يكون الدين بوجه خاص موضع الحماية والاحترام ٠٠ لان جميع الطيبات من عند الله وهو الذى يمنح النصر لمن يشاء(٢) » ٠

ـ منشـــور موجه الى الجزار يدعوه فيه الى ترك القتـــال ومسالمة الفرنسيين والتحالف معهم ضد المماليك والانجليز ٠ ثم يقول لهم فى لهجة ذات مغزى : « مادام الله تعالى هو الذى يمنحنى النصر فانى أود أن أتبع مثاله الكريم فأكون رحيما لا بالاهالى وحدهم وانما بحكامهم أيضا»(٣) ٠

ـ منشور موجه الى شيوخ وعلماء ورؤساء مدينة القدس عثرنا على نسخته الفرنسية (شكل ٦٧)(٤) ٠ وقد بدأه ، بعد البسملة ، بأن أكد لهم فى ايجاز : انه قد دمر المـــاليك وقوات الجزار واجـــلاهم عن غزة والرملة ويافا ، وانه لا يعتزم مطلقـــا أن يحـــارب الاهالى ، وانه صديق للمسلمين ٠ ثم قال فى انذار حاسم ان أمام سكان القدس أن يختاروا بين السلم والحرب ٠ فان اختاروا الاولى ، فعليهم أن يبعثوا الى معسكره فى يافا بمندوبين عنهم يتعهدون بعدم القيـــام ضده ٠ وان كانوا من الحمق بحيث اختاروا الثانية ، فانه سوف يذيقهم طعمها ! ويجب أن يعرفوا انه مخيف كالنار لمن يعاديه ، ولكنه رءوف رحيم بمن يواليه ٠٠ الخ ٠

وفى أثناء الحصار الطويل الشـــاق لمدينة عكا اســـتخدم بونابرت سلاحه الدعائى ، مع ما استخدم من أسلحة حربية ٠ فبعث بعدة رسائل الى زعماء بعض المناطق السورية المجاورة ، يحاول بهـــا استمالتهم اليه ٠ وأغلب الظن انه طبع هذه الرسائل فى منشورات ، كما فعـــل بمثلها من قبل ٠ ومن هؤلاء الزعماء بشير الشهابى أمير جبل لبنان وعباس بن الشيخ ظاهر العمر فى صـــفد (٥) ٠

---

(١) فى ٩ مايو ١٧٩٩ (١٩ فنتوز سنة ٧) ٠

(٢) **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٢ ٠

(٣) **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٦ ٠

(٤) من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٥) وردت الأصول الفرنسية لهذه الرسائل فى : **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، الوثائق ٤٠٤٤ ، ٤٠٤٧ ، ٤٠٩٦ ٠

ومن نماذج المنشورات الخـــاصة بجنود الحملة السورية المنشور الذى أصدره بونابرت بتاريخ ١٧ مايو ١٧٩٩ ، بعد أن قرر الانسحاب من أمام عكا ، نتيجة لمقاومتها الشديدة وللخسائر الكبيرة التى منى بها جيشه من القتال والمرض (١) . لقد أشاد القائد فى هذا المنشور بجنوده منوها بأنهم عبروا «الصحراء التى تفصل أفريقيا عن آسيا بسرعة تفوق سرعة أى جيش عربى» ، وبأنهم قضوا «على الجيش الذى كان يستعد للزحف على مصر» ؛ وشتتوا « الجحافل التى تجمعت .. أسفل جبل طابور (٢) .. طمعا فى سلب مصر ونهبها » .

ثم بدأ يمهد لاعلان قراره بالانسحاب ، فزعم للجنـــود أن السفن التركية الثلاثين التى شاهدوها راسية فى مياه عكا انما «كانت تقل جيشا لحصار الاسكندرية . ولكن بما أن هذا الجيش اضـــطر للتوجه الى عكا لمساعدتها فى مقاومة الحصار ، فقد انتهى أمره بها» .

وأخطرهم بونابرت بعد ذلك بأن الجيش سيعود الى مصر « بعد أن وطدنا أقدامنا فى قلب سوريا طيلة ثلاثة أشـهر وغنمنا .. وأسرنا .. وهدمنا حصون غزة ويافا وحيفا وعكا .. » . وبرر قرار الانسحاب بأنه اضطر الى اتخاذه لتوقعه محاولة انزال قوات معـــادية الى مصر فى ذلك الوقت من العام . وأضاف أنه كان من الممكن الاســـتيلاء على عكا وأسر الجزار باشا ، ولكنه يحتاج الى الرجال البواســـل الذين من المحتمل أن يخسرهم ، ويحتاج كذلك الى الوقت الذى يمكن أن ينفق فى هـــذا السبيل ، حتى ولو كان أياما قليلة .

ومن الواضح ان بونابرت كان يغالط . فلم تهدم حصون عكا ، ولم يقض على الجيش التركى . وكذلك لم تكن القوات التى اقلتها السفن الثلاثون متجهة الى الاسكندرية ، وانما كانت تقصد عكا ، وقد نزلت فيها بمساعدة السير سيدنى سميث لتدعيم المقاومة ، وكانت من العـــوامل الحاسمة فى فشل الحصار الفرنسى للمدينة .

وبينما كان بونابرت يستخدم أمام عكا مع أسلحته الحربية ســـلاح دعايته ، فيصدر المنشورات التى تتضمن تارة رسائله الى زعماء سوريا ،

---

(١) النص الفرنسى للمنشور فى La Jonquière, op. cit., p. 530.
Lacroix, op. cit., pp. 334-5.

(٢) قرب عكا . وقد دارت فى سفح هذا الجبل يوم ١٦ ابريل ١٧٩٩ معركة كبيرة بين جزء من جيش الحملة بقيادة كليبر وبين قوات تفوقه عددا بقيادة الجزار ، وكان لتدخل بونابرت بنفسه فى اللحظة المناسبة أثره الحاسم فى انتصار الفرنسيين .

وتارة أخرى ببياناته الى جنود جيشه ، ويبعث في الوقت نفسه برسائله الى القاهرة ليصدرها الديوان في منشورات الى المصريين ، تشط أعداؤه الى محاربته بهذا السلاح نفسه .

لقد وجد السير سيدني سميث ، وهو يرى معنوية الجنود الفرنسية تهبط بشكل محسوس ، ان الفرصة سانحة ليشن عليهم حربا نفسية . ففي الأيام الأخيرة للحصار المرير انهالت على الخنادق خارج اسوار المدينة أعداد ضخمة من منشور مطبوع بالفرنسية في المطبعة السلطانية بالآستانة . (١) كان المنشور صادرا عن الصدر الأعظم ، وموجها الى قواد جيش الحملة وضباطها وجنودها ، ويحمل خاتم الديوان السلطاني . ولكن كاتبه — كما يرجح المؤرخون — هو السير سيدني سميث نفسه .

استهدف المنشور ان يثير غضب الجنود على حكومتهم ، ويقنعهم بأنهم كانوا ضحية مؤامرة للتخلص منهم : « هل تشكون في ان حكومة الادارة عندما ارسلتكم الى بلد بعيد كهذا انما كان هدفها الوحيد هو نفيكم من فرنسا .. والقاءكم الى التهلكة ؟ »

ومضى المنشور يحاول تأكيد هذا الادعاء ، فقال للجنود : « اذا كنتم قد نزلتم أرض مصر وأنتم لاتعلمون شيئا عن وجهتكم ، واذا كنتم قد استخدمتم أداة لنقض معاهدة .... افلا يكون هذا خيانة وتمردا من جانب حكامكم ؟ بلى ، ان ذلك حق لا مرية فيه » .

واتجهت عبارات المنشور بعد ذلك الى تخويف الجنود ، ودعوتهم الى التسليم اذا كانوا يؤثرون العافية ، مع اغرائهم بضمان سلامتهم وأمنهم : « ان مصر يجب ان تحرر من هذا الغزو الوحشي . وهناك في هذه اللحظات جيش كبير وأسطول ضخم في طريقه اليها . فعلى الذين يرغبون منكم في اجتناب هذا الخطر الداهم الذي يتهددهم ، ايا كانت رتبهم ، أن يبادروا فورا بابداء هذه الرغبة لقواد جيش الحلفاء وقوادهم البحرية . وسوف نضمن لهم سلامة السفر الى أي مكان يريدون ..

---

(١) نص المنشور في :
La Jonquière, op. cit., pp. 527-8.
وتاريخ تحرير المنشور هو ١١ رمضان ١٢١٣ (١٥ فبراير ١٧٩٩) . أما تاريخ طبعه فهو ٣ ذو القعدة (٨ ابريل) . وقد ذيله سيدني سميث بعبارة «أقر ، أنا الموقع على هذا بوصفي الوزير المفوض لجلالة ملك انجلترا لدى الباب العالي وفائد الاسطول المشترك حاليا أمام عكا ، بصحة هذا المنشور ، وأضمن تنفيذ ما يعرضه» . وتاريخ هذا التذييل هو ٨ مايو ١٧٩٩ .

وليسارع هؤلاء بالافادة من هذا الموقف الكريم للباب العالى ، وباغتنام هذه الفرصة المواتية للنجاة من الهوة الرهيبة التى دفعوا اليها دفعا » .

وتجمع مراجع الحملة على ان منشور الصدر الأعظم لم يحدث اثره المرجو . ومع ان السير سيدنى أكد ان الجنود الفرنسيين كانوا يتخاطفون نسخ المنشور ويقرونها باهتمام ، فانه لم يقل لنا ان واحدا منهم القى سلاحه واستسلم . (١) ولعل ذلك راجع — كما يقول المؤرخون — الى المبالغة فى عبارات المنشور ، وعدم القدرة على فهم نفسية جنود الحملة كما ينبغى . وقد يكون من أسباب ذلك أيضا قوة سيطرة بونابرت على جيشه ، واجراءاته المتشددة لقمع اية بادرة للفتنة بين قواته .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى أو الوحيدة التى استخدم فيها أعداء الحملة هذا السلاح الدعائى ضدها . فقد حدث قبل ذلك وبعده أن تعرضت الحملة فى مصر لعدة هجمات دعائية مضادة ، كان سلاحها هو المنشورات المطبوعة ، التى وجهت الى المصريين غالبا والى غيرهم احيانا .

كان المماليك هم أول اعداء الحملة الذين اقتبسوا سلاحها الدعائى لمحاربتها به ، وكان ذلك رد فعل منطقيا ومعقولا . فقد قضت الحملة على سلطان المماليك فى مصر ، كما ان منشوراتها الى المصريين كانت لاتفتأ تهاجم المماليك وتطعن فى حكمهم ، منذ المنشور الأول المعروف الذى أصدره بونابرت وهو يتأهب لدخول مصر . وقد تحالف العثمانيون فى هذا المجال مع المماليك ، فمصر أعز أجزاء امبراطوريتهم ، وقد انتزعها الفرنسيون منهم بعد ما يقرب من ثلاثة قرون (٢) . وبالرغم من أن حكم المماليك لم يترك للعثمانيين فى مصر سوى السيادة الاسمية وبعض مظاهر السلطان . وبالرغم من ان قيادة الحملة حرصت فى منشوراتها الأولى على تجنب المساس بحقوق السيادة العثمانية على مصر ، وكذلك على تأكيد صداقة العثمانيين للباب العالى — كما سبق بيانه — ، فقد كان من الطبيعى أن يقوم ذلك التحالف بين المماليك والعثمانيين ضد الحملة الفرنسية .

ومع أننا لم نعثر على منشور واحد من منشورات حرب الدعاية المضادة التى شنتها جبهة المماليك والعثمانيين على الحكم الفرنسى بمصر ، فان منشورات الحملة نفسها تحفل بالاشارات الصريحة الى صدور تلك

---

(١) انظر : Hérold, op. cit., pp. 299-300.

(٢) كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ .

المنشورات المضادة . هذا فضلا عن أن معظم مراجع الحملة قداشارت الى ذلك ، بل ان بعض المؤرخين أثبت نصوص عدد منها • وقد لاحظنا كيف ان منشورات السلطات الفرنسية كثيرا ما كانت تتضمن تكذيب ما يدعيه أعداؤها ، وتندد ـ ردا عليه ـ بمساوىء الحكم السابق على عهد الحملة ، وتنوه بجهود الفرنسيين لازالة تلك المساوىء •

والراجح ان اختفاء تلك المنشورات ، رغم ما ثبت من صدورها ، انما يعود من ناحية الى سرية تداولها ومسارعة الناس الى التخلص منها اجتنابا لعنت السلطات الفرنسية ، ومن ناحية اخرى الى تعقب هذه السلطات للمنشورات المعادية بالمصادرة والاعدام •

لقد سبق أن أشرنا ، عند الحديث عن « السياسة الوطنية » و « سياسة الترغيب والترهيب » لقواد الحملة الى ما تضمنته بعض منشوراتهم من ذكر لوجود دعاية مضادة من جانب المماليك والعثمانيين • وكذلك تعرضنا لما صحب هذا من انذارات شديدة اللهجة للمصريين ، اذا هم أصغوا لتلك الدعاية (١) •

والواقع ان عددا من منشورات الحملة التي صدرت قبل أن يزحف بونابرت على سوريا ، قد أثبت بوضوح وصول المنشورات المضادة الى أيدى المصريين ، وحدد مصادرها ، فنجد مثلا ان المنشور الثاني الذى صدر على لسان العلماء لتحذير المصريين من الفتن بعد ثورة القاهرة الأولى ، بعنوان «صورة نصيحة ..» (٢) ، يبدأ بهذه العبارة : «نخبركم ياأهل المدائن والامصار من المومنين وباسكان الأرياف من العربان والفلاحين أن أبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك ارسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سايرالاقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات رادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرايه بالكذب والبهتان» ثم يعقب على ذلك بقوله : « .. ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهارا مع اغاوات (كذا) معينين .. »

وجاء في المنشور الخطى الذى اصدره منو الى أهالى « رشيد وسكندرية والبحيرة» فى الوقت نفسه تقريبا (٣) انه ينبغى أن يكون الناس على حذر من اتباع « الذين يسمونهم الفرنساوية (أى المنشورات)

---

(١) انظر مثلا الصفحات ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ من هذا البحث .

(٢) صدر حسب ما ذكر الجبرتى ـ فى ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ . انظر ص ٩٤

(٣) صدر أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . ص ١٥٨ .

الباطلة .. ويبصنعوهم باسم حضرة محبنا مولانا السلطان دام بقاه أو باسم أحمد باشا الجزار أو باسم ابراهيم بيك وكلهم فرمانات كاذبة » .. واختتم بقوله ان « صارى عسكر الناحية قصده منع الناس من تصديقم **الفرمانات الباطلة** الذى (كذا) بتورد وعدم خديعة أصحاب العقول الخفيفة ومنع ما يحصل لهم من العقوبة فأمر ان جميع أرباب الأحكام ومشايخ البلاد يقبضوا على كلمن (كل من) أتا (كذا) ومعـه **فرمان كاذب** ويرسلوهم مع من يحتفظ بهم الى حضرة سارى عسكر برشيد » ..

وأكد الجبرتى ورود بعض المنشورات المعادية للحملة فى ذلـك الوقت بالذات ، فقال (١) انه « حضر هجان من ناحية الشـام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة (٢) ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشـا الى كتخدائه مصطفى بيك ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهـاد ولعن طائفة الأفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسـدة وكذبهـم وتجهيلهم وكذلك بقيـة المكاتبات بمعنى ذلك .. » .

وأثبت لاكروا من ناحيـة أخـرى ترجمـة فرنسـية لأحـد تلك المنشورات (٣) . وقال انه بالرغم من يقظة سلطات الحملة فقد تسربت نسخ كثيرة من هذا المطبوع الى مصر . والمنشور طويل ملىء بالطعن فى سياسة الفرنسيين ومهاجمة عقائدهم . بل انه يهاجم مبـادىء الثورة الفرنسـية ذاتها ، مما جعل لاكروا يعلق عليه بأن كاتبه لابد أن يكون أوربيـا . ويدعو المنشـور المصريين الى مقاومة الفرنسيين « الكفرة » ، مؤكدا أن جيوش السلطان « ستقتلع جذورهم من مصر » .

وامتد النشـاط الدعائى لأعداء الحملة فى تلك الايام الحافلة الى خارج مصر . فعندما أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة ، بعد شهرين من ثورتها الأولى ، مهد به لاعلان اعادة تكوين ديوان القاهرة(٤)،

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢٨ . من حوادث ٢٤ جمادى الاول ١٢١٣ (يوافق ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨)

(٢) تحريف لكلمة «طغراء» أو «طغرى» ، وهى علامة ترسـم على المنشـورات والمسكوكات السلطانية وما اليها ، وتتضمن نعوت الحاكم والقابه . وتعنى هنا شعار السلطان العثمانى . واللفظ دخيل على العربيه .

(٣) Lacroix, op. cit., pp. 244-7.

(٤) انظر ص ٦٨ — ٩ ، ١١٤ — ١ .

اتخذ بعض اعدائه من هذا المنشور مادة للدعاية مضادة فى ايطاليا . فقد التقطه الوطنيون الايطاليون الذين كانوا يكافحون الحكم الفرنسى لاجزاء من بلادهم وقتذاك ، بطريقة ما ، وترجموه الى الايطالية ، وطبعوه — للتشهير — مع مقدمة نددوا فيها بسياسة بونابرت فى مصر . وللوا على ذلك بما ورد فى صدر المنشور العربى من عبارات وصفوا مضمونها بالغش والخداع والدجل . وقالوا انها تفصح عن الطبيعة الشيطانية الكافرة للأمة الفرنسية ولبونابرت (شكل ٦٨) (١) .

ولم يكف أعداء الحملة بعد الحرب السورية ، وبعد عودة بونابرت الى فرنسا ، عن مناوءتها ومهاجمة حكمها بوساطة المنشورات . وقد سجل الجبرتى واقعة باذاعة منشور معاد بالفرنسية فى أيام منو (٢) . فذكر انه فى ليلة التاسع من رمضان ١٢١٥ (يوافق ٢٣ يناير ١٨٠١) «حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية» وخلاصتها أن محمودا هذا كان عينا للعثمانيين فى مصر ، « فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سرا فلما قدموا الى مصر فى السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح (يقصد نقض اتفاقية العريش مع كليبر) ورجوع الوزير ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا .. فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنساوية وتجسس عيونهم .. فلما كان فى التاريخ (المذكور) ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية فوزع اثنتين وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك الا ليلا فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار فى حائط ذلك المكان .. ففعل وتلكأ فى الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم .. » .

وأيا ما كان من أثر هذه الدعاية المضادة فى اضعاف مركز الحملة الفرنسية فى مصر ، سواء أكانت موجهة الى المصريين أم الى جنود الحملة

---

(١) صدر هذا المنشور الفريد فى روما . وجاء فى صفحة العنوان التى سبقت النص المترجم : «منشور من الجنرال بونابرت الى سكان القاهرة الكبرى ،فى ٢١ يناير ١٧٩٩ (أى بعد صدور المنشور الاصلى بشهر) مترجم عن العربية بقلم احد المواطنين الرومى» . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٤ — ٥ .

ام الى غيرهم ، فالذى يعنينا قبل غيره فى موضوع بحثنا هو تسجيل هذه الظاهرة : لقد ادخل الفرنسيون مع حملتهم الى مصر وسيلة اعلام لم تعرفها البلاد من قبل ، وكان استخدامها فى مختلف الأغراض جزءا اساسيا من سياستهم • وسرعان ما التقط اعداؤهم هذه الوسيلة وحاربوهم بها فى مجال الدعاية •

الباب الخامس

الدور الإعلامي البحت (الإخباري) للمنشورات العربية

لم تقتصر مهمة المنشورات العربية على الدعاية . ايا كانت دوافعها واتجاهاتها ، ومهما اختلف أسلوبها ومنهجها أو موقف قائد الحملة منها . وانما ادت هذه المنشورات دورها الاعلامي البحت ، اى الاخبارى ، مثل أية صحيفة عامة ، أو وسيلة اتصال جماهيرى أخرى .

ولقد تفاوت نصيب المادة الأخبارية من محتوى المنشورات تفاوتا كبيرا . ففى بعض المنشورات كانت المادة الدعائية تختلط بالمادة الأخبارية اختلاطا يبرز من خلاله الخبر أحيانا فى وضوح ، وتطغى عليه الدعاية أحيانا فلا يكاد يبين .

ومن ناحية أخرى كانت بعض المنشورات تخصص للمادة الأخبارية ، ولكن هذه أيضا لم تكن تخلو بين حين وآخر من دعاية ظاهرة أو خفية .

وقد تعددت هذه المنشورات وتنوعت موضوعاتها ، فكانت بذلك وثائق معاصرة سجلت كثيرا من وجوه الحياة والنشاط الحكومى فى مصر أيام الحملة .

ومن ابرز نماذج المنشورات التى اختلط فيها الاعلام بالدعاية ، مع تميز كل منهما ، فى عهد بونابرت ، المنشور الذى اصدره بعد شهرين من ثورة القاهرة الأولى ، وأعلن فيه اعادة تشكيل ديوان القاهرة من مجلسين ، عمومى وخصوصى .

ان الجزء الأول من هذا المنشور — كما رأينا — دعائى بحت . كان قد صدر به وحده منشور مستقل . وهو يمثل نحو ثلث حجمه . أما الجزء الثانى فاعلامى بحت يتضمن النص الكامل لأمر القائد العام بانشاء الديوان الجديد . ويتكون هذا الأمر من ثمانى مواد ، تحدد أولاها أسماء أعضاء الديوان العمومى الستين .

ويمكن القول هنا بوجه عام أن كل المنشورات التى تضمنت قرارات القائد العام بانشاء المنظمات التشريعية والقضائية فى القاهرة والاقاليم ،

والتى تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية « التمصيرية » ، هى فى حد ذاتها اعلام للجماهير بقيام تلك المنظمات ٠

وقد لا يكون الفصل بين الدعاية والاعلام يسيرا في بعض المنشورات، وانما يمتزجان وتتداخل عباراتهما ٠ ومثال ذلك أول منشور صدر على لسان العلماء أعضاء « الديوان الخصوصى » بعـــد تكوينه ، ووقعه عنهم الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان والشيخ المهدى كاتم سره ٠

فبينمـــا يتحدث أعضـــاء الديوان عن موقف بونابرت من « فتنة » القاهرة ، يذكرون واقعة تكوين الديوان الخصـــوصى « من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان » ٠ واضاف الأعضاء « للعلم » ان هـــذا الديوان يجتمع « فى بيت قايد اغاه بالأزبكية ٠٠ » ٠

وبينما يتغنون بمناقب بونابرت وحسن رعايته للمصريين ، يقولون انه يريد أن « يفحت الخليج الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر ٠٠ أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق ٠٠ » ٠ وهذه هى أول اشـــارة صريحة الى مشروع الفرنسيين بتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق النيل ، فيما وصـــل الينا من مطبوعات الحملة الفرنسية ووثائقها ، وفيما تضمنته بحوث علماء الحملة ومؤرخيها (١) ٠

---

(١) زار بونابرت منطقة السويس ، وشاهد آثار القناة القديمة التى كانت تربط النيل بالبحر الاحمر عن طريق البحيرات المرة . وقد أشار الجبرتى الى هذه الرحلة الاستطلاعية للقائد الفرنسى فى حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ = ٢٥ ديسمبر ١٧٩٨ (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٣٦ ــ ٨) . والراجح أن تلك القناة القديمة حفرت أيام الدولة الحديثة الفرعونية . وقد اهملت واعيد حفرها اكثر من مرة بعد ذلك عبر العصور المصرية المختلفة . ويسجل التاريخ للفرعون **نخاو الثانى** (٦٠٩ ــ ٥٩٤) ق.م) من الاسرة السادسة والعشرين انه شرع فى اعادة حفر القناة ، ولكنه توقف بعد أن هلك فى هذا العمل نحو ١٢٠ ألف عامل مصرى ، وبعد أن تلقى نبوءة بأن هذه القناة ستكون وبالا على البلاد ولن يفيد منها الا الاجنبي !

ويقول بعض مؤرخى نابليون بونابرت أنه صرح عقب عودته من رحلته تلك بقوله «ان اعادة حفر القناة مشروع عظيم ، ولكنى لست بالذى يستطيع انجازه فى الوقت الحاضر» . ومع ذلك فقد أمر بونابرت بعمل الدراسات اللازمة للمشروع وبفتح ملف خاص به ، حتى يحين الوقت المناسب لتنفيذه . انظر :
Spillmann, Général Georges, Napoléon et l'Islam. Paris, 1969, p. 87.

ولايلبث الأعضاء ، وهم ينصحون مواطنيهم « بالرغبة بقضاء الله وحسن الاستقامة » ، ان يعلنوهم بان « من كان له حاجة فليات الى الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية فاليتوجه (كذا) الى قاضي العسكر المتولي بمصر المحمية بخط العسكرية » .

ومن هذا القبيل المنشور الذي اصدره « محفل الديوان الخصوصي » كذلك ، بمناسبة بدء شهر الصوم عام ١٢١٣ هـ . فمن الناحية الاخبارية تتضمن مادة هذا المنشور عدة أنباء هي :

١ ــ أمر القائد العام باقامة المعتاد من الشعائر الاسلامية ، وممارسة مظاهر الاحتفال التقليدية ، خلال هذا الشهر .

٢ ــ الاحتفال بموكب الرؤية .

٣ ــ مشاركة بونابرت في هذا الاحتفال ، ومقابلته لكبار المشتركين في الموكب .

٤ ــ ثبوت رؤية هلال رمضان واعلان الصيام .

ومع ذلك فلاتكاد تعثر في مادة المنشور على عبارة اخبارية خالصة، وانما تتخلل الفاظ الثناء على بونابرت وامتداح عطفه وسماحته وكرمه ثل عبارات المنشور . فقد امر باقامة الشعائر .. الخ «ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتسر بذلك قلوب أمة سيد المرسلين .. » . ثم انه عندما قابل أعضاء وفد الموكب « كساهم .. والبسهم القفاطين وأعطاهم عوايدهم .. وجبر قلوب الفقره (كذا) والمساكين والبس أمين الاحتساب كرك سمور فخيم .. » .

وتمثل المنشورات التي صدرت على لسان أعضاء الديوان في أثناء غياب بونابرت عن مصر مع حملته السورية لونا من البلاغات الحربية التي تتضمن كثيرا من الانباء . وقد لمسنا من قبل ان الهدف من اصدار هذه المنشورات لم يكن اعلاميا خالصا ، وانما كان في المقام الأول دعائيا يلتمس تحقيقه بمختلف الاساليب والوسائل . ومع ذلك فقد حفلت هذه المنشورات بكثير من المادة الاخبارية :

ــ فالمنشور الذي صدر بعد الاستيلاء على العريش (٢) يذكر عدة

---

(١) انظر ص ١٢٩ .

تفصيلات خبرية لهذا الحـــادث : لقد حوصرت قلعة المدينة « من عشرة رمضان الى سبعة عشر منه ٠٠ » ، « وكان فى القلعة نحو الف وخمسمائة نفر ٠٠ » ، « وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة نحـــو ستة وثلاثين ٠٠ طلبوا ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر ٠٠ فاحســـن (ساري عسكر) اليهم وارسلهم ٠٠ » . بل ان المنشـــور تضمن كذلك احصاء بالغنائم : « الفرنساوية وجدوا ٠٠ ارز وبقسماط وشعير وثلثمائة رأس من الخيـــل الجياد وحمير كثيرة وجمـــال غزيرة اكتسبته جميعة الفرنساوية ٠٠ » ٠

اى ان هذا المنشور بعبارة أخرى تضمن « قصة خبرية » مستوفية الأركان ، تجيب عن الأسئلة التقليدية « من ، ماذا ، متى ، اين ، لماذا. كيف ؟ » طبقا لما تقرره قواعد كتابة الخبر المعروفة ٠

ـ وينطبق ذلك أيضا على منشور الاستيلاء على غزة ٠ فمنه يمـكن استخلاص قصة خبرية كاملة ٠ ومضمون هذه القصة ان « العســـاكر الفرنساوية » توجهوا فجر التاسع عشر من رمضان من خان يونس الى غزة ٠ فلما تنبه « عسكر المماليك وعســـكر الجزار » الى قدومهم « فروا هاربين » ٠ وبينما كانت قوات الجنرال مورا (Murat) (١) تناوش فلول الهاربين ، « دخل حضرة ساري عسكر كليبر ٠٠ الى بنـــدر غزة وملكها من غير معارض له ٠٠ » ٠ وهناك وجد الفرنسيون « حواصـــل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير واربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوءا بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات (قذائف) ٠٠»

ـ أما المنشور المطول الخاص بالاستيلاء على يافا ، فهو بلاغ حربى يحتشد بالتفصيلات التى تحكى قصة هذا الاستيلاء ٠ وهنا أيضا يمكننا ان نستخلص هيكل القصة مما يتداخل معها من عبارات دعائية كثيرة ، سبق ان تعرضنا لدلالتها .

ان القصة تحكى انتقال القوات الفرنسية من غزة الى يافا ، مرورا بالرملة واللد ، وتذكر مقـــدار ماغنمه الفرنسيون من ذخائر ومؤن ٠ وتتضمن القصة بعد ذلك وصفا لحصار يافا وحفر الخنادق واقامة المتاريس حول سور حصنها ٠ ثم تشير الى أن القائد الفرنسى عرض على قائد الحامية المحاصرة التسليم ، ولكن هذا رفض وحبس رسول الفرنسيين ٠

---

(١) ذكر اسم هذا القائد خطأ فى نص المنشور الذى نقله الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٧ ـ ٨) فكتب مرة «مراد» ومرة «مراده» ، ولعل الخطأين مطبعيان .

ونتيجة لذلك « هيج صارى عسكر واشتد غضبه » ، وأمر ببدء الضرب بالمدافع . وما لبث جزء من سور الحصن أن دمر . « وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والابراج ودار السيف فى المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج .. الخ » .

ولا تغفل القصة تواريخ التحرك من غزة ، والوصول الى يافا ، وسقوط المدينة . وكذلك لا تغفل ارقام الخسائر من الجانبين أو كمية ما سقط فى أيدى الفرنسيين من سلاح أعدائهم . فهى اذا قصة خبرية كاملة المقومات ، بالرغم مما قد يشوب حقائقها من مغالطات أو تمويهات .

ـ ولا يكاد يختلف المنشور الصادر على لسان العلماء ليصور للشعب موقف القوات الفرنسية المحاصرة لعكا ، بعد أن انقطعت أخبارها زمنا ، عن المنشورات التى مر ذكرها . فالى جانب ما يتضمنه هذا المنشور من مادة دعائية تمثل الهدف الأساسى من اصداره فى تلك الظروف ، فانه يحوى كذلك مادة خبرية ، وان كانت موجزة .

وتتضمن هذه المادة بيانا يؤكد وفرة الذخائر والمؤن لدى القوات الفرنسية ، ويحدد مواقع هذه القوات بالنسبة لقلعة المدينة . ويذيع المنشور بعد هذا نبأ مبالغا فيه عن بعض الانتصارات التى أحرزها الفرنسيون : « ونخبركم أيضا أن الجنرال يونوت (١) انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقاتلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ... » .

ـ ولا يخلو المنشور الدعائى المطول الذى صدر على لسان العلماء أيضا ، بمناسبة عودة بونابرت الى القاهرة من سوريا ، من محتوى اخبارى . فقبه تلخيص لخط سير الحملة السورية وعرض لأهم أحداثها، مع التركيز على انتصارات القوات الفرنسية . وفيه كذلك اشارة الى حصار عكا بعبارات موجزة توهم أن الفرنسيين دمروها ، حتى «لم يبق فيها حجر على حجر » .

---

(١) لايوجد فى ثبت جنرالات الحملة الفرنسية ، أو ضباطها بعامة ، اسم يعدل الهجاء الذى أورده الجبرتى . والارجح أنه محرف عن «بودو» أو «بودوت» (Baudot) وكان فعلا برتبة جنرال .

ـ وعندما أصدر بونابرت منشوره الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية، ليحقق به أغراضا دعائية معينة ، حرص على أن يضمنه بعض الأخبار التى جعلها نواة لحديثه الدعائى ٠

فقد قدم للمصريين فى هذا المنشور عرضا موجزا للموقف الحربى الذى سبق نشوب المعركة : « وضـــعنا جماعات من عسكرنا يجتـــل الطرانة (١) وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة ٠٠ وفى هذا التـــاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر اسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنبة وجلل المدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهـــوا يرســـوا بناحية أبو قير وابتدوا ينزلوا فى بر أبو قير ٠٠ »

ـ وكان اصدار منشور يتضمن رسالة الشريف غالب أمير مكة الى الجنرال بوسيلج « مدير الحدود العامة بمصر » عملا دعائيا واعلاميا معا ٠ فالى جانب ما تضمنته المقدمة التى سبقت نص رسالة الشريف غالب ، والخاتمة التى ذيلت بها ، من محتوى دعائى سبقت مناقشته ، فان اذاعة الرسالة ذاتها كان عملا اعلاميا بحتا ٠ لقد قدمت هذه الرسالة الى القارىء المصرى مادة اخبارية تحفل بكثير من الحقائق التى تتصل بالعلاقات بين شريف مكة والسلطات الفرنسية فى مصر ٠ فمنها علم المصريون :

١ ـ أن الفرنسيين رفعوا العشور (الضرائب) عن البن الوارد من الحجاز) ؛

٢ ـ وأن شريف مكة أرسل بالفعل الى مصر ، بعد انقطاع ورود هذه السلعة ، خمسة مراكب مشحونة من جدة ؛

٣ ـ وأنه يطلب من الفرنســيين العمل على حراسة تجـار البن وبضاعتهم ، فى انتقالهم من السويس الى القاهرة ، وفى عودتهم بعـــد اتمام صفقاتهم ؛

٤ ـ وان بونابرت أرسل الى شريف مكة عدة رسائل ، بعضها له ،

---

(١) تل فى مديرية التحرير حاليا ، يوجد على بعد ١٥ كيلومترا شـــمالى بلدة الخطاطبة ، على الطريق من محافظة البحيرة الى وادى النطرون ٠ وتقع فى ســفحه قرية الطرانة او طرنوت (Terenuthis) ٠ ويعد المنطقة كثير من المعالم الأثرية التى تدل على أنها كانت مركزا مسيحيا مزدهرا ٠

والبعض الآخر لغيره « فما كان لنا منها فتاملناه وصار اليه الجواب ... وما كان منها معول فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر (١) وأمام مسكت (مسقط) ووكيلكم (أى القنصـــل الفرنسى) الذى فى المخا (٢) فجميعا صدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى اربابها .. » .

هذا الى أن التذييل ، الذى أضيف تعليقا على الرسالة فى ختـــام المنشور ، تضمن بدوره مادة خبرية . فمنه علم القراءة أن كتاب شريف مكة » ... وصل .. لمصر فى ١٦ شهر الحجة فيكون مدة وصوله ... ثمانية وعشرين يوما وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة بدخول احدى عشر داوا (سفينة) الى بندر السويس بسلام .. »

أما المنشورات التى صدرت أساسا للاعلام ، سواء أكانت خالصة لهذا الغرض أم خالطها بعض الدعاية ، فكثيرة مختلفة الأغراض . ويتصـــل معظمها بالقوانين التى سنها بونابرت والقرارات والاجراءات التى أراد هذا القائد أن يغير بها صورة المجتمع المصرى ، كما أن بعضها يشير الى احداث عابرة أو مواقف معينة . ويلاحظ من ناحية أخرى كذلك أن بعض هذه المنشورات كانت تصدر من ممثلى الشعب .

– ولعل أول هذه المنشورات المنشور الذى صدر بالاسكندرية بعـد أيام قليلة من احتلالها ، ويتضمن بيانا بتعريفة النقود المتداولة وقتذاك فى مصر ، يحدد أسعار مبادلتها بالعملة الفرنسية . (٣) وقد طبـع المنشور ، كما نص فى صدره ، بالعربية والفرنسية . ويتضح من النسخة الفرنسية التى عثرنا عليها (راجع شكل ٢١) ان هذا البيان النقـــدى

---

(١) هو تيبو صاحب (Tippo Sahib) ابن حيـــدر على ، ســـلطان ميســـور بالهنـــد ، وكان ممن قاوموا امتـــداد الاستعمار البريطانى فى شـــبه القارة الهندية (١٧٥٣ – ١٧٩٩) .

(٢) المخا اليمنى المعروف ، الذى كان وقتئذ يشتهر بتجارة البن .

(٣) نص المنشور مؤرخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (يوافق ٦ يوليو ١٧٩٨) . وهنـاك بالنسبة لطبعه احتمالان :

١ – أن يكون قد طبع على ظهر البارجة «لوريان» وهى راسية بالميناء ، اذ لم تكن مطابع الحملة قد انزلت الى البر وأعدت للعمل قبل يوم ٢١ مسيدور (٩ يوليو) . فنحن نعلم أن بونابرت أصدر أمرا يوم مغادرته الاسكندرية فى ١٩ مسيدور (٧ يوليو) باتزال المطابع واقامتها خلال ٤٨ ساعة (أنظر ص ٢٣ . ولاينقض هذا الاحتمال ماذيل به المنشور من أنه طبع بالاسكندرية «بمطابع الحملة الشرقية والفرنسية» . فقد سبق أن اختتم منشور بونابرت العربى الأول بعبارة «تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ...» ، مع أن قوات الحملة لم تكن قد نزلت بعد الى المدينة . =

اصدرته لجنة مصرية فرنسية مشتركة ، تتكون من ثلاثة من كبار تجار الاسكندرية ، وستة من المسئولين الفرنسيين (١) .

ـ وفى الاسكندرية كذلك صدر منشور آخر بعد بضعة أيام ، وقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، وقد سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن السياسة الوطنية (٢) . والجانب الاعلامى من هذا المنشور يتناول الاجراءات التنظيمية التى تبعت استقرار الأمور للفرنسيين بالمدينة ، وهو يتمثل فى خطاب من موقعيه الى « حضرة حكام الاسكندرية (أى مشايخ الاخطاط أو الحارات) انهم ينادوا على جميع أهل الثغر بأنهم يعلقوا على كل أربعة ديار قنديل وعلى كل طاحونة وكل قهوة قنديل وانهم يرسلوا الى حضرة الجنرال (أى الجنرال ، قومندان المدينة) كل ليلة قبل المغرب بساعة اثنى عشر رجلا من العقلا يدوروا مع جماعته لاجل أمان جميع الناس وعدم حصول ضرر الى أحد .. »

وفى القاهرة كان طبيعيا ، بعد استقرار الأحوال للحكم الجديد فى الأشهر الأولى . أن تقوم المنشورات فى الحقل الاعلامى بدور الصحيفة الرسمية ، فتصدر متضمنة ما تقرره السلطات من التنظيمات لادارية . وقد أشار الجبرتى الى ما رآه من هذه المنشورات التى لاشك فى أنهـا كانت اما خطية أو مطبوعة بالاسكندرية . فلم تكن مطابع الحملة المزودة بمعدات الطباعة العربية ، كما أسلفنا القول ، قد وصلت الى العاصمة . ولم تكن مطبعة مارك أوريل ـ من ناحية أخرى ـ تملك حروفا عربية .

ـ ومن نماذج هذه المنشورات المنشور الخاص بربط ضريبة الأراضى الزراعية (المال) وقد ذكره الجبرتى بقوله (٣) « قدروا فرضة من المال

= ٢ ـ أن يكون قد أخر طبعه بضعة أيام ، أى الى مابعد اقامة المطابع بالمدينة . والراجح ـ على أية حال ـ أن هذا هو أول منشور «مطبوع» يصدر بالمدينة بعد احتلال الفرنسيين لها .

(١) التجار المعربون هم : الحاج أبو الريش ، والحاج عبد الوهاب العواش والحاج مرجى (مارك ؟) الدفاق . أما المسئولون الفرنسيون فهم : سوسى مدير التنظيم والادارة ، والمالطى برنوليه وموتج حضوا الجميع ، وبوسيلج مدير الشئون المالية ، وامتيف مدير الخزانة ، والقنصل مجاقون .

(٢) أنظر ص ١٤١ .

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، من حوادث يوم ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) .

على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقا وذكروا فيها انها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط » .

ـ ومن أبرز المنشورات فى هذا المجال المنشور الذى يتضمن الأمر بانشاء الديوان المسمى « محكمة القضايا » ، وقد سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الوطنية (١) . فقد أوضح هذا المنشور أسس تكوين تلك المحكمة وحدود مهمتها .

ونص المنشور كذلك على أنه الى جانب الاختصاصات القضائية المدنية : فان هذه المحكمة سوف تختص بتسجيل العقارات والبيات ملكيتها . «ومن لم تكن بيده حجة تمليك .. أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مغيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط لديوان الجمهور (أى تصادر لصالح حكومة الجمهورية) .. »

ـ ومن هذا القبيل أيضا المنشور الخاص بتحديد الضرائب على العقارات . ويقول الجبرتى بصدده (٢) : « عملوا (مقدموا) الديوان واحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على (الفئة) الأعلى ثمانية (ريالات) فرنسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الحسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم والصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخا للأعيان . »

ـ ومن أمثلة المنشورات التى تتصل بالاجراءات المالية كذلك المنشور الذى طبع بالعربية والفرنسية ، متضمنا نص أمر من القائد العام فى أربع مواد ، لتنظيم أداء ضريبة الأرض الزراعية (شكل ٦٩) (٣) .

ويحدد الأمر مهمة «قضاة الجمهور» (٤) والملتزمين فى هذا الشأن، كما يرتب تقسيط المستحقات وشروطه ومواعيده . وقد وقع المنشور

---

(١) راجع ص ١١٨ ـ ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ، من حوادث ١٠ جمادى الاولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) .

(٣) بتاريخ ٢٤ فريمير سنة ٧ (١٤ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٤) أى ممثلى ادارة التسجيلات والأملاك العامة .
(les administrateurs de l'enregistrement et domaines nationaux)

« قضاة الجمهور الفرنساوى بمصر » ، وهم خمسة : ثلاثة فرنسيون واثنان مصريان . واحد المصريين هو « ملطى » الذى عرفنا من قبل أنه كان على رأس « محكمة القضايا » .

ـ ومنها المنشور الذى صدر كذلك بالعربية والفرنسية (فى طبعتين منفصلتين) متضمنا نص أمر ممائل للقائد العام من ثمانى مواد ، لانذار مستأجرى الأراضى الزراعية الذين تأخروا فى سداد التزاماتهم الضريبية، وتحديد الغرامات والجزاءات التى توقع نظير هذا التأخير . وقد وقع هذا المنشور بوسيليج « مدير الحدود العام بمصر » (شكل ٧٠) (١) .

وأذاعت منشورات أخرى نصوص عدد من القوانين أو القرارات التى تستهدف تنظيم مختلف نواحى الحياة فى مصر على أسس حديثة . ومنها المنشور الذى يتضمن قانونا لا يختلف عن قانون تسجيل نزلاء الفنادق وما اليها ، الذى نعرفه فى مصر اليوم ، والذى لاشك فى أنه كان مطبقا وقتئذ فى فرنسا ذاتها (٢) . فهذا القانون « يلزم صاحب كل خـــارة أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولايتاخر عن الاخبار الا مـــدة أربعة (كذا) وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ... »

ويوجه المنشور تحذيرا من التراخى فى تنفيذ هذه التعليمات ، يتضح منه أن اصدار القانون كان من اجراءات الأمن التى أراد الفرنسيون بها أن يتوقوا تسلل وكلاء أعدائهم الى البلاد : « والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكره ... يكون صاحب المحل متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك » .

---

(١) صدر بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٧ (١٦ يونيو ١٧٩٩) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) ، عجائب الآثار، جـ ٣ ، ص ٥٢ ـ ٣ . وقد قدم له بعبارة غير واضحة ، اذ قال ان مضمون هـــذا المنشور هو «الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسى قانتمام (يقصـــد دوســـتان : Dustin حاكم القليوبية فى ذلك الوقت) يلزم المـــدبرين بالديوان انهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها وكل من خالفه يحصل له مزيد من الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم .. » . والراجح أن هذه العبارة تشير الى جزء محذوف من صدر المنشور يتضمن خطابا من الجنرال دوجا الى الديوان لاذاعة ذلك المنشور . وفى هـــذه الحالة يكون المنشور قد صدر على لسان أعضاء الديوان .

ثم ينبه الى أن مخالفي هذا القانون سيعاقبون بغرامة « عشرين ريالا فرانسه في المرة الأولى وأما في المرة الثانية فان الغرامة تضـــاعف ثلاث مرات ... » . ويؤكد بعد ذلك مبدأ المســاواة بين الجميع في الخضـــوع لهذا القانون ، فيقول للمصريين « ان الأمر بهـذه الاحـكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل . »

ـ ومن هذه المنشورات كذلك منشور يتضمن تدبيرا (قرارا) أصدره «خزندار العام استهوه» (١) ، بالعربية والفرنسية ، لتنظيم صناعة تقطير الخمور وتجارتها (شكل ٧١) (٢) .

ويلزم هذا القرار ، الذى يتكون من ست مواد وتذييل ، « كل من يخرج عرقى فى مصر أو فى الجيزة أو فى مصر القـــديمة أو فى بولاق انكان (ان كان) فرنساوى أو مصرى أو خلافه ملزوم يحضر ويقيد اسمه عند المتوكل على معمل العرقى (أى مفتشى المعامل) فى دفتر وفى هـــذا الدفتر الذى يكون كل معمل بنمره » . وكذلك يلزمه « ان يحط على باب بيته نمرة معمله وكتابه (أى ويكتب) بحروف كبار بالعربى والفرنساوى هذا معمل عرقى » .

ويحدد القرار السعر الذى يباع به العرقى ، والحد الأدنى لدرجة الكحول به ، كما يحتم «ان العرقى يكون طيب ولم يكون مخلوط ولم يكون يضر » ، ويفرض غـرامة على بيع العرقى المقطر سرا ، ثم يفرض ضريبة انتاج على هذا المشروب مقدرة حسب كميات الثمار التى تقطر ، كالبلح . وقد تضمن « التعريف » الذى ذيل به القرار تفصيلات هـذه الضريبة .

ومن هذا المنشور نستخلص حقيقة هامة تتصل بادارة معامل العرقى. فهو ينص على أن «كل صاحب معمل يدفع الى **مستاجر قلم العرقى** المال الذى عليهم (أى عليه) بموجب التعريف أدناه .. » . وينص فى

---

(١) هو استيف (Estève) مدير الخزانة .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن نستطيع القول أنه صدر فيما بين شهرى مايو ويونيو عام ١٧٩٩ ، فى أواخر عهد بونابرت . أما تحديد الشهر فنستدل عليه من صدر المنشور الذى يبدأ بعبارة «قبل شهر سبتمبر القادم ...» وأما تحديد العام فيؤكده منشور لاحق صدر فى أوائل عهد منو (اوريفه ٧ سبتمبر ١٨٠٠) ، وبه اشـارة الى صدور هذا المنشور قبله بعام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولم يشر الجبرتى الى هذا المنشور مطلقا ، ويبدو أنه وجد فيه موضوعا لا يهمه ، أو أنه امتنع عن نشره بسبب مركزه الدينى .

موضع آخر على أن « **مستأجرين اقلام العرقى** يقبضوا دائما على الشىء الذى يخرج منه العرقى المرى الذى لهم بموجب التعريف .. »

ويدل النص الفرنسى لهذه العبارات على أن المقصود بالمستأجر هو الملتزم(adjudicateur) . ومعنى ذلك أن معامل العرقى كانت تدار بواسطة ملتزمين يستأجرونها ويلتزمون قبل السلطات بتحصيل الضريبة المقررة عليها .

والواقع أن عددا من منشورات الحملة فى عهود قوادها الثلاثة ، يدل فى وضوح على أن كثيرا من مصادر الايراد الضريبى كانت تؤجر بالمزاد ، للملتزمين يتولون ادارتها أو استغلالها وتحصيل مايستحق عليها من الضرائب للحكومة (١) .

ومن ذلك منشور صدر فى الأيام الأخيرة لعهد بونابرت فى مصر ، وأشار الجبرتى الى محتواه بايجاز فقـــال (٢) : « .. كتبوا أوراقا .. مضمونها انقضاء سنة مؤجرات أقلام المكوس ومن أراد استئجار شىء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ مايريده بالمزاد » . والمقصود بعبارة « أقلام المكوس » هنا هو الوحدات التى تغل ايرادا تحصل عنه الحكومة ضريبة ما ، فى مختلف قطاعات الانتاج والاســـتغلال . وسنرى نماذج متنوعة من هذه المنشورات فى عهد كليبر ومنو .

ان مثل هذه المنشورات لتدعو الى القول بأن موضوع النظام الاقتصادى لمصر أيام الحملة جدير بأن يلتفت اليه أحد الباحثين المتخصصين . وسوف يجد هذا الباحث ولاشك فى كثير من منشورات الحملة مادة طيبة تعينه

---

(١) الالتزام من النظم التى عرفت ابان العصر العثمانى ، وكان يطبق أساسا على الأراضى الزراعية . وأصله أنه لما تقسمت الامارة الحكومية اقتصرف كثير من الناس عن الزراعة ، فهبطت قيمة الأراضى وقل الخراج . فعمد الحكام الى طريقة الالتزام ، وهى تضمين الضرائب لأفراد يتولون جمعها عن الحكومة ، ويشاركونها فيما يجبونه من الأهالى ، وذلك بمقتضى صك يسمى « التقسيط » . وكانت حصص الالتزام توزع اما عن طريق المزايدة ، واما بالاتفاق سلفا على قيمة الحصيلة السنوية (انظر : الرافعى، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٢٩) .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٣٩ ، من حوادث يوم ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ (٢٩ اغسطس ١٧٩٩) . وكان بونابرت قد غادر مصر سرا قبل ذلك بستة أيام ، ولكن لم يكن خبر سفره قد أذيع ، كما لم يكن خليفته كليبر قد حضر الى القاهرة ومارس فيها سلطات القائد العام بعد .

على استكمال بحث تفتقر اليه مكتبتنا التاريخية بوجه عام ، وما يتصل منها بتاريخنا الاقتصادى بوجه خاص .

ويتناول كثير من هذه المنشورات الشئون الصحية التى لقيت من الفرنسيين منذ احتلالهم مصر اهتماما خاصا ، وان كانت اجراءاتهم فى هذا الصدد قد أثارت نفور المصريين ، اذ اعتبروها تدخلا من السلطة فى حياتهم الشخصية . وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن ذلك كان من أسباب ثورة القاهرة الأولى ضد الحكم الفرنسى (١) .

ولعل أول تلك المنشورات المنشور الذى أصدره الجنرال كليبر (قله بر) بالاسكندرية بعد بضعة أيام من احتلالها (شكل ٧٢) (٢) . ويتضمن هذا المنشور أمرا من مادتين ، يفرض حظرا على كل أنواع المنسوجات الواردة « من بلاد العثمانية » (فى النص الفرنسى «من بلاد الشام ») . والغرض من ذلك « ابعاد الطاعون المهلك للناس مرحمة عليهم » .

ويشمل الحظر ما قد تحمله السفن الى الميناء من هذه المنسوجات ، وما قد يكون موجودا منها من قبل فى متاجر المدينة ، خصوصا اذا كانت .. مربوطة أو محشوة فى غرائر .. » . ويندر الأمر باشد العقاب كل من يتراخى فى تنفيذه أو يتهاون فى ابلاغ الادارة الصحية عما قد يوجد من تلك المنسوجات المحظور استخدامها . ويبدو أن الهدف من وراء حظر المنسوجات بالذات كان الخشية من تسرب البراغيث الناقلة لميكروب ذلك الوباء .

ومن هذا القبيل المنشور الذى تضمن اتخاذ بعض الاجراءات للمحافظة على الصحة العامة ، والحد من انتشار الأوبئة . ويقول الجبرتى

---

(١) أنظر مثلا : الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ؛
Herold, op. cit. p. 189.

وقد ذكر الجبرتى طرفا من هذه الاجراءات ، فقال فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨) ، **المرجع نفسه** ، جـ ٣ ، ص ٢١ : ان الفرنسيين « نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالتربة القريبة من المساكن كتربة الازبكية والرويعى ولايدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة .. واذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ونادوا أيضا بنشر الشياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ...» .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية بتاريخ ٢٤ مسيدور سنة ٦ (يوافق ١٢ يوليو ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

عن هذا المنشور (١) «نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما وخيدوا على مشايخ الاخطاط ٠٠ بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ٠ وكل ذلك للذهاب بالعفونة الموجبة للطاعون **وكتبوا بذلك أوراقا لصقوهـا بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك** » ٠

ومن ذلك أيضا منشور صدر فى الاسـكندرية بتوقيع قائدهـا (قومندانها) الجنرال مارمون (نشكل ٧٣) (٢) ، يتضمن أمرا مشابها يقضى بأن يقوم موظفو الادارة الصحية بتفتيش « جميع الأماكن والمحلات ليعلموا ان كان فعلوا بموجب الأمر ونضـفوا والا باقى فيهـا شى مفسد للهوا (٣) .

ويلزم هذا الأمر كذلك « الحكما والجراحين والمزينين » بالابلاغ عن المرضى ، كما يحتم الابلاغ عن المتوفين فور حدوث الوفاة ٠

ثم ينص الأمر على أن « جميع الغسالين والحفارين ٠٠ ممنوعين من تغسيل الأموات ودفنهم » الا بتصريح رسمى من السلطات الصحية ٠ ويفرض الأمر بعد ذلك عقوبة الغرامة والحبس لكل من يخالفه ٠

ولم يلبث الجنرال مارمون ان أصدر أمرا صحيا آخر ، طبع فى منشور بالعربية والفرنسية (شكل ٧٤) (٤) .

وأهم ما تضمنه هذا الأمر :

١ ــ انشاء محجر صحى (قرانتينه) على أحد مداخل الاسكندرية ، وهو باب رشيد ٠

٢ ــ منع السفر من الاسكندرية ، الا بتصريح من السلطات الصحية بعد قضاء عدة أشهر فى الحجر ٠

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ من حوادث أول جمادى الأولى ١٢١٣ (١١ اكتوبر ١٧٩٨) ٠

(٢) بتاريخ ١٥ فريمير سنة ٧ (٥ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠

(٣) يبدو من هذه العبارة أن أمرا سابقا قد نشر من قبل ، يماثل الامر الذى ذكرناه آنفا لمدينة القاهرة ٠

(٤) بتاريخ ١٦ نيفوز سنة ٧ (٥ يناير ١٧٩٩) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ببلوبس ٠

٣ ــ اقامة سياج خارج باب رشيد تحجز وراءه البضائع القادمة للمدينة • ويتسلمها أصحابها من خلال السياج ، دون أى اختلاط بمن جاءوا بها •

٤ ــ فرض الرقابة الصحية الصارمة على السفن الواردة الى الثغر من رشيد وأبو قير ، بحيث ترسو فى مكان معين ولايسمح لبحارتها بالنزول ، وانما تتبادل البضائع دون اختلاط تحت اشراف صحى دقيق : «كل النواتية (البحارة) الذين يختلطون مع أهل البلد يوضعوا فى القرنتينه » •

وتشير هذه الأوامر الى ما رددته بعض مصادر الحملة من تفشى وباء الطاعون الدملى وقتذاك فى مصر ، وبخاصة فى المدن الساحلية • وقد اشتد فتك الوباء بالاسكندرية فى الوقت الذى صدر فيه منشور مارمون آنف الذكر بالذات • وبعث مارمون الى منو ، حاكم الاقليم الذى كان يقيم فى رشيد ، بأكثر من رسالة يناشده فيها المعونة على مكافحة الوباء (١) •

ومن المعروف أن الطاعون قد تفشى بصورة أكبر بين جنود جيش الحملة السورية ، وبخاصة فى أثناء حصار يافا • ويبدو أن السلطات الفرنسية فى مصر رأت وقتئذ ضرورة القيام باجراءات وقائية مشددة ، حتى لا ينتشر الوباء فى البلاد • فقد أصدر الجنرال دوجا نائب القائد العام منشورا شديد اللهجة (٢) ، وجهه « لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها » أى لسكان القاهرة الكبرى ، يحذرهم فيه من « تشويش الكبة » (٣) • ويقول منبها : « كل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة (أى تعزلوه) ويجب قفل ذلك المكان ••• » •

ويلزم المنشور كذلك مشايخ الحارات بالابلاغ فورا عن حالات الاصابة المشتبه فيها ، كما يلزم الأطباء باخطار « قائمقام » نفسه عن الحالات التى يتحققون من اصابتها بالوباء « ليأمر بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش ••• » •

---

(1) La Jonquière, L'Expédition d'Egypte, IV, pp. 38-40.

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) : عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٥٢ ، أى أنه صدر فى الوقت الذى كانت قوات الحملة السورية فيه قد بدأت تحاصر مدينا عكا ، بعد أن استولت على يافا •

(٣) الكبة (بضم الكاف) : الطاعون • وهو لفظ تركى مولد •

والى جانب عقوبة الجلد التى يفرضها المنشور على مشايخ الحارات الذين يقصرون فى الابلاغ ، فانه يذهب الى حد فرض عقوبة الاعدام على « من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عائلته .. وانتقل من بيته الى آخر ... » . وكذلك على « كل رئيس ملة فى خط اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بهـــا .. حالا فوريا .. » . وعلى « المغسل .. اذا راى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة » .

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان العمومى » الى « جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة » كذلك (١) ، ينبههم الى « عدم المخالطة مع النسساء المشهورات ، لأنهن « الواســطة الأولى » لنقل مرض « تشويش الطاعون » ثم يوجه انذارا الى كل فرد « فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من اى ملة كان » بأن جزاءه سيكون الموت اذا « أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات » . وكذلك ينذر بالموت أولئك النساء المشهورات ، اذا «دخلن من أنفسهن» .

وواضح أن المقصود بعبارة «تشويش الطاعون» هنا هو مرض الزهرى (Syphilis) الذى ينتقل فعلا بهذه الطريقة ، وليس وباء الطاعون الذى صدرت المنشورات التى سبق الحديث عنها من أجله ، وأشارت اليه بعبارة « تشويش الكبة » .

ويلفت النظر فى هذا المنشور من ناحية أخرى أنه موجه الى كل « سكان » القاهرة الكبرى ، مصريين وأجانب ، مسلمين ومسيحيين ويهود ، بل انه يمتد كذلك ليشمل الفرنسيين أنفسهم .

ويعلق الدكتور لويس عوض على هذا المنشور بقوله (٢) انه « وثيقة ذات أهميـة عظمى لأنهـا تثبت أن ولاية البرلمان المصرى فيما يتصل بسن القوانين المدنية كانت نافذة لا على الرعايا المصريين فحسب ، ولكن على الأجانب أيضا بما فيهم جنود جيش الاحتلال . ونظيرها القانون الخـاص بتسجيل نزلاء الفنادق .. وهى ونظائرها تثبت أن سلطة اصدار القوانين فيما لا يمس السياسة العليا كانت من اختصاص الديوان العمومى . » .

ويمكن التعقيب على هذا التعليق بأن ما سماه الكاتب بالبرلمان المصرى، وهو الديوان العمومى الذى صدر المنشور باسمه ، كان يتكون بالفعل من

---

(١) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٧) ضمن حوادث شهر ذى القعدة ١٢١٣ دون تحديد اليوم . ويقع هذا الشهر بين ٦ ابريل و ٥ مايو ١٧٩٩ .

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٨٦ .

ممثلين لكل سكان العاصمة بمختلف جنسياتهم وطوائفهم ، فلا غرابة في أن تمتد دائرة « اتصاله » ـ لا ولايته ـ لتشمل كل هؤلاء السكان . وغنى عن القول أن « الولاية » الحقيقية انما كانت لسلطات الاحتلال الفرنسي وحدها . وأن «الديوان» في أي شكل من أشكاله كان محدود السلطة ، وكانت أهميته الرئيسة في انه واسطة لها وزنها في «الاتصال» بالجماهير لتيسير مهمة حكومة الحملة .

***

وتناولت منشورات أخرى ، ومنها ما لم يشر اليه مرجع من قبل ، موضوعات لها أهميتها التاريخية الخاصة . فهي تلقي الضوء على بعض جوانب الحياة المصرية آنذاك ، ويمكن أن نستخلص منها عدة دلالات .

ولعل من أهم هذه المنشورات منشورا مطولا صدر في الاسكندرية، لم يشر اليه أحد من مؤرخي الحملة (شكل ٧٥) (١) . ويتضمن الاتفاق على انشاء شركة مساهمة بين عدد من تجار الجملة والسلطات الفرنسية بالثغر .

ويتكون المنشور من أربعة أجزاء :

(أ) نص الكتاب الذي بعث به عشرة من التجار الى الجنرال مارمون، يعرضون فيه انشاء « شركة الأخوية » (٢) ، ويطلبون معاونته على تنفيذ مشروعهم ، « لأن في ذلك منفعة عظيمة الى جميع سكان الثغر » .

(ب) رد الجنرال مارمون على التجار . الذي رحب فيه بمشروعهم وأعرب لهم عن سروره لاجتهادهم وغيرتهم « على تحصيل الذخاير وجلبها للبلد » . ثم قال لهم مؤكدا : « ... وتقدروا تعتمدوا علينا في إعانتكم وحمايتكم ونفعل كل ما يخرج من يدنا لأجل تقديم شركتكم ولخيرية عاقبتها .. » . ونوه بأن هذا المشروع جدير بأن يعلن على الناس : « ولازم ان أهل البلد يعرفوا همتكم واجتهادكم في هذا الأمر مثل ما عرفتها أنا ... » .

(جـ) النص الكامل لمشروع « شركة الأخوية » المقترح . وهو يتكون من ست عشرة مادة ومقدمة ، ومضمونه :

---

(١) مؤرخ ٧ جرمينال سنة ٧ (٢٧ مارس ١٧٩٩) . وهذه النسخة من محفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وقد صدر المنشور بالعربية والفرنسية في طبعة واحدة من سبع صفحات .

(٢) في النص الفرنسي « Compagnie de Commerce »، اي « شركة تجارية » .

١ ــ ان تجار الاسكندرية فكروا فى هذا المشروع لما لمسوه من ركود الحالة التجارية ، وما أدى اليه ذلك من الاضرار بالاقتصاد العام « ظهر الى تجار الاسكندرية أن وقوف المتجر شئ موذى (شيء مؤذ) الى جميع السكان ... » .

٢ ــ ان الشركة المزمع انشاؤها شركة مساهمة يبلغ رأسمالها ستين ألف فرنك ، تقسم على خمسين سهما .

٣ ــ ان المساهمين يتألفون من « تجـــار المسلمين والمسيحيين والافرنج » .

٤ ــ أن هذه الشركة سوف تختص بالتجارة فى المواد التموينية « مثل قمح ودقيق وفول وشعير ورز وغيره » .

ويتضمن المشروع أيضا نظام العمل بالشركة وتوزيع الاختصاصات ثم يطلب التجار الذين اقترحوه من الجنرال مارمون « كل الحماية وكل الأوراق اللازمة (١) ، وأمر لاجل أخذ النفاير (السفن) والقوارب الذى (كذا) يحتاجوها » ، ويطلبون كذلك «أن يعطى لهذه الشركة المعـاونة والحماية المخصوصة » .

(د) محضر اجتماع التجار بمنزل الجنرال مارمون لانتخاب المرتبين (المديرين) وأمين الصندوق وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيســـة فى الشركة . وقد وقع على هذا المحضر مؤسسو الشركة من التجار المصريين والمسئولين الفرنسيين ، وممثل للتجار الأجانب الذين لم يتمكنوا من حضـــور الاجتمـــاع .

وتوضح لنا هذه الوثيقة الخطيرة أكثر من حقيقة تاريخية بالغـــة الأهمية . فهى تشير الى تأسيس أول شركة مـــساهمة فى مصر ، على أحدث النظم الاقتصادية والادارية ، يمثل فيها العنصر المصرى بنسبة كبيرة (٢) . ثم ان اشتراك المسئولين الفرنسيين فى هذه الشركة ظاهرة تلفت النظر حقا . فهى تجعل منها «مؤسسة» أو «هيئة» ذات طابع

---

(١) المقصود بهذه الاوراق ، كما جاء فى النص الفرنسى للمشروع ، جوازات الســفر أو تصريحات المرور (passeports) .

(٢) الواقع أن أســـماء التجار الوطنيين الذين أســـسوا هذه الشركة تدل على عنصرهم المصرى الأصـــيل ، بل ان معظمهم ينتمون الى اسرات مصريـــة مازالت معروفـــة بالاسكندرية حتى الآن ، مثل «ابو هيف» و «ابو شادى» و «الفرياتى» و «جميعى» .

فريد يجمع بين ملامح مؤسسات القطاع العام كما نعرفها فى مجتمعنا الحاضر ، وبين شركات الاقتصاد الحر كما عرفناها من قبل .

وسواء أكانت فكرة تكوين «شركة متجر الأخوية» نابعة اصلا من التجار الوطنيين بالثغر ، أم كانت بايحاء وتشجيع من السلطات الفرنسية الحاكمة (١) ، فان ذلك لايغير من حقيقتين : الأولى أن الشركة ، بملامحها تلك ، قد سبقت فى الوجود ما عرفته مصر من الشركات التجارية الحديثة التى يسهم فيها المصريون بنصيب رئيسى ، بعشرات من السنين . والحقيقة الثانية أن الأسس التى قامت عليها الشركة تختلف تماما عن أسس النظام الاحتكارى الحكومى الذى اختطه ، بعد الحملة الفرنسية ، محمد على .

ومن المنشورات التى أذاعت على المصريين بعض انباء الأحداث الهامة المنشور الذى تضمن أن مصطفى بك كتخدا الباشا (أى وكيل الوالى التركى بكر باشا) ، والذى كان فى الوقت نفسه أميرا للحج ، قد « رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه» (٢) . وأكد المنشور أن « أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شىء » . ثم أعلن أن « من كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون ... » .

---

(١) لا نستبعد تدخل الفرنسيين بصورة ما فى تحريك فكرة انشاء هذه الشركة . فقد حدث قبل ذلك باربعة اشهر (فى ١٤ نوفمبر ١٧٩٨) أن أوعز بونابرت الى برسيلج مدير الشئون المالية للحملة بأن يعمل على تأسيس شركة مساهمة من التجار الأوربيين الموجودين بالقاهرة ، برأسمال قدره ثلاثمائة الف فرنك توزع على مائة سهم . ولكن لم تتم هذه الشركة واحدا من التجار المصريين . انظر : مراسلات نابليون ، المجلد الرابع ، وثيقة ٣٦١٩ .

(٢) ذكر الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٤) هذا المنشور ضمن حوادث ٢٦ شوال ١٢١٣ (ابرائى ٢ أبريل ١٧٩٩) . وكان الفرنسيون قد قلدوا مصطفى بك هذا المنصب فى أوائل أيام حكمهم ، واشاد الجبرتى الى ذلك فى حوادث ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (اول سبتمبر ١٧٩٨) ، ص ١٦ ، بقوله : « قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضى وليس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ...» . واختار بونابرت مصطفى بك فيما بعد ضمن الكبراء الذين رأى أن يصحبوه فى الحملة السورية ـ كما ذكرنا من قبل ـ ، غير أنه تخلف عن السفر وقام بتصرفات اعتبرها الفرنسيون خروجا عليهم وخيانة لهم . وقد التجأ بعد ذلك الى بعض القرى وحاول أن يسترضى السلطات الفرنسية ليسافر مع بعثة الحج وكتب «الى المسئولين بذلك ، ولكنهم رفضوا ثم أصدروا هذا البيان .

وهناك منشورات أخرى تناولت بعض شئون الحياة اليومية العادية، ولا تخلو أحيانا من طرافة أو اثارة • ومنهـا المنشـــور الذى أشار اليه الجبرتى فى عبارة موجزة بقوله (١) : « ••• كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصقوها بالأسواق مضمونها ان فى يوم الجمعة حادى عشرينه (٢) قصدنا أن نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية » •

وكان طبيعيا ان يثير هذا الخبر الغريب اهتمام الناس • ومع أن الجبرتى قد أوجز فى نقل نص المنشور ، فقد أطال فى حكاية الحدث نفسه ، الذى كان أحد شهوده • وعبر من خلال ذلك عن مشاعره التى كانت صورة صادقة لمشاعر الناس • قال الجبرتى : « فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليـــوم قبل العصر تجمع النـاس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم » •

ثم أسهب الجبرتى فى وصف التجربة ، بما يفهم منه أنها كانت لتطيير « بالون » من القماش • وقد علق على فشلها ، بعد أن سقطت كرة البالون ، بقوله فى شماتة غير المصدق لما ادعاه الفرنسيون : « فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسـير فى الهواء بحكمة مصـنوعة ويجلس فيها أنفـار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة •• بل ظهر إنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح ••• » ! (٣) •

وتكررت هذه التجربة المثيرة مرة أخرى ، وأعلن عنها الفرنسيون كذلك بمنشور • وتحدث الجبرتى عن المنشور والتجربة بالروح نفسها، فقال (٤) : «... كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الازبكية مثل التى

---

(١) **المرجع نفسه** ، ص ٣٢ ، من حوادث يوم ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨) •

(٢) أى ٢١ جمادى الثانية (٣٠ نوفمبر) •

(٣) الطريف ان الفرنسيين استغلوا هذا البالون ــ على ماروى الجبرتى ــ فى توزيع بعض المنشورات ، اذ قال بعد ان وصف سقوط كرة القماش : « •• وكاثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصوطة •• » •

(٤) **المرجع نفسه** ، ص ٤١ ، من حوادث يوم ٩ شعبان ١٢١٣ (يوافق ١٦ يناير ١٧٩٩) • وقد علق الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ــ ٣) على ماذكر الجبرتيون قائـلا ان الـذى اجراها هو العـالم الفرنسى كونته (Conté) • وذكر عنه انه كيميائى وميكانيكى ومبتكر لطائفة من المخترعات ، وان بونابرت عهد اليه بسبك حروف لطابع الحملة ، وكان يعتمد عليه كثيرا فى استثمار موارد مصر الطبيعية لاسميفاء حاجات الجيش ، وبخاصة بعد تحطيم العمارة الفرنسية فى موقعة ابو قير البحرية •

سبق ذكرها وفسدت فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروهـا وصعدت الى الاعلا ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم » .

ومن نماذج هذه المنشورات كذلك منشور يعلن عن بيع خيل تملكها حكومة الحملة للأهالى ، ويحدد مكان البيع وزمانه (١) . « فلأجل هـذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فمنحنا له الاجازة انه يقتنى كما يريد ويشـاء » .

***

مع قلة ما صدر من منشورات فى عهد كليبر بوجه عام ، فقد غلب على معظم هذه المنشـورات الطابع الاعلامى البحت ، ومنهـا ما كان على قدر كبير من الأهمية فى هذا المجال .

ومن أبرز هذه المنشورات المنشور الذى أصدره كليبر فى أوائل عهده ، ليذيع به مرسوما من عشر مواد ، باعـادة التقسـيم الادارى للبلاد (٢) . ويقضى المرسـوم بأن يقسم القطر المصرى كله ، بما فى ذلك العاصمة والمدن الساحلية ، الى ثمانى ولايات (arrondissements)

ويتضمن المرسوم ، بعد بيان التقسيم الجديد ، عدة تنظيمات تتصل بالكيان الاقليمى للولايات وهيكلها الادارى ، وتحدد مهمة ممثل الحكومة المركزية فيها . وأهم هذه التنظيمات :

١ — ان يكون فى كل ولاية « رزنمجى فرنساوى » أى ممثـل (agent) مالى للحكومة المركزية ، ومعه وكيل ومترجم ، وان هـذا « الرزنمجى » أو وكيله « يلزمه أن يرافق دايما العساكر الذين يجولون فى الولاية لتحصيل الاموال الديوانية » (المادة الثانية) .

٢ — أن يكون فى كل ولاية «مباشر» أى معتمد مسئول (intendant) قبطى ، مهمته تزويد «الرزنمجى» الفرنسى أو وكيله بالمعلومات «عن كل شىء يسأله عنه فيما يخص ولايته » ، وان يرافقه أو وكيله « الى أى محل ينتقل اليه مع العسكر » .

٣ — ان الدواوين الاقليمية التى أنشأها بونابرت « لا يحصل لهـم تغيير قط لا فى العدد ولا فى الوظيفة ولا فى محلات اجتماعهم » (المادة السادسة) .

---

(١) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١١ رجب ١٢١٣ : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٢) راجع شكل ٢٠ .

٤ ــ ان « وجاقات الانكشارية » ، أى الفرق العسكرية التركية ، تبقى كما هى حسب تكوينها القديم . وحيثما اقتضت الضرورة فان حكام الولايات من القواد الفرنسيين يعملون على أن يكون نصف عـــدد كل « وجاق » من الخيـــالة الذين يعرفون البـــلاد وطرقها جيـــدا ، لكى ينفعوهم ويكونوا دللا (أدلاء) لعساكرهم فى وقت الاحتياج » (المادة السابعة) .

وواضح ان هذا المنشور وثيقة تاريخية بالغة الأهمية ، تجلو بما تتضمنه من حقائق صفحة من صفحات حكم الحملة الفرنسية لمصر بوجه عام ، وعهد كليبر ثانى قواد هذه الحملة ، بوجه خاص .

ومن المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية كذلك المنشـــور الذى أذاع اتفاقية العريش ، التى عقدت بين الفرنسيين والعثمانيين لجلاء القوات الفرنسية عن مصر (شكل ٧٠) (١) .

لقد نقل الجبرتى عن هذا المنشور الترجمة العربية للاتفاقية (٢) . وفضلا على ضعف هذه الترجمة وما بها من اخطاء ، فان الجبرتى ــ كعادته ــ لم يكن دقيقا فى نقل بعض عباراتها . هلما الى أن تحـــويل مخطوط الجبرتى بعد وفاته الى كتاب مطبوع قد عرض الأصل لأخطاء أخرى . ومن هنا أهمية المنشـــور المطبوع ، الذى جمـــع بين النص الفرنسى الحرفى للاتفاقية وترجمته العربية .

وأهم ما تضمنته مواد هذه الاتفاقية انها قضت بجلاء القوات الفرنسية عن مصر بكامل أسلحتها وأمتعتها ، وبان تقلع هذه القوات من الاسكندرية

---

(١) وقعت الاتفاقية ، بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين اشتراك الانجليز فى بعض مراحلها ، فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، وصدق عليها كليبر فى ٢٨ يناير . وليس بالمنشور مايدل على تاريخ طبعه ، وان دل بتاريخ توقيع مندوبى الجانبين وتاريخ تصـــديق كليبر . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ ــ ٧ . وقد قدم لها بعبارة تدل على ارتياحه البالغ لعقد الاتفاق : «... وجنح كل من الفريقين الى ذلك (الصلح) لما فيه من كف الحـــرب وحقن الدماء واظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقـــد الصـــلح على اثنين وعشرين شرطا ومست وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبه بصورة الحال الى دوجـــا فالتقام لجميع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وهربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة قرقوا منها على الاعيان والعسقرا منهـــا بالاسواق والشوارع ...» ــ هذا ولم يذكر الجبرتى تاريخا محـــددا لتلاوة ملخص الاتفاقية على أعضاء الديوان أو لتاريخ صدور المنشور ، وانما اشار الى ذلك بشكل عام فى حوادث شهر شعبان ١٢١٤ (٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ ــ ٢٧ يناير ١٨٠٠) .

ورشيد على السفن الفرنسية والسفن التى تقدمها الحكومة العثمانية ، على أن يتم الجلاء فى مدى ثلاثة أشهر • وتنظم مواد الاتفاقية بعد ذلك تفصيلات هذا الجلاء ومواقيته •

ويقول مؤرخنا الرافعى عن هذه الاتفاقية (١) انها « أول وثيقـــة من الوثائق الدولية الحديثة اعترفت فيها الدولة المحتلة مصر فى أواخر القرن الثامن عشر بفشل احتلالها وتعهدت بجلائها عن البلاد ، فهى بهذا الاعتبار خطوة فى سبيل تكوين مصر المستقلة » • ثم يقول : « فمعاهدة العريش هى الوثيقة الرسمية التى تعهدت فيها فرنسا بالجلاء عن مصر، فهى اذن وثيقة من أهم الوثائق الرسمية فى تاريخ مصر الحديث » •

وهناك منشور اعلامى آخر يتضمن بدوره وثيقة تاريخية لها أهميتها الخاصة فى التعرف على بعض الملامح التى تتصل بحالة الحملة الفرنسية ومركزها المـالى فى عهـــد كليبر • انه المنشـــور الذى صـــدر فى ثمانى صفحات ، بعنوان فرنسى يعلو عنوانه العـربى ويزيد عليه تفصيلا ، ونصه : « الترجمة العربية لأمر القائد العام الصادر فى ٨ فلوريال سنة ٨ ، بشأن الغاء الادارة العامة للشئون المالية بمصر » (شكل ٧٧) (٢) • أما الأمر الفرنسى نفســه فقد صـــدر فى منشـــور مستقل (شـــكل ٧٨) (٣) •

والأمر الذى أذاعه هذا المنشـــور يتألف من اثنتين وعشرين مادة يزودنا مضمونها بكثير من المعلومات التاريخية القيمة • وأهم ما تضمنته هذه المواد ، الى جانب ما أشار اليه العنوان :

١ ــ الغاء وظيفة « مدير الحدود » ، أى مدير الشئون المالية ، ونقل اختصاصاتها الى « الخزندار العام » أى مدير الخزانة • وبذلك أصبح « استيفو » (استيف) شاغل هذه الوظيفة مسئولا عن ايرادات الحكومة كلها (٤) • وعليه أن « يضبط ويكشف حسابات المدخول

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ــ ٤٠ •

(٢) يوافق تاريخه ٢٨ أبريل ١٨٠٠ • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة •

(٤) كان بوسيلج « مدير الحدود » قد غادر مصر مع دوجا عائدا الى فرنسا فى ٦٤ مارس احتجاجا على عقد معاهدة العريش ، مع أنه كان أحد المندوبين اللذين وقعاها من الجانب الفرنسى • وقد عين كليبر بدله جلوبيير (Glouvier) الذى مات فى ثورة القاهرة الثانية ، تاركا كليبر ذلك المنصب •

(الدخل) من اللم (الجباية) العمومى ..» . وفضلا عما يتبين اليه ذلك من تغيير جذرى فى الوظائف المالية الرئيسة ، فان تاريخ المنشور يحدد الوقت الذى تم فيه هذا التغيير . وبذلك يتبين ان الرافعى مثلا كان غير دقيق عند ما ذكر عن استيف انه كان « مدير خزانة الحملة أولا ثم مدير الشئون المالية فى أواخر عهد الحملة الفرنسية » .

٢ ــ توحيد مختلف ضرائب الأرض الزراعية ، اعتبارا من عام ١٢١٤ هـ ، فى ضريبة واحدة « باسم اللم العمومى » (١) . وقيمة هذه الضريبة ليست ثابتة ، فكل عام « على موجب ما ينظر صارى عسكر العام زيادة النيل وعلوه وكثر الزرع يبين ويقدر قدر اللم العمومى المطلوب» .

٣ ــ الغاء نظام الالتزام بالنسبة للأرض الزراعية . فعلى حد تعبير امر القائد العام « لم يقى يمكن أبدا أن تستأجر البلاد » . وأصبح المباشرون الأقباط « هم متوكلين خصوصى بقبض اللم العمومى وحكام الأقاليم بأمر من صارى عسكر يعطوا لهم عسكر والقوة لأجل القبض .. » ، وذلك فى مقابل « عمولة ثمانية بالمائة وهذه العمولة خلاف اللم العمومى والقبطة يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم ..» . وهذا فى الواقع اجراء خطير حاول كليبر بمقتضاه أن يعطل ــ بالنسبة للأراضى الزراعية ــ نظاما راسخا ارتبط بالحياة الاقتصادية والاجتماعية لمصر من الفتح العثمانى ، وان لم يقدر لمحاولته أن يدوم أثرها .

وتنظم مواد الأمر ــ عدا ذلك ــ طريقة جباية الضريبة ومواعيدها وضبط حساباتها .

واذا أخذنا فى الاعتبار الظروف الدقيقة التى تعرض لها مركز الحملة الفرنسية فى مصر وقت صدور هذا المنشور من ناحية ، ولاحظنا تضمن المنشور من ناحية أخرى لتفصيلات لم تتناولها مراجع الحملة المعروفة ، أدركنا أهميته والقيمة التاريخية لما لمضمونه من دلالات .

ففى ذلك الوقت كان كليبر قد نقض اتفاقية العريش بعد أن لمس سوء نية الانجليز تجاه الحملة واتجاههم الى الايقاع بالقوات الفرنسية عند جلائها . ونشبت معركة عين شمس بين الفرنسيين والعثمانيين

---

(١) كانت الاراضى الزراعية منذ بداية العصر العثمانى مثقلة بانواع الضرائب والاتاوات ، واهمها : ضريبة الخراج او الميرى وهى المخصصة للسلطان ، والفائض (الفايظ) وهو ما كان يستولى عليه الملتزمون بعد وفاء الميرى ، والكشوفية وهى المخصصة للكاشف أى حاكم الاقليم .

الذين كانوا قد بدءوا زحفهم تنفيذا للاتفاقية . ولم تلبث القاهرة أن ثارت ثورتها الثانية ، وكانت ثورة عارمة شاركتها فيها بعض الأقاليم وبخاصة فى الوجه البحرى . واضطر كليبر فى أثناء هذه الثورة الى عقد اتفاقه مع مراد بك الذى ترك له بمقتضاه حكم الصعيد الأعلى ، كما سبق أن ذكرنا (١) .

ولما كانت موارد الحملة المالية قد تأثرت الى حد كبير نتيجة لتتابع هذه الأحداث ولأسباب أخرى (٢) ، فقد قرر كليبر — كما نفهم من الأمر الذى أذاعه هذا المنشور — أن يضبط ضرائب الأرض الزراعيـــة وينظم جبايتها . وضمانا للحصول على حصيلة هذه الضرائب كاملة ألغى وساطة الملتزمين فوفر بذلك دخلهم منها ، وكلف بجمعها « المباشرين القبطة » . على أن يتقاضوا فى مقابل هذا العمل عمولة معينة « يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم » .

وكانت الادارة المالية فى عهـد كليبر قد اتخـذت قبل الغائها من المنشورات أداة اعلامية ، تعلن بهـا القرارات الخاصـة بتأجير مختلف مصادر الايراد الضريبى — غير الأرض الزراعية — للملتزمين (٣) . واتبع بوسيليج فى ذلك أسلوبا غير مألوف . فقد أصـــدر عددا من المنشورات بالعـربية والفرنسية تتضمن شروط صك الالتزام الثابتـة ، وتركت بالمنشور فراغات قليلة تملأ بخط اليد لاضافة البيانات الخاصة باسم الملتزم ودائرة التزامه وتاريخ الصك وما الى ذلك . أى أن هذه المنشورات كانت أشبه بما نعرفه من العقود المطبوعة (الجاهزة) ، غير انهـا كانت

---

(١) انظر ص ٧٠ . وقد نشبت معركة عين شمس (على مشارف القاهرة) فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وبدأت ثورة القاهرة فى اليوم نفسه واستمرت شهرا كاملا . ووقع اتفاق الصلح بين كليبر ومراد فى ٥ ابريل . وكان صدور هذا الامر الذى تضمنه المنشور — كما رأينا — يوم ٢٨ ابريل .

(٢) كانت الضربة على عهد بونابرت قد استنفدت معظم موارد البـلاد المـالية ، هذا فضلا عن أن الحصار البحرى الذى فرضته السفن الانجليزية على شواطىء مصر قد عطل مواصلاتها الخارجية وأصاب تجارتها بالكساد . ويضاف الى ذلك ضعف فيضان النيل فى صيف ١٧٩٩، وما ادت اليه هذه الحالة من بوار كثير من الأراضى الزراعية وعجز فلاحيها عن دفع ضرائبها (انظر : الرافعى ، **العصر السابق** ، جـ ٢ ، ص ١١٩ — ١٢٥) .

(٣) يقول الجبرتى فى هذا المعنى عند سرده للاحداث فى أوائل عهد منو «حرروا دفاتر العشور واحصوا جميع الاشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر » (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٦) .

تذاع على الناس كسائر المنشورات لشهر مضمونها . ونستدل على ذلك من أسلوب صياغتها وطريقة عرضها ، ومن وجود عدة نسخ من بعضها فى «الملفات الخاصة بالحملة فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية» وفى المكتبة القومية بباريس .

مثال ذلك المنشور الخاص بتأجير « قلم سوق الرز وقبانة القطن» وكالة الباشه برشيد» لمدة سنة (شكل ٧٩) (١) .

ومن استعراض هذه المنشورات يتضح ان نظام الالتزام امتد الى مختلف القطاعات والمجالات التى تمثل مصادر ايراد ضريبى للحكومة كالأسواق بما تحويه من أعمال البيع والشراء ، بل ووسائطها مثل القبانة والكيالة والنقل ، والمجازر والمعاصر والمطاحن ، ووحدات الانتاج الحرفى كالحدادة والنجارة . ونعرف من هذه المنشورات كذلك أن الالتزامات كانت تمنح لأفراد من مختلف الطوائف ، فكان منهم المصرى والسورى والتركى ، بل وبعض الأوروبيين المستوطنين .

ويحتمل أن تكون مثل هذه المنشورات قد سبقت بمنشورات أخرى لم يحفظها التاريخ أو لم يصل اليها الباحثون بعد ، تعلن عن مزادات توزيع مناطق الالتزام . فمن الرسائل الاعلامية التى خصصت بعض المنشورات لاذاعتها أيام كليبر الاعلانات العامة . ومثال ذلك اعلان أو سنيه (Avis) صدر بالعربية والفرنسية ، خاص ببيع البضائع والغلال الموجودة فى مخازن الاسكندرية بالمزاد العلنى (شكل ٨٠) (٢) . وقد تضمن هذا الاعلان بيانا مفصلا بالبضائع والمنتجات التى سيجرى عليها المزاد ، وكانت أكثر من خمسين سلعة متنوعة تعطى صورة واضحة عما كانت تتعامل فيه الأسواق المصرية وقتذاك . فقد شمل ما عرض للبيع المواد التموينية المحلية كالسمن والجبن والمجلوبة كالجوز واللوز ، ومواد الصناعة كالأصباغ والراتنجات والأقمشة ، والسلع المستوردة كأدوات المائدة وغيرها .

---

(١) تاريخه ٢٥ فروكتيدور سنة ٧ (١١ سبتمبر ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) يحدد هذا الاعلان غير المؤرخ ، الذى صدر بالعربية والفرنسية ، تاريخ المزاد بيوم ٢٠ بريريال سنة ٨ (٩ يونيو ١٨٠٠) . ولابد بالطبع أن يكون قد صدر وأذيع قبل ذلك بوقت كاف . وهذه النسخة من المنشور من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ومن ناحية أخرى فان مثل هذا الاعلان يشير الى بعض مظاهر الضائقة المالية التى كانت تعانيها حكومة الحملة فى أواخر عهد كليبر . فاغلب الظن أن هذه «البضائع والاغلال الموجودة فى مخازن اسكندرية» كانت فى الأصل مملوكة لغير الفرنسيين ، وان هؤلاء استولوا عليها وأعلنوا عن بيعها بالمزاد ابتغاء الحصول على دخل جديد يسددون به بعض مطالبهم .

وواصلت حكومة كليبر خطة سلفه فى استخدام المنشورات لاذاعة ما يتصل بالاجراءات الصحية - وقد أشار الجبرتى الى احد هذه المنشورات بايجاز فقال انه « نودى بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقا والصقوها بالأسواق وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم **عسكرى من طرف الفرنساوية** » (١) .

***

تميز عهد قيادة منو بكثرة ما صدر فيه من منشورات ، سواء ما كان منها دعائيا خالصا أو اعلاميا خالصا ، أو ما جمع بين الدعاية والاعلام . وكان للجانب الاعلامى بالذات نصيب وافر من مادتها . ومن حسن الحظ انه أمكن العثور ضمن وثائق الحملة الفرنسية بباريس على عدد كبير من هذه المنشورات التى لم تشر الى معظمها المراجع التاريخية من قبل . كما ان معاصرى الحملة من المؤرخين سجلوا لنا بدورهم بعض هذه المنشورات .

وقد بدأ منو عهد قيادته ببعض المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية الخاصة ، وهى تلك التى اذاعت على المصريين حادث مصرع الجنرال كليبر وما ترتب عليه من تحقيقات ومحاكمة .

صحيح ان المنشورات التى تتصل بهذا الحادث كانت - بطريق غير مباشر - صورة لسياسة الترغيب والترهيب التى واصل منو السير عليها ، وهو ماسبق أن تعرضنا له من قبل ، ولكن لاشك أن هذه المنشورات المطولة كانت بما تضمنته من مادة اخبارية عملا اعلاميا فريدا . وبالرغم من طول هذه المنشورات واحتشادها بالتفصيلات ، فقد رأى الجبرتى ، نظرا لقيمتها الاعلامية والتاريخية ، أهمية نشرها كاملة .

لقد روى مؤرخنا فى ايجاز واقعة مصرع كليبر، وماأعقبها من ردفعل

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٨٠ من حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ (١٧ سبتمبر ١٧٩٩) .

بين المواطنين ، واجراءات اتخـــذها الفرنسيون حتى صـــدر الحكم في القضية (١) • ثم قال ان الفرنسيين « ألفوا في شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها •• ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام•• » •

وأخـذ الجبرتي بعد هذه المقدمة في اثبات نصـوص تلك المنشورات واحدا واحدا (٢) • وقد بدأها بالمنشور الذي تضمن « شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العـــام كليبر » و « شرح جروحات الستوين بروتاين (أي المواطن بروتان : Protain) الذي انفذر هو أيضا في جنب سارى عسكر العام •• » وهو تقرير طبي تميز بالدقة والموضوعية ، وقد وقعه الطبيب الذي ندب للفحص وهو كازابيانكا (Casabianca) الجراح الأول بجيش الحملة ، ووقعه معه « الدفتردار سارتلون » ، مدير مهمات الجيش الذي عهد اليه في هذه القضية بمهمة « المبلغ » أي المدعي العام •

وأعقب ذلك على التوالي نصـــوص المنشورات التي تضمنت هـــذه الوثائق :

١ ــ محضر « أول فحص » أي أول تحقيق مع سليمان الحلبي قاتل سارى عسكر • وفيه نفى المتهم في بادىء الأمر أية صلة له بالحادث رغم محاصرته بالأسئلة ومواجهته بالأدلة • ولذلك « أمر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد » ، فما لبث أن « طلب العفو ووعد انه يقر بالصحيح وصار يحكي من أول وجديد » . وهكذا اعترف سليمان بعد ضربه !

٢ ــ محضر « فحص الثلاثة مشايخ » (٣) وهم شركاء القاتل : عبد الله الغزي ومحمد الغزي وأحمد الوالي •

ــ قرار تأليف « ديوان قضاة » (أي هيئة محكمة) ، « لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام •• » من تسعة أعضاء برئاسة الجنرال رينييه (Reynier) •

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ــ ١٧ •

(٢) طبعت سلطات الحملة مادة هذه المنشورات مرة أخرى باللغات الثلاث في كتيب واحد سبق أن أشرنا اليه (انظر ص ٤٤) •

(٣) كان رابع هؤلاء الشركاء هارب ، وهو عبد القادر الغزي ، وقد حـــوكم غيابيا •

٣ ــ القرارات التنظيمية التى اتخذتها هيئة المحكمة وتشمل اختيار كاتم السر وتفويض الرئيس والمدعى العام سلطة « التفتيش والحبس » لكل من يشكون فى أمر اشتراكه فى الحادث ، «وهذا لكى يظهروا رفقاء القاتل» ٠

٤ ــ أقوال الشهود ، وهم المهندس بروتان الذى جرح فى الحادث ، والجنديان اللذان قبضا على القاتل ، وياور كليبر الذى شاهد القاتل قبل الحادث وهو يتتبع القائد العام فنهره وأبعده ٠

٥ ــ محضر التحقيق الثانى مع سليمان الحلبى ٠ وفيه أضاف كثيرا من التفصـــيلات الى اعترافه فى التحقيق الأول ، وذكر تحـريض بعض العثمانيين له على قتل « سارى عسكر » ، وقصة حضوره الى مصر حتى وقوع الحادث ٠

٦ ــ محضر مواجهة المتهمين بعضهم ببعض واعترافاتهم خلالها ٠ وقد أقر فيها شركاء سليمان بأنهم كانوا يعلمون بعزمه على ارتكاب الحادث ولم يبلغوا عنه ٠

٧ ــ محضر التحقيق مع متهم آخر هو « مصطفى أفندى البروصلى » ، وهو شيخ كبير كان يعلم القاتل الكتابة ٠ وقد تبين من هذا المحضر ، الذى تمت فيه مواجهة بين المتهم والفاعل الأصلى ، انه لم يكن يعلم شيئا من التدبير للجريمة قبل وقوعها ٠

٨ ــ مرافعة المدعى العـــام « سارتلون » الذى استعرض فيها أمجاد القائد القتيل، وأشار الى الحادث مؤكدا فظاعته،ثم هاجم العثمانيين،الذين حرضوا القاتل ٠ وبعد ذلك طالب سارتلون بالحكم بالاعدام على سليمان وشركائه الأزهريين الأربعة ، وبتبرئة معلمه مصطفى أفندى ٠ ولكنه طلب أن تقترن عقوبة القاتل بالتعذيب على أساس أن « عظمة الاثم تستدعى أن يصير عذابه مهيب » ٠ ومن هنا اقترح أن يعاقب سليمان الحلبى « بتحريق يده اليمنى » وبخوزقته « حتى يموت فوق خازوقه » ٠

٩ ــ وصف الجلسة الأخيرة وما دار فيها من حوار بين هيئة المحكمة والمتهمين ، وتلخيص لموقف كل منهم على حدة ، ثم منطوق الحكم (١) ٠

ولما كانت المادة الخامسة من أمر منو الصادر بتأليف المحكمة تنص على

---

(١) سبق أن أشرنا الى هذا المنشور عند الحديث عن سياسة الترغيب والترهيب (انظر ص ١٧٠ ــ ٧٢) ٠

أن القضاة «يتفقوا على العذاب اللايق الى موت القاتل ورفقايه» ، فقد استند القضاة الى هذه المادة ليتفقوا على « أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر..» . وعلى ذلك حكموا ـ كما نعلم ـ بأن « سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور » . أما سائر المتهمين المذنبين فحكم عليهم بأن «تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار . ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شيء».

وهكذا فنحن أمام تقرير ضخم يصور ماجريات ذلك الحدث الذى كان من أبرز الأحداث الداخلية فى تاريخ الحملة الفرنسية بمصر . ولاشك أن تسجيل كل وثائق الحدث وطبعها على هذه الصورة فى منشورات بلغة الشعب ولغة الحاكمين ولغة أصحاب السيادة الاسمية على البلاد الذين اعتبر القاتل من عملائهم ، ثم جمعها بعد ذلك فى كتيب واحد ، لهو عمل اعلامى بارع .

وتمثل معاهدة الجلاء عن مصر ، التى وقعها الجنرال بليار نائب القائد العام فى القاهرة ، آخر الوثائق المهمة التى أذاعتها منشورات الحملة(١). وكانت الأحوال قد تأزمت الى حد كبير بعد أن واصل الجيش العثمانى تقدمه من الشرق وأصبح على مشارف القاهرة ، وبعد أن واصل الجيش الانجليزى كذلك زحفه من رشيد تاركا منو محاصرا مع قواته فى الاسكندرية وأصبح يطل على القاهرة من الغرب (٢) .

وزاد من تحرج موقف الفرنسيين انتشار الطاعون وفتكه بعدد كبير من الأهالى والجنود وبخاصة فى القاهرة والصعيد ، ثم وفاة مراد بك حليفهم الأكبر بينما كان فى طريقه مع قواته لمساعدة بليار . فاجتمع مجلس حربى بالعاصمة ، وقرر عدم انتظار تعليمات منو ومفاوضة العثمانيين والانجليز فورا للتسليم على أساس الجلاء الكامل عن مصر . وهكذا وقعت

---

(١) وقعت هذه المعاهدة يوم ٨ مسيدور سنة ٩ (٢٧ يوليو ١٨٠١) .

(٢) كانت القوات العثمانية بقيادة الصدر الاعظم يوسف ضيا قد تقدمت من العريش حتى بلبيس ، فراى بليار أن يهاجمها هناك ولكنه هزم عند دربة الزوامل التى تقع بين بلبيس والخانكة (٦ مايو ١٨٠١) ، فارتد بجيشه سريعا الى القاهرة . وفى الوقت نفسه كان الانجليز بقيادة الجنرال هتشنسون (Hutchinson) ، قد دعمهم قوات عثمانية ، قد هزموا الفرنسيين على مداخل الاسكندرية وفى رشيد ، ثم احتلوا الرحمانية ، وقطعوا بذلك الاتصال بين جناحى الجيش الفرنسى فى القاهرة والاسكندرية (٩ مايو ١٨٠١) .

الاتفاقية التى لم تختلف موادها كثيرا عن مواد اتفاقية العريش التى وقعت فى عهد كليبر من قبل تم نقضت » (١) .

نعد رأى بليار أن يذيع على « جميع أهالى محروسة مصر » من كل الطوائف ما يهمهم من مواد هذه الاتفـــاقية . فأصدر منشورا بالعربية والفرنسية يتضمن نص المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وحـدهما (شكل ٨١) (٢) .

وقدم بليار لنص مادتى الاتفاقية فى المنشور بعبارة قال فيها ان ارادة الله تعـالى قضت « بالصلح ما بين عساكر الفرنسـاوية وعساكر الانجليز وعساكر العثمانية ... » . ثم استدرك يطمئن الأهالى الى أن هذا الصلح لا يعنى المساس بأشخاصهم أو عقائدهم أو أملاكهم . وأكد لهم ان «روس عساكر الثلاثة جيوش قد اشرطوا بهذا» .

وخلاصـــة المادتين اللتين اهتم بليار باذاعتهما على الناس ان لكل فرد الحرية المطلقة فى أن يسافر مع الفرنسيين ، دون أن يصيب أسرته أو ما يملكه أى أذى ، وان من عمل مع الفرنسيين فى أثناء الاحتلال لاينبغى أن يخشى شيئا على نفسه أو ماله ، على أن يحترم قوانين البلاد .

وختم بليار منشوره بعبارة وجهها الى « أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل » ، قال فيها ان الفرنسيين لم يكفوا حتى اللحظة الأخيرة عن العمل على راحة الأهالى وأمنهم ، وعلى ذلك « فيلزم أنتم أيضا أن تسلكوا فى الطريق المســـتقيمة وتفتكروا ان الله تعالى جل جـــلاله هو الذى يفعل كل شى ... » .

وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور . ثم ذكر فى حوادث اليـــوم التالى أن الديوان دعى الى الاجتماع حيث تلا عليه الوكيل الفرنسى باقى

---

(١) لم يعلم منو بتوقيع نائبه بليار لهذه الاتفاقية الا متأخرا . وقد ثار عندما اطلع على شروطها . وحمل على بليار حملة شعواء ، ثم بعث الى بونابرت تقريرا يلقى فيه تبعة تسليم القاهرة على نائبه . ولكنه لم يلبث أن وقع هو نفسه بعد نحو شهرين (فى ٣١ أغسطس) مع العثمانيين والانجليز اتفاقية للجلاء عن الاسكندرية بشروط أسوأ من شروط اتفاقية بليار !

(٢) المنشور مؤرخ يوم ١٨ صفر ١٢١٦ هـ يونيو ١٨٠١) وقد طبع بمطبعة الحملة الرسمية بالقلعة ، وكانت نقلت اليها فى أواخر مارس ١٨٠١ ، بعد تحرج مركز الحملة فى مصر نتيجة لهزيمة قوات منو أمام الانجليز والعثمانيين فى موقعة كانوب (بالاسكندرية). وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

شروط الاتفاقية ، ولكنه لم يشر الى طبع هذه الشروط كاملة فى منشور آخر (١) . والأرجح أن يكون مثل هذا المنشور قد صدر فعلا ، اذ أننا قد عثرنا على منشور فرنسى يتضمن النص الكامل للاتفاقية وأسماء من وقعوها وتاريخ التوقيع وما الى ذلك (شكل ٨٢) (٢) . ومن المعقول أن تكون طبعة عربية مماثلة من المنشور قد صدرت ، وان كنا لم نعثر عليها .

وفى عهد منو حرر عدد كبير من المنشورات الاعلامية التى أذاعت من القرارات ما يتصل بالتنظيم الداخلى للبلاد ، ويتضمن من الحقائق ما يلقى الضوء على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العهد .

وقد تنوعت موضوعات هذه المنشورات وتعددت أغراضها . ومنها المنشور الذى يتضمن أمرا الى مشايخ الحارات والمسئولين عن أحيـــاء القاهرة ، بالابلاغ عن أسماء الغرباء الذين يفدون الى المدينة والجهـات التى أتوا منها (شكل ٨٣) (٣) . فعلى كل « صاحب بيت أو جامع أو وكالة » أن يبلغ شيخ الحارة فى خلال أربع وعشرين ساعة « أسما الصـنايعية وخلافه من الغربا الذى (كذا) يحضروا .. واسم البلد الذى حضر منها ذلك الشخص الغريب » .

ويلزم هذا الأمر من ناحية أخرى بالابلاغ عن سفر « أهل البلد والغربا الذين توجهوا من مصر وبولاق والجيزة ومصر القديمة» . وفى مقابل ما يفرضه من عقوبة السجن والغرامة لمخالفيه ، فانه يحرم دفع أية رشوة « الى مشايخ حارات أو متسايخ خطوط أو حكام أو تراجمين .. أو غيرهم اسلام أو فرنساوية حتى يحضروا يطلبوا حاجتهم » .

وهذا المنشـــور ــ الذى يذكرنا بمنشـــور مشابه صدر فى عهد بونابرت وسبق أن أشرنا اليه (٤) ــ يدل على مدى اهتمام حكومة منو

---

(١) الوجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ــ ٣ من حوادث يوم ٢١ صـــفر ١٢١٦ (٢ يوليو ١٨٠١) . وقد أخطأ الجبرتى فى عدد شروط الاتفاقية ، فذكر انها ثلاثة عشر . والواقع أنها واحد وعشرون شرطا .

(٢) طبع بمطبعة الحملة الرسمية بالقلعة . وقد صدر بتاريخ ١١ مسيدور مـــه ٩ (٢٠ يونيو ١٨٠١) أى بعد توقيع الاتفاقية بثلاثة أيام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، ونوجد نسخة أخرى مماثلة بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٣) أصدره الجنرال بليار قائد منطقة القاهرة ، وصدق عليه منو فى ٢٥ فروكتيدور سنة ٨ (١٢ سبتمبر ١٨٠٠) ، ولم يذكره الجبرتى . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٤) أنظر ص ٢١٠ .

باتخـــاذ اجراءات أمن معينة فى العاصمة ، خشـية تكرار ما عانى منه الفرنسيون قبلا من ثورات واضطرابات ٠

وفى منتصف عهده أصدر منو منشورا يتضمن أمرا يتعلق بتنظيم تموين جيش الحملة من مختلف الأقاليم المصرية (شكل ٨٤) (١) ٠ وقد قدم لهذا الأمر فى المنشور بقوله : « اننا نوينا على استحضار الزاد والزواد الى الجيوش الذين يمشون ويسيرون حينما هم فى وسط الولايات بحيث أن لا يقع الى أهالى الولايات شيا من الضرورات (أى الأضرار) ٠٠٠ » ٠

ويضع الأمر عدة قواعد ثابتة لهذه العملية تستهدف القضاء على أى انحراف أو سوء قصد فى تنفيذها ، وتزيل أسباب الشكوى منها :

- فهو يحتم أولا أن على « كل جماعة أو فرقة ٠٠٠ من عسكر جيوش الفرنساوية وهى سايرة بوسط الولايات ٠٠٠ » أن تحمل معها من المؤن ما يكفيها أربعة أيام ٠
- ثم يلزم هـذه الفرق بأن تتزود فى أثناء مسـيرها بما يلزمها من « مخازن الفرنساوية » التى قد توجد فى طريقها ٠
- أما فى حالة عدم وجود مثل هذه المخازن ، فيمكن التزود من الأهالى، فى مقابل «رجعات» ، أى ايصالات ، يوقع عليها قائد الفرقة وتوضح بها كل التفصيلات ٠ ويكون ذلك عن طريق « الوفيسيال » ، أى الضابط ، المعين لهذا الغرض ٠
- وقيمة المؤن التى تؤخذ بهذه الطريقة تخصم من الضرائب المستحقة على من قدموها . وتشمين هذه المؤن يكون بالاتفاق والتراضى مع أصحابها ٠

ويبدو ان منو كان يحاول بمثل هذا الاجراء ، قبل أن تحدق الأخطار بمصير الحملة ، أن يؤمن خوف المصريين ويقضى على توجسهم ونفورهم من بعض التصرفات التعسفية التى اعتادت السلطات الفرنساوية معاملتهم بها ، حتى عند تنفيذ ما رسمته من اصلاحات ٠ فبعد هذا المنشور بنحو شهر ، أصدر منشورا آخر ، يتضمن أمرا مهد له بقوله انه أراد به أن

---

(١) بتاريخ ٢٨ نيفوز سنة ٩ (٨ يناير ١٨٠١) ٠ وقد طبع هذا المنشور كما يرى فى طبعتين ، احداهما عربية خالصة ، والثانية عربية فرنسية ٠ وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

يقـــدم للمصريين دليلا جـــديدا على « كرم وحلاوة الحكومة الفرنساوية » (شكل ٨٥) (١) ٠

ويؤكد هذا الأمر فى مواده التسع : (٢)

١ ــ اغلاق القائمة التى تضم اسماء المصريين الذين غادروا البلاد ، ومنع مصادرة الأموال والعقارات بسبب ذلك ٠

٢ ــ تأكيد حرمة البيوت ، فلا تقتحم ولا تفتش الا لضرورات الأمن أو للبحث عن أسلحة أو بسبب تفشى الأوبئة ٠ ويكون ذلك بمقتضى تصريحات رســمية من كبار المســئولين المختصين ، أو بأمر من المحكمة ٠

٣ ــ حظر مصادرة الاموال المنقــولة وغير المنقــولة الا بمقتضى حكم من المحكمة المختصة ، أو بناء على طلب رئيس الادارة القضائية ، أو مدير الشئون المالية أو رؤساء الادارات ٠ ويكون ذلك فى حالات الاعتقال أو بسبب حوادث السرقة أو الامتناع عن سداد الضرائب المســتحقة ٠ وفى كل هذه الأحوال يتــولى مهمة التنفيذ القواد العسكريون للمناطق ٠

٤ ــ حق التمتع بالمسكن الخاص ، فلا يجوز ارغام فرد من أية ملة أو طائفة على التخلى عن منزله أو جزء منه لغيره ، الا اذا كان ذلك للضرورة القصوى ، وللمصلحة العامة وحدها ٠ وفى هذه الحالة يقرر لصاحب المكان مقدما التعويض المناسب ٠

٥ ــ منع هدم البيوت من أجل انشاء تحصينات أو شق طرق أو قنوات، الا بأمر من القائد العــام نفسه يقوم على تنفيذه رؤساء الأشغال العسكرية والمدنية ، ومع تقرير التعويض المناسب عينا أو نقدا ٠

ان هذين الأمرين اللذين لم يشر اليهما ، على أهميتهما الواضحة ، مؤرخ من قبل ، ليلقيان ضوءا جديدا على بعض محاولات منو فى تلك الفترة القصيرة للعمل على استقرار الأحوال فى مصر ، على أساس شعور

---

(١) بتاريخ ٣ فنتوز سنة ٩ (٢٢ فبراير ١٨٠١) ٠ وقد صــدر هــذا المنشور ــ بالعربية والفرنسية ، وهو من محفوظات المكتبة القومية ببادويس ٠

(٢) آثرنا هنا أن نلخص مضمون المنشور عن نصه الفــرنسى ، لما اتسم به النص العربى من ركاكة شديدة ٠

الاهالى بالأمن والاطمئنان الى الحكم الفرنسى ، بعد ماعانوه من قبل من عسف وجور •

وهذا الاتجاه الجديد فى سياسة حكومة الحملة ، بعد أن ذاق المصريون الأمرين من جور الفرنسيين وعسفهم فى فرض المغارم ومصادرة الأموال والأقوات والاعتداء على الحريات والحرمات ، انما يرتبط بسياسة منو الاستعمارية • فقد كان هذا القائد يؤمن تماما بفكرة استعمار مصر ، وكان يتخذ من الاجراءات ويضع من الخطط ما يتمشى وهذه الفكرة ، ويحقق للحكم الفرنسى فى هذه البلاد الاستقرار والاستمرار •

فأصدر الجنرال بليار ــ نائب منو ــ منشورا الى أهالى القاهرة (شكل ٨٦ ، ٨٦ أ) (١) ، يتضمن أمرين يتصلان بالنظام العام والشئون الصحية فى العاصمة • ويقضى أولهما باغلاق المقاصف (٢) العامة الا ماكان منها تابعا للجيش ، على أن يحصل من يديرونها على تصريحات بذلك من نائب القائد العام • ويبيح الأمر لهذه المحلات بيع الأطعمة والقهوة ، « ولعب الكنك » (أى البلياردو) حتى الساعة العاشرة مساء • ولكنه يحرم تحريما قاطعا بيع الخمور فى أى منها •

اما الأمر الثانى فهو يكرر تعليمات سبق اصدارها أيام بونابرت، اذ انه ينص على أن « كل من يموت من الآن فصاعدا من أفراد الرعية لا يباح دفنه من ذى قبل الاطلاع والكشف عليه ولا يدفن فى محل من المحلات التى داخل البلد » • ثم يحدد بعد ذلك ــ كالمعتاد ــ عقوبة مخالفته بالغرامة والحبس بالقلعة « مدة شهر زمان » •

وتمثل المنشورات التى تضمنت مواد اعلامية تتصل بسياسة منو المالية نسبة كبيرة مما صدر فى عهده من منشورات . لقد كانت حالة مصر المالية عندما تولى منو قيادة الحملة قد انحدرت الى مستوى بالغ السوء • ولم تكن الموارد التقليدية للحكومة ، بالاضافة الى الغرامة الضخمة التى فرضها كليبر على القاهرة بسبب الثورة ، والتى واصل منو تحصيلها ، فضلا عما صودر من بضائع فى ميناء الاسكندرية ، تكفى لسد نفقات جيش الحملة • وبخاصة أن تجارة مصر الخارجية كانت قد تأثرت الى حد بعيد ، بسبب الحصار البحرى الذى فرضه الانجليز على شواطىء

(١) صدر ــ كما نرى ــ فى طبعتين ، عربية وفرنسية ، فى ٢٩ بلوفيوز سنة ٩ (١٨ فبراير ١٨٠١) • وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) فى النص العربى « الخمامير » ، بينما هى فى النص الفرنسى « cantines »

مصر الشمالية من ناحية ، والحصار البرى الذى فرضته القوات العثمانية فى سوريا من ناحية أخرى ٠

ووصف الجبرتى ما عاناه سكان القاهرة وقتئذ من العسف وترادف المظالم والفظائع فى تحصيل الغرامات والاتاوات فى أوائل عهد منو وصفا موجعا ، فقال (١) ان الفرنسيين « أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بابخس الأثمان وحسبوا غرامته فان بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره وان زاد له شىء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبا » ٠ ثم قال ان الشهر التالى (٢) استهل « والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلومات تتكاثف » ٠

ومن هنا لجأ منو الى البحث عن موارد جديدة مع اعادة تنظيم الموارد القديمة فى الوقت نفسه ٠ وقد ساعد منو فى وضع المشروعات الخاصة بذلك استيف ، الذى أصبح منذ عهد كليبر ــ كما رأينا ــ مسئولا عن الادارة المالية والخزانة العامة معا ٠ وفى أمر من منو اليه لاعداد بعض تلك المشروعات ، أصدره فى أوائل عهده ، أوضح له ان الغرض من هذه المشروعات هو ضمان الحصول على ما يلزم للانفاق على جيش من ٢٥ ألف جندى ، دون مضايقة الأهالى أو تعطيل تجارتهم (٣) ٠ وسوف نستعرض فيما يلى بعض نماذج المنشورات التى تبرز معالم سياسة منو المالية وما استلزمته من اجراءات :

* لقد مهد منو لهذه المنشورات بمنشور يؤكد به أسعار تحويل العملات المختلفة المتداولة فى مصر (تعريفة النقود) ، التى سبق أن

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، من حوادث شهر ربيع الثانى ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (توافق بداية هذا الشهر يوم ٢٢ أغسطس ١٨٠٠) ٠

(٢) جمادى الاولى ١٢١٥ ٠

(٣) فى ٢٦ ترميدور سنة ٨ (١٤ أغسطس ١٨٠٠) انظر :
Rigault, op. cit., pp. 129-30.

أصدر بها بونابرت منشورا فى أول عهده (شكل ٨٧) (١) .

وحذر منو فى مقدمة هذا المنشور بأن كل تعامل بأسعار تزيد على أسعار هذه التعريفة «سيكون مقاصص بدفع خمسة بكل مائة على قدر المبلغ الذى يكون دفعه أو استلمه » .

وقد أصدرت البيان النقدى الجديد ـ كسابقه ـ لجنة مصرية فرنسية مشتركة تتكون من بعض كبار تجار الاسكندرية وبعض المسئولين الفرنسيين .

ولا شك أن هذا المنشور ، بما يقدمه من معلومات رقمية ، وثيقة تاريخية قيمة لمن شاء أن يدرس الاقتصاد المصرى فى ذلك العهد الحافل .

* وكان أول لسلسلة بعد ذلك منشورا يتضمن أمر منو بتحصيل رسم سنوى محدد من مشايخ البلاد (العمد) نظير اقرار تعيينهم فى مناصبهم (شكل ٨٨) (٢) . ويبرر «سرى العسكر العام» فى مقدمة هذا الأمر اصداره بانه « جرت ... العادة من قديم الزمان » بأن يدفع المشايخ الى الحكام هدايا « باسم تقادم فى كل سنة » ، وان « مشايخ البلاد من حين دخول الجمهور الفرنساوى بمصر ما دفعوا ما كان متوجه عليهم أن يدفعوه » . وعلى ذلك فان « خزنة الجمهور ... قد خسرت هذه المداخيل التى كانت تورد اليها وتحق لها شرعا ودينا ...» ثم أنه «من اللازم والضرورى ... الاهتمام بنجاح الفلاح بوجه العموم وان تبطل ... وتنتزع تلك المظالم التى قد جرت بها العادة وأغلب المشايخ المذكورين يبيحون لأنفسهم افتعالها ضد الفلاحين » .

وقسم الأمر قرى مصر الواقعة تحت الحكم الفرنسى مباشرة الى ثلاث فئات (٣) ، حدد كل منها رسما سنويا ثابتا على القرية الواحدة ، حل محل ما كان يدفع قبلا من « عوايد وتقادم وغير ذلك مما شابهه »

---

(١) انظر ص ٦٤ ، ٢٠٧ . وقد صدر هذا المنشور كذلك بالعربية والفرنسية ، وطبع فى ١٠ فروكتيدور سنة ٨ (٢٨ أغسطس ١٨٠٠) وكان البيان النقدى الذى تضمنه قد حرر يوم ٦ يوليو واعتمد رسميا يوم ١٠ أغسطس . وهناك النسختان من قسم المحفوظات بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية فى ٥ فروكتيدور سنة ٨ (٢٣ أغسطس ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٣) بلغ عدد هذه القرى حسب ما جاء فى « الشرط الرابع » من هذا الأمر ٢٢٥٣ قرية .

ويلاحظ ارتفـــاع هذه الرسوم ، فقد تراوحت بين ٢٥و٢٥٠ ريالا على القرية ، يدفعها شيخها أو مشايخها مجتمعين ، اذا كان للقرية أكثر من شيخ ، كما حدث أحيانا ٠

ويقول الجبرتى فى هذا الصدد (١) انه لما شاع هذا الأمر « ضجت مشايخ البلاد، لأن منهم من لا يملك عشراته فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت فى الخراج » ٠ غير ان الجبرتى أخطأ فى ذكر قيمة الرسوم ـ وتابعه فى ذلك الرافعى (٢) ـ اذ ضاعف ارقامها ٠ ويرجع ذلك الى ان المنشور ألزم مشايخ البلاد ، فى مادته السابقة ، بأن يدفعوا عن العام الأول ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم «لما دفعوا شيا بمدة سنتين. أمنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد من العوايد الواجبة عليهم» ٠

ويستوقف النظر فى هذا الأمر انه فى سبيل ضبط العمل بالنظام الجديد لمشايخ البلاد ينشىء جهازا للتفتيش عليهم ومراقبتهم ، يتألف من عدد من النظار (المفتشين) يختارهم الخزندار العام من أهالى البـلاد ، ويصدق على تعيينهم القائد العام ٠ ومهمة هؤلاء المفتشين « أن يوجهوا لكل شيخ بلد فرمانه ويستلموا قدر المعلوم الذى على كل واحد منهم أن يدفعه» ٠ وعليهم كذلك فى أثناء مرورهم بالقرى أن يتحروا عن سلوك المشايخ مع الفلاحين ، وعن عوايدهم وأخلاقهم وعن فضلهم وعن ميلهم لجهة الفرنساوية » ، وأن يتحروا كذلك « عن سلوك الفلاحين » أنفسهم ٠ وعلى رأس هذا الجهاز التفتيشى يعين «سرى العسكر العـام» مديرين عامين أحدهما فرنسى « والآخر من أهل البلد المتقدمين » ٠

وقد صدر مع هذا المنشور ملحق يتضمن صورة من الفرمان الذى سوف يتسلمه كل من المشايخ الجدد ، بتوليته لمدة عام واحد على حصـة معينة (شكل ٨٩) (٣) ٠ ويقرر الفرمان بالعربية والفرنسية أن للشيخ « ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره » ، وان عليه « الامتثال والطـاعة لأمر النظـــار المدبرين وهما الســـيتوين بريزون

---

(١) لم يذكر الجبرتى نص المنشور ، وانما اشار الى مضمونه اشاره موجزة فى حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، بدأها بقوله « فيه قرروا على مشاريخ البلدان مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة أعلى وأوسط وادنى ٠٠ » (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ٢٢٧ ـ ٨ ٠

(٣) هذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠ وتوجد نسخة أخرى من المنشور فى مكتبة التحف البريطانى بلندن ٠

(Brizon) والعمدة الفاضل سليمان الفيومى (عضو ديوان القاهرة) ... » (١) .

وكشف منو فى هذا الفرمان ـ مرة أخرى ـ عن وجهه الاستعمارى البغيض . فقد وجه الخطاب فى صدره الى « كامل مشايخ بلاد الأقاليم المصرية التى **ملكها الله تعالى دايما للدولة الفرنساوية** .. » . رجاء فى الفقرة الثالثة كذلك : « فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر أن ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا انه صار شيخا عليهم **مقررا من حضرة صارى عسكر وكيل أعظم وأفخر وأكبر الدول وهو الجمهور الفرنساوى مالك البلاد** » . وهكذا كانت سياسة منو ـ كما قال ريجو ـ أن يعامل مصر ، لا باعتبارها بلدا محتلا فقط ، وانما باعتبارها قطرا ضم بالفعل الى فرنسا (٢) .

غير ان ريجو ، من ناحية أخرى ، يبالغ فى الحكم على القانون (الأمر) الذى تضمنه هذا المنشور . فهو يناقشه على أساس ان منو قصد من ورائه أن يكون قانونا ماليا وقانونا للحكم المحلى فى الوقت نفسه . ثم يعتبر انه فى مجموعه « محاولة مخلصة لاقامة لون من الحكم المحلى الذاتى للمصريين ، فى ظل نظام للحماية المباشرة على رأسه قواد جيش الشرق واداريوه » (٣) .

فالواقع ان استعراض الظروف والملابسات التى صدر فيها هذا القانون ، فضلا عن استقراء مواده ، يؤكد ان الهدف الأساسى من اصداره لم يكن يختلف عن الهدف من اصدار سائر القوانين والتنظيمات المالية فى ذلك الوقت ، وهو الحصول على أكبر قدر من الأموال لخزانة الحملة الخاوية ، سواء بالبحث عن موارد جديدة أو بضبط الموارد القديمة واعادة ترتيبها .

---

(١) بريزون والفيومى هما المديران العامان اللذان تضمن أمر منو تعيينهما على رأس الجهاز التفتيشى . وقد أشار **الجبرتى** الى ذلك فى حديثه الموجز عن هذا المنشور الذى أسلفنا ذكره : « وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون » . وكرر الجبرتى اشارته عند ترجمته للشيخ الفيومى ، فى حديثه عن وفيات عام ١٢٢٤ هـ (**الموجز نفسه** جـ ٢٤ ، ص ١٠٦) وأكد ريجو (**موجز سبق ذكره** ص ١٤٩) رواية الجبرتى بأن الفيومى كان يعمل بالفعل تحت اشراف بريزون (surveillé par Brizon)

(٢) **الموجز نفسه** ، ص ١٤٢ .

(٣) **الموجز نفسه** ، ص ١٤٨ ـ ٩ .

اما ما تنافر فى ثنايا هذا القانون ، والفرمان الملحق به ، من عبارات ، تشير الى حقوق المشايخ قبل الفلاحين ، أو الى صلاحيات جهاز التفتيش المزمع انشـاؤه ، فليس الا من قبيل الضمانات التى تساعد على تحقيق الهدف الأصيل من المشروع .

واذا كان الباحث الحديث يرى فى قانون مشايخ البلاد كما أذاعه ذلك المنشور أساسا يمكن أن يقوم عليه نظام للادارة المحلية فى الأقاليم المصرية ، فان ذلك اذا ساعدت ظروف الحملة على حدوثه ، لم يكن ليحقق الا غاية ثانوية لا أساسية للمشروع .

* وهناك منشور طويل من ست عشرة صفحة يتضمن أمرا باعادة تنظيم « دواوين الجمرك » وبوضـع أسس جـديدة لما يجبى من ضرائب جمركية على كل من البضائع الداخلة الى البلاد والبضائع الخارجة منها ، وكذلك على المتاجر المتبادلة مع اقليم الصعيد الأعلى الذى كان تحت حكم مراد بك (شكل ٩٠) (١) .

ويشتمل هذا الأمر (أو القانون) ، الذى وقعه مع منو الخزندار العام استهوه (استيف) ، على تسع وعشرين مادة ، تقدم لنا فى مجموعها وثيقة تاريخية لها نقلها فى دراسـة بعض جوانب ذلك العهد الحافل . وتتناول هذه المواد كل تفصيلات التنظيم الجديد ، فهى :

- تقرر أماكن ودواوين الجمرك فى باب النصر(٢) والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس وأسيوط (٣) . وكذلك لا تغفل احتمال انه قد يلزم فى المستقبل « ترتيب ديوان للصـالحية الى البضـايع الواردة من بر الشام» .
- وتحدد نسب الضرائب الجمركية على كل نوع من السلع الواردة الى مصر أو المصدرة منها ، بكل تفصيل . ولقد كانت أهم منافذ مصر على البحر المتوسط والبلاد السورية ـ كما أوضحنا ـ محاصرة . ولم يكن لديها منفذ للتجارة الخارجية يعتد به سوى ثغورها القليلة على خليج السويس والبحر الأحمر . ولكن منو قصد ـ كما يبدو ـ أن يكون تنظيمه شاملا يصلح للتطبيق فى كل الظروف .

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠) وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) المدخل الشمالى للقاهرة .

(٣) شمالى الاقليم الذى كان يحكمه مراد بك .

ـ وتضع قواعد ادارية لضبط العمل الجمركى ، ولاجراءات التخليص والشحن ، بل واجراءات التفتيش الصحى كذلك ٠

ـ وتقر الامتيازات والتسهيلات التى سبق منحها لشريف مكة أيام بونابرت ، بشأن ما يورده الى مصر من البن ٠

ـ وتمنع ازدواج الضريبة ، كما تخفف الضرائب عن بعض الواردات ذات الاهمية الخاصة مثل العطارة (مواد طبية) وخامات الصناعة ومواد البنـاء والآلات الانتاجية وغيرها ، فضـلا عن اعفـاء القمح المستورد من اقليم الصعيد الأعلى (الذى يحكمه مراد بك) من الرسوم ٠

ـ وتنص على عقوبات المخالفين ، مع تحديد حالات المخالفة تفصيلا ٠

وينوه ريجو بهـذا الأمر قائلا (١) انه خفف بعض أعباء التجـار المصريين والفرنسيين ويسر التجارة مع الجزيرة العربية ، وخفض نسب بعض الضرائب عما كانت عليه فى عهد كليبر ٠

ويلفت النظر فى الأمر الذى أذاعه هذا المنشور انه يتضمن عدة اشارات واضحة الدلالة تؤكد سياسة منو الاستعمارية ، وما تستند اليه أو ينبثق عنها من أفكار ٠ فمقدمة الأمر أو « ديباجته » تقول ان « أهل أقطار مصر **الذين صاروا فرنساوية** لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعدة كمثل الفرنساوية ذاتهم ٠٠٠ » ٠ أى ان منو بهذه العبـارة العابرة يضع مبدأ استعماريا لعلاقة فرنسا بمصر فى غاية الخطورة ٠ وهو مبدأ يمثل محورا أساسيا من محاور السـيـاسة الاستعمارية التقليدية لفرنسـا ٠

ويؤكد منو هذا المبدأ فى « الشرط الخامس » من الأمر نفسه ٠ فهو ينص على أن « الجمارك يكونوا فقط بالنصف للبضائع والأصناف تعلق التجار الفرنساوية والمصرية الواردة والخارجة خاصتهم ٠٠ » ٠

ويلاحظ فى هذا المنشور كذلك الحرص على تحقيق أكبر قدر من الذيوع لما يتضمنه من رسالة اعلامية ٠ فآخر عبـارة منه تنص على أن « هذا الأمر يترجم وينطبع بالعربى ومدبر حدود العام (يقصد مدير الشئون المالية والخزانة) ملزوم بالمنادية به وبوصفه بالفرنساوى والعربى فى جميع البنادر بالأقطار المصرية ويعرفوا به جميع التجار الفرنساوية والمصرلية والغربا » ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣١ ٠

* بعد بضعة أيام أصدر منو واستيف منشورا آخر(شكل ٩١) (١) يتضمن أمرا بتنظيم الضرائب الداخلية المفروضة على تجارة المؤن الاستهلاكية وعلى السلع المصنوعة واستثمار موارد الرزق الطبيعية وغيرها ، لتلافى ما كان يشوبها من عيوب ومظالم ، أو على حد تعبير مقدمة المنشور «لأجل دوا فى الظلم الذى صاير فى قبض العوايد على المااونة (أى المؤن) فى قلب الديار المصرية » .

ولا يتضح من استقراء مواد هذا الأمر انه أبطل ضريبة أو ألغى رسما . وانما نلاحظ ، على العكس ، انه طبق مبدأ المساواة فى المغارم . فقد كان الهدف الأساسى من الاجراءات المالية الجديدة ـ كما ذكرنا ـ هو العمل على زيادة موارد حكومة الحملة لسد احتياجاتها الكثيرة . وهكذا وسع هذا الأمر نطاق الرسوم التى كانت تجبى من قبل ، كما أضاف رسوما جديدة .

فقد كانت الرسوم المقررة على انتاج الأقمشة وملح النوشادر وعلى ذبح المواشى فى المجازر مثلا تجبى فى مناطق دون أخرى ، فأصبحت « تنقبض فى جميع الديار المصرية » . واشار الأمر أيضا الى فرض رسوم جديدة على المراكب والملاحات وسبك الذهب والفضة وعلى صيد السمك والطيور واستخراج ملح النطرون وتقطير المشروبات الروحية وغيرها . مقررا انه سوف يصدر بكل منها أمر مستقل .

غير ان هذا الأمر مع ذلك يؤكد مبدأ مهما ، هو منع الازدواج الضريبى . فالسلع المخصصة للتصدير أو الواردة من الخارج لا يدفع عليها أية رسوم ، اكتفاء بالرسوم الجمركية .

ويلفت النظر فى الأمر ، الى جانب هذا ، نقطتان :

١ ـ فهو يثبت قاعدة تأجير مصادر الايراد (أى الأقلام) للمتزمين يتكفلون بجباية الضرائب المقررة عليها تحت الرقابة الحكومية ، وقد رأينا سبق تطبيق هذه القاعدة قبل منو . وتوزع حصص الالتزام (الأقلام) بواسطة مزادات يعلن عنها . ويكون التوزيع اما على أساس مكانى ، أو على أساس تحديد العين التى تحصل عنها

---

(١) فى ٢٤ فروكتيدور سنة ٨ (١١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وقد صدر فى طبعة واحدة بالعربية والفرنسية من سبع صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

الضريبة • ولابد من اعتماد صكوك هذا الالتزام من المستول الأول عن ادارة الشئون المالية (مدير حدود العام) •

٢ ــ ثم انه ــ لاول مرة ــ يشرك العنصر المصرى فى تحمل مسئولية الاشراف على العمل الضريبى • فينص « الشرط السابع » من الأمر على انه « يترتب أربعة نظار على العوايد وهم من أهل البلد ووظيفتهم يكونوا يناظروا (أى يشرفون على) فعل مستأجرين العوايد فى جميع الديار المصرية ويمنعوهم عن قبض الزيادة عن المرتب بهذا الأمر ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب (أى دفع المطلوب بالضبط) الى مستأجرين الأقلام ••• وينتقوا المذكورين ما بين أحسن الناس المفهومين بالديار المصرية ••• » • ونظرا لأهمية هذه الوظيفة الجديدة ، فان «مدبر حدود العام» نفسه يقدم المرشحين لها « الى حضرة سارى عسكر الكبير الذى يثبتهم فى منصبهم » •

ويرى ريجو ان هذا الأمر أدى الى ارتفاع أسعار المواد الضرورية والى كساد فى التجارة الداخلية • ويستدل على ذلك بآراء بعض معاصرى الحملة ، مثل رينييه (Reynier) والكابتن تيرمان (Thurman) (١) •

وفى الوقت نفسه أصدر منو عدة أوامر (قوانين) مالية أخرى ، خاصة بوضع أسس جديدة لرسوم الانتاج فى مجال بعض الصناعات التقليدية • وأهم هذه القوانين التى أذيعت ــ كالمعتاد ــ فى منشورات مطبوعة اثنان :

١ ــ قانون ينظم صناعة المصوغات الذهبية والفضية (شكل ٩٢) (١)، وهو يقضى بتقسيم هذه المصوغات الى عدة درجات حسب نسبة خام المعدن الثمين فيها ، وبأن تميز « مشغولات » كل درجة ببصمها بعلامة (دمغة) خاصة • والى جانب القرارات والاجراءات التنظيمية التى يشتمل عليها هذا القانون ، فانه يحرم تحريما قاطعا سبك العملات الذهبية أو الفضية لتحويلها الى مصوغات ، ويفرض عقوبة السجن عشر سنوات على من يفعل ذلك •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ ــ ٣ •

(٢) صدر ــ كسائر المنشورات المماثلة ــ بالعربية والفرنسية ، بتاريخ ١٤ فروكتيدور سنة ٨ (١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وهو فى سبع صفحات • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس • وللمنشور طبعة أخرى ، فرنسية خالصة ، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة •

ان هذا القانون صدر في الاصل التماسا لمورد مالى جديد للخزانة العامة • فهو يفرض رسم دمغة مقداره خمسة في المائة من قيمة المصوغات ، ذهبية كانت أم فضية • ومع ذلك فلا شك ان ماتضمنته مواده من قواعد وما وضعته من حدود ، يؤدى الى القضاء على ما يغشى من غش المصوغات ، « الذى هو عيب في حق الحاكم الذى يسكت عنه وهو ظلم الى الرعايا الذين ينغشوا » ، كما جاء في الديباجة •

ويلاحظ كذلك ان هذا القانون ، وهو الأول من نوعه في مصر ، لا يكاد يختلف في تفصيلاته عن قانون دمغ المصوغات المطبق بها في الوقت الحاضر •

٢ ـ أمر بتعديل القرار الذى سبق أن أصدره استيف نفسه في أواخر عهد بونابرت بشأن رسوم انتاج المشروبات الروحية (شكل ٩٣) (١) • ويقضى الأمر الجديد بالغاء احتكار انتاج الخمور، الذى كان نتيجة لقصر هذا العمل على من قيدوا في السجل الخاص بذلك في تاريخ معين ، مما أصاب كثيرا من الناس في أرزاقهم • ولهذا فهو يبيح انتاج الخمور بمقتضى ترخيص يمنح بدون مقابل لمن يطلبه ٦ .

ويلتفت الأمر أيضا الى الناحية الصحية من الموضوع ، فيحتم نقاء المشروبات المنتجة من الشوائب أو «الغلت» • فقد اعتاد بعض المنتجين «أن يدخلوا فيه (العرقى) شى يأسى الانسان والعافية (أى مواد تضر بالصحة) » •

ويفرض الأمر رسوم الانتاج على المشروبات ويحدد نسبها حسب الكميات المنتجة ، وليس حسب كميات المواد التى تقطر منها المشروبات كما كان يقضى القرار السابق •

ويقر هذا الأمر كذلك مبدأ « تأجير الأقلام » ، أى توزيع معامل انتاج الخمور بالايجار على متعهدين يلتزمون بتحصيل الرسوم المقررة عليها • ثم يبيح الأمر بيع الخمر بالتجزئة ، ففى « البلاد الكبار شكل

---

(١) فى ٢٠ فروكيدور سنة ٨ (٧ سبتمبر ١٨٠٠) • وهو مطبوع ـ كالمعتاد ـ بالعربية والفرنسية ، ويقع فى ست صفحات • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس • انظر كذلك ص ١١١ •

مصر (أى مثل القاهرة) المتسببين الصغار لهم اجازة انهم يبيعوا العرقى والخمر بالتقطيع فى السكك ... » .

والطريف ان المشرع استغل هذا الأمر لايجاد عمل لجرحى الحرب من جنود الحملة . فينص «الشرط التاسع» منه على أن «مدير حدود العام يولى ناظرين (مفتشين) للخمر ويأخذهم ما بين العسكر الذين معورين ... » . ويتضح من تفصيل مهمة هؤلاء (الناظرين) انهم سوف يعينون « مفتشى انتاج » يفحصون الترخيصات ويراقبون تنفيذ المواصفات ، ويتأكدون من نقاء المشروبات ، وما الى ذلك .

وواضح ان هذا التنظيم الجديد بما يحققه من توسيع نطاق انتاج الخمور وتسويقها ، يؤدى الى تحقيق الهدف الأساسى من قوانين منو المالية ، وهو زيادة موارد حكومة الحملة .

والتفت منو الى ثلاث مهن تقليدية ، يمارس أصحابها أعمال الوساطة الضرورية فى معاملات الجمهور نظير جعل معين ، وهم الصيارف والكيالون والقبانية ، وأصدر بشأنهم قانونا (أمرا) ماليا جديدا . وقد أذيع هذا القانون ، كسائر حلقات تلك السلسلة ، فى منشور بالعربية والفرنسية يحمل توقيع كل من منو واستيف (شكل ٩٧) (١) .

ولا يكاد هذا القانون يختلف فى صورته العامة عن قانون مشايخ البلاد ، اذ انه :

١ ــ يدعى فى ديباجته ان المشرع وضع فى اعتباره « ان الظلم الذى يصير من المذكورين يبطل » ، وانه نتيجة لعدم تحديد نسب العمولة على عملياتهم فان « المذكورين يقدروا أن يغالطوا ويظلموا المساكين الذين يحضرون تحت يدهم» ؛

٢ ــ ويحتم حصولهم على فرمانات خاصة ، ألحقت صورها بالمنشور (شكل ٩٥) (٢) ، تعطيهم الحق فى مزاولة عملهم لمدة عام واحد ، بعد دفع رسم سنوى معين ؛

---

(١) فى ١٦ فنديمير سنة ٩ (٨ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) نمثل هذا الشكل صورة الفرمان الخاص بالكيالين . وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

٣ ـ ويحدد نسب ما يحصل هؤلاء من رسوم على ما يتعاملون فيه من أموال أو بضائع بما يتراوح بين واحد واثنين فى المائة ؛

٤ ـ ويضع للاشراف على عملهم نظاما رقابيا قوامه هيئة من «الناظرين» أى المفتشين، على رأسهم «مدير عوايدالحرف» أى مدير الضرائب المهنية .

وحرصا من منو على تحقيق أكبر قدر من الذيوع والانتشار لهذا الامر ، فقد نص فى آخر مواده على انه « يكون مترجم بالعربى وينطبع وينادى به وينشر باللغتين فى جميع الديار المصرية ... » .

* ومن المنشورات المتأخرة فى هذه المجموعة منشور ينفرد بمضمونه الذى يستوقف انتباه الباحث ، ودلالته التى تثير الاهتمام. وهو الذى اذاع أمر «صارى عسكر» بفرض نوع من الجزية على غير المسلمين من أهل مصر وسكانها (شكل ٩٦) (١) . وقد قدم له بقوله انه «على موجب العدل الذى هو أساس الحكم الطيب يطلب ان العوايد والأموال يكونوا على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصرية لان كلهم لهم حق فى الحكم (يقصد ـ كما فى النص الفرنسى ـ ان لهم الحق فى حماية القانون) ...» .

ويشمل هذا الأمر الأقباط والسوريين واليونانيين واليهود « وجميع الافنار الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى الديار المصرية بطايفة الافرنج » . وهو يلزمهم بدفع هذه الجزية سنويا حسب قائمة حددت على كل طائفة مبلغا معينا ، وبلغ مجموع المبالغ التى تحصل بمقتضاها مليونا ومائتين وسبعين الف فرنك .

ويحدد الأمر كذلك طريقة توزيع أنصبة الأفراد من هذه الجزية باشراف عدد من كبار كل طائفة ، وكذلك مواعيد دفع أقساطها . ثم يعد صارى عسكر بأنه لن يفرض أية ضرائب أخرى على هذه الطوائف ، ويطلب الى ابنائها أن يكونوا «بغاية الاطمينان والأمان من قبل متجرهم وأملاكهم » . ويعلن بعد هذا انهم يستطيعون أن يشتروا « بيوت وأطيان بالديار المصرية بدفع العوايد المرتبة » ، وانهم سوف يكونون « دايما .. تحت العدل » .

ويخص منو بالذكر فى « الشرط السادس » من هذا الأمر أبنـــاء

(١) صدر فى ٢٠ فندمير سنة ٩ (١٣ أكتوبر ١٨٠٠) وطبع بالعربية والفرنسية . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

جنسه من الفرنسيين ، فيقول ان «مدير حدود العام» سوف يحرر له بيانا بما يمارسه هؤلاء الفرنسيون من تجارات ، وما أقاموه من منشآت . ويطلب اليهم أن يطمئنوا الى ما يوفره لهم من حماية خاصة ، ثم يستدرك قائلا : « لكن لازم انهم يساعدوه فى المصروف العمومى اللازم للجيوش لان مكاسبهم من الجيوش المذكورة » .

وأكد « الشرط السابع » والأخير من المنشور مسئولية حكام الأقاليم فى تنفيذ هذا الأمر ، ومسئولية « مدير حدود العام .. بترجمته بالعربى والمناداة به ولزقه على الحيطان باللغتين وانه يرسل صـــور بكثرة الى الاقاليم » .

ويعلق ريجو على هذه الضريبة الجديدة بقوله(١) انها تماثل ما كان يدفعه غير المسلمين فى كل أرجاء الامبراطورية العثمانية . ويذكر هـذا المؤرخ فى موضع آخر كذلك ان منو سبق أن اضطر الى أن يفرض على سكان القاهرة من هذه الطوائف أن يسهموا من جانبهم بدفع مبلغ اضافى مقداره نصف مليون فرنك ، زيادة على الغرامة التى فرضت على سائر سكان القاهرة بعد ثورتها الثانية . والسبب فى ذلك ان الضرائب التى فرضها فى أول العهد بتلك التنظيمات المالية الجديدة لم تكن من النوع الذى يغل عائدا سريعا (٢) ، وكان هو فى حاجة ملحة الى أموال يملأ بها الخزانة الخاوية ، ويدفع منها مستحقات جنود الحملة حتى نهاية العـــام الثامن الجمهورى . ووصف ريجو هذا الاجراء بانه كان « خطوة تعسفية تذكر بالاجراءات الماثلة التى كان يتخذها المماليك » (٣) . وقال ان منو برر ذلك بحاجة الخزانة العامة لهذا المبلغ ، وبضرورة منع أية تفرقة بين سكان القـاهرة » .

* وختم منو هذه السلسلة من المنشورات التى أذاع بها قوانينه

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) كانت منشورات القوانين الضريبية السابق ذكرها ، اما ان تعطى مهلة لا تقل عن شهرين لسداد الرسوم المستحقة مقدما ، كما فى حالة مشـايخ البلاد ، واما لا يظهر لها اثر محسوس فى دخل الحكومة الا بعد مرور عدة أشهر من السنة المناسبة (بدأت فى ٢٣ سبتمبر ١٨٠٠) التى حددتهـا المنشـورات بداية للاخذ بالتنظيمات المالية الجديدة .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٠ . وقال ريجو أن هـذا الامر تضمنه منشور صدر فى ٧ فروكتيدور سنة ٧ (فى ٢٥ أغسطس ١٨٠٠) . ولم تعثر على نسخة من هـذا المنشور ، وكذلك لم يرد له ذكر فى الجبرتى أو غيره .

(أوامره) المالية الجديدة بمنشور طويل تضمن أمرا بفرض ضريبة سنوية على التجار والحرفيين والصناع بالمدن الكبرى والبنادر (شكل ٩٧) (١) . لان « العوايد والأموال لازم أن يكونوا مفرودين على جميع أهل الديار المصرية وذلك بموجب مقدرتهم » ، وأبناء هذه الطوائف « لم دخلوا بقدر مقدرتهم فى دفع الأموال المطلوبة والمرتبة تحت المصاريف العمومية..» . هذا مع انهم يتمتعون بحماية القانون ويمارسون أعمالهم « بكل راحة وأمان واطمينان » . ومن الضرورى أن يتحملوا مع «الفلاحين واهالى البلاد والأرياف » نصيبا فى الالتزامات المالية قبل الدولة .

وتضمن القانون أسماء ما يقرب من ٤٠ مدينة وبلدة ، وحدد المقدار الاجمالى للأموال التى تجبى من كل منها على حدة . وقد بلغ المجموع الكلى للمبالغ المطلوبة نحو مليون وثلاثمائة الف فرنك ، تدفع سنويا على ثلاثة أقساط . وألزم القانون « مشايخ الحرف » بجمع هذه الأموال من أبناء حرفهم ، كل على حسب مقدرته ، مع اعداد قوائم مفصلة بذلك يقدمونها الى « مدير عوايد الحرف » .

وكما حدث فى حالة مشايخ البلاد ، والصيارفة والقبانية والكيالين، فقد عين هذا القانون كذلك هيئة للمراقبة والتفتيش على انتظام جمع الأموال والتأكد من سلامته . وتتكون هذه الهيئة من « أربعة ناظرين مصرلية والمذكورين تحت طاعة مدير الحرف ... » .

وقد نوه ريجى (٢) بما قرره منو فى مقدمة هذا المنشور من ضرورة المساواة بين سكان المدن وأبناء القرى فى الالتزامات الضريبية . وقال ان سكان المدن الذين أفلتوا بوجه عام من سلطة ملاك الأراضى الزراعية كانوا ، بفضل النظام شبه الاقطاعى للأرض فى مصر ، معفين تقريبا من أى التزام ضريبى .

أما الجبرتى فيقدم لنا صورة قاتمة لرد الفعل الذى أحدثته اذاعة الأمر بفرض هذه الضريبة على سكان القاهرة قائلا (٣) : وابرزوا اوامر أيضا بتقرير مليون (فرنك) على (أصحاب) الصنائع والحرف يقومون

---

(١) بتاريخ ٢٠ فنديمير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ ، من حوادث أول شهر رجب ١٢١٥ (١٨ نوفمبر ١٨٠٠) .

بدفعه فى كل سنة ... ويكون الدفع على ثلاث مرات .. فدهى الناس وتغيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم » .

ويقول أحد قواد الحملة ، وهو الجنرال رينييه ، فى هذا الصدد(١) ان التجارة التى أرهقتها الضرائب والاتاوات المتعددة قد ازداد كسادها بعد الأمر الذى أصدره منو بفرض ضريبة جديدة على طوائف الحرف والتجار . ويضيف ان كثيرا من تجار القاهرة هجروا مهنتهم واغلقوا محلاتهم ، وكذلك فعل معظم تجار دمياط والمحلة الكبرى وطنطا وغيرها .

ومهما يكن من أمر فان هذا المنشور يمكن أن يحتل مكانا فى سجل الوثائق المفيدة التى تتصل بتاريخ مصر فى عهد الحملة الفرنسية . وتنبع أهمية المنشور من أمرين : أولهما ما تقدمه قائمة المدن التى وزعت عليها الضريبة من معلومات للباحث التاريخى والجغرافى . فقد تغيرت صورة بعض ما تضمه هذه القائمة من مدن أو « بنادر » ، وأصبحت مجرد قرى ، صغيرة . هذا الى ان أرقام المبالغ المتفاوتة التى قررت على هذه المدن تساعد على دراسة مقارنة لمستوياتها الاقتصادية فى ذلك الوقت .

والأمر الثانى ان المادة السابعة من القانون الذى تضمنه هذا المنشور أجملت كل الضرائب والرسوم والمكوس المقررة « على جميع أهل المدينة وأهل البنادر والبلاد والكفور وجميع أهل الديار المصرية » ، وعددها ثمانية عشر نوعا . وبعد اثبات هذه الأنواع أكدت المادة المذكورة لسكان مصر انه « على موجب ذلك لم عليهم شىء ولم يتطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شىء لا على حاجة ولا على الإنسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشا ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا .. » .

ولم يفت ريجو أن يعلق على هذه المادة ، مشيدا بمنو (٢) ، فقال ان بعض الضرائب التى أجملتها يبدو شديد الوطأة ، ولكنها مع ذلك تمتاز عن الضرائب القديمة التى حلت محلها بانها محددة ثابتة (déterminés) وليست كيدية أو انتقامية (vexatoires)

* وفى أثناء اصدار هذه السلسلة الطويلة من منشورات القوانين المالية ، وبعد ذلك ، كان منو يجد من الضرورى بين حين وآخر أن يصدر

(١) Reynier, De l'Egypte, après la Bataille d'Héliopolis. Paris, 1802. pp. 128-9.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

منشورا ينبه فيه متلا الى شيء يتعلق بتلك القوانين أو يؤكد معنى تضمنته. ومن ذلك المنشور الذى أصدره بعد ان كان قد أصدر عدة قوانين مالية ، كالقانون الخاص برسوم تعيين مشايخ البلاد ، ومنشورات وقوانين الضرائب الجمركية والتجارة الداخلية ودمغ المصوغات وغيرها. (شكل ٩٨) (١) .

وقد بدأ منو هذا المنشور الموجز الذى وجهه الى « جميع أهالى مصر ودوايرها » بعبارات معسولة قال فيها «نعلمكم انه دايما ونحن مشتغلين بمنفعتكم واصطناع المعروف معكم لحتى الذى كان يوخذ منكم من العوايد قديما خففناه عنكم والآن ابطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هى الذى (كذا) عليكم ... » .

ثم ينبه الأهالى الى ألا يدفعوا شيئا يزيد على الضرائب المقررة قانونا . ويضيف : « ونعلمكم أيضا ان كان سمعتم من أحدا (كذا) يقول ما زلتم تدفعوا عوايد أكثر من ذلك فلا تصدقوهم لان من الحسد والقهر يقولوا أكثر من ذلك » .

ومن ذلك أيضا المنشور الذى أصدره « سر عسكر العام » (شكل ٩٩) (٢) ، بعد أن بلغه « ان بعض من المحصلين للتكاليف المامورة قانونا بارض مصر يطلبوا من مستدفعينها أكثر مما أمر بها الشرع والقانون وان هولاى (هؤلاء) الأشرة ايضا يظلموا أهالى البلدان » .

وفى هذا المنشور يحذر أولئك المحصلين من أن ياخذوا أكثر مما يستحق لهم قانونا ، وينذرهم بأن من يفعل ذلك منهم « ففى الحال هو ماخوذ وممسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجرا الحكم عليه كما يجرى على الأشرار » .

ويبدو أن بعض مشايخ البلاد لم يستطيعوا الوفاء بكامل ما فرض عليهم من اتاوة مقابل اقرا تعيينهم فى مناصبهم . ولذا أصدر هنو منشورا

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ٦ فندمير سنة ٩ (٢٨ سبتمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) صدر فى طبعتين ، كل منهما بالعربية والفرنسية ، فى ١٦ برومير سنة ٩ (٧ نوفمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(شكل ١٠٠) (١) بدأه باعلان رضائه عن المشايخ « الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم » . ثم أعلن انه يمنح المتأخرين فى الدفع مهلة شهر اضافى «لتكميل اداء وتسليم دراهم الرسم المذكور».

لقد كان القانون الذى صدر من قبل بشأن مشايخ البلاد يلزمهم بدفع الرسم المقرر « فى ابتداء السنة الجديدة بمدة الشهرين الأولين » . ولما كان هذا المنشور الأخير قد صدر فى الشهر الرابع من السنة (نيفوز) ، ومد المهلة الممنوحة « للذين هم متأخرين للأداء » الى أول الشهر الخامس (بلوفيوز) ، فمعنى ذلك ان كثيرا من المشايخ قد عجزوا عن الدفع حتى بعد المهلة التى حددها الأمر ، بأكثر من شهر . وليس ذلك بمستغرب ازاء سوء الحالة الاقتصادية للبلاد ، وبخاصة ان القانون المذكور قد طبق بأثر رجعى ، أى انه الزم المشايخ — كما رأينا — بأن يدفعوا عن ذلك العام ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم « ما دفعوا شيا بمدة سنتين أعنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد .. » .

وبالاضافة الى ما تقدم ذكره من النماذج ، فلا شك ان بعض المنشورات التى استهدفت فى الأصل غايات دعائية كان لها جانبها الاعلامى كذلك ، مثل المنشور الذى تضمن ترتيب النظام القضائى للبلاد واعادة تكوين ديوان القاهرة فى الوقت نفسه (٢) .

ولم يخل عهد منو كذلك من منشورات أصدرها كبار المسئولين ، تعلن للناس بعض الاجراءات « الروتينية » أو تذيع عليهم أخبارا عادية، وان كانت أقل مما لمسناه فى عهد بونابرت أو كليبر . ومن ذلك المنشورات التى تعلن عن بيع الحكومة لبعض ما تملكه بالمزاد ، مثل المنشور الذى أعلن عن مزاد بيع بعض المحصولات الموجودة « فى حواصل المشيخة الفرنساوية » وذلك « بالمفرق أو بالتمام » (راجع شكل ٢٤) .

---

(١) صدر بتاريخ ٨ نيفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) سبق ان فصلنا القول فى مضمون هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الوطنية . انظر ص ١٥١ — ٥٤ .

الباب السادس

الخصائص الفنية للمنشورات العربية

الفصل الأول

التحرير

السمة الرئيسة فى تحرير المنشورات العربية التى أصدرتها سلطات الحملة الفرنسية فى مصر ، ان مادتها كانت تكتب أولا بالفرنسية ، ثم تترجم الى العربية • أى ان الرسائل الاعلامية التى تضمنتها هذه المنشورات كانت تعد أولا بلسان الحاكمين ، ثم تذاع بلسان ابناء الشعب ، أو باللسانين معا •

وكان ذلك أمرا طبيعيا • فللغزاة الحاكمين لغتهم ، وللشعب المحكوم لغته • ولم يكن بين قواد الحملة أو كبار المسئولين فى حكومتها ، الذين صدرت عنهم المنشورات ، من يستطيع توجيه ماتضمنته من رسائل الى الشعب باللغة العربية • بل ان المنشورات التى صدرت على لسان القيادات الوطنية ، ووقعها الزعماء المصريون باسمائهم ، كانت ـ كما رأينا ـ بتوجيه ملزم من السلطات الفرنسية • ثم ان عددا كبيرا من الرسائل التى تضمنتها هذه المنشورات كان يراد ابلاغها ـ كما نعلم ـ الى المصريين وغيرهم من « رعايا » حكومة الحملة ، وبخاصة جنود جيش الشرق •

ولقد عرف تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية وبعدها ظاهرة ازدواج لغة التدوين ، بسبب اختلاف لغة الحاكم عن لغة ابناء البلاد • فمنذ فتح الاسكندر لمصر حتى الفتح العربى كانت اللغة اليونانية تستخدم الى جانب اللغة المصرية القديمة ، التى تطورت الى القبطية • وظلت اليونانية

والقبطية نستخدمان فى تدوين المحررات الرسمية ، حتى تم « تعريب » الدواوين المصرية فى العهد الأموى (١) • وقد بقيت اللغة اليونانية أو القبطيـة تسـتخدم الى جانب العربية ، حتى سادت العربية ولم يعـد يستخدم غيرها •

ثم عرفت مصر اللغة التركية عندما خضعت للحكم العثمانى • ومع ان استخدام هذه اللغة قد بطل أو كاد فى عهـد الحملة الفرنسية ، فقد استؤنف بعدها فى المحررات الرسمية ، عندما أخذ محمد على يؤسس دولته الحديثة • وظل الأمر كذلك حتى عهد اسماعيل ، الذى انقشع فيه ظل هذه اللغة عن البلاد ، وعادت للعربية مكانتها وسيادتها •

وكان طبيعيا ان تمتد ظاهرة الازدواج اللغوى بعد الحملة الفرنسـية الى حقل الاعلام المطبوع بالذات ، فيتكرر نمط منشورات الحملة فى صورة جديدة • لقد أصدر محمد على صحيفة « الوقائع المصرية » بالتركية (لغة الجهاز الحاكم) والعربية (لغـة أبناء الشعب) • وظلت التركية تشارك العربية صفحات صحيفة الدولة الرسمية ، حتى بدأت تنحسر عنهـا فى أواخر عهد اسماعيل ، كما انحسرت عن سائر محررات الدولة الأخرى •

وعلى أية حال ، فقد كانت الترجمة الى العربية خطوة أساسية فى عملية نقل الرسائل الاعلامية التى تضمنتها منشورات الحملة الى المصريين • ومن هنـا تجهزت الحملة بعدد من الرجال الذين يعرفون العربية ، لكى يقوموا أساسا بهذه المهمة الوسيطة •

وتمثل ترجمة مادة المنشورات الى العربية جزءا من حركة ترجمـة كبيرة ، حرصت قيادة الحملة على أن تعد لها عدتها ، قبل أن يذهب جيش الشرق للابحار الى مصر ، ثم رعت نشاطها الذى لم يفتر طيلة العهد القصير الذى قدر للحملة أن تبقاه فى هذه البلاد •

---

(١) بدأت حركة تعريب الدواوين فى أقطار الدولة الاسـلامية فى عهـد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ــ ٧٠٥ م) ، وتم تعريب الدواوين المصرية فى عهـد ابنـه الوليد (٧٠٥ ــ ٧١٥ م) •

(١) كانت موضوعات الوقائع فى عهد محمد على تحرر أولا بالتركية ثم تترجم الى العربية • وعندما تولى تحريرها الشيخ رفاعة الطهطاوى استطاع بشخصيته الفذة أن يفرض مبدأ تحرير الموضوعات بالعربية أولا ، ثم ترجمتها بعد ذلك الى التركية (هذا وان ظلت « الوقائع » تحت اشراف « ناظر » تركى) ، ثم عاد الأمر بعد وفاتـه كما كان قبله • وفى عهد اسماعيل صدرت « الوقائع » فى طبعتين مستقلتين ، احداهما بالعربية والثانية بالتركية • وماليثت الصحيفة أن خلصت للغة العربية وحـدها ، عندما تولى تحريرها ــ عقب خلع اسماعيل وتولية ابنه توفيق ــ الشيخ محمد عبده •

فقد جهز بونابرت حملته ، مع ماجهزه بها من جيش وعلماء ومطبعة . بفريق ممن لهم المام باللغة العربية بالذات ، ليكونوا اداة لاغنى عنهـــا لتيسير مهمة سلطات الحكم ، ولتحقيق خطـــة الحملة الاعلامية وانجازاتها العلمية . وجمع القائد الشاب أعضاء هذا الفريق من مصدرين رئيسيين:

١ ــ مدرســة اللغات الشرقية الحية بباريس • وقد انضم منهـا الى ذلك الفريق عدد من الدارسين والأســـاتذة الذين اكتسب بعضهم خبرة طويلة ، لاقامتهم وعملهم فى مختلف اجزاء العالم العربى .

٢ ــ ايطاليا ، التى تزود منها بونابرت بعدد من الشرقيين وبخاصة السوريين ، الذين كانوا يدرسون فى بعض معاهدها (١) .

وفى اثناء رحلة الحملة الى مصر ضـــمت الى فريق المترجمين كذلك عددا من المغاربة المسلمين الذين حررتهم من أسر فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة • وبعد ان استقرت الحملة بمصر انضم الى جماعة المترجمين أيضا بعض من كانوا يعيشون فيها أو فى الشرق العربى من الفرنسيين والشرقيين (٢) ، ويعرفون العربية والفرنسية معا .

وقد كان لهـذا الفريق بعناصره المختلفة جهـــود ترجمية متعددة الجوانب ، تنوعت حسب تفاوت قدرات أفراده واستعداداتهم • فمنهم من اقتصر عمله على مرافقة القوات الفرنسية الزاحفة فى مصر والشام ، أو مصاحبة كبار موظفى الحملة فى القاهرة والاقاليم للترجمة عنهم ولهم • ومنهم من اختص بترجمة مادة المنشورات • ومنهم من عهد اليه بالترجمة بين المصريين والفرنسيين فى جلسات الدواوين بالقاهرة والاقاليم وتسجيل محاضرها ، وترجمة عرائض المصريين ورسائلهم الى المسئولين • ومنهم من

---

(١) تخلف عن الحروب الصليبية والامارات اللاتينية فى البلاد السورية طائفة من المسيحيين الكاثوليك تدين بالولاء للبابا فى روما . ومن هنا قلت رحلة رجال الدين من هذه البلاد دائمة الى ايطاليا لزيارة مقر البابوية ولتلقى العلم الدينى . وكثر العائدون بالايطالية والفرنسية من مسيحيى سوريا الكاثوليك . وقد انضم بعض هؤلاء للحملة الفرنسية ، للعمل فى الترجمة والطباعة العربية .

(٢) نزح الى مصر كثير من السوريين المسيحيين من اوائل القرن الثامن عشر ، بعد اضطهاد الحكام العثمانيين لهم ، وصار لهؤلاء المهاجرين نشاط اقتصادى ومالى كبير . وكان طبيعيا أن تستعين الحملة الفرنسية بعدد منهم ، وبخاصة من يعرفون الفرنسية . وبالفعل عين اثنان منهم ــ كما رأينا ــ بالديوان العمومى للقاهرة ، وانتخبا ــ ممثلين للجالية السورية المستوطنة ــ بالديوان الخصوصى . وكذلك اختير بعضهم للعمل فى الترجمة .

أهتم بالتراث الأدبي ، ليأخذ عنه ما يعينه على ما ينشر من بحوث في « لاديكاد » ، أو بالدراسات اللغوية والعلمية التي كانت أساس ما نشرته مطابع الحملة من كتب وكتيبات . ومن هؤلاء كذلك من اتسع نشاطه ليشمل أكثر من مجال .

وتحفل مراجع المعاصرين للحملة ، وبخاصة تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار) ، بالاشارات الى هؤلاء المترجمين ، والمهام التي كانوا يقومون بها في مختلف المناسبات ، ومن هذه الاشارات نتبين مدى الأهمية الكبرى للترجمة و « الترجمان » في كل صغيرة وكبيرة من أعمال الحملة الفرنسية ونشاطها . ولم يغفل الجبرتي في هذا الصدد الاشارة الى « تعريب » المنشورات التي اذيعت على المصريين . وكذلك تضم وثائق الحملة المحفوظة بوزارة الحربية الفرنسية عددا كبيرا من مراسلات المصريين وبيانات المسئولين الفرنسيين في القاهرة والأقاليم ، وكثير منها موقع عليه بأسماء من ترجموه من العربية الى الفرنسية أو بالعكس (١) .

ويمكن القول بعد هذا أن حركة الترجمة التي صحبت عهد الحملة الفرنسية بمصر كانت معلما بارزا من معالم التقاء الشرق العربي بما اتصل به من حضارات أخرى على امتداد تاريخه الطويل .

ولقد احيت هذه الحركة سابقة معروفة تركت آثارا واضحة في حياة الأمة العربية ، وان اتخذت في هذه المرة صورة جديدة متميزه . ففي العصر العباسي الأول ظهرت حركة ترجمة نشيطة الى اللغة العربية . وازدهرت هذه الحركة وبلغت أوجها في عهد الخليفة المأمون ، حيث نقل المترجمون عن الفارسية واليونانية والسريانية عددا كبيرا من الكتب في مختلف فروع المعرفة .

---

(١) يتضح من تلك الوثائق المعاصرة ان الترجمة كانت من المهمات الأساسية التي أصبح الجهاز الادارى الفرنسي لا يستطيع العمل بدونها ، وهذا أمر طبيعي حتمه اختلاف اللغة بين الحاكم والمحكوم . ويبدو ـ بهذه المناسبة ـ ان بعض سفار المترجمين (أو التراجمة) الذين اقتصر عملهم على مصاحبة موظفي الحملة الفرنسية للترجمة بينهم وبين المصريين في مجال تحصيل الالتزامات المالية ، استغلوا هذا الدور الوسيط لصالحهم ، فغرضوا على المواطنين الذين يتصلون بهم بحكم عملهم اتاوات أو رشا . ففي المنشور الذي أصدره منو الى « جملة أهالي بر مصر » بعد انشاء ديوان القاهرة الجديد (في ٢٨ اكتوبر ١٨٠٠) ، محاولا استمالتهم الى الحكم الفرنسي ، وردت هذه الفقرة : « الى هذا الآن التراجمين كانوا طلبوا منكم البلص (الرشا) وكانوا يدعوكم حماية معلمهم (رؤسائهم) لكن كانوا يعلروكم قامة بعد اليوم وان كان واحدا منهم طلب منكم دراهما أو هدايا فاخبرونى أو اخبروا السرى عسكر به ففي الوقت اعلف هولاى الاشرار باهول الشكل .. » .

غير انه كان لكل من الحركتين خصائصها وظروفهـا ونتائجها • فحركة الترجمـة الأولى تركزت على الكتب من تـراث الفرس واليونان الاقدمين ، وشجعها حكام الدولة الاسلامية الفنية الفنية وكبار رجالاتها ، وحمل عبئها عدد من مثقفي هذه الدولة الذين كانوا يعرفون ما نقلوا عنه من لغات • وكان لثمار هذه الحركة آثارها البعيدة في الحقل الثقـافي العربي •

اما الحركة الثانية فقد كان هدفها الأساسي تيسير عملية «الاتصال» بين سلطات احتلال اجنبي وشعب لايتكلم لغة محتليه • ومن هنا تركز معظم نشاط هذه الحركة ، في مظهره التدوبني ، على المحررات ذات الصبغة الرسمية لتلك السلطات ، من منشورات وأوامر ووثائق .

ان الحياة الثقافية العربية وفتئذ لم تكن في تفتح مثيلتها ايام العباسيين ، أو في تطلعها الى النمو والتقدم ، بحيث يمكن أن تنشأ فيها حركة تلقائية للنقل عن الثقافات الأخرى • ولم تكن انظمة الحكم من القوة والاستقرار ، أو في حالة من المنعة والانتصار ، بحيث يمكن أن تتطلع الى تطعيم الثقافة المحلية بشيء من الثقافات الأخرى ، أو على الأقل الى تشجيع هذا الاتجاه •

ولقـد شاءت الظروف أن تقوم هـذه الحركة على يد حاكم أجنبي ، استهدف منها أن تساعده على تحقيق سياسـة استعمارية معينة • ولم تتناول هذه الحركة كسابقتها العلوم أو المعارف العقلية ، وانما انصبت في الغالب على الآراء والأفكار التي ضمنها هذا الحاكم رسائله الى ابناء الشعب ، وعلى نصوص الأوامر والقرارات والانباء التي أراد اذاعتهـا عليهم •

لذلك كله لم يكن لهذه الحركة كسابقتها آثار مباشرة في التراث الثقافي العربي • ولكن يمكن القول ان آثارها غير المباشرة لاتقل أهمية أو عمقا ، وهي الآثار التي يمكن اجمال أهمها في النقاط التالية :

١ ــ لقد فتحت هذه الحركة الطريق للاتصال بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وما لبثت كل منهما ان أخذت تؤثر في الأخرى • فلم يكتف مترجمو الحملة بترجمة المنشورات الى العربية ، أو محاضر جلسـات الدواوين وعرائض الاهالي الى الفرنسية ، وما الى ذلك من الأعمـال الرسمية ، وانما شارك عدد منهم كذلك في الترجمة العلمية التي اشتغل

بها المستشرقون من اعضاء المجمع العلمي . (١) ولقد ظهرت آثار هذه الترجمة في بعض البحوث التي نشرت بصحيفة « لاديكاد » ، كما كان من ثمارها عدد من مطبوعات الحملة ، سبقت الاشارة اليها . ويقول بعض المؤرخين (٢) انه لو قدر للحملة أن تطول مدتها «لكان من المحتم أن يعمل كل فريق على نقل ثقافة الفريق الآخر الى لغته . وخاصة ان علماء الحملة كان من بينهم عدد من المستشرقين ، وكانت مكتبتهم تضم كتبا عربية وفرنسية كثيرة احضروها معهم . وكانت مكتبات المساجد والمخاصة في مصر تضم بين جدرانها آلاف الكتب المخطوطة التي كانت تنتظر في صبر نافد من يفتحها ليقراها وبعدها للنشر أو الترجمة .. » .

وعلى أية حال فقد بدأت بفرنسا بعد الحملة حركة نشطة لدراسة التراث العربي والترجمة منه الى الفرنسية ، قادها المستشرقون والمترجمون الذين عادوا مع جيش الشرق عند جلائه عن مصر .

٢ ـ تأثر مثقفو مصر في ذلك العصر بما حدث من اتصال واحتكاك بين العربية والفرنسية من خلال المنشورات وغيرها ، وامتد هذا التأثر الى ما بعد عهدهم . ونستطيع أن نلمس ذلك مثلا في كتابة عبد الرحمن الجبرتي لتاريخه ، فقد كانت بعد الحملة « أدق وأكثر نقدا لسير الحوادث ورجالها مما كانت عليه قبل الحملة» (١) ، كما استخدم فيها كثيرا من الألفاظ المعربة والمبسطة . وكذلك نلاحظ أن شعر اسماعيل الخشاب أصبح «أرق حاشية وأسلس اسلوبا . أما الشيخ حسن العطار (٤)

---

(١) كان من لجان المجمع لجنة خاصة بالترجمة تتكون من ثمانية أعضاء هم : فانتور (Ventire) ومجالون (Magallon) وفوماكا (L'Homaca) وجوبير (Jaubert) ودلابورت (De Laporte) وريج (Reige) وبراسفيش (Bracevich) وبلتيت (Bellenéte ou Belleteste) الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٤٢٩ ؛ نقلا عن ريبو :

Reybaud Lois et autres, Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte (10 vols)., Paris, 1830-36.

(٢) جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ ـ ٣ .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ١٤ .

(٤) كانت للشيخ العطار عدة صداقات مع الفرنسيين ، وبخاصة المستشرقين منهم . وقد أصبح نسخا للازهر أيام محمد علي . وهو الذي رشح رفاعة الطهطاوي ليكون اماما للبعثة المصرية في باريس عام ١٨٢٦ ، حيث تحول هناك الى أبرز دارسيها . وكانت هذه نقلة تحول حاسمة في حياة هذا الرائد العظيم الذي ترك اثرا عميقا في الحياة الثقافية لمصر الحديثة .

فقد تجاوز الدراسات الدينية الى الدراسات الادبية ، وكان له فى هذا الميدان مدرسة جديدة كان من تلاميذها ابراهيم الدسوقى ومحمد عباد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ورفاعة الطهطاوى . وسيكون لهذه النخبة الطيبة جهود محمودة فى حياة الترجمة الحافلة فى عصر محمد على»(١). ونحس هذا الأثر أيضا فيما كتبه عبد الله الشرقاوى ، شيخ الازهر ورئيس ديوان القاهرة وقتئذ . فهو «يكتب لأول مرة ويقرأ المصريون لأول مرة أيضا كلمات الطبيعة والاباحية والكثلكة»، ويتحدث عن «انكار» البعث والدار الآخرة ونبوة الأنبيـــاء ، وعن تحكيم العقـل والشرائع والاحكام الوضعية » . وذلك فيما كتب عن « حقيقة حال الفرنساوية » فى كتابه «التحفة الناظرين» (٢) .

هؤلاء هم قمة مثقفى ذلك العصر . ولا شك أنه لولا ظروف مصر أيام الحملة وثورات المصريين المتلاحقة ضـــد الحكم الفرنسى ، ولولا الاختلاف الدينى وقصر عهد الحملة بمصر ، لكان لذلك الاتصـــال بين اللغتين والثقافتين آثار أبعد مدى .

٣ ــ كانت الترجمة من التركية وعن الفرنسية عملا أساسيا من أعمال التحرير فى صحيفة « الوقائع المصرية » التى انشأها محمد على ، كما كانت الترجمة بوجه عام عماد النهضة الثقافية التى أرسى دعائمها هذا الحاكم . وقد آتت حركة الترجمة فى عهد محمد على ثمارها الطيبة بعد ان تهيأ لها المناخ المناسب والتربة الصالحة . فقد كان من أقـوى دعامات الدولة الحديثة التى بناها محمد على نظام تعليمى عصرى متكامل ، كما ساعد استقرار حكمه وطول مدته على تحقيق ما لم تســمح ظروف الحملة به فى هذا المجال . ومن المعروف ان محمد على ــ الذى تولى الحكم بعد جلاء الفرنسيين بأقل من أربعة أعوام ــ كان شديد الاعجاب بفرنسا والفرنسيين بوجه عام ، وبشـــخصية بونابرت بوجـــه خاص . ومن المعروف كذلك انه استعان فى بناء دولة مصر الحديثة بعديد من الخبراء والمتخصصين الفرنسيين فى مختلف المجالات ، ومن هؤلاء بعض علماء الحملة ذاتها . وهناك عدة شواهد تاريخية على ان هذا الحاكم الفذ كان شـــديد الاهتمام بمعرفة انجازات الحملة الفرنســية خلال عهدها القصير بمصر . ولا مراء فى انه قد عرف الكثير عن نشـــاط الحملة الاعلامى والثقـــافى .

---

(١) الشمال ، المرجع السابق .

(٢) الشرقاوى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد غدت الترجمة عن اللغات الأوربية بعد ذلك عاملا أساسيا له خطره من عوامل النهضة الثقافية فى مصر وبعض اجزاء العالم العربى الأخرى طوال القرن التاسع عشر • واستمرت هذه الترجمة حتى الآن تؤدى دورا بارزا فى حياتنا الثقافية بوجه عام ، والاعلامية بوجه خاص •

***

لنسترك فى ترجمة المنشورات الى العربية عدد من المترجمين الفرنسيين والشرقيين (١) • ومن أبرز الفرنسيين الذين قاموا بهذا العمل (٢) :

١ ـ المستشرق فانتور (Jean Michel Venture de Paradis) أكبر أعضاء المجمع العلمى سنا • وكان يجيد العربية والتركية ، وعاش سنوات طويلة بالمغرب العربى والآستانة ، حيث عمل بالترجمة • ورحل كذلك الى القاهرة قبل الحملة بثمانية أعوام ، حيث وثق علاقته ببعض المشايخ وكبار الأقباط وعدد من المماليك • عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ووصل قبل الثورة الفرنسية الى منصب « سكرتير الملك ومترجمه للغات الشرقية » • عينه بونابرت كبيرا لمترجمى الحملة ومستشارا له فى الشئون الشرقية ، وكان شديد الاعجاب به • وقد اجمعت عدة مراجع على انه هو الذى ترجم المنشور الأول لهذا القائد الى المصريين • اصطحبه بونابرت فى حملته على سوريا • وهناك مرض بالدوسنتاريا ومات فى أثناء حصار عكا • وقد حزن عليه القائد الفرنسى كثيرا ونعاه الى ديوان القاهرة ، وأشار الجبرتى الى ذلك منوها باجادة فانتور لعدة لغات فقال (٣) : «.. وفنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية (اليونانية)

(١) اعتمدنا فى جمع المعلومات الخاصة بهؤلاء المترجمين على عدة مصادر ، أهمها المنشورات التى كانت تذيل باسماء من قاموا بترجمتها عن أصولها الفرنسية ، والاشارات المتناثرة فى تاريخ الجبرتى ، وبعض المراجع الفرنسية التى تستمد مادتها من وثائق الحملة ، مثل الكتاب الضخم « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية فى مصر » لريبو وآخرين ، الذى سبقت الاشارة اليه ، وكذلك بعض المراجع الحديثة مثل كتاب جاك باجو « حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ » ، وكتاب الدكتور جمال الدين الشيال السابق ذكره •

(٢) لم نذكر ضمن هؤلاء المستشرق مارسيل ، بالرغم من أن بعض مراجع الحملة اشارت الى اشتراكه فى ترجمة المنشورات • وذلك لأن جهده الأكبر كان مصرفا الى العمل بالمجمع العلمى والمطبعة العربية •

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٦٨ •

والطلياني والفرنساوي » • والى جانب ترجمة المنشورات ، فقد خلف فانتور بعض الأعمـــال المترجمة عن مخطوطات عربية قديمة ، وأهمهـــا « نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الســـــلاطين » للشيخ مرعى ابن يوسف الحنبلى •

٢ ــ جـــوبير (Louis-Amédée Jaubert) • وقد ضمه بونابرت الى فريق المترجمين بتوصية من فانتور ، بعد أن اعتذر المستشرق لانجليس من عدم مصاحبة الحملة • درس العربية على يد المستشرق سيلفستر دى ســـاسى (Silvestre de Sacy) ، ثم أتقنها بالران والاحتكاك بأعضاء الديوان وعلماء الأزهر وغيرهم • ولما توفى فانتور حل محله كبيرا لمترجمى الحملة • وكان لجوبير جهود ترجمية أخرى الى جانب المنشورات ، وأهمها ترجمة كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للجغرافى العربى أبى عبد الله الادريسى •

٣ ــ براسفيش (Damien Bracevich) كان يشـــغل قبل الحملة وظيفة المترجم الأول للقنصلية الفرنسية بطرابلس الشام • وعند مجىء الفرنسيين الى مصر كان يعمل سكرتيرا لقنصليتهم بالاسكندرية ، فالحق بالعمل مترجما مع الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية ، ثم عين كبيرا لمترجمى الجنرال كليبر • وقد اشترك فى ترجمة الوثائق والمنشـــورات الخاصة بقضية مصرع هذا القائد • وكان يطلق عليه فى النصوص العربية « براشويش » •

٤ ــ لوماكا (Jean-Baptiste Santi l'Homaca) • كان يعمـــل بالترجمة العربية قبل الحملة فى بعض مناطق حوض البحر المتوسط ، كما عمل سكرتيرا ببعض القنصليات الفرنسية فى الشرق العربى • انضم الى الحملة فى مصر والحق بقيـــادة الجنرال كليبر • وقد اشترك مـــع براسفيش فى ترجمة نصوص محاكمة سليمان الحلبى وزملائه ، كما ترجم رسائل منو الى أعضاء ديوان القاهرة •

والى جانب هذا الصف الأول من المترجمين الفرنسيين عمل فى ترجمة المنشورات عدد آخر أقل جهدا وذكرا ، ممن صحبوا الحملة أو انضموا اليها فى مصر • وقد اشارت اليهم كذلك مراجع الحملة ووثائقها •

أما المترجمون الشرقيون ، أو السوريون ، فكان فى مقدمتهم :

١ ــ الأب روفائيل . واسمه الأصلى انطون زخورة راهبة (١) . ولد فى مصر من أسرة سورية مهاجرة ، وفيها تعلم ثم اكمل تعليمه الدينى فى روما ، وأجاد العربية والايطالية والفرنسية . تنقل بين مصر وايطاليا ولبنان وترجم كثيرا من الكتب والوثائق الدينية ، ثم استقر فى مصر حتى وصلت الحملة فانضم اليها ، وكان أنبه مترجميها ذكرا ، كما كان الشرقى الوحيد الذى عينه الفرنسيون عضوا بالمجمع العلمى بالقاهرة (فى لجنة الفنون والآداب) . وقد ترجم كثيرا من المراسيم ونصوص المنشورات ، وتولى مهمة الترجمة الفورية فى عديد من جلسات ديوان القاهرة ، كما أصبح كبير مترجمى هذا الديوان (ترجمان كبير) فى عهد منو . والى جانب نشاطه فى أعمال المجمع ، مساهما فى اعداد البحوث وترجمة الوثائق التى كان يجهزها علماء الحملة ليصنعوا منها كتاب « وصف مصر » وليضعوا على ضوئها مقترحاتهم فيما يتعلق بالنظم الجديدة لادارة البلاد ، فقد ترجم بعض مطبوعات الحملة العربية ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى « وحولية السنة الثامنة الجمهورية » التى اشترك فى كتابة مادتها كذلك (٢) . ارتحل روفائيل بعد الحملة الى فرنسا ، حيث عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ثم عاد الى مصر بعد سقوط نابليون، وامضى بقية حياته يعمل بالترجمة فى خدمة حكومة محمد على ، فكان ابرز حلقات الوصل فى هذا المجال بين عهد الحملة الفرنسية وعهد مؤسس دولة مصر الحديثة . ومما يستحق الالتفات فى هذا الصدد كذلك انه كان ممن اشرفوا على انشاء مطبعة بولاق . وكانت لروفائيل عدة انجازات ترجمية فى هذه المرحلة ، فى مقدمتها كتاب « الأمير » لمكيافيللى ، الذى كان أول ماأخرجته مطبعة بولاق من كتب (٣) ، وقاموس ايطالى عربى .

٢ ــ الياس فخر . وهو من أسرة سورية استوطنت مدينة دمياط ، وتولى كثير من أفرادها مناصب الترجمة والقنصلية للدول الأوربية فى

---

(١) كان اسمه الاوربى « Don Raphael de Monachis » . ويقول من ارخوا له انه العربى « الراهبة » هو اسم أسرة قديمة مشهورة بأفراد كثيرين ذوى وجاهة وفضل نبغوا منها فى حلب وبيروت ودمشق والقاهرة والاسكندرية ، انظر الشيال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ ــ ٧٠ ، نقلا عن بعض المراجع العربية والفرنسية .

(٢) كانت هذه الحولية الثانية ، تشتمل على التاريخ الفرنسى (الجمهورى) والقبطى والهجرى .. وقد اشترك مع روفائيل فى وضعها مونج (Monge) رئيس المجمع والعالمان بوشان (Bauchampe) وبويه (Nouet) ، انظر ص ٦٢ و « شكل ٢٠ » .

(٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة ، ص ١٠٩ .

مصر خلال القرن التاسع عشر . قام بترجمة كثير من منشورات الحملة، وعندما اعاد منو انشاء ديوان القاهرة عين الياس مترجما به مع الأب روفائيل .

٣ ـ القس جبرائيل الطويل : وهو من أعضاء فريق الترجمة السوريين الذين انضموا الى الحملة فى مصر . اشترك فى ترجمة القوانين والمنشورات ، كما عمل بالترجمة الفورية فى جلسات ديوان القاهرة . وقد غادر مصر مع الحملة الى فرنسا ، وهناك عمل مع الأب روفائيل فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس .

وهناك أسماء أخرى لمترجمين سوريين أقل شأنا ، انضموا الى الحملة فى ايطاليا أو مصر . وقد عملوا فى ترجمة اوامر حكام الاقاليم ومراسلات الأهالى الى المسئولين ، كما ترجموا بعض المنشورات ، واشتركوا فى الترجمة الفورية بين الفرنسيين والمصريين . واقتصر جهد بعضهم على العمل بالمطبعة العربية . ومن هؤلاء : جبران سكوج ، وعبود وميخائيل الصباغ ، والياس (ايليا) فتح الله .

اما المصريون فلم تكن حالتهم التعليمية فى ذلك الوقت تؤهل واحدا منهم للقيام بالترجمة . وكذلك باعد الاختلاف فى العقيدة بين الفرنسيين ومسلمى المصريين ، فلم يحاول احد من هؤلاء أن يتصل بالفزاة اتصال تلمذة ليتعلم لغتهم . ومن ناحية أخرى لم يكن مثقفو المسلمين الذين اتصلوا بالفرنسيين واعجبوا بتقدمهم فى السن التى تسمح لهم بدء تعلم لغة جديدة .

غير ان الاقباط بوجه عام ، اتصلوا بالفرنسيين اتصالا وثيقا (٢) ، وغادر مصر منهم عدد كبير مع الحملة الى فرنسا . ومن هؤلاء مواطن واحد كانت له بعض الجهود الترجمية ، وهو « اليوس بقطر » الذى ولد فى اسيوط وكان عند مجىء الحملة فى الخامسة عشرة من عمره . وقد كان من شباب الاقباط الذين أصطنعهم الفرنسيون ليتعلموا الفرنسية ، ويعملوا فى جهاز الحكم الجديد . ويبدو انه كان الوحيد الذى نبغ منهم . اذ لم

---

(٢) كان على راس هؤلاء «الجنرال يعقوب» قائد فرقة الاقباط التى كونها الفرنسيون وكان توامها نحو الفى جندى . وقد غادر يعقوب مصر مع الحملة ومات وهو فى الطريق الى فرنسا . ولعلاقاته بالحملة الفرنسية ورجالها قصة طويلة . انظر :

محمد شفيق غربال ، الجنرال يعقوب والفارس الاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

تنشر المراجع المعاصرة للحملة الا الى اسمه ، فذكرت انه اشتغل بالترجمة لبعض رجال جيش الشرق .

وفي فرنسا اتقن اليوس الفرنسية ، وعين مترجما بوزارة الحربية، حيث عهد اليه بترجمة بعض الوثائق العربية للحملة الى الفرنسية . وكذلك شارك العلماء الذين صنفوا كتاب « وصف مصر » في تحقيق الاسماء العربية بخرائطة . وعمل اليوس في آخر حياته مدرسا للعربية العامية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . وكان قد ألف قاموسا عربيا فرنسيا ،عنى بنشره بعد وفاته المستشرق دى برسفال (De Perceval) بعد ان راجعه واضاف اليه ، كما طبع هذا القاموس بعد ذلك عدة مرات بعضها في مصر بتحقيق عدد من خريجي مدرسة الألسن في عهد اسماعيل. وهكذا كان هذا المصرى ـ بقاموسه ـ حلقة أخرى من حلقات الوصل في حقل الترجمة بين عهد الحملة الفرنسية وعهد النهضة المصرية الحديثة.

***

كيف كانت لغة المنشورات العربية التي اصدرتها الحملة ؟ والى أى مدى نجح اولئك المترجمون في تقديم مادة عربية مقروءة على صفحات تلك المنشورات ؟ .

ان النثر العربي في ذلك الوقت لم يكن يعرف فن مخاطبة الجماهير. فلم تكن فنونه تتعدى في المجال « العلمي » كتابة الشروح والحواشي على متون كتب اللغة والدين ، أو التاريخ بطريقة السرد التسجيلي للاحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني . اما في المجال « الأدبي » فلم تخرج ضروبه عن دائرة المقامات والرسائل الاخوانية والاوراد والتسابيح الصوفية وما اليها . واتسمت أساليب النثر على العموم بالركاكة والضعف والاغراق في التلاعب بالألفاظ .

ومن هنا فان فن مخاطبة الجماهير لم يكن له مكان بين فنون النثر العربي المعروفة حينئذ من ناحية ، ولم تكن أساليب هذا النثر تصلح لاستخدامها في هذا الفن عند نشأته على يد الفرنسيين من ناحية أخرى .

ولا يمكن اعتبار الخطب المنبرية وقتئذ ، أو ترديدات « المنادى » في الطرقات لما يلقن من اوامر السلطات وبياناتها ، داخلة في دائرة فن مخاطبة الجماهير الذى نقصده . فقد كانت خطب المساجد محصورة في نطاق ديني شديد الضيق . وكانت اذاعات المنادى توجز مضمون التنبيهات التركية الأصل ، مستخدمة لغة الحديث الدارجة . ولم تكن هذه ولا تلك مما يدون ليقرأه الناس .

وعلى ذلك فان الرسائل الاعلامية التى حملتها المنشورات تمثل نمطا غير مالوف من النثر العربى . سواء بما تضمنته او بطريقة التعبير عنه • وكانت مواد هذه المنشورات تكتب بلغة اتسعت لما لم تتسع له اللغة العربية وتمثلت من فنون واساليب ، ثم تعرب لكى تطبع ويقراها الناس.

كانت الموضوعات التى تناولتها المنشورات ـ كما رأينا ـ جديدة على لغة الكتابة العربية . لقد قرأ الناس فيها ـ واسمع من لم يكن يقرأ ، بيانات من الحاكم وبيانات من ممثلى الشعب • وكانت هذه وتلك تحفل بمضمونات دعائية جديدة على العيون والآذان • واحاط الأهالى من خلالها علما بالقوانين والمراسيم الجديدة ، وباوامر الحكام وتنبيهاتهم • وتلقت الجماهير منها أنباء الدولة وأنشطتها العسكرية والمدنية • وقد صيغ كل ذلك بلغة لم يكن من اليسير تطويعها له • ولم تكن خصائصها وقتئذ لتسمح باحتوائه •

ومعنى هذا ان محررى المنشورات كانوا يقومون بعملية تنشيط للغة العربية ، يحاولون فيه أن ينطقوها بذلك الجديد غير المالوف ، وان يدفعوها الى اقتحام مجال حديث تضيف به الى فنونها فنا لم تعرفه من قبل •

فاذا لاحظنا انه الى جانب هبوط مستوى هذه اللغة وضعف امكاناتها فى ذلك الوقت ، فان المحررين انفسهم ـ بحكم بيئاتهم وما اتيح لهم تعلمه ـ لم يكونوا على علم وافر بالعربية او على ادراك عميق لخواصها ودقائقها ، كان من المنطقى ان ينتج عن ذلك حركة يعوقها تعثر واداء يشوبه قصور .

لقد ندندت بعض المراجع بركاكة أسلوب المنشورات العربية وضعف لغتها وكثرة اخطائها • فالجبرتى ، الذى يمثل النخبة المثقفة فى ذلك العصر ، قال مثلا عند عرضه لمضمون المنشور الخاص بانشاء « محكمة القضايا » (١) : « •• وشرطوا فى ضمنه شروطا وفى ضمن تلك الشروط شروطا اخرى بتعبيرات سخيفه يفهم منها المراد بعد التامل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ••» • وقال فى تقديمه لنصوص المنشورات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى (٢) : « •• وطبعوا منها نسخا كثيرة •• وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٩ ـ ٢٠ •

(٢) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ •

لقصورهم في اللغة ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطـــلاع عليها ٠٠ » ٠

وأشار احمد حافظ عوض اكثر من مرة(١) **الى تكرار اللحن والخطأ** في هذه المنشورات . وكذلك ابرز الرافعي في عدة مواضع (٢) ما في المنشورات من « **اغلاط وعبارات ركيكة غير مفهومة** » ٠

والحق ان مقارنة نصوص ما بين ايدينا من منشورات بأصولهـــا الفرنسية لتثبت عدم توفيق المترجمين أحيانا في اختيار الكلمة أو العبارة العربية التي تؤدي المعنى المقصـــود من اصلها في دقة ووضوح ٠ وقد اضطررنا عند مناقشة مضمون بعض المنشورات ، فيما سبق من فصول هذا البحث ، الى الاعتماد على الأصل الفـرنسي دون النص العربي ، لغموض عبارات هذا النص وركاكتها ، وكذلك كان لابد أحيانا من شرح المعنى المقصود بين قوسين . وينبغي أن نشير في هذا الصدد الى أن هناك مواضع كان تحريف المعنى فيها عند الترجمة مقصودا لذاته ، تحقيقـــا لاغراض دعائية معينة ، كما لاحظنا في بعض عبارات أول منشور اصـــدره بونابرت مثلا (٣) . وهناك مواضع أخرى تصرف فيها المترجمون بشكل مقبول في الأصل الفرنسي ، سواء بالحذف أو الاضافة أو التغيير ، محاولين بذلك ـ فيما يبدو ـ « تعريب » مادة المنشورات وتقديمها في صورة تلائم ذوق قارئها ٠

وفيما يلي نماذج قليلة من الخطأ الواضح أو عدم التوفيق في اختيار المقابل الصحيح لبعض الألفاظ والعبارات ، أو استخدام لفظ عامي دارج بدلا من العربي الفصيح ٠ وهذا مع غض النظر عما قد يوجد بهذه النماذج كذلك من اخطاء النحو والهجاء ، التي سنخصص لها حديثا مستقلا فيمـــا بعد :

* ٠٠ القرى الواقعة في دايرة قريبة **بثلثة ساعات** عن المواضـــع التي يمر بها الجيش الفرنساوي ٠٠ » بدلا من « ثلاثة فراسخ » ، ترجمة للأصل الفرنسي « trois lieues » : منشور بونابرت الأول ٠

* « ٠٠ الأمراض المفسودة التي تعدى » بدلا من « الأمراض المعدية »،

---

(١) مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٤ ، ٣٢٩ ـ ٣٢ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ـ ٧ ، جـ ٢ ، ص ٩٣٠ ٠

(٣) أنظر ص ٩٣ ـ ٤ ٠

ترجمة للأصل « maladies contagieuses » : منشور الجنرال مارمون قائد منطقة الاسكندرية فى ٥ ديسمبر ١٧٩٨ .

* «منزل الأمر» بدلا من «القيادة العامة» ، ترجمة للأصل « quartier général » : كثير من منشورات عهد بونابرت .

* « شركة الاخوية » أو « شركة منجر الاخوية » ، بدلا من « شركة تجارية » ، ترجمة لعبارة « compagnie de commerce » : منشور انشاء الشركة المساهمة لتجارة الجملة بالاسكندرية ، ٧ مارس ١٧٩٩ .

* « جنرال متفرقة » ، بدلا من «قائد فرقة» أو «قائد لواء» ، ترجمة للقب العسكرى « Général de Division » : عدد كبير من منشورات المتملة .

* « مملكة موسكوبه » ، بدلا من « روسيا (أو « الروسيا (، ترجمة لكلمة « La Russie » .

* « عسكر الاسلام » ، بدلا من « القوات التركية » ، أو « القوات العثمانية » ، ترجمة لعبارة « les troupes turques » : منشور انشاء العريش فى عهد كليبر ، ٢٨ يناير ١٨٠٠ .

* « ولاية تيبايس وقنى » ، بدلا من « ولاية طيبة أوقنا » ، ترجمة للأصل الفرنسى Thèbes ou Kenneh : منشور كليبر بالتقسيم الادارى لمصر فى ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ .

* بوسيلج .. مدير الحدود العام بمصر » بدلا من « مدير الشئون المالية » ، ترجمة لعبارة « Administrateur Général des Finances de l'Egypte ... » فى كل المنشورات التى ورد فيها اسم بوسيلج (وكان اسمه يكتب « بوسيلغ » أو « بوسيهلغ » أو « بوسيلك ») .

* « وغير مطارح » ، بدلا من « وأماكن أخرى » ترجمة لعبارة « et autres lieux » . « الشطارة » ، بدلا من « الصناعة » ، ترجمة لكلمة « industrie » . « المتسببين » ، بدلا من « التجار » ، ترجمة لكلمة « marchands » . « العصور » ، بدلا من « القرون » ترجمة لكلمة « les siècles » : عدة منشورات من عهد بونابرت ومنو .

* « أهالى ووجقلى الذين خرجوا واخذوا ورقة اجازة لاجل يلموا

دراهمهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا » . وكان يمكن أن تصاغ هذه العبارة على الوجه الآتي مثلا : «لاينطبق هذا الأمر على الأهالي ورجال الاوجاقات الذين اعطوا تصريحات بالذهاب الى قراهم لتحصيل الاموال المستحقة عليها » ، وذلك ترجمة للأصل الفرنسي :

« Les habitants ou odjaqlys qui ont reçu des autorizations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre »

: منشور بليار (قائمقام منو) بانذار من يغادر القاهرة بدون اذن ، ٧ أغسطس ١٨٠٠ .

* بعد النص على تجريم من يحول النقود الذهبية والفضية الى سبائك في قانون دعم المصوغات الذي اصدره منو في ١ ستمبر ١٨٠٠ ، وردت العبارة التالية التي عجز كاتبها عن ان ينقل بها الى ذهن قارئها المعنى الواضح الذي قصده أصلها الفرنسي : « والذين فقط مفكرين في أنفسهم يكسروا المعاملة ذهب أو فضة لاجل يعملوه سبايك ايش ذنبهم لأن بعض اوقات يكون هذا من غير وجوه الحلال » . لقد كان الاصوب ان يقال مثلا : « فأية جريمة ضد المجتمع يرتكبها بعض أولئك الذين لا يفكرون الا في أنفسهم ، عندما يحولون الى سبائك نقودا ذهبية وفضية حصلوا عليها غالبا بطريق غير مشروع » ، فالأصل الفرنسي يقول :

« Quel crime contre la société ne commette donc pas quelques égoïstes qui changent en lingots les monnaies d'or et argent que souvent ils ont acquises injustement ».

* «اختيار» بمعنى «عجوز» أو «شيخ» . وهذا لفظ عامي يسود استخدامه في سوريا وبعض البلاد العربية الاخرى ، وقد ورد هو وكثير من أمثاله كلفظ «بده» بدلا من «يريد» في عدد من منشورات الحملة التي حررها المترجمون السوريون ، مثل منشورات قضية مصرع كليبر .

* « ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب الى مستأجرين الاقلام» ، بدلا من «ولأجل أن يدفعوا المطلوب منهم بالضبط الى مستأجري الحصص الزراعية» ، ترجمة للعبارة الفرنسية .

« à faire payer exactement aux fermiers ce qui peut leur être dû »

: منشور منو بتنظيم الضرائب ، ١١ سبتمبر ١٨٠٠ .

* « والقدر والكبر بتاع البنادر يبين كام صراف يعتاز فيه » . هذه

العبارة العامية الركيكة كانت ترجمة للاصل الفرنسى البسيط الواضح :

« La grandeur et l'importance des villas détermineront la quantité des sarraf qu'on y placera ».

: منشور منو بتنظيم مهن الصرافة والكيالة والقبانة ، ٨ أكتوبر ١٨٠٠ .

* « فما دام انتم مؤدين الرسم الموضوع فانونا من الشريعة بعينه فانتم مأذونين بمحافظة مع صفاء خاطركم كلما لكم مقتنى بلا إن أى من يصير يقتدر يمنعكم من هذه المحافظة أو يطلب منكم محاسبة مالكم » . هذه العبارة المعقدة التركيب التى تضم ألفاظا غريبة النحت كانت ترجمة للعبارة الفرنسية :

« en payant exactement l'impôt fixé par la loi, vous serez libre de jouir de tout ce qui vous appartient, sans que personne puisse vous en empêcher, ou vous demander compte de vos richesses ».

* «ان سر عسكر العام **مسترضيا بزيادة عن تمشيات** كافة مشايخ البلاد من كل جوانب بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم .. » هذا الاستهلال الركيك لمنشور منو ، الصادر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ، الذى يعطى مهلة شهر لمشايخ البلاد المتأخرين فى سداد الرسوم المقررة عليهم ، يمكن تصحيحه — مع المحافظة على أسلوب المنسور ولغة العصر — الى : « ان سر عسكر العام الذى **سره كثيرا سلوك** مشايخ البلاد من كل أنحاء بر مصر الذين يتعجلون دفع الرسم السنوى المقرر عليهم ... » فالاصل الفرنسى يقول :

« Le Général en chef, très satisfait de la conduite des cheykh el-beled de toutes les parties de l'Egypte, qui s'empressent de payer le droit annuel qui leur a été imposé... ».

* « فتحت ذلك السبب المذكور (أى مغادرة البلاد) لايقى يجوز ولا زيارات مستفشة فى البيوت بل لما هى مأذونة تحت سبب التدبير البلاد وتفتيش الأسلحة والأمراض ذى السراير » . هذه العبارة الملتوية التركيب الغامضة المدلول كان المقصود بها ما معناه « لم يعد يجوز تحت هذه الحجة نفسها دخول (أحد من رجال الحكومة) بيوت الناس ، غير انه سوف يسمح بذلك بسبب اجراءات الشرطة أو للبحث عن أسلحة أو بسبب حالات الامراض المعدية » ، لان الاصل الفرنسى يقول :

« Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le même prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses »

: من منشور منو بتخفيف الاجراءات التى فرضت على من غادروا البلاد ، فى ٢٢ فبراير ١٨٠١ .

* ومن أمثلة التعبيرات العامية التى تكثر ـ دون مبرر ـ فى لغة المنشورات ، وقد لاحظنا طرفا منها فى بعض النماذج السابقة : « دفعتم الطاق طاقين » ، «يخلوا فى بالهم» «البضايع .. يدخلوهم أو يخرجوهم من ورا الجمرك » « البيوت والاملاك بتوع المماليك » ، « المصاروة » .

* استخدم محررو المنشورات ما كان مألوفا فى ذلك العصر من المصطلحات الديوانية التى تتصل بالامور المالية والضريبية، على ركاكتها، مثل : غلاق ، المعلوم ، حصص ، نمسكات ، رجعات ، ميرى ، كشوفية . وذلك حتى يكون ما يذاع على الناس فى هذا الصدد واضحا مفهوما . ولكنهم الى جانب ذلك استخدموا عدة ألفاظ تركية وفرنسية ، كما هى أو مع بعض التحوير ، دون أن يحاولوا ترجمتها أو تعريب صيغتها ، مثل «صارى عسكر» أو «سارى عسكر»(١) جامكيه (مرتب ـ ماهية ، وجمعها جوامك) ، جبخانة (ذخيرة) ، وجاق ، مصرلى ، عثمانلى ، وجاقلى . ومثل : وفسيال (من officier) ، كومسارى (من commissaire) ، نمرة (من numéro) .

أما أخطاء النحو فكثيرة ، وأبرز أنواعها :

* نصب المرفوع والمجرور . مثل : «ان الفرنساوية هم أيضا **مسلمين مخلصين**» ، «يكون فى كل ولاية .. رزنمجى فرنساوى أو **وكيلا** له» ، «فان حرك **احدا** منكم الفتنة» ، «وهم **سببا** لقتل ثمانية آلاف» ، « وردنا **خبرا صحيحا** » ، « سمعتم من **احدا** يقول » .

---

(١) مصطلح تاريخى يتكون من كلمتين : احداهما فارسية الاصل انتقلت الى التركية، والثانية عربية ، ومعناه «رئيس الجند» أو «القائد العام» . وقد استخدمت هذه اللفظة المركبة فى كل منشورات الحملة العربية التى ورد بها اسم أى من قواد الحملة الثلاثة . وكانت تكتب أحيانا بصيغتين اخريين ، هما «سر عسكر» ، «سرى العسكر» . ويلاحظ كذلك انها كانت اما أن تجرد من أداة التعريف ، أو تلحق بها هذه الأداة باحدى صورتين «السارى عسكر» ، «سارى العسكر» : وقد نحت الجبرتى من اللفظة اسما عاما هو «السر عسكرية» ، بمعنى القيادة العامة للحملة . وتطور استخدام هذا المصطلح ، فأصبح فى منشورات منو يقوم مقام الرتبة العسكرية «جنرال» ، وتلحق به عبارة تحدد مدلوله : «من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهورية الفرنساوية بالشرق ...» . انظر : الشناوى : **ترجع سبق ذكره** ، ص ١٤ ـ ١٥ .

* رفع المنصوب (أو تسكينه) ، مثل : «وجدوا .. **مقدار كبير** واخذوا ذخاير كثيرة وأموال » ، « وجدوا أكثر من ثمانين **مدفع** » ، « كتبنا **عرضحال**» . ومثل هذا رفع المجرور ، مثل «بثلاثون **يوما**» .

* عدم اعمال الناصب أو الجازم مع الفعل المضارع ، مثل: «صاحب محل العرقى الذى **لم يكون** قيد اسمه ..» ، «فعلى حكام الولايات أن **يفحصون** .. »

* حذف النون من صيغ الافعال الخمسة ، دون ما ناصب أو جازم، مثل : «السناجق الذين **يتسلطوا** فى البلاد المصرية» ، «**سيدبروا** الامور»، **ستلاقوا** فى كل وقت » ، « كما **تروه** فى الشرط الثـانى » ، « اذا كان الفريقان لا **يريدا** أن ... ولا **يتفقا** » .

* استعمال حرف الجزم « لم » مع غير الفعل المضارع ، أو بدلا من حروف نفى أخرى ، مثل : «**لم يقى** مدبر الحدود كمثل الاول» ، « **لم لهم** شىء » ، «**لم عليه** الا عوايد واحدة» ، «**لم عندهم** طمع» ، «**لم بلغ** على ذلك»، «**لم مرادنا** تحكم فيكم بطريق التخويف» .

* استخدام أداة التعريف مع المضـــاف ، مثل : «وتميل عقولكم لتصديق **الكلام** اتباع الظلمة السابقين» ، «**والاملاك والاموال** كل الهاربين من مصر قبل ذلك التـاريخ» ، «**الامبراطور** النمسا» ، «... تسلكوا فى **الطريق** الخائفين الله » .

* عدم حذف النون من جمع المذكر السالم عند الاضافة ، مثل : «نعلمكم أن بعض الناس **ضالين** العقول ..» ، «**الى ملتزمين** البلاد ..» ، «مع **محصلين** التكاليف» ، «كونوا **مستريحين** البال **ومترفهين** الحال..».

* استخدام افعلين ظاهرين للفعل الواحد ، أو كما يقـول النحاة استخدام لغة «أكلونى البراغيث»(١) ، مثـــل : «... ويكونوا **الحكام** مسئولين» ، «مثلما فعلوا **أهل** مصر ..» ، «بعد أن يتكاملوا **الجميع** فى البر ..» ، «بعض مراكب اعـدوهم **عسكر** الجزار» ، «فهجمـــوا عليهم **الفرنسيس** » .

* تأنيث ما يجب تذكيره ، وتذكير ما يجب تأنيثه عند تمييز العدد

---

(١) يعتبر بعض النحاة أن هذا ليس خطأ بقدر ماهو استعمال ضعيف . وهم يستدلون على ذلك بمثال من لغة الحديث النبوى : « يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ملائكة ..» ، ولكن هذه قضية تحتمل كثيرا من الجدل ، وليس هنا موضعه .

مثل «**اربع** مشاريع» ، «**ثلاثة** مرات» ، «**سبع** شروط» ، «**عشرة** سنوات» ، «بن **اربعة** وعشرين سنة» ، «**خمسة** عشر فضة» ، «على **اثنى عشر** دفعة» ، «**ثمانية** ولايات» .

* الخطأ فى استخدام الاسم الموصول، مثل: «كل النقابر (السفن) والقـــوارب **الذى**» ، «الشروط **الذى** انتخبناها» ، «القرى **الذين** عـــادوا الجمهورية الفرنساوى» ، «الاصناف **الذين** يخرج منهم العرقى» .

* الخلط بين التذكير والتأنيث ، وبين الافراد والتثنية والجمع ، فى الاسماء والضمائر وصيغ الافعال ، مثل: «بعض العوايد **الموجودين** بالديار المصرية» ، كل الاموال **والاملاك المأخوذين** الى هذا اليـــوم» ، «فى مراكبهم **الخاص** بهم» ، «كل صاحب معمل يدفع.. المال الذى **عليهم**» ، «كل قوائم أسماء البلاد .. يلزم **طبعهم**» ، «وكنا عملنـــا التعريفه **وطبعناه**» ، «كثرة التكاليف **كان يخطف** منـــكم ...» ، « فان دماء آبائكم .. وأولادكم قد **جرى** ..» ، «المراكب المذكورة **وصلوا** ..» ، «كل المحاكم .. **يقضون** بالعدل» .

وتحتوى لغة المنشورات العربية كذلك على أخطاء صرفية كثيرة ، فى اشتقاق المصادر والصفات وصيغ الجمع وغيرها ، مثل اشـــهار (شهر) ، أنشر ـ انشار (نشر) ، افراز (فرز) ، مداعاة (ادعاء) ، ترسيم (رسم) ، اصراف (صرف) ، تلاف (تلف) ، يرفع **دعوته** (دعواه) ، فتـــوة (فتوى) ، أهل الشرع الاسلام (المسلمون) ، المتشرعون (المشرعون) ، اغلال (غـــلال ـ غلات) ، أبغـــال (بغال) ، أعيـــال (عيال) ، طروف (أطراف) ، امرار (مرات) ، أشره (أشرار) ، متهـــوم (متهـــم) ، ملزوم (ملزم) ، مستفشه (متفشية) ـ عصـــاوة (عصيان) ، عذاب **عقيب ـ اعقب** العذاب (اشتقاق خاطىء من **عاقب**) .

ولا تقل اغلاط الهجاء شيوعا عن أخطاء النحو والصرف ، ومنها :

* استخدام التاء المفتوحة بدل المربوطة ، أو العكس ، مثـــل : «عليه افضل **الصلات** والسلام» ، «كل من **ماة** عنده ..» «**حيات** الدنيا» ، «**انخمدة** الشرور» ، «**سنت** دواوين» .

* وصل كلمتين معا ، مثـــل : كلمن (كل من) ، كلما (كل ما) ، أيمن (أى من) ، انكان (ان كان) .

* اضافة ألف بعد الواو فى الفعل المضارع المعتل بالواو ، مثل : نرجوا ، يدعوا .

* استعمال الالف المنطوقة بدل الياء المرسومة فى بعض الكلمات المقصورة ، مثل : النصارا (النصارى) • الكبرا (الكبرى) ، أدنا (أدنى) ، يتعاطا (يتعاطى) ، يتبقا (يتبقى) ، يرا (يرى) ، انطوا (انطوى) ، أتا (أتى) •

* استعمال الياء بدل الالف فى الافعال المقصورة ، مثل : عفى (عفا) ، دعى (دعا) •

* كتابة السين بدلا من الثاء والزاى بدلا من الذال ، مثل : سغر (ثغر) ، سلاسة (ثلاثة) ، موزى (مؤذ) ، زخاير (ذخائر) ، مازون (مأذون) ، مزكور (مذكور) •

* زيادة ألف على هجاء الكلمة ، مثل : فاليتوجه (فليتوجه) ، خاروف (خروف) ، ذالك (ذلك) ، المرجوا (المرجو) •

* أخطاء أخرى متنوعة ، مثل : المأونة ـ المأونة (المئونة ـ المؤونة) ، اطمأنان (اطمئنان) هولاى (هؤلاء) ، قيرات ـ قراريت (قيراط ـ قراريط) ، ابتدى (ابتداء) ، المومى اليه (الموما اليه) ، أوله (أولى) •

ولكننا ، بعد كل ما عرضنا من أنواع الاخطاء ونماذجها ، ينبغى لكى ننصف محررى المنشورات العربية ، أو بالاحرى مترجميها عن أصولها الفرنسية ، أن ندخل فى حسابنا الاعتبارات التالية :

أولا : ضرورة النظر الى تلك الاخطاء فى ضوء ما اسلفنا ذكره من عوامل وملابسات تتصل بحالة اللغة العربية وطبيعة الحياة الثقافية للبلاد فى ذلك العصر ، فضلا عن مستوى التحصيل اللغوى للمترجمين أنفسهم •

ثانيا : ان الاخطاء بأنواعها لم تكن ، رغم شيوعها ، مطردة فى كل المنشورات أو فى سوادها • فقد تفاوتت هذه الأخطاء كما وكيفا ، واختلف نصيب المنشورات منها باختلاف المترجمين من ناحية ، وباختلاف الغرض الذى صدر من أجله المنشور من ناحية أخرى • وهناك منشورات جيدة التحرير واضحة التعبير ، لا نكاد نلمح عبر سطورها الا هنات قليلة ، مثل المنشورات التى تتضمن نصوص اتفاقيات الجلاء عن مصر فى عهدى كليبر ومنو ، ومثل منشور انشاء ديوان القاهرة فى صورته الجديدة أيام منو (١) •

---

(١) أنظر الاشكال ٧٦ ، ٨١ ، ٤٩ •

ثالثا : ان الترجمة من الفرنسية الى العربية فى ذلك الوقت كانت تجربة غير مسبوقة ، ومن ثم فهى مهمة ثقيلة تؤود من قد يتصدى لها من المتمكنين من لغة الضاد ، وتكاد بالتالى تعجز من لم يتمكن من هـــــذه اللغة • هذا الى ان ترجمة المنشورات ، من حيث هى وسيلة اعلام ، تختلف عن ترجمة النصوص العلمية أو الأدبية فى انها عمل يتطلب عادة انجازا سريعـــا ، ولا يترك مجالا كافيـــا ــ وبخاصـــة لغير المتمرسين به ــ للاجادة والتأنق •

رابعا : ان المادة المحررة كانت وافدا جديدا على فنون الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، ســـواء من حيث نوعيتهـــا أو قوالبهـــا • فقد تضمنت موضوعاتها ــ كما رأينا ــ الرسائل الدعائية ، وبيانات ممثلى الشـعب ، والبـــلاغات الحربية ، ونصـــوص القوانين والتنظيمـــات ، والمأجريات القضائية ، والاتفاقيات الدولية ، والموضوعات الاخبارية ، وغيرها مما لم يكن للعربية عهد به من قبل • واقتضى عرض هذه الموضوعات استخدام أساليب جديدة فى التعبير عرفتها اللغة الفرنسية ، وبخاصة فى مجـــال الاعلام • ولكن لم تكن أقلام كتاب العربية قد جرت بمثلها بعد • ويضاعف ذلك ولا شك من صعوبة المهمة •

خامسا : ان كتابات مثقفى المصريين فى ذلك العصر لم تكن تخلو من كثير مما أخذناه على منشورات الحملة من ركاكة وأخطاء ، بالرغم من ضيق دائرتها وقلة ما طرقته من موضوعات • فكتابات الجبرتى مثلا ، وهى انموذج فذ للغة العصر ، وصاحبها ــ ولا شك ــ فى طليعة مثقفيه ، تشيع فيهـــا كمنشورات الحملة أخطاء النحو واللغة ، فضلا عن ضعف أسلوبها واقترابها من لغة العامة فى كثير من الأحيان • هذا بالرغم من ان الجبرتى كان يتخلى فى بعض المواقف عن أسلوب السرد التقريرى الذى ألف اتباعه فى كتاباته التاريخية ، ليترسل متأنقا فى وصف أو مدح أو رثاء ، مستخدما ــ على سنة عصره ــ مختلف المحسنات اللفظية • ويتضح ذلك بوجه خاص فى كتـــابات الجبرتى المخطوطة • أما تاريخه المطبوع «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» ، وكذلك كتابه «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» ، فقد تلاقى من قاموا باعدادهما ونشرهمـــا (بعـــد وفاة صاحبهما) معظم تلك الأخطـــاء • وهذا مثال من أحد الأصول الخطية لما كتب الجبرتى :

« •• ومن الحوادث ان فى يوم الاحد عاشر المحرم (عام ١٢١٣) وردت مكاتبات •• ان فى يوم الخميس ثامنه حضر الى ثغر سكندرية عشر

مراكب من مراكب الفرنج ووقفوا على البعد بحيث يرونهم اهل الثغر وبعد قليل حضر أيضا خمسة عشر مركبا .. فانتظروا أهـل الثغر قاصدهم واذا بقايق (أى مركب) واصل منه (؟) عندهم به عشرة أنفار فوصلوا الى البر فكلموهم اهل البلد واستخبروهم عن أنفسهم فاخبروا انهم انكليز حضروا للسـؤال عن الفرنسيس فقالوا لهم لم يكن عندنا الا المستوطنين بالثغر .. ثم فى ثالث يوم حضرت أيضا مكاتبات بان المراكب غابوا عن اعينهم فاطمأنت الناس وبطلت القالة .. فلما كان يوم الاربعاء عشرين المحرم وردت الاخبار والمكاتبات من ثغر الاسكندرية ورشيد ودمنهور بان فى يوم الاثنين ثامن عشره لم يشعروا اهـل الثغر الا والفرنج ومراكبهم عند المعجمى وزاحفين على البلد .. » (شكل ١٠١) (١) .

وتضم وثائق الحملة ومحفوظاتها كذلك كثيرا من رسائل المصريين ، وبخاصة كبارهم ، الى الحكام . وهى تقدم لنا صورة دقيقة لمستوى الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، وما كانت تتسم به من هبوط وتخلف .

وهذا مثال من تلك المراسلات ، وهو كتاب مرسل من « الديوان الخصوصى » الى الجنرال دوجا نائب القائد العام (كليبر) بالقاهرة . وقد وقع عليه الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والسيد خليل البكرى . ونص هذا الكتاب ، بأخطائه التى لا تخفى ، فضلا عن أسلوبه الركيك الفج ، هو :

«من محفل الديوان الخصوصى بمصر خطابا الى حضرة صـارى عسكر دجا قايمقام مصر حالا ، أجرى الله على يديه الخير آمين . اما بعد الدعا لكم بخير ان المرحوم مصطفى اغات الشراكسة ابن المرحوم مصطفى اغات الشراكسة مات قبل دخول الجمهـور بمدة وعليه ديون كثيرة ومخلفاته شيى يسير لم يكفى فى الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين مراد الورثة يبيعوا البيت المذكور لأجل يحطوا حقه فى الديون والآن سكنوا فى البيت جماعة من عسكركم فلما سكنوا فيه لم بقى أحدا يتجسر على شراية البيت القصدمن حضركم سكنت العسكر فى بيت آخر لأجل بيع

---

(١) من مخطوطة بعنوان «تاريخ عدة الفرانسيس بمصر من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢١٦» محفوظـة بمكتبـة ليدن بهولنـدا ، وهى بخط الجبرتى نفسـه . ويتضـح من فحص مضمونها انها استخدمت فى اعداد مادة كل من كتابى الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» ، و«مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» . وهذه الصورة مهداة من الزميل الدكتور مارسدن جونز أستاذ الدراسات العربية بالجامعة الامريكيه بالقاهرة ، الذى يقطع بأن تلك المخطوطة أقدم مخطوطات تاريخ الجبرتى على الاطلاق .

البيت وخلاص ديون الميت وأنتم تحبوا السعى فى الخير ودمتم بخير (شكل ١٠٢) (١) .

وهذا مثال آخر يضم مقتطفات من كتاب أرسله مراد بك حاكم الصعيد الأعلى الى منو عقب مصرع سلفه كليبر . وقد حرره له بالطبع بعض مستشاريه ممن كانوا يجيدون مثل هذا العمل . لأن مراد بك ، مثل سائر المماليك ، لم يكن يحسن العربية .

« ان سألتم عننا فاننا طيبين بخير ولم نسأل الا عنكم .. وعرفتونا بما حصل الى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر كليبر وهذا أمر الله تعالى لم أحدا بيده حيلة .. والذى سلط على قتل مثل واحد كبير زى ده .. يبقا خاين وقليل المروه .. وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكرتوا لنا فى جوابكم ان الجمهور سلموا لكم كامل الأمر والحكم وحصل لنا غايت الفرح والسرور لأن سابق تلقينا منكم الأخبار الطيبة .. الناس جميعا يمدحوكم بكل خير واحنا الآخرين حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا لطرفكم .. واننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الأول وانشاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق .. وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر الى الله تعالى والى حضرتكم السعيدة » (٢) .

سادسا : ان بعض ما عرضنا له من أخطاء فى المنشـــورات ما زال ـ ويا للأسف ! ـ ملحوظا اليوم فى وسائل الاعلام العربية عندنا ، بعد أكثر من مائة وسبعين عاما تفصل بيننا وبين عهد الحملة الفرنسية ، وبعـد الشوط الطويل الذى قطعناه فى تطورنا الثقافى واللغوى .

سابعا : ان مترجمى المنشورات وفقوا الى استخدام عدة مصطلحات ومسميات عربية ، اشتقوا بعضها من أصول قديمة ليختص بمعـــان مستحدثة ، ونحتوا بعضها الآخر ، أو أنشـــأوه انشاء . وبعض هـذه المسميات انحدر الينا منهم فاستخدمناه كما هو أو طورناه ، وبعضـــها

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهـو بتاريخ ١٢ رجب ١٢١٤ (يوافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩) . وقد وقع مع الزعماء المصريين على هذا الكتاب ـ ضامنا وتأييدا ـ الاعضاء الاجانب الثلاثة ، مع أنهم بالطبع لم يشتركوا فى صياغته . ونتضح من صورة الكتاب أنه ترجم الى الفرنسية لعرضه على الجنرال دوجا .

(٢) راجع ص ٧٠ وشكل ٢٧ .

الآخر وصلنا اليه باجتهادنا بعد ان كانوا سبقونا اليه • وفى الحالتين فان لمحررى المنشورات فضل بدء الخطوات الأولى لاثراء اللغة العربية بتلك الألفاظ والعبارات • ولا شك ان جهود الرائد العظيم رفاعة الطهطاوى ومدرسته فى الترجمة ، وجهود من ساروا بعدهم على هدا الدرب على امتداد اكثر من قرن ، بل جهود المحدثين من حملة لواء الترجمة فى وسائل الاعلام المعاصرة بالذات ، وما أثمرته كل تلك الجهود من نتائج أضافت الى العربية الكثير ، لم تكن سوى استمرار لتلك البداية الخافتة لمحررى منشورات الحملة • ومن أمثلة ما حققه أولئك المترجمون فى هذا الصدد :

ـ جمهور (ترجمة لكلمة (république) ، وقد اضيفت اليها ياء النسب وأنثت فيما بعد) ـ حرية ، تسوية (شعارا الثورة الفرنسية. وقد طور ثانى اللفظين فيما بعد الى «مساواة») ـ كاتم السر (ترجمة لكلمة (secrétaire) ـ أمين الصندوق (ترجمة لكلمة caissier) ـ قائمة (بمعنى ورقة تقيد بها الأسماء والأشياء فى صف قائم) ـ محكمة ـ محاكمة ـ مبادىء (بمعنى القواعد الأساسية) ـ الدعاوى المدنية ـ مداولة ـ وكيل الجمهور (التى طورت فيما بعد الى « ممثل الادعاء ») ـ اقتراع ـ انتخاب (فى مجال الممارسة الديموقراطية) ـ النشر (بمعنى الطبع أو الاستنساخ، والاذاعةبين الناس، ترجمة للمصدر « publier ») ـ مادة (article) ـ شركة (compagnie) بالجملة والتقطيع (هذا المصطلح التجارى أقرب الى الصواب بصيغته هذه من الصيغة التى طور اليها والتى تستخدم الآن « بالجملة والقطاعى » ـ مزاد ـ مليون (ألف ألف) ـ صلب (بمعنى الفولاذ) ـ قزدير (عدلت فيما بعد الى « قصدير ») ـ قالب ـ أم (ترجمة لكلمة matrice بمعنى القالب الذى يسبك عليه حرف طباعة أو خاتم دمغة المصوغات مثلا) •

وحصلة هذا كله أن محررى المنشورات العربية ، بالرغم مما وقعوا فيه من أخطاء ، قد قاموا بانجاز كبير وضعوا به فى أرض اللغة العربية حجر الأساس لمجال جديد متعدد الجوانب فى التعبير ، وفتحوا به طاقة أضاءت لهذه اللغة معالم طريق طويل انتهجته بعد ذلك وتطورت فيه عبر عدة مراحل ، حتى غدت تناظر غيرها من اللغات الحية •

ولم تقتصر عملية تحرير المنشورات العربية على مجرد ترجمة أصولها الفرنسية بألفاظها ومعانيها وعباراتها وقوالبها كما هى الى

العربية • وانما كانت هذه المنشورات تمر أحيانا بمرحلة أخرى ، يعهد فيها الى بعض المتمكنين من اللغة العربية بصياغة عباراتها من جديد ، لتكون أقرب الى الاسلوب الأدبى المتأنق الذى يرضى أذواق قراء ذلك العهـــد •

وعملية اعادة الصياغة (re-writing) من العمليات التحريرية الأساسية فى الحقل الاعلامى الحديث • وهى تمتد الى كثير من مواد الصحف بالذات ، مع تفاوت فى مدى التدخل الصياغى ، تطبيقا لقواعد معينة تختلف باختلاف المادة المحررة (١) •

غير انه يلاحظ انه لم يخضع لهذه العملية الا بعض منشورات الحملة وبخاصة فى عهد بونابرت • ومعظمها من المنشورات التى صدرت على لسان زعماء الشعب ، أو كانت تذيع رسائل من قادة الحملة اليهم •

وتدل بعض المراجع على ان بونابرت نفســه هو الذى كان يشــير باعادة صياغة تلك المنشورات • ولعله كان يعتقد ان ذلك أنسب لطبيعة مضموناتها « الساخنة » من ناحية ، ولصدورها على لسان ممثلى الشعب أو توجيهها اليهم من ناحية أخرى • فقد جاء فى رسالة منه الى الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية لحكومة الحملة ، بعث بها اليه من يافا فى أثناء حصاره لها (٢) : « عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشورات التى يبعث بها فانتور (المستشرق المترجم المصاحب لحملة سوريا) الى الديوان ، وأن تضيفوا اليها المحسنات والتنميقات التى يرى الشيخ المهدى ادخالها عليها ، وأن تنشروها فى أنحاء البلاد » (٣) • والواقع أن القائد الشاب كان شديد الاعجاب بالشيخ المهدى ، وقد امتدحه كثيرا فقـــال عنه فى

---

(١) اعادة الصياغة من اهم اعمال قسم المراجعة أو «المطبخ الصحفى» كما يطلق عليه أحيانا ، وهو من أبرز اقسام الصحيفة • وقد اتسع مفهومه فلم يعد اختصاصه مقصورا على الجانب اللغوى وحده ، وانما أصبح يتعدى ذلك الى طريقة بناء الموضوع واختيار عنوانه والتحقق من صحة مايتضمنه من معلومات • وتتغير صورة هذا القسم من صحيفة لاخرى ، حسب نظام توزيع العمل التحريرى بها ، غير أنه يضم عادة فى الصحف المتقدمة نخبة من كبار المحررين ذوى الخبرة والثقافة •

(٢) بتاريخ ٢٠ فنتوز سنة ٧ (١٠ مارس ١٧٩٩) • انظر : **مراســلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٠٢٨ •

(٣) كان المنشور الذى اذيع على لسان العلماء بنيا الاستيلاء على يافا أحد هـذه المنشورات التى تناولتها عملية اعادة الصياغة ، كما سنرى •

مذكراته (١) « انه أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لسانا وأكثرهم علما وأصغرهم سنا » .

وقد أشار الجبرتي في أكثر من موضع الى أن بعض المنشورات كانت تعاد صياغتها دون أن يحدد من قاموا بهذا العمل . فقال في تقديمه لنص المنشور الذي صدر على لسان الديوان ليذيع نبأ استيلاء الفرنسيين على يافا (٢) : « حضر عدة من الفرنسيس .. واخبروا ان الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من ساري عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس واجتمع ارباب الديوان قرأ عليهم المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية وهي على لسان رؤساء الديوان الى الكافة .. » .

وقال الجبرتي كذلك عن المنشور الذي أصدره « محفل الديوان الخصوصي » ، بعد عودة بونابرت على رأس حملته السورية الى مصر : « كتبوا أوراقا وطبعوها والصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا وهي من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء وصورتها.. ».

وهذه نماذج من تلك المنشورات « المنمقة » ، ويلاحظ فيها استخدام السجع وغيره من المحسنات اللفظية ، والاسراف في ذلك أحيانا الى حد التضحية بقواعد النحو (٣) : من منشور علماء الأزهر ، الذي اذيع عقب ثورة القاهرة الأولى على أقاليم مصر كافة : « .. وقد قبل (بونابرت) شفاعتنا لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين ، وحب للفقراء والمساكين ، ولولاه لهلكت أهل مصر أجمعين ، فأنتم لا تحرثوا الفتن لتكونوا في أوطانكم مطمئنين، ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تكونوا مع الخاسرين .. » .

* من منشور علماء الأزهر أيضا ، الذي أصدر بعد ذلك بأيام لتحذير المصريين من الاستماع الى دعاية المماليك : « .. فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ،

---

(١) الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٣٢١ ـ ٣ ، نقلا عن مذكرات نابليون التي املاها على الجنرال برتران (Bertrand) في منفاه الاخير بجزيرة سانت هيلانه .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ، وقد سبق الحديث عن هذا المنشور ، انظر صفحه ١٣١ .

(٣) استخدمنا في عبارات هذه النماذج بعض علامات الترقيم ، دون أن تكون موجودة في الاصل ، وذلك لكي يكون السجع وغيره فيها أكثر وضوحا .

ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية ، بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية • ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين •• لأن حضرة صاري عسكر الكبير اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم • ولا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد •• » •

* من منشور الديوان الخصوصي الى الشعب بمناسبة اعادة الديوان في صورته الجديدة أيام بونابرت : •• حضرة صاري عسكر •• أمير الجيوش الفرنساوية ، وفقه الله لكل خير في البكرة والعشية، صفح الصفح الكلي عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، •• وأعاد الديوان الخصوصي في بيت قايد أغا بالأزبكية • ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل حصول الراحة لأهل مصر ••• وتنظيمها على أكمل نظام واتقان •• » ويختم المنشور بهذه العبارات : « رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليات الى الديوان بقلب سليم • الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية ، فليتوجه الى قاضي العسكر المتولى بمصر المحمية ، بخط السكرية ، والسلام على أفضل رسل الدوام » •

* من منشور العلماء الذى يتضمن بلاغ الاستيلاء على يافا : « .. وصلت مقدمات الفرنساوية ، الى بندر يافا من الأراضي الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية • وأرسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ، أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار • فمن خشانة رايه وسوء تدبيره ، سعى في هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب •• وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار في وبال وتنكيس • وفي وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق سور (سور) يافا وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع ، من شدة النار ولا زاد لقضاء الله ولا مدافع •• » ••

* من منشور العلماء الذى صوروا به موقف القوات الفرنسية

المحاصرة لعكا : « .. الجلل عندنا كثيرة ، والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة .. عند وصول كتابنا ، وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين ، بملك قلعة عكا أجمعين .. فانهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون ، ياتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم .. » .

* من المنشور الذى يتضمن رسالة بونابرت الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية : « .. ان الله الواحد ، هو الرحمن الرحيم المساعد، المعين المقوى للعادلين الموحدين ، المبدد الماحق رؤى الفاسدين المشركين . وقد سبق فى علمه القديم ، وقضـــاءه (قضـــائه) العظيم ، وتقـــديره المستقيم ، انه أعطانى هذا الاقليم العظيم .. ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر الكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات . والقائم بأمر المخلوقات . هذا ما فى الآيات ، وفى الكتب المنزلات .. » .

* من منشور كليبر الى ممثل الشعب من أعضاء ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم : « .. فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية ، فانتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية ، القاطنين بالديار المصرية ، توسطتم بين الفرنساوية والرعية ، لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية، فى ساير بلادكم ، من غير تغيير عوايدكم ونظامكم .. » .

* من منشور الجنرال بليار نائب منو الى أهالى القاهرة فى أواخر ايام الحملة : « .. لم ينقص عليكم شىء من مئونتكم ، ولم اتأخر عن معونتكم ، فى تحصيل ما تحتاجون اليه من أصناف الأقوات ، واللوازم والمهمات ، على قدر جهدى فى هذه الأوقات .. » .

غير اننا نلاحظ ان منشورات قليلة من عهد منو بالذات كانت محكمة البناء جيدة الصياغة ، قليلة الأخطاء الى حد كبير ، بعيدة عن ذلك البهرج اللفظى ، وان كانت لا تخلو أحيانا من سجع مقبول . ومعنى هذا ان تلك المنشورات قد خضعت لعملية « تحرير » متأنية لتعديل أسلوب التعبير عن مضمونها ، حتى لا يكون مجرد ترجمة لفظية فجة ، وحتى يغدو أيسر فهما واستيعابا . وربما كان ذلك قد حدث فى أثناء عملية الترجمـة ذاتها ، بمعنى ان مترجم تلك المنشورات حرص عنـد نقله لنصوصها الى العربية على أن يوجه عنايته فى الوقت نفسه الى « القالب » الذى يصوغ فيه المضمون . وهذه هى الصورة المثلى للترجمة كما نعرفها

في صحافتنا المعاصرة • غير ان الأرجح أن تكون عملية « التحرير » هذه قد تمت على أيدى بعض مثقفى المصريين ، ممن استعان بهم الجهاز الفرنسى الحاكم ، اذ أن مترجمى الحملة ـ كما نعلم ـ لم يكونوا على قدر كبير من التمكن من اللغة العربية •

ومن المحتمل كثيرا أن يكون من قام بهذا العمل هو الشيخ اسماعيل الخشاب ، الذى نعرف عنه اجادته لصناعة الانشاء ، ونعرف أيضا انه تولى بديوان القاهرة فى عهد منو بعض الأعمال التحريرية • وكان هو الذى رشحه هذا القائد لرياسة تحرير صحيفة « التنبيه » العربية التى لم يقدر لها الظهور (١) •

وهذه بعض نماذج من تلك المنشورات :

* من المنشور الذى أذاع المرسوم الخاص بتكوين ديوان القاهرة ، وتفصيلات النظام القضائى الجديد للبلاد • ويلاحظ ان الخشاب كان أحد « المصادقين » على هذا المرسوم ، باعتباره « كاتب الخزانة السرية » ، مع كل من فورييه وكيل الديوان والقس رافاييل (روفائيل) «باش ترجمان الديوان » :

« الشرط الرابع عشر : وكل واحد من أهالى مصر اذا شاع عنه الخبر انه ارتكب اثم القتل أو ضر أحدا أو سرق شيئا من السكان فيقبض حالا عليه من الحاكم المتصرف بالأحكام العمومية والحكم عليه يبرز (يصدر) على موجب نص الأحكام الشرعيـة فى مثل هـذه الذنوب وذلك بشرع البلد •• » •

الشرط الثامن عشر : فاذا حدث ان أحد الفريقين المتخاصمين يريد أن يستغيث (يستأنف) ضد حكم برز (صـدر) من أحـد القضـاة أن كان ذلك فيما يلاحظ المدنى أم ما يلاحظ الجرائم ، فالمستغيث وقتئذ يقدم عرض حاله للديوان ، والمذكور له فى ذلك فسحة ستة أيام •• » •

* من المنشور الذى صدر فى عهد منو ، متضمنا صورة الفرمان الخاص بتولية مشايخ البلاد الجدد لمدة عام : « •• وله (لشيخ البلد) ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره وعليه الامتثال والطاعة لأمر النظار المدبرين •• فانهما يأمران بأمرنا على يد الوكيل المقيد بالأقاليم • ومن خالف أمرهما وتدبيرهما وخرج عن طاعتهما فلا يرى منا

(١) راجع ص ٨١ ـ ٨٢ •

الا ما يليق به من شديد العقاب • فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر ان ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل ان يسمع أهل بلده ويعلموا أنه صار شيخا عليهم مقررا من حضرة سارى عسكر ، وانه لا شيخ عليهم الا الذى بيده هذا الفرمان » •

* ومن هذا القبيل ، وبالأسلوب نفسه تقريبا ، كانت عبارات المنشورات المماثلة التى تتضمن صور الفرمانات الخاصة بتعيين الصيارف والكيالين والقبانية ، التى سبقت الاشارة اليها •

* من منشور الجنرال بليار الى أهالى العاصمة فى أواخر أيام الحملة :
« ••• وأنتم تجهلون الحروب والى الآن ما رأيتم شيئا من خرابها • فاوصيكم كما يوصى الأب أولاده المحبوبين عنده الا تخرجوا عن طريق الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ••• بملازمة الطاعة والمحبة واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فى ذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم • ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة ونحن نحقق لكم اننا نكون دائما منتبهين لكم وأننا نعمل غاية جهدنا فى راحتكم وسروركم مادمتم منقادين الى جمهور الفرنساوية ••• » ••• فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الأمور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر • ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم • وقد بذلت لكم النصيحة والله تعالى يرشدكم بما فيه صلاح أحوالكم فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جلال جلاله •••»

ويلاحظ من ناحية أخرى ان استخدام التعبيرات والألفاظ العامية كان أمرا مألوفا فى المنشورات التى تتناول شئون الحياة العادية • فهذه المنشورات كانت تخاطب المواطن المصرى العادى فيما يتصل بقوت يومه، أو بما تفرضه عليه السلطات من تكاليف أو تلزمه به من اجراءات ، أو تنبهه الى عدم الوقوع فيه من محظورات ، أو ما الى ذلك • ولذا كان من المناسب ، بالنظر الى ظروف تلك الأيام ، أن يلجأ محررو هذا النوع من المنشورات الى عرض مادتها بأسلوب يسهل على سواد الشعب استيعابه •

وفى هذا مجال للمقارنة بين منشورات الحملة وصحيفة « الوقائع المصرية» • فبالرغم مما عرضنا له من أخطاء المنشورات ، فقد كانت من حيث أسلوب الخطاب ، فضلا عن طريقة عرضها وتوزيعها ، أقرب الى ما ينبغى لوسيلة أعلام عامة • انها ، بتنوع هذا الأسلوب تبعا لتنوع

الموضوع ، وبتفاوته بين الخطابى المنمق والتقريرى الجامد والبسيط الدارج ، استطاعت أن تنقل مضمونها الى مختلف طوائف الشعب من قادة وعامة ، من متعلمين وأميين ، من قارئين ومستمعين ·

هذا بينما كانت « الوقائع » فى سنواتها الاولى ، من حيث لغتها « الرسمية » وأسلوب تحريرها « الديوانى » ، فضلا عن ضيق دائرة توزيعها ، لا تخاطب الا القلة الممتازة من القارئين المتعلمين ·

أى ان المنشورات ، مع ما تمثله من مرحلة صحفية بدائية ، حققت لرسالتها الاعلامية من الشيوع والشمول ما لم تحققه « الوقائع » ، أولى الصحف المصرية الكاملة المقومات ، بعد أكثر من ربع قرن من الزمان ·

الفصل الثاني

التيبوغرافيا والإخراج

استخدمت الحملة الفرنسية فى طبع ما اصدرته للمصريين من منشورات عربية ، وما اصدرته للفرنسيين وغيرهم من منشورات فرنسية ، بل وما طبعته من كتب وتقارير سبقت الاشارة اليها ورقا خشنا غليظا ، ولكنه فى الحقيقة لا يكاد يختلف عن ورق الصحف الاوربية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ، والتى مازالت مجموعاتها محفوظة بالمكتبات العامة . ويلاحظ من ناحية اخرى أن الورق الذى استخدمته المطابع الرسمية للحملة هو نفسه الذى كانت تستخدمه مطبعة مارك اوريل الخاصة .

---

(١) اختار الكاتب ـ منذ سنوات ـ هذا التعريف لمصطلح « Typography » فى الانجليزية ، ومايقابله من صيغ مماثلة فى اللغات الاوربية الاخرى . وهو يعنى فن الهيئات المطبوعة ، اى كل مايتصل بالحروف والخطوط والصور وما اليها ، مما يبصمه المطبعة على صفحات الورق . والاصل مشتق من كلمة « Type » التى تطلق على حرف الطباعة ، من حيث هو جسم معدنى او خشبى ، يحمل شكل حرف او اكثر او جزء من حرف او علامة ترقيم او ما الى ذلك ، كما تطلق الكلمة نفسها على مجموع هذه الحروف والاشكال . ويمكن الاشتقاق من المصطلح المعرب ـ تماما كمثيله الانجليزى أو الفرنسى ـ فيقال «التيبوغرافيون» و «العناصر التيبوغرافية» ، وهكذا ، ومن الواضح أن صيغة التعريب هنا مألوفة فى العربية ، التى تضم مصطلحات عديدة بمشابهة [illegible] مثل : الجغرافيا ، والطبوغرافيا ، والاوقيانوغرافيا [illegible]

ويقول بعض الباحثين ، دون أن يؤيد قوله بدليل واضح (١) ، ان بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يصاحبون الحملة ، استطاعوا ان يصنعوا الورق فى مصر بكميات كبيرة ، مستعينين بالقطن ولب بعض الاشجار . وقد يكون ذلك صحيحا ، غير انه من العسير ان يلاحظ الباحث اية فروق بين الورق الذى بدأت مطابع الحملة تستخدمه فى اول عهدها ، وبين الورق الذى استخدم فى طبع ما صدر من منشورات وغيرها بعد استقرار الحملة او فى اواخر ايامها . فاذا كان علماء الحملة قد نجحوا حقا فى صنع الورق بمصر ، وهو ما لم يتأيد بدليل او شاهد قوى ، فمن المحتمل ان الورق الناتج عن هذه التجارب قد استخدم فى اغراض اخرى غير الطباعة .

اما الحبر فالارجح ان يكون الفرنسيون قد صنعوه بالفعل فى مصر ، كما يقول « تايفير » الذى ارخ لمارسيل مستشرق الحملة وطابعها المعروف (٢) . فقد أكد هذا الباحث أن مارسيل استطاع أن يستعيض عن المواد التى كانت تستخدم حينذاك فى صناعة الحبر بمواد محلية عولجت بمهارة .

وواضح ان الحبر ايسر صنعا من الورق ، فضلا عن ان انتاجه فى مصر قديم قدم الكتابة نفسها . ولا شك ان تطوير صناعة حبر الكتابة فى مصر ، الذى يعتمد انتاجه اساسا على مادة السناج ، بحيث يصلح لتحقيق اغراض الطباعة المسطحة البسيطة وقتئذ ، لم يكن بالأمر العسير على رجل له مثل خبرة مارسيل ومن كانوا يعاونونه فى العمل بمطابع الحملة .

وكان الورق الذى استخدمته مطابع الحملة أفرخا تبلغ مساحتها ٣٠ × ٤٢ سنتيمترا تقريبا (١) . ويفحص ما عثر عليه من مختلف مطبوعات الحملة يتبين ان هذه الأفرخ استخدمت بعدة أشكال انتجت عدة أحجام من المطبوعات :

---

(١) Wasef, op. cit., p. 87.

(٢) Taillefer, op. cit., pp. 6-7.

انظر كذلك : صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(٣) هذا المقاس قريب جدا من مقاس «ربع الجاير» المعروف حاليا بمطابعنا ، والذى يبلغ بالضبط ٢٩ × ٤١ سنتيمترا . وهو قريب كذلك من مقاس «ربع الاونيك» الذى تستخدمه المطابع الاميرية بالالات ، والذى يبلغ ٣١ر٥ × ٤٣ سنتيمترا .

١ ــ فالفرخ الكامل كان يستخدم فى طبع معظم منشـــورات الحملة .

٢ ــ ومضاعفات هذا الفرخ ، التى كان يحصـــل عليها بلصق أطراف الأفرخ بعضها الى بعض ، كانت تستخدم كذلك فى طبع بعض المنشورات الى تطلبت مادتها الطويلة ذلك (١) .

٣ ــ ونصف الفرخ (٢١ × ٣٠ سم) أو ربعه (١٥ × ٢١ سم) كانا يستخدمان أيضا فى طبع بعض المنشورات ، كما استخدم ثانى هذين الحجمين بالذات فى طبع الكتب والكتيبات ونصوص التقارير التى كانت تصدرها مطابع الحملة من وقت لآخر ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى ، والكتاب الذى يضم المستندات الخاصة بقضية مصرع كليبر ، وتقرير كليبر المطول الى حكومة الادارة .

ومن الظواهر التى يلحظها فاحص هذه المنشورات تكرر وجود طبعتين من منشور واحد أحداهما بالحجم الكامل أو مضاعفاته والثانية بحجم أصـــغر . وهـذا يؤيد ما ذكره بعض مؤرخى الحملة ، من أن المنشورات كانت تصدر عادة فى طبعتين ، احداهما للصق على الجدران فى أركان الطرقات وعلى أبواب المساجد وغيرها ، والثانية للتوزيع على الصفوة القارئة من مشـــايخ الأزهر ومن اليهم . وهكذا تقوم هذه الظاهرة دليلا تيبوغرافيا ماديا على سياسة معينة انتهجتها ســلطات الحملة لكى يصل مضمون اعلامها الى أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب .

وكانت حروف المتن التى استخدمتها مطابع الحملة فى جمع مادة المنشورات العربية ، وهى التى حصل عليها بونابرت من المطبعة القومية بباريس ومطبعة جمعية نشر الدعوة الدينية (البروباجندا) بالفاتيكان، مصنعة على قاعدة لا بأس بها من خط النسخ .

ولم يزد ما استطاعت الحملة أن تحصل عليه من مجموعات هذه الحروف على حجم واحد ، هو « بنط ١٦ » (٢) . وقـد اســتخدم

---

(١) طبعت «نسخ الحائط» من المنشور الذى أصدره منو متضمنا مرسومه الخاص بترتيب النظام القضائى للبلاد مثلا (شكل ٤٨) على اربعة أفرخ لصقت اطراف بعضها الى بعض . تكاثت مساحته ٤٢ × ١١٦ سنتيمترا .

(٢) البنط (Point) هو وحدة قياس حجم الحرف الطباعى ، ويعادل $\frac{١}{٧٢}$ من البوصة . ويقدر الحجم على أساس طول السطح الذى يرتكز عليه وجه الحرف ، وتتراوح أحجام حروف الطباعة عادة بين ٥ أبنط و ١٤٤ بنطا . وقد بدأ تقنين مقياس ـ

هذا الحجم فى طبع مادة المنشورات وغيرها من مطبوعات الحملة على السواء . ولجأ مخرج المنشورات ، لتعويض نقص أحجام الحروف ، الى استخدام « الكشايد » (١) لاطالة بعض الحروف ، والجداول والفواصل لابراز بعض الكلمات او العبارات .

اما حروف العناوين ، وقد صممت على قاعدة غير جميلة من خط «الاجازة» الذى يجمع بين النسخ والثلث (٢) ، فلم تكن بدورها تضم سوى حجم واحد ، هو « بنط ٤٨ » . ولذا استعان المخرج بالخط اليدوى (الثلث) فى كتابة العناوين أحيانا لتحقيق مايريد من ابراز وتنوع .

ويقابل هذا النقص الكبير فى الحروف العربية تعدد وتنوع واضحان فى الحروف الفرنسية التى استخدمت فى طبع المنشورات والأوامر اليومية وصحيفتى « لوكوريبه » و « لادیکاد » وتقارير قواد الحملة . فقد تراوحت احجام هذه الحروف بين « بنط ١٢ » و « بنط ٧٢ » . وكذلك ضمت أطقما من الحروف الرومانية (Roman) والحروف المائلة (Italic) على السواء .

والجدير بالذكر ان أطقم الحروف العربية التى جمعت بها مواد المنشورات وغيرها تضمنت حرفين تفعل امرهما بعض المطابع العربية فى الوقت الحاضر ، وبخاصة فى مصر ، وهما :

١ ــ الياء الأخيرة ــ المتصلة أو المفردة ــ ذات النقطتين « ي » التى تستخدم متحركة او فى الكلمات المنقوصة مثل « يمشي » متميزة عن الياء غير المنقوطة «ى» التى تستخدم فى الكلمات المقصورة مثل « عيسى » .

٢ ــ الباء ذات النقط الثلاث « پ » التى تقابل حرف «p» فى الأبجديات الأوربية ، لاستخدامها فى جمع كلمات مثل « بوناپرته » ، و « البابا » .

وكذلك تضمنت الأطقم العربية عددا من الحروف المركبة ، مثل

= الحروف الطباعية فى فرنسا عام ١٧٣٧ بعد أن ادى اختلاف المسابك فى مقاييس الحروف التى تصنعها الى صعوبات طباعية كثيرة . انظر للمؤلف : **طباعة الصحف واخراجها** ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ ــ ٣١ .

(١) جمع « كشيده » وهى كلمة فارسية دخيلة تطلق على الزائدة التى تلحق بنهاية الحرف لاطالته . واصلها اسم مفعول من الفعل «كشيدن» بمعنى «يسحب» أو «يجر».

(٢) هو من أنواع الخط العربى التى ظهرت فى العهد العثمانى . ويكاد لايستخدم الآن .

« لا » ، « فى » « لى » ، « لله » ، « على » ، وعددا آخر من علاماته الشكل التى كانت تستخدم احيانا فى بعض الكلمات ، وبخاصة علامة التضعيف (الشدة) وفتحتى التنوين . هذا عدا ما اضيف الى الحروف العربية فى صناديق (١) الجمع التركى والفارسى من حروف وعلامات خاصة بهاتين اللغتين مثل « ڭ » ، « ڤ »

غير انه يلاحظ من ناحية اخرى ان مجموعات هذه الحروف كانت تفتقر بشكل واضح الى الهمزات ، وبخاصة المفردة منها . ومن هنا فكثيرا ما ظهرت فى المنشورات كلمات مثل « العلماء » ، « الدعاء » ، « الشيء » ، بدون همزات على الاطلاق . وكذلك جمعت كلمات مثل « دائما » ، « الائمة » هكذا : « دايما » ، « الأيمة » .

ويلاحظ أيضا ان هذه المجموعات خلت من علامة المد (~) ، وان حرف القاف الأخير ، المتصل أو المفرد ، فى هذه المجموعات كان مسطحا كحرف الفاء ، فلم تكن له تلك «الكاسة» العميقة المعروفة ، اى «ق» بدلا من « ق » .

وكانت الأرقام العربية من حروف الطباعة التى استخدمت فى كل منشورات الحملة وفى غيرها من المطبوعات كذلك . ولكن هذه الأرقام كانت بدائية التصميم غير جذابة الشكل . وهى اقرب الى الأرقام التى شاع استخدامها فى المخطوطات العربية القديمة ، وكذلك فى الكتب العربية التى نشرها مستشرقو أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتختلف هذه الأرقام اختلافا واضحا — كما يرى فى النماذج المصورة من المنشورات — عن الأرقام التى تألفها اليوم فى مطبوعاتنا ، والتى يعود الفضل فى تطويرها الى مطبعة بولاق فى عهد محمد على .

هذا وتحفل المنشورات العربية للحملة ، الى جانب الأخطاء الطباعية العادية ، بأخطاء أخرى يمكن ارجاعها الى سبب واحد ، هو عدم تمكن عمال الجمع العربى من مهمتهم ، وقلة دربتهم على استخدام ما يضمه صندوق الجمع من مختلف أشكال الحروف . وأبرز هذه الأخطاء « الفنية » :

١ — استعمال حرف طباعى يضم لامين بدلا من لام واحدة ، كما فى كلمة « اللحرية » ، أو بدلا من أداة التعريف « ال » ، كما فى كلمة « للجيوش » .

---

(١) انظر تعريفه مصطلح « الصندوق » ، ص ٢٦ ، هامش ٣ .

٢ – استعمال الياء الوسطى « ـيـ » بدلا من الياء الاستهلالية « يـ » ، ومثلها التاء والنون والياء والحاء والخاء ، كما حدث فى جمع كلمات مثل « صريح » ، « تأخذ » ، « طويل » .

« لا » المتصلة ، و « لا » المنفصلة ، كل منهما مكان الآخر كما فى كلمتى « الا » ، « العقـلا » .

٣ – الاضطراب فى استخدام حرف « اللام ألف » بشكليه المختلفين

٤ – تقسيم الكلمة الواحدة بين نهاية سطر وبداية السطر التـالى له ، كما فى كلمة « المـا / ليك » . ولا شك أن هذا يرجع الى التأثر بما هو متبع فى جمع الكلمات الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية . وقد شاعت مثل هذه الأخطاء فى المنشورات الأولى للحملة ، ولكن كثيرا منها اختفى بعد عهد بونابرت .

واستخدم فى اعداد صفحات المنشورات عدد من الجداول (١) المتعددة الأشكال ، فمنها المفرد والمزدوج والمزخرف ، وذلك للفصل بين رأس الصفحة وجسمها ، وبين الأنهر (الأعمدة) بعضها وبعض ، وفى قاع الصفحة ، وأحيانا لاحاطة مادة الصفحة كلها باطار كامل أو مفتوح من أحد جوانبه (راجع مثلا الأشكال ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٩٥) . وكذلك استخدم عدد من الفواصل المستقيمة والزخرفية فى رءوس المنشـــورات وبين فقراتها . واستخدمت فواصـــل النجوم الصغيرة أحيانا حول العناوين الفرعية ، وفى بدايات الفقرات أو نهايتها ، لابرازها (راجع الأشكال ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٦) .

***

وكان اخراج المنشورات بسيطا يناسب خصائصها الى حد بعيد . فلم تكن هذه المنشورات تتضمن عادة أكثر من موضوع واحد ، وكذلك لم يتجاوز صفحة واحدة . ومن ناحية أخرى فان الطبعة الرئيسة من هذه المنشورات كانت – بطريقة عرضها – تمثل نوعا من صحف الحائط التى تتطلب أكبر قدر من الوضوح والبساطة .

اعتمد هذا الاخراج أساسا على تحقيق أبسط صـــور التوازن الشكلى الذى تنقسم فيه الصفحة الى قسمين متماثلين . فقد قســمت

---

(١) هى الخطوط التى تفصل بين مواد الصفحة فصلا كاملا ، وقد تكون طولية أو عرضية .

الصفحة في معظم المنشورات الى نهرين يفصل بينهما جدول قد يكون خطا مفردا أو مزدوجا أو مكونا من وحـــدات زخرفية كالنجوم . واذا كانت مادة المنشور عربية خالصة تتابعت سطورها من بداية النهر الأيمن الى نهايته ، ثم من بداية النهر الثاني الى قاع الصفحة (راجع السكلين ٣٣ ، ٣٧) .

أما اذا كان المنشور مزدوج اللغة ، أى بالعربية والفرنسيه . فان النص العربى كان يحتل عادة النهر الأيمن ، فى حين كان النص الفرنسى يطبع فى النهر الأيسر (راجع الاشكال ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٢) . غير ان هذا الاجراء الذى يتفق وطبيعة كل من اللغتين لم يكن مطردا . فأحيانا كان عكس وضع النصين على الصفحة (راجع الاشكال ٢٢ ، ٣٩ ، ٦١) .

وقسمت صفحات بعض المنشورات الى ثلاثة أنهر . تتابعت فيهـا المادة من بداية النهر الأيمن الى نهاية النهر الأيسر (راجع الأشكال ٣١، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٩) . وحققت هذه الصفحات أيضا فكرة التوازن الشكلى ، اذ انها كانت تنقسم الى نصفين متماثلين ، يفصل بينهما خط وهمى يمر بمنتصف النهر الأوسط .

وهناك منشورات أخرى قليلة ، مزدوجة اللغة . قسمت صفحاتها الى أربعة أنهر رتبت حسب طبيعة اللغة الفرنسية ، فخصص النهران الأول والثالث من اليسار للنص الفرنسى . فى حين ظهرت ترجمتـه العربية متتابعة ــ من اليسار الى اليمين كذلك ــ فى العمودين الثـانى والرابع (راجع الشكلين ٧٦ ، ٨٠) . ولم يكن اتســاع كل من النهرين الفرنسيين فى هذه الحالة مساويا لنظيره العربى ، غير أن الصفحة مع ذلك احتفظت بتوازنها . اذ أن كل نهرين متجاورين احتلا نصف الصفحة تماما .

ويلاحظ أن أكبر المنشورات الخطية التى أصدرها منو ، وهو بعد حاكم لاقليم رشيد ، كان ينقسم الى نهرين تفصل بينهما مسافة بيضاء . وكان الحبر الأحمر يستخدم بدلا من الأسود فى كتـــابة بعض الكلمات لابرازها أو للفت النظر الى موضعها ، كمـا فى بداية الفقرات (راجع السكلين ٥٠ ، ٥١) .

واهتم المخرج اهتماما واضحا برأس صفحة المنشور ، أو الصفحة الأولى منه اذا تعددت صفحاته . وكان العنصر الأساسى فى بناء الرأس

هو العنوان ، أو شعارا يجمع بين الرسم والكتابة ، أو هما معا • وفى حالة بناء الراس من العنوان وحده اتخذ ذلك صورا مختلفة :

١ ــ عنوان عربى فقط ، يتكون من كلمات جمعت حروفها ، أو كتبت بخط اليد ، أو يضم النوعين معا (راجع الأشكال ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٨) . ويلاحظ فى هذا الصدد ان المنشورات العربية للحملة سبقت الصحف المصرية باستخدام الخط اليدوى فى العناوين بأكثر من مائة وثلاثين عاما (١) •

٢ ــ عنوان مزدوج ، عربى وفرنسى (راجع الأشكال ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٧) •

٣ ــ عنوان فرنسى فقط ، قد تظهر ترجمته العربية فى بداية المتن العربى (راجع الشكلين ٣٥ ، ٨٠) • وقد لا تكون له ترجمة ، مثل عبارة « الجمهورية الفرنسية » •
(REPUBLIQUE FRANÇAISE) التى كونت رأس أحد المنشورات (راجع شكل ٥٥) ،

وتكرر استخدام عدد من الشعارات المرسومة ، التى تمثل الجمهورية الفرنسية ، فى رأس كثير من المنشورات العربية • وكان أحد هذه الشعارات يرمز لفرنسا بفتاة تمسك باحدى يديها صولجانا ، وبالأخرى حزمة من العصى ومعا « بلطة » (راجع شكل ٣١) •

وتغيرت صورة الفتاة ــ رمز فرنسا ــ فى شعارات مماثلة ، فظهرت فى أحدها محاطة باطار من نبات الغار ، وفى يديها الصولجان وحزمة العصى والبلطة ، وعلى جانبيها عبارة « الجمهورية الفرنسية » • وكان هذا أكثر الشعارات شيوعا (راجع الأشكال ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣) •

وفى شعار رابع ظهرت الفتاة بالصولجان ومعها لوحة عليها شعار الثورة الفرنسية (٢) (راجع الشكلين ٥٦ ، ٨٧) .

---

(١) كانت مجلة «آخر ساعة» وجريدة «المصرى» ،فى الثلاثينيات ، هما أول الصحف المصرية التى استخدمت الخط اليدوى فى كتابة العناوين . هذا وقد استخدمت مطابع الحملة الخط اليدوى ، فى غير المنشورات ، لكتابة بعض عناوين مطبوعاتها الاخرى ، مثل الكتاب الذى تضمن مجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة **سليمان الحلبى** وشركائه .

(٢) كلمتا : الحرية ، المساواة •

وقد ظهر هذا الشعار بصوره المختلفة كذلك على الصفحات الأولى من مطبوعات الحملة الأخرى مثل الدورية العلمية « لاديكاد اجبسيين» والحوليات والكتيبات . (راجع الأشغال ١٤ ، ١٧ ، ٢٠) .

وهناك شعار آخر لم يظهر في رأس المنشورات ، الا قليلا جدا . وهو لا يحتوى على أكثر من حزمة العصى محاطة بغصنين من الغار ،وفوقها قبعة الفتاة رمز فرنسا (راجع شكل ٨٦) .

وجدير بالملاحظة ان المنشورات التى طبعت بمطبعة مارك أوريل ، كان يعلوها عادة شعار ثابت يتكون من القنسوة الفرنسية التقليدية يحيط بها اكليل من الغار وريشتان (راجع شكل ٢٥) .

على أن أكثر تلك الشعارات المرسومة لفتا للنظر ، هو الشعار الذى ظهر على رأس ملحق لأحد منشورات منو ، تضمن صورة «الفرمان» الذى يعين بمقتضاه كل من مشايخ البلاد الجدد لمدة عام واحد على حصة معينة (راجع شكل ٨٩) . واهم مايتميز به هذا الشعار الفريد هو بروز الشخصية المصرية فيه لأول مرة بشكل قوى . وهو يتكون من لوحة عليها عبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، يحيط بها الهرم الأكبر ونخلة وبعض ما يمثل الآثار المصرية القديمة .

غير ان مصمم هذا الشعار لم ينس من ناحية أخرى أن يشير الى السيادة الفرنسية برمز حزمة العصى والبلطة الذى ظهر جزؤه العلوى من خلف اللوحة التى تحمل عبارة التوحيد (شكل ١٠٣) . وجدير بالذكر ان الهرم والنخلة كانا العنصرين الرئيسيين اللذين كونا شعار صحيفة « الوقائع المصرية » بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما . وهو الشعار الذى استمرت الصحيفة تستخدمه لعدة سنوات .

واتخذ استخدام الشعار المرسوم – بدوره – أكثر من صورة . فقد استخدم مع العنوان العربى المفرد (راجع الأشكال ٣٦ ، ٥٤ ، ٥٦) أو الفرنسى المفرد (راجع شكل ٧٣) ، أو العنوان المزدوج (راجع شكل ٣١) ، وكان لذلك أيضا عدة « تنويعات » . وأحيانا كان يحيط بالشعار المرسوم عبارة (REPUBLIQUE FRANÇAISE) أو ترجمتها «المشيخة الفرنساوية» – الجمهور الفرنساوى» ، وأحيانا أخرى كلمتا « Liberté, Egalité » أو ترجمتهما العربية « الحرية ، التسوية » وأحيانا ثالثة عبارة الجمهورية وشعار الثورة الفرنسية معا .

وأيا ما كان شكل الرأس ، وأيا ما كانت العناصر التيبوغرافية التى

استخدمت في بنائه ، فقد حرص المخرج على أن يوفر لهذا الجزء البارز من الصفحة أكبر قدر من الوضوح وجذب الانتباه ، وذلك باستخدام حروف العنوان الكبيرة واحاطة الشعار والعنوان بمساحات بيضاء كافية، حتى ان بعض سطور العنوان كانت لا تزيد على كلمة واحدة أو كلمتين.

ومن ناحية أخرى فقد روعي في ترتيب عناصر الرأس أن يحقق مع سائر جسم الصفحة ـ ذات النصفين المتماثلين ـ توازنا شكليا متكاملا • كان التمعار يتوسط الرأس تماما • وكانت سطور العنوان ، مهما تعددت أو اختلفت أطوالها ، تتوسط عرض الصفحة تماما •

ويفهم مما أشارت اليه قلة من المؤرخين ان المنشـــورات العربية وغيرها من مطبوعات الحملة الفرنسية كانت تتضمن أحيانا بعض الصور والرسوم • فقد ذكر الجبرتي عند تقديمه لنص منشور يعلن عن بيع خيل مملوكه للحكومة (١) : « ••• وكتبوا بذلك أوراقا والصقوهـــا بالأسواق والأزقة وهي مطبوعة **وعليها الصورة** ونصها .. » . وقال الدكتور ابراهيم عبده كذلك (٢) : « •• ان من الأمور الواضحة انهناك ضـــعفا بينا في **طبع الصـــور والرســـوم** التي أخرجتهـــا المطبعتان المصريتان (٣) ••• »

اننا لم نعثر على منشور واحد يتضمن ، مع النص المكتوب ، رسما أو صورة ، وكذلك خلت مجموعتا «لوكوربيه» و « لاديكاد » من أي موضوع تصحبه رسوم • ومع هذا فلا يستبعد أن تكون بعض المنشورات النادرة قد تضمنت بالفعل ذلك العنصر ، كالمنشور الذي أشار اليـــه الجبرتي ، اذ ان مطابع الحملة كانت مجهزة بما يسمح بمثل هـــذا الاجراء • لقد رأينا كيف تضمن الرأس في معظم المنشورات شعـــارا مرسوما ، ورأينا كذلك استخدام العناوين الخطية في المنشورات وغيرها. ومن الواضح ان هذه وتلك كانت تطبع من قوالب خشبية محفورة ، وهي الطريقة التي كانت معروفة في مطابع ذلك الوقت لطبع الرسوم وما اليها ، أي قبل اختراع طريقة اعداد اللوحات المعدنية التي تحفر بالحمض (الزنكوغراف) ، والتي مازلنا نستخدمها الى اليوم •

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٣٦ • وقد سبقت الاشارة الى هـــذا المنشـــور (ص ٢٢١) •

(٢) تاريخ الطباعة والصحافة ••• ، ص ٤٧ •

(٣) يشير الى مطبعة الحملة الرسمية ومطبعة مارك أوريل •

وهناك احتمال آخر لا ينبغي اغفاله في هذا الصدد ، وهـو أن يكون المؤرخان المذكوران قد قصدا باشارتيهما رسوم الشـعارات في رءوس المنشورات ، لا غيرها من الرسوم التي يمكن أن تكون مصاحبـة للمادة التحريرية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نوافق على ملاحظة الدكتور ابراهيم عبده بشأن « الضعف البين » في طبع تلك الرسوم ، اذ يتضح من نماذج المنشورات التي عرضنا لها في هذا البحث أن رسوم الشـعارات كانت متقنة الطبع بارزة المعـالم دقيقة التفصيلات الى حد بعيد .

الأشكال

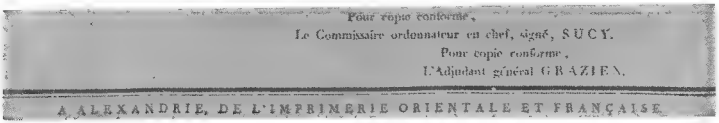
Pour copie conforme,
Le Commissaire ordonnateur en chef, signé, SUCY.
Pour copie conforme,
L'Adjudant général GRAZIEN.
A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

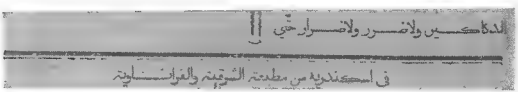
في اسكندريه من مطبعة الشرقيه والفرانساويه

SORNET.
DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (١)

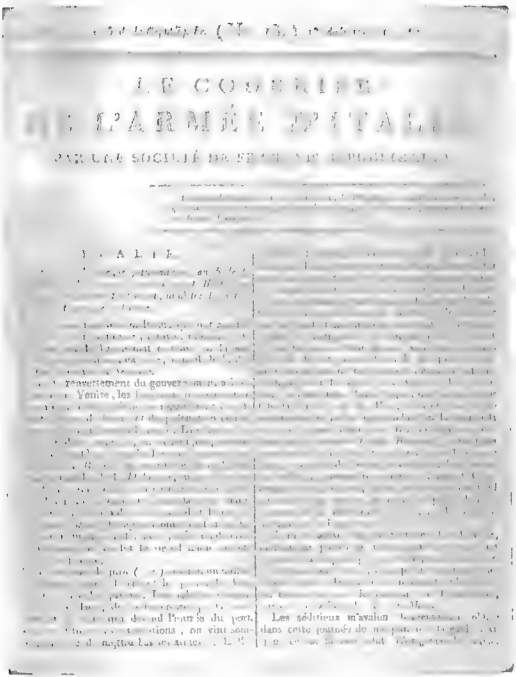

LE COURRIER
DE L'ARMÉE D'ITALIE

شکل رقم (۲)

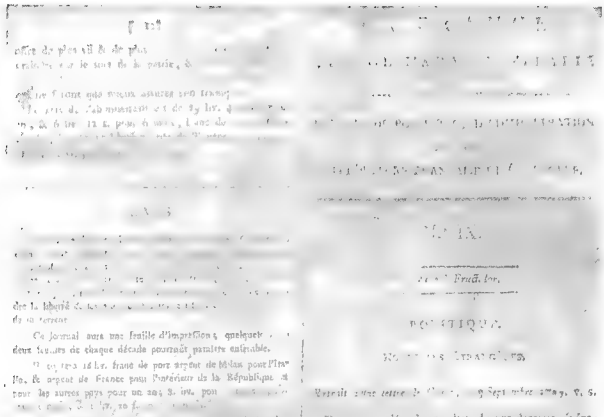

شكل رقم (٣)

REPUBBLICA FRANCESE

ARMATA D'ITALIA

LIBERTA' EGUALGIANZA

BONAPARTE

Generale in Capo dell' Armata Francese.

MANIFESTO.

NEL mentre che l'Armata Francese trovasi fra le gole della Stiria, ed ha lasciato lungi dietro di se l'Italia, e i principali stabilimenti dell'Armata, dove non resta che un picciol numero di battaglioni, ecco la condotta che tiene il Governo di Venezia.

1. Esso s'approfitta della Settimana Santa per [illegible] quaranta mille passati, [illegible] Reggimenti di Schiavoni, gli organizza in differenti corpi d'Armata, e li fa passare in differenti punti, affine d'intercettare ogni sorta di comunicazione fra l'armata, e i varii corpi che si lasciò addietro.

2. Commissarj, e fucili, munizioni d'ogni spezie, una grande quantità di cannoni escono in oltre da Venezia, onde com-

X 4 X

REPUBLIQUE FRANÇAISE

ARMÉE D'ITALIE

LIBERTÉ EGALITÉ.

BONAPARTE

Général en Chef de l'Armée d'Italie.

MANIFESTE.

PENDANT que l'Armée Française est engagée dans les gorges de la Styrie, & a laissé loin derriere elle l'Italie & les principaux établissemens de l'Armée, où il ne reste qu'un petit nombre de bataillons, voici la conduite que tient le Gouvernement de Venise.

1. Il profite de la Semaine Sainte pour armer quarante mille paysans; y joint dix Régimens d'Esclavons, les organise en différens corps d'armée, & les porte aux différens points pour intercepter toute espece de communication entre l'armée & ses derrieres.

2. Des Commissaires extraordinaires, des fusils, des munitions de toute espece, une grande quantité de canons sortent de Venise même pour

هذا تنبيه

فيما يخص ذا الحضرة المتسلط الان

وذلك بشرح موجه

الي ارباب الديوان

بمصر القاهرة

من قبل السيفتون دجنط رئس الاطبا في

الجيش الفرنساوي بجهة الشرق في ٢٠

من شهر شعبان سنة ١٢١٥ هجريه

بمصر القاهرة

طبع ثانيًا بدار مطبعة الجمهور الفرنساوي

في ٢٠ من شهر شعبان سنة ١٢١٥ هجريه

شكل رقم (٥)

بيان شرح الاصابة
علي جسم صاري عسكر
العام كلهبر
يوم الخامس وعشرين من شهر برمهات سن
السنة الثامنه من انتشار الجمهور الفرنساوى نحن
الواضعين اسمائنا وخطنا فيه باش حكيم واجراحي
من اول مرتبه الذي سلاد مرتبة باش جراحي في
غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر الي بيت
صاري عسكر العام في الاربكيه بمدينة مصر وكان
A

شكل رقم (٦)

مجمع التحريرات المتعلقة
الى ماجري باعلام
ومحاكمة سليمان الحلبي
قاتل صاري عسكر
العام كليبر

بمصر القاهرة
بمطبعة الجمهور الفرنساوي
في سنة ٨ من اقامة الجمهور

شكل رقم (٦ ا)

COURIER DE L'EGYPTE.

[illegible] N° [illegible] Primidi 13.5

[illegible] VI. [illegible]

NOUVELLES.

Corfou, 27 *messidor* an 6. Le vaisseau de guerre le *Sénégal* est arrivé d'Ancone dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La paix de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départements [illegible] sont dans [illegible] pour [illegible] enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 19 messidor. Notre Pâchâ est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pâchâ, qui est destinée à faire la guerre à Passevan Oglou qui a repris toutes de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée de l'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Hotz qui a eu une audience de cérémonie du fils du pâchâ, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pâchâ une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas [illegible] Français [illegible]

Trois frégates [illegible] napolitaines [illegible] pour le [illegible] Le [illegible] ce qui [illegible] le [illegible] Corfou [illegible] sont [illegible] point [illegible]

Le [illegible] a [illegible] refusé [illegible] pavillon [illegible] nous [illegible] [illegible] à Naples, [illegible] commencer [illegible] [illegible] tout [illegible] Sardaigne. Il reste [illegible] [illegible] pour la garnison et les habitans pour dix huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pâchâ de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turcs) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, [illegible] de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

BONAPARTE,

GENERAL EN CHEF

A L'ARMÉE.

Les nouvelles d'Europe m'ont décidé à partir pour France. Je laisse le commandement de l'armée au général *Kleber*. L'armée aura bientôt de mes nouvelles; je ne puis en dire davantage. Il me coûte de quitter les soldats auxquels je suis le plus attaché; mais ce ne sera que momentanément, et le Général que je leur laisse a la confiance du Gouvernement et la mienne.

Signé BONAPARTE.

Par ordre du Général en Chef.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général, signé *Alex.* BERTHIER.

Pour copie conforme :

L'Adjudant général,

شكل رقم (٨)

Du Quartier-Général du Kaire, le 14 Brumaire an 8.

LE GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER

A LA 2.me D'INFANTERIE LÉGÈRE.

SOLDATS:

Vous avez à pleurer un Chef qui sut mériter en même temps et votre amour et votre estime; je viens confondre mes regrets aux vôtres: il vous est connu combien il m'était cher.

Mais, lorsqu'un héros tombe, que reste-t-il à faire à ceux qui demeurent encore?..... à le venger.

SOLDATS, que l'image de ce jeune guerrier soit sans cesse devant vos yeux, que le souvenir de sa brillante valeur ne cesse d'enflammer votre courage, et la victoire, le croyant encore à votre tête, continuera à vous préparer des succès, des triomphes.

SOLDATS, avec la couronne que je pose sur la tombe du brave *DÉNOYER*, recevez les témoignages de ma satisfaction, de la manière distinguée dont vous vous êtes conduits à la journée du 10 de ce mois.

شكل رقم (٩)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

REPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 3 vendémiaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour du 5.me jour complémentaire an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 1.er vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 2 vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 3 vendémiaire an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A L'ARMÉE D'ORIENT.

GÉNÉRAUX, officiers, sous-officiers, soldats, et vous tous Français, qui êtes ici rassemblés, c'est aujourd'hui que commence la neuvième année à dater de l'époque mémorable où la France, indignée du joug sous lequel elle gémissait depuis tant de siècles, brisa ses fers, détruisit la royauté, et fonda la République.

C'est aussi à dater de la même époque, que se forma cette orgueilleuse coalition qui voulut tout à la fois, et détruire la France, et étouffer la liberté dans son berceau. Etouffer la liberté ! non, la liberté semblable à ces torrens qui se précipitant du haut des montagnes renversent tout ce qui s'oppose à leur cours; la liberté a pénétré par-tout; sa voix a retenti dans tout l'univers : j'en atteste un million de Français qui ont combattu pour elle; j'en atteste les braves soldats qui m'entourent. Vous tous qui avez rempli l'Europe entière de votre nom et de votre gloire, ne faites-vous pas flotter dans l'Orient l'étendard de la liberté? Ces couleurs sacrées que je vois au milieu de vos bataillons, ne sont-elles pas le signal de la civilisation pour une partie du monde, jadis si célèbre, depuis anéantie et consumée par le despotisme, mais que vous allez faire renaître de ses cendres ?

شكل رقم (١٠)

A Quartier-général au Caire, le 6 Thermidor, an 6 de la Rép.

BONAPARTE, membre de l'Institut national, Général en Chef;

Au Directoire Exécutif.

LE 19 messidor, l'Armée partit d'Alexandrie. Elle arriva à Damenhour, le 20, souffrant beaucoup à travers ce désert de l'excessive chaleur et du manque d'eau.

Combat de Rahmanié.

Le 22 nous rencontrâmes le Nil à Rahmanié et nous nous rejoignîmes avec la division du Général Dugua, qui étoit venue par Rosette en faisant plusieurs marches forcées.

La division du Général Desaix, fut attaquée par un corps de 7 à 800 Mamelouks, qui après une canonnade assez vive et la perte de quelques hommes se retirèrent.

Bataille de Chebreïsse.

Cependant j'appris que Mourad Bey, à la tête de son Armée, composée d'une grande quantité de cavalerie, ayant 8 ou 10 grosses chaloupes canonnières et plusieurs batteries sur le Nil, nous attendait au village de Chebreïsse. Le 24 au soir nous nous mîmes en marche pour nous en approcher. Le 25 à la pointe du jour nous nous trouvâmes en présence.

Nous n'avions que deux cents hommes de cavalerie éclopés et harassés encore de la traversée, les Mamelouks

شكل رقم (١١)

RECUEIL DES PIÈCES

RELATIVES

A LA PROCÉDURE ET AU JUGEMENT

DE

SOLEYMAN EL-HHALEBY,

ASSASSIN

DU GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER.

AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA REPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٢)

EXERCICES

DE LECTURE

D'ARABE LITTÉRAL,

A L'USAGE DE CEUX QUI COMMENCENT

L'ÉTUDE DE CETTE LANGUE.

AN VI

IFAO
I-7533

شكل رقم (١٣)

LA DÉCADE
EGYPTIENNE,
JOURNAL LITTÉRAIRE
ET
D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

PREMIER VOLUME.

AU KAIRE,
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٤)

[illegible] بحيرة الفيوم [illegible]

[illegible] quelle le mot [illegible] cachée, [illegible] Fanikha [illegible] l'une le [illegible]

[illegible]

[illegible] la même [illegible] Pson- [illegible] pré- [illegible] encore son étymologie.

[illegible] Psonthomimée, [illegible] qui prédit l'avenir [illegible] une conjec- [illegible] rivation [illegible]

[illegible] ou un devin [illegible] Munzer), dans le vocabulaire [illegible] d'Abou Ishhaq [illegible] Ce mot, quoique différent

(*) Avh. Kirch. Prodrom. Obs. Cap. V.

سكل رقم (١١٥)

creuser, et qui construisit en même temps les levées hautes et épaisses que l'on voit aussi dans cette contrée, ainsi que

dont il est parlé dans le Qoran, et qui sont devenus pour les poètes de l'Orient une espèce de lieu commun, d'où ils tirent le sujet d'un grand nombre de poèmes chez les Arabes, les Persans et les Turks. Le plus célèbre de tous est celui qui a été composé par *Abd-er-rakhman*, fils d'*Akhmed* عبد الرحمن بن احمد, surnommé *Giamy* جامي, l'un des plus illustres poètes de la Perse : ce poème pour lequel les Orientaux ont la plus grande estime, est intitulé *Yousouf ou Zouleykhâ* يوسف وزليخا [Joseph et Zouleykhâ].

Suivant *Abou-l-Farag*, « *Joseph* fut vendu à l'âge de dix-sept » ans; il resta dix ans dans la servitude, et trois ans dans les fers; il » fut trente ans intendant [*Âmyn a'lâ dâr* أمين على دار] de la » maison de *Pharaon*, et quatre vingt-ans grand Visir du royaume; de » sorte que sa vie entière a été de cent quarante ans ».

On lit dans la Genèse (*) que *Joseph*, après avoir expliqué les songes de *Pharaon* fut surnommé par ce prince *Tzafnat-panékh* ou *Tsofnat-panékh* צפנת פענח, et les deux mots qui composent ce surnom sont reconnus pour égyptiens par tous les anciens interprètes. *Philon* les a traduits par ceux de Κρυπτῶν εὑρετής, ὁ Ὀνειροκρίτης [celui qui connaît les secrets, ou qui explique les songes]. Les anciennes versions orientales, telles que la samaritaine, la syriaque et l'arabe, ainsi que les paraphrases chaldaïques d'*Onkelos* et de *Jonathan*, s'accordent toutes à lui donner le même sens.

D'après la signification bien fixée de ce surnom, son étymologie se

(*) : ויקרא פרעה שם יוסף צפנת פענח : *Et vocavit Pharao nomen Josephi Tzafnat-panekh.* GEN. Cap. XLI. v. 45.

شكل رقم (١٥ب)

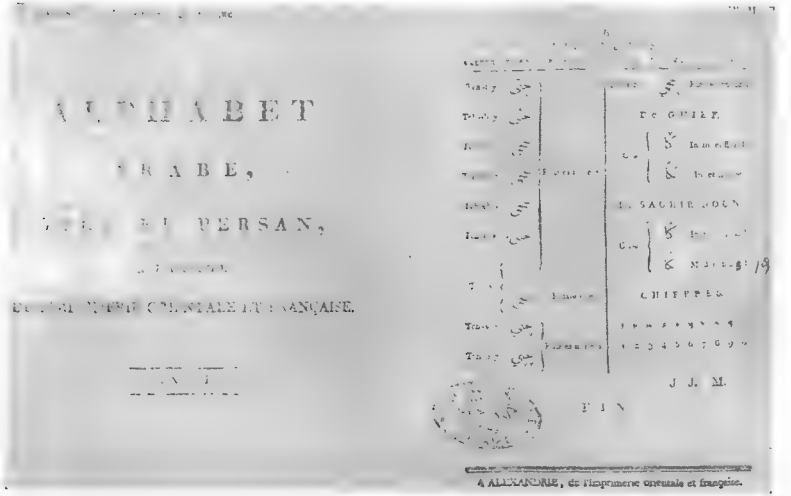
ALPHABET
ARABE,
PERSAN,
CHIFFRES
J. J. M.
FIN
A ALEXANDRIE, de l'Imprimerie orientale et française.

شكل رقم (٦)

DESCRIZIONE

DI

OFTALMI D'EGITTO

DI ANTONIO SAVARESI

IN CAIRO

شكل رقم (٧)

» sans [illegible] à quelque danger qu'elle puisse [illegible] ;
» [illegible] les promesses que tu auras [illegible] ;
» [illegible] ce qui ne te regarde [illegible] »

[illegible] Montekheb تاريخ منتخب assure que, de [illegible] temps le tombeau de *Loqman* se voyait encore à *Ramléh* رملة, petite ville de Syrie peu distante de Jérusalem.

[illegible] donne à *Loqman* le surnom d'*Abou Ana'm* ابو انعم, c'est-à-dire *père d'Ana'm* : cependant quelques écrivains [illegible] l'opinion commune, que son fils portait le nom de [illegible] ثان.

Mais le surnom sous lequel *Loqman* est le plus connu parmi les [illegible] lesquels le désignent le plus généralement, c'est celui de *El-hhakym* الحكيم (le Sage) : ce [illegible] en même-temps les deux qualifications de sagesse et de science, et le proverbe *vouloir enseigner quelque chose à Loqman* est employé ordinairement dans l'Orient, pour exprimer une chose absolument impossible.

Au surplus, la sagesse de *Loqman* est regardée par les musulmans comme un point de croyance d'autant plus incontestable qu'il est fondé sur le témoignage du livre [illegible] de leur religion. Le chapitre XXXI du Koran est intitulé *Sourat Loqman* سورة لقمان (chapitre de *Loqman*), et dans le onzième verset de ce chapitre, *Mahomet* y fait parler *Dieu* en ces termes :

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ

Oun-lequd âteynâ Loqmâna 'l-hhikmeta.

Et certes nous avons donné la sagesse à Loqman.

شكل رقم (١٨)

من محفل الديوان العالي

بمصر المحروسة

خطاباً إلي حضرة السيد وين الخواجه دجنط

رئيس الاطبا الفرنساويه

جعل الله الخير علي يديه

امّا بعد الدعا لكم بخير فانه سابقًا وصله . من بينكم وهي الرسالة التي عمّ نفعها بين الخاص والعام من اهالي مصر من جهة الرسالة والكتاب الذي اللفتوه في علاج الجدري واسبابه واصلاح غدايه وتدبير ادويته وقطع ضرره

وقد شكر الناس جميعًا كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم في علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعًا بهذا الكتاب واذخروه عندهم

C c

ANNUAIRE

DE LA

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE,

CALCULÉ

POUR LE MÉRIDIEN DU KAIRE

L'AN VIII DE L'ERE FRANÇAISE.

AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (٢٠)

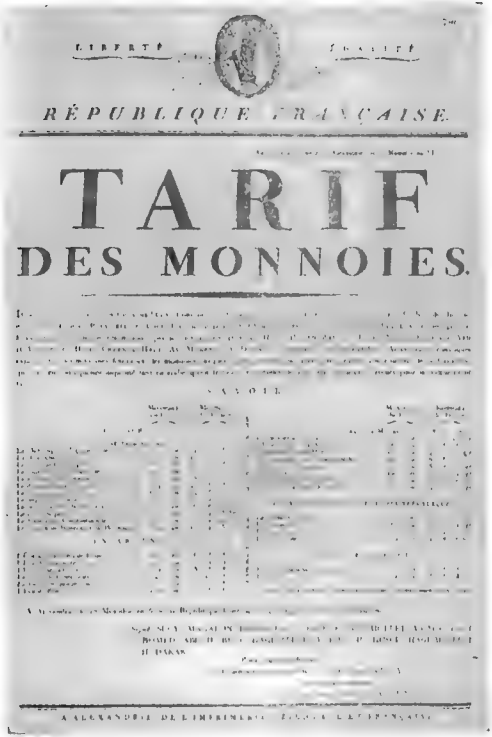

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

TARIF
DES MONNOIES.

شكل رقم (٢١)

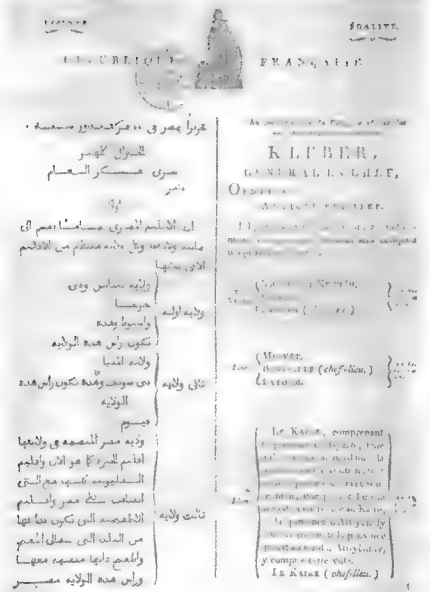

FRANÇAISE.

KLEBER,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Le Kaire, comprenant

Le Kaire (chef-lieu.)

شكل رقم (٢٢)

Sur les successions mobilières et immobilières ;

Sur les marchandises allant à l'étranger, ou venant de l'étranger en Egypte (ce droit connu sous le nom de douane) ;

Sur les corporations de marchands, artisans et ouvriers ;

Sur les nations copte, syrienne et grecque-unie, grecque et juive ;

Il ne sera plus perçu aucune imposition, aucune contribution directe ou indirecte, sur les choses ou sur les personnes ; il ne sera faite aucune vanie : chacun pourra jouir en paix de ses propriétés, faire son commerce, vaquer à ses affaires, acheter ou ven-

عوايد على المراب وهى بيت المال

عوايد على المتابع المتوجهه لبلد غريبه والمتوجهه منها الى البنادر المصريه وذلك الدواوين

عوايد على حرف المتسببين والصنايعيه

عوايد على الفبط واهل بر الشام وعلى الاروام واليهود والافرنج

وعلى موجب ذلك لم يعلم عليهم شيء ولم يطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شيء لا على الحاجه ولا على الانسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشاء ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا

نمرة رقم (٢٣)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

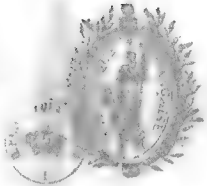

VENTE.

Il sera vendu, à la chaleur des enchères, par lots ou en totalité, les articles suivans, provenans des magasins de la République.

SAVOIR:

1242 Ardebs de ris.

221 Ardebs de graine de fénugrec.

63 Ardebs, graine de lupin.

La vente aura lieu dans les bureaux du directeur des revenus en nature, et du mobilier national, le 25 de vendémiaire, à dix heures et demie du matin.

Le Directeur des Revenus en nature, et du Mobilier national;

Signé REYNIER.

بيان المبيع

سيكون مباع بالمزاد كامل ما سيذكر ادناه ان كان بالمفرق او بالتمام وذلك موجود في حواصل المشيخة الفرنساوية

يعني

١٢٤٢ اردب ارز ابيض

٢٢١ اردب حلبه

٦٣ اردب ترمس

وذلك المبيع سيكون في بيت المديرين في ٢٨ يوم خلت من شهر جمادي اول نهار الجمعه قبل الظهر بساعتين يبتدي المبيع

ممضي المدير مرينيه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٢٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LIBERTÉ ÉGALITÉ.

Au Quartier-général du CAIRE, le 7 Brumaire, an 7 de la République française.

ORDRE DU JOUR, du 7 Brumaire, an 7.

BONAPARTE, Général en chef, ordonne :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] tonnus par leur attachement pour les Français.

Signé, BONAPARTE.

Signé, Alexandre BERTHIER, *Général de Division, Chef de l'État-major-général.*

Pour copie conforme au registre d'ordres, l'Adjudant-Général, sous-chef de l'État-major.

AU CAIRE, de l'Imprimerie de Marc AUREL, Imprimeur de l'Armée.

شكل رقم (٢٥)

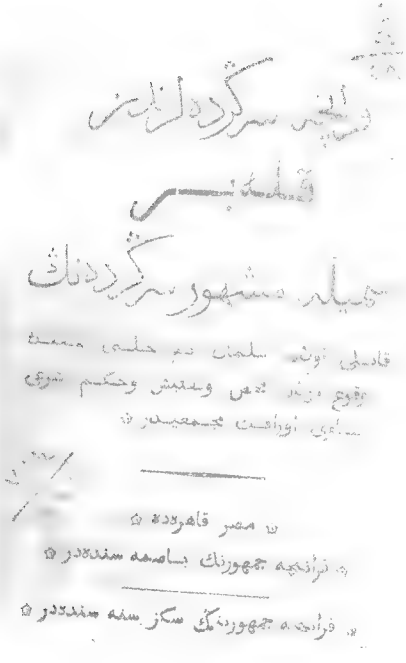

شكل رقم (٢٦)

شكل رقم (٢٧)

شكل رقم (٢٨)

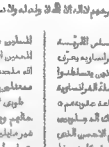

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له ملكا ❁

من طرف الجمهور الفرانساوي العدمي على مجلس القبة والحضرة السرمستر العدم بوناپارته امير الجيوش الفرانساويه بمصر هو ومن معهم من ضباط عساكره المتوجهين الى محاربة المماليك المتمردين على الحاضر السلطان الغير معتقدين الا خيرا لاسلام الا الشجيع لهم ❁

طوبى لم اكونهن ان مال معه الذين يعتقدوا معنا بان ظهير فيصلح عالمهم ويحل مراديهم طوبى ايضا للذين يقعدوا في مساعدتهم غير مخالفين الحق ❁ والويل للمخالفين الجاريين ماذا يعرفونا بالاحسان ويتاخروا الينا بمحل قلب ❁

لكن البون لم الجهل للذين يحدموا مع المماليك ويساعدوهم في الحرب عليهما فما يحدا طريق للخلاص ولا يبقى منهم اثر ❁

و للمادة الثوني ❁

جميع القرى الواقعة في دايرة ثلاثة ساعات من الجانب الذي يمر بها العسكر الفرانساوي فواجب عليها انها ترسل المرسى كريدي وعلفا من عندها لعسكرنا ويرفعوا اشعار اليه اكم عاملوا وانهم فعلوا الضحاك الفرانساوي الذي هو ابض كحمل وأحمر ❁

و للمادة الثالثة ❁

كل قرية التي تقوم على العسكر الفرانساوي تتحرك بالعدار

و للمادة الخامسة ❁

كل قرية الذي تقوم العسكر الفرانساوي الواجب عليها تعمر السعبانة الفرانساوي ويرسلوا دمي مجلس السلطان العادلي عوضا عن ذلك ❁

و للمادة السادسة ❁

للخاطي في كل بلد ليحدموا حالا جميع الاوزان والبيوت والاسلاك بتاع المماليك ويقوموا اتجاه الرايد لحصيلوا يصح ادا عن منها ❁

و للمادة السابعة ❁

الواجب على المشايخ والقضاة واليمة انهم يلازموا وظايفهم وعمل كل واحد من اهالي البلد له يبقى في منتهة مطمأن وكذلك تكون المملكة عايمة في الجوامع على العادة والقصريين بالعهم ليكرروا فضل الله سبحانه وتعالى من اقوالهم دولت المماليك ذاهبين بموت مال ادام الله اجلال السلطان العثماني ادام الله اجلاله العسكر الفرانساوي لعن الله المماليك واصلع حال الامة المصرية ❁

عمر بونابرته مستكدر في ٥ من شهر مسيدور ❁

سنة ١٢١٣ من اتقاء الهجرة الفرانساوي وهي في اواخر شهر مصر مسنة ١٧٩٨ ❁

للساوي ومع ذلك العرانصاوي في كل وقت من الاوقات صاروا للمحرين الاسكندرين بصور السلطان العثماني واصحة اعدائه ادام الله ملكه ويظاهروا المماليك المتمردين على الحاضر السلطان غير معتقدين الا خيرا لاسلام الا الشجيع لهم ❁

طوبى لم اكونهن ان مال معه الذين يعتقدوا معنا بان ظهير فيصلح عالمهم ويحل مراديهم طوبى ايضا للذين يقعدوا في مساعدتهم غير مخالفين الحق ❁ والويل للمخالفين الجاريين ماذا يعرفونا بالاحسان ويتاخروا الينا بمحل قلب ❁

بالبا العمومي قد يقولوا لكم انني ما جيت في هذا القطر الا بعد ان اراد منكم ذلك كتب صريح فلا تصدقوا وقولوا العمومي انني ما قدمت البكم الا لكوما اعلمني عظيم من دين الظالمين والذي تعتبر من المماليك اسعد الله سبحانه وتعالى واعلى كلمته بعد والقرآن العظيم ❁

واقولوا ايضا لهم ان جميع الشغلي معاييين عندنا وان الشغلي الذي يقربكم من سعيهم دمنا فهو العدل والمعاملي والعلوم فقط وبين المماليك ما العدل والمعاملي والشرف الذي تميزهم عيني العمومي وعيوب انهم يحكموا ومعهم كاملها بلا عهمات الدنيا ❁

حيثما يوجد ارض عصبة هي عصبة المماليك والجراكسة الجهل والويل الاصمي والباس الاحمي فيذا حقيقي ما ❁

من كاتب الدين المحبة العلم العالمي فيروزي الكاتب الذي معتبر اسم الله ذاكر ربه المطلوب موروثا وعاملا على الاسم بعوده تعالى من الجيم فاصلنا اذ يعتدي اسناس اهالي مصر من القديم في المذاهب السامية وهي اصحاب المراقي العالية فالعلما بالعلم والعلما بهم مجدوها الامير وسندك وعلي حسان اغه عظيمها ❁

حاليا في الاندلس المصرية كانت المحبة الاعظمة والقاهرات الراسخة

والاجر المكاثر وما أولى ذلك كله الا النافع وهام المماليك ❁

فيها الاحداث والعلم والقسمة والتي فيها المقرر الجيد واعمال البلد فوايا الاعظم لم الفرانساوي هم ايضا مسلمون عاقلون واعمالنا لذلك قد وثوقا في وعود الكبار ومبرما فيها حتى رمى البابا الذي كان يسمى دينها النصارا على عمارة الاسلام ام اعتمدوا جزيرة مالطه وطردوا منها النصارا الذين كانوا بها وصوالي الله تعالى يطلب منهم مقابلته

ARMÉE.

ÉTAT-MAJOR GÉNÉRAL.

ORDRE DU GÉNÉRAL EN CHEF

BONAPARTE.

شكل رقم (٣٠)

PROCLAMATION DES CHEIKHS DE LA VILLE DU CAIRE, AU PEUPLE D'EGYPTE.

PROCLAMATION DES CHEIKHS DE LA VILLE DU CAIRE, AU PEUPLE D'EGYPTE.

منشور مشايخ مدينة مصر الى اهالى مصر

مدركم يا اهل البلاد والانصار الترسى والبكر الاوباش من العربان والمفاليس الذين ليس لهم دين ولا ملة ولا دولة الذين ليسوا مثل بعوض ولا ذباب في ملك الله الذين ليس لهم عمل سوى السعى في الخرابات وشرب القهاوى مشوشوا الاسافلين ومن معهم وليس لهم رئيس ولا كبير ولا عقل ولا تدبير ولا يعرفون شيأ من امور الدنيا ولا يعلمون شيأ من امور الدين ولا يعرفون شيأ من امور الحرب ولا يعرفون شيأ من امور السياسة ولا يعرفون شيأ من امور التجارة ولا يعرفون شيأ من امور الزراعة ولا يعرفون شيأ من امور الصناعة ولا يعرفون شيأ من امور الفلاحة ولا يعرفون شيأ من امور الفلك ولا يعرفون شيأ من امور الحساب ولا يعرفون شيأ من امور الهندسة ولا يعرفون شيأ من امور الجغرافية ولا يعرفون شيأ من امور التاريخ ولا يعرفون شيأ من امور الطبيعيات ولا يعرفون شيأ من امور الالهيات ولا يعرفون شيأ من امور الاخلاق ولا يعرفون شيأ من امور البلاغة ولا يعرفون شيأ من امور اللغات ولا يعرفون شيأ من امور الشعر ولا يعرفون شيأ من امور الانشاء ولا يعرفون شيأ من امور الفقه ولا يعرفون شيأ من امور الحكمة ولا يعرفون شيأ من امور الجدل ولا يعرفون شيأ من امور الكلام ولا يعرفون شيأ من امور النحو ولا يعرفون شيأ من امور الصرف ولا يعرفون شيأ من امور الاصول ولا يعرفون شيأ من امور المنطق ولا يعرفون شيأ من امور الاخلاق ولا يعرفون شيأ من امور الحساب ولا يعرفون شيأ من امور الهندسة ولا يعرفون شيأ من امور الجغرافية ولا يعرفون شيأ من امور التاريخ ولا يعرفون شيأ من امور الطبيعيات ولا يعرفون شيأ من امور الالهيات ولا يعرفون شيأ من امور الاخلاق ولا يعرفون شيأ من امور البلاغة ولا يعرفون شيأ من امور اللغات ولا يعرفون شيأ من امور الشعر ولا يعرفون شيأ من امور الانشاء ولا يعرفون شيأ من امور الفقه ولا يعرفون شيأ من امور الحكمة ولا يعرفون شيأ من امور الجدل ولا يعرفون شيأ من امور الكلام ولا يعرفون شيأ من امور النحو ولا يعرفون شيأ من امور الصرف ولا يعرفون شيأ من امور الاصول ولا يعرفون شيأ من امور المنطق

حسبتم

الخامس كثر الشنبر محمد الدواخلي
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدمرداش
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدياسطي
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدواخلي
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدمرداش
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدياسطي
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدواخلي
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدمرداش
معي جماعة

الخامس كثر الشنبر محمد الدياسطي
معي جماعة

مطبع مصر المحروسة

شكل رقم (٣١)

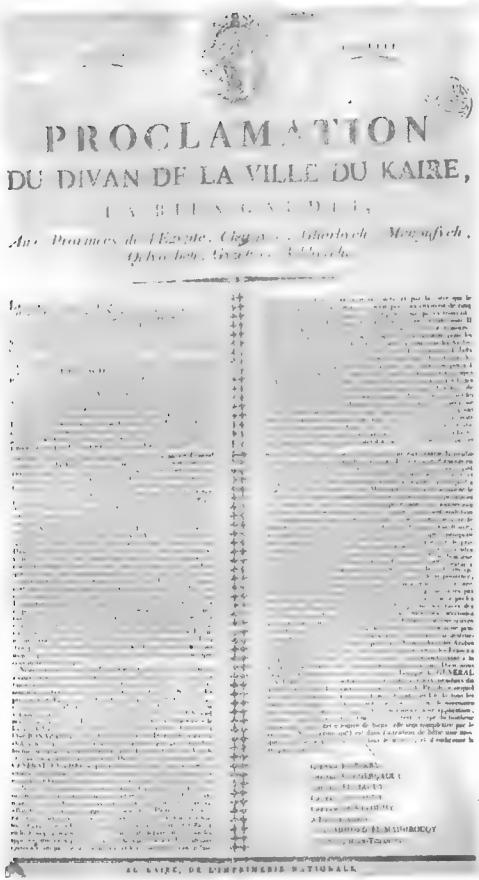

PROCLAMATION

DU DIVAN DE LA VILLE DU KAIRE,

LA BIEN GARDÉE,

Aux Provinces de l'Égypte, Cheyrah, Gharbych, Menyufych, Qelyoubeh, Gyzeh et Bahrych.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٣٢)

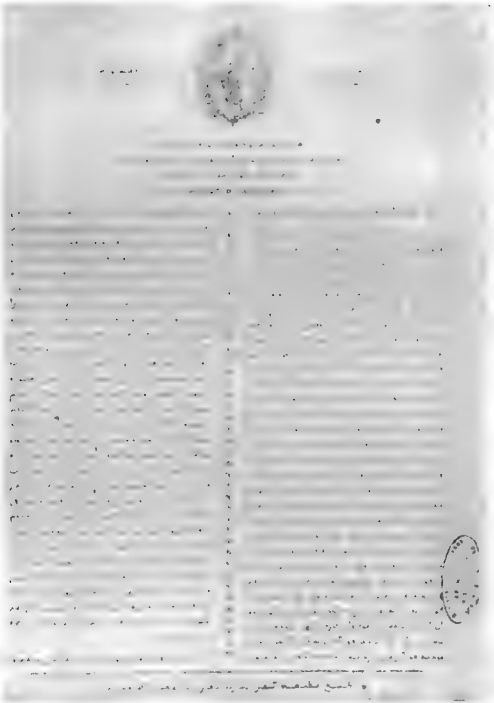

شكل رقم (٣٣)

AUX HABITANS DU KAIRE.

شكل رقم (٣٤)

PROCLAMATION

DU

DIVAN PARTICULIER

DU KAIRE.

شكل رقم (٣٥)

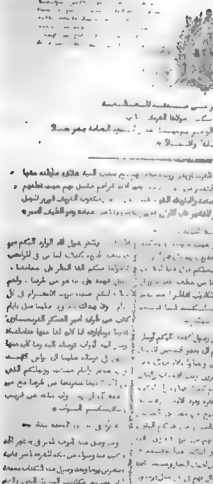

شكل رقم (٣٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

من امير معاقل الجيش الكبير

بعلبر

امير البيوت الفرنساوية

دام بقاه حسب امل الله المحمدية

خطاباً الى جميع المسلمين فى مصر ووجهائها

اعلموا يا اهل الاسلام وارباب الايمان

المقيمين فى مصر ان لم يصل منا خطاب

لكم الا فى هذا الوقت وفى هذا الوقت

عسكرنا اتى ما كنا نعرفكم سابقاً

والان عرضنا حالنا لكم وقت

ما سرنا ودرنا فى بلدكم الكبير عرضنا لكم

مرادنا ومايلزم لنا منكم والراحة

العامة ورايناكم امنين ومستوطنين تحت

المهور الفرنساوى وراضين بحكمهم كما ظهر لنا

ذلك من وجوهكم وعلمنا ان ذلك بسبب

العدل والتدبير الواقعين من سلفنا بحقكم

حضرة سارى العسكر بونابارته فى ايام حكمه

ونسعى ذلك بلم بعده وعرفنا وحصلنا الراحة

العامة لرعيته فى صقع فاعلموا يا اهل الاسلام

وارباب الايمان ان الفرنساويه لم يصل لهم

الفوح التام والسرور الكامل الا وقت ما تكونوا

مبسوطين ومطمئنين فى كامل احوالكم

وعلمنا ان غاية مرادكم ونهاية رغبتكم اقامة

دينكم دين الاسلام الدين القوم والباطنة

حق احكام الشريعة المحمدية واكرام

المسلة الاسلامية فاعلموا ان الدين

المحمدى هو الدين المكرم المعتبر

الاكرام المعظم عندنا احسن الاكرام

والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم

ونريد احترامه اكثر مما كان فى زمن المماليك

واعلموا ان ايام حكمنا تكرم الناس

المتممين وتمهلهم بعايد العيد والاكرام ويحصل

لهم منا الخير والمعروف وان الناس المشتغلين

يحصل لهم الستر والادب الحميد وهذا هو

فى نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام

ملتكم الذى امرت بكل خير ونهيت عن

كل شر والسلام ختام

الامضا كليبر

تحريراً فى ٢٠ شهر فروكتيدور سنة ٧ من اقامة

الجمهور الفرنساوى الموافق لـ ١٩ ربيع

الآخر سنة ١٢١٤

طبع بمطبعة الفرنساويه العربيه بمصر المحروسة

شكل رقم (٣٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

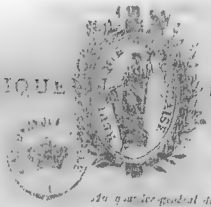

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 6 brumaire an 7 de la République française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

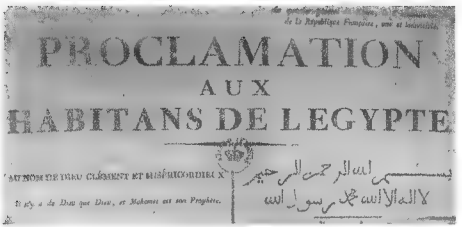
PROCLAMATION
AUX
HABITANS DE LEGYPTE
AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX
Il n'y a du Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.
بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

شكل رقم (٣٩)

شكل رقم (٤٠)

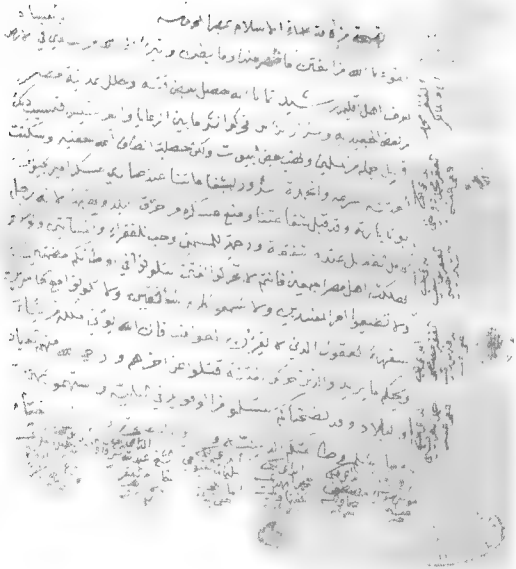

شكل رقم (٤١)

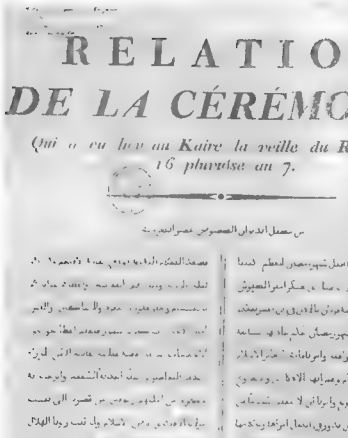

RELATION
DE LA CÉRÉMONIE

Qui a eu lieu au Kaire la veille du Ramadhan
16 pluviose an 7.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٤٢)

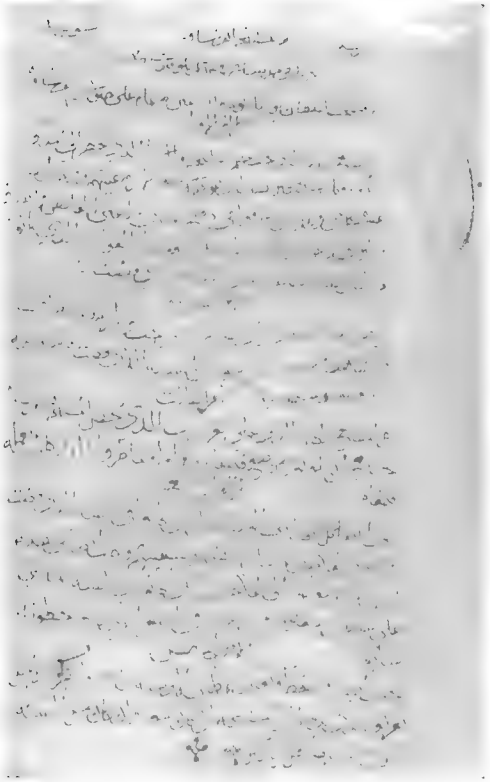

شکل رقم (۴۳)

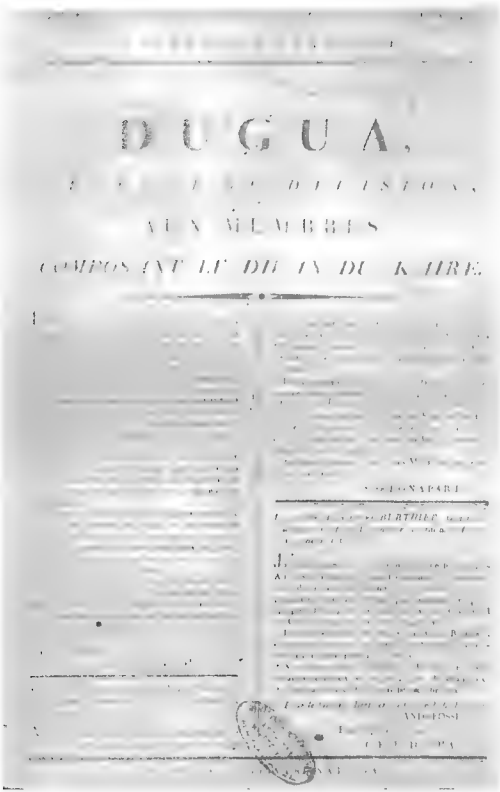

DUGUA,

AUX MEMBRES

COMPOSANT LE DIVAN DU KAIRE.

شكل رقم (٤٤)

[illegible] ور الفرانساوي

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله
لا ولد له ولا شريك في ملكه

[illegible]
انهم ينادوا على جميع اهل الثغر بانهم يعلقوا
على كل اربعة دياره قنديل وعلى كل
خمسة دكاكين قنديل [illegible] على كل
وكالة قنديل وعلى [illegible] طاحونة وكل
[illegible]
الجلنا وكل ليلة قبل الغروب بساعة
اثني عشر رجل من العتلا يدوروا مع جماعته
لاجل [illegible]
[illegible]
الى غيره لا يلزم الا نفسه وتكون جميع
الناس [illegible] على انفسهم
[illegible]
[illegible]

حصل الطلب ان تفتح الجوامع وانقسام
الصلاة حكم الشريعة وتفتح الخمسات
ولا تنسوا من شيء والسلام
[illegible] من يوم الجمعة ٢٨ شهر محرم
سنة ١٢١٣

الحاج مصطفى	موذن ابو علي	الفقير
[illegible]	الحاج احمد	[illegible]
عبد الوهاب	احمد	مصطفى
النحوش	تركي	السعران
كاتب		ابراهيم
القناني		المرجي

محمد المسيري

في الاسكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية

شكل رقم (٤٦)

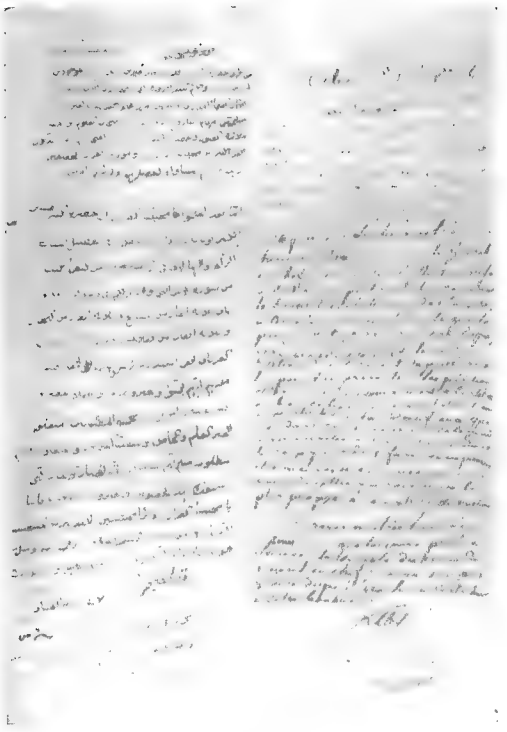

شكل رقم (٤٧)

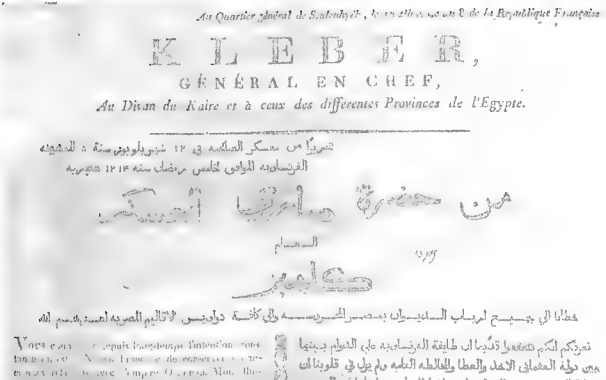
Au Quartier général de Salahyeh, le an VIII de la République Française

KLEBER,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Au Divan du Kaire et à ceux des différentes Provinces de l'Egypte.

صورة من معسكر الصالحيه في ١٢ شهر فلوريال سنة ٨ للجمهوريه
الفرنساويه الموافق لخامس مضان سنه ١٢١٤ هجريه

من حضرة صاحب العساكر
كليبر

الى جميع ارباب السايبات بمصر المحروسه وفي كافة دواوين الاقاليم المصريه المحروسه الله

نعرفكم انكم تعلمون قديما ان طايفة الفرنساويه على الدوام بينها
وبين دولة العثماني الاتحاد والعطا والغالطه الناسه ولم يزل في قلوبنا ان
هذا الحال يستمر على الدوام وان سلفنا السابق صلينا انه المرحوم
باشي العسكر العام نوليون البابيل اتحد معه وقوع الحرب المتعلقه
لوجه الحلولنا بمصر وحكم المذكور مرارا عديده بان الحد بيننا وبين
دولة العثماني لم كما حسب اعطاها وحد بلاد بوجه في بعض الاوراق
العهد التي انعقدوها على الباب العالي بينهم الاتحاد الذي لم يكن
به حد ليهم ولاحدي لمابين الرسلات التي لرسلها لحضرة الله السول

شكل رقم (٤٨)

الجريدة

التسوية

المشيخة

الفرنسوية

١٥

بيان سري العسكر العام بمصر الداخلة في ١٠ ديسمبر سنة ٥ للمعيشة الفرنسوية الواحدة الغير المنتسبة

هذا هو ترتيب الاوامر اليومية

الواقعة في اليوم العاشر من شهر وندمير

سنة تاسعة من اقامة الجمهور

[illegible]

شكل رقم (٤٩)

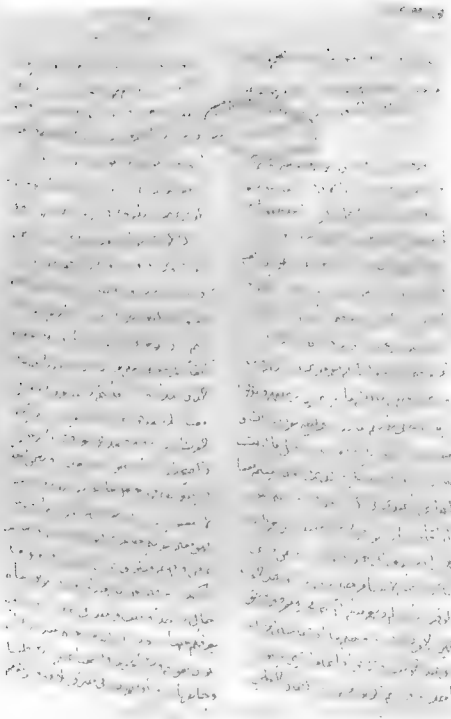

شكل رقم (٥٠)

شكل رقم (٥١)

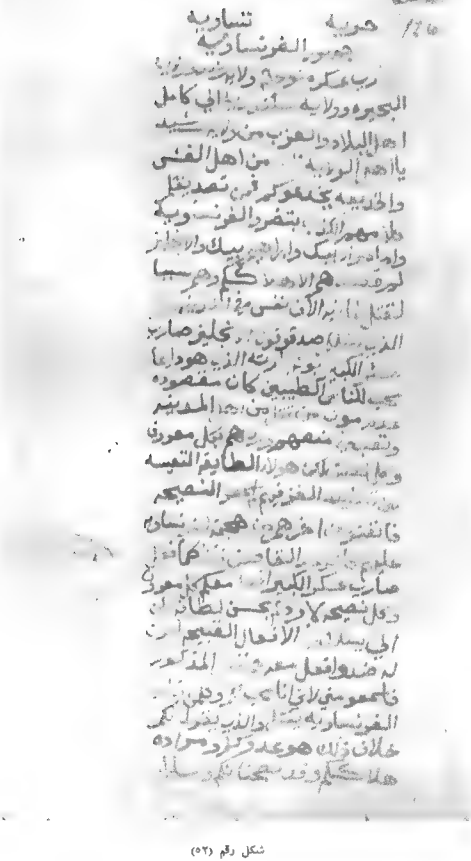

شكل رقم (٥٢)

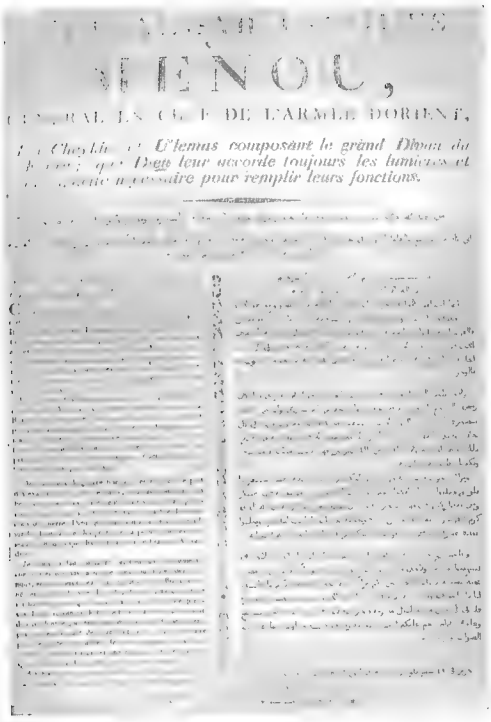

سكل رقم (٥٣)

شكل رقم (٥٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Le Général en Chef du Génie BELLIARD, commandant la Place du Kaire,

INSTRUIT que plusieurs habitans quittent le Kaire, que des cheykhs et principaux négocians envoient leurs familles hors de la ville en contravention aux ordres donnés;

Considérant qu'une pareille émigration ne peut qu'alarmer le peuple, et nuire à ses intérêts;

Considérant que dans le moment où la ville acquitte sa contribution, tous les habitans doivent s'y trouver, que les cheykhs et principaux du pays doivent rester chez eux, pour veiller à ce que la répartition des sommes qu'on exige, se fasse justement et également sur tous ceux qui doivent payer, et en raison de leurs moyens;

ORDONNE ce qui suit:

ART. I.er Il est défendu à tout habitant du Kaire de sortir de la ville sans avoir obtenu un passeport du Commandant de la place.

II. Tous les habitans qui quitteront le Kaire sans une autorisation légale, pour aller demeurer dans les villages, seront regardés comme émigrés, et leurs biens confisqués au profit de la République.

III. Tous les habitans qui sont sortis du Kaire depuis le départ des Osmanlis, et qui ne seront pas rentrés dans un mois, seront regardés comme émigrés, et traités comme tels.

IV. Tous les cheykhs, negocians, principaux habitans ou autres qui feront sortir leurs familles hors de la ville, devront les faire rentrer dans quinze jours; et faute par eux de se conformer au présent article, ils payeront une moitié en sus de leur contribution.

V. Les portes arrêteront tous ceux qui voudraient sortir du Kaire sans passeport.

VI. Les habitans ou odjaqlys qui ont reçu des autorisations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre.

VII. Le présent ordre sera remis aux villages du Kaire, pour être envoyé dans les villages où les habitans du Kaire ont pu se retirer.

Au Kaire, le 19 thermidor an 8.

Signé BELLIARD.

Vu bon à publier en arabe et en français.

Le Général en Chef,

Signé MENOU.

من حضرة سلطاني عسكر بونابرته بلسان
جيشه حضرة الجنرال

نعلم ان بعض من اهالي مصر رحلوا عن اقليمهم بالاكثر من
المطاوع والبعض لرحلوا عيالهم في البلدة فقط فهذه الوسيلة •

الوسيله المذكوره حيث ان [illegible] فلم يمتطوا
لمقاصدهم •

نعلم انه في حال دفع الضريبه لزم اهل البلد
لازم يحضروا بجملتهم بالمطاوع ولكابر الذي هم الكبار لازم
يقيموا في مقاماتهم لاجل يضبطوا ويحفظوا الفرد المطلوبه برسمه
الذي كل واحد على قدر مقدوره •

حكم الضبط •

الفرد الاول • في ابتدا من اهالي المدينة بالقاهره يخرج بالريحا
من البلد من غير ورقة ايذان من حضرة نبيهام مصر جالا •

الفرد الثاني • كامل اهالي المدينة الذين حضروا بغير اجازة
لاجل يقيموا في البلاد يكون جميع مالهم مضبط للفرنساوي •

الفرد الثالث • جميع اهل المدينة الذين حضروا من بعد
غيب الذي حصل حق العساكر في ذات لم يحضروا من بعد ثلاثة
بالكثير يتم يكون هذاهي الفرد ويضابط بجمله للفرنساوي •

الفرد الرابع • جميع المشايخ والتجار والمعتبرين وغيرهم الذين
ارسلوا عيالهم هاربوا من البلد لازم من بعد مضي خمسة عشر
يوم من تاريخه يرجعوا الي عمالتهم وبن كان لم يمتثل الوسيلة
يضاعفوا عليه النصف فوق الفرد الذي عليهم •

الفرد الخامس • طلع الامر علي كامل الغلة الذي صوب البلد
حضروا كامل الذين لم يرجعوا من غير وريقة اجازة من حضرة
نبيهام مصر جالا •

الفرد السادس • اهالي بحري الذين حضروا بالمطاوع صحبة
اهالي لاجل يلبوا دراهيهم من بلادهم لم هم من هذه الوسيلة •

الفرد السابع • وهذه الوسيلة مضبوطه الى المشايخ والعلما لاجل
يرسلوهم الي البلاد الذي اتوا منها مصر راجعا حيا •

الضرائب في ٢٥ توميناس سنة ٥ من اقامة الجمهوريه الفرنساويه •
الموافق سنة ١٢ ربيع اول سنة ١٢٥٥ اسلامية •

منجي بليار •

حضرة سلطاني عسكر الجيوش الفرنساويه مولف ابن هذا الامر
بكونه مشهور بالفرنساوي والعربي •

حضرة سلطاني عسكر الكبير منو •

شكل رقم (٥٥)

الحرية

من طرف الجمهور الفرنساوي

مرتبًا في محل سارى عسكر العام بمصر في اليوم ... بعد مضي ... من شهر ... ومجهر سنة ١ من الأمة ...

صدر هذا الأمر اليوم من حضرة صاحب ... سكر ... منصور ... امير الجيوش الفرنساوي في مصر

العمارى عسكر العام مبلغ الى معرفة العموم والكلم المعطى الى كل الولاة والكام المكرمين من الفصل الاول من الجمهور الفرنساوى

وكذلك على العموس ترمنا على حمالة اكثر اهالى مصر من عاندنا وشريعتنا ومن التمسك الذى يملك الى كل فعاله تولميس الفرنساويه امر على كل مايلق بيانه

المادة الاولى ☆

جملة الاشخاص المصريه الذين خرجوا من مصر هوى من انضمامنا وهربوا لعدم اعطاء الفرده المامورين بحفظها فى تلك المدينه فالذى هم مأمورين بالرجوع الى دوتهم لتحصيل يكونوا امنين ومطمئنين على حياة المتوس والكام وسايرُ وساء عسكر الفرنساويه باملاكهم وارزاقهم واهاهم واموالهم وارزاقهم فى امان الله وامان الجمهور الفرنساويه

المادة الثانيه ☆

هذا الاطف الذى كرمناهم به مايحسب الا الى اليوم الاول من شهر بروميور الاتى فبمدة المدة لاتغير وبعد مرور هذه المدة كل من اهالى مصر مايرجع الى موضعه فيكون ماله وارزاقه كلها ميرًا الى جمهور الفرنساويه

المادة الثالثه ☆

كل الاموال والاملاك التى هذا العموم يردّوا ويرجعوا الى اصحابهم الذين باعوها من اصول المشروحه فى المادة الاول بشرط ان يكونوا موافق العموم الذى عليهم للمادة الرابعه ☆

وهذا الانعام الذى كرمناهم به يشمل ايضًا على جميع الموجودين فى الاموال المرهونين اهاله

واما من كان مسند التكسير فى هذا الامر ما عدى الأعلى الذين هربوا من مصر فى وقت الحملة الافرنساوى الفرنساويه الى مصر واخذت الاموال فى التزيين من مصر بمثل ذلك الطارئ بعقوا لايه مكتسبين عمل مبرة جمهور الفرنساويه

المادة الخامسه ☆

والصراى العساكر والاه ولايه منصر بحسب العلم ويحتسب للرتبة العاشره عطيهم وعلى مجهوده امره وانتشار هذا الامر الذى تصير ترجمته بالعربى وتطبع وتعلق بالاسكلين فى كل اقليم وسواحل مصر ☆

عمس

عبد الله ... الى ... ☆

☆ طبع بمطبعة السرفساوية بمصر القاهره ☆

شكل رقم (٥٦)

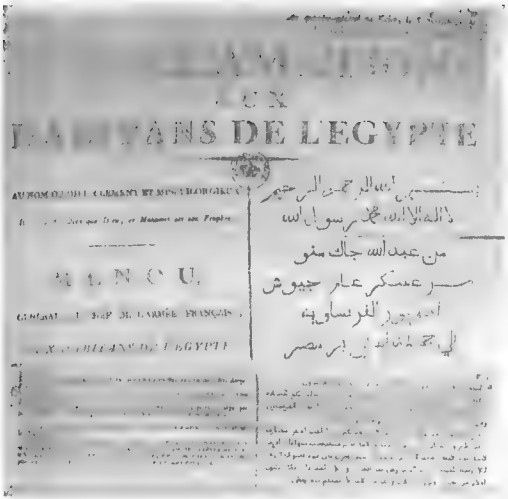

AUX

DE L'EGYPTE

AU NOM DE DIEU CLEMENT ET MISERICORDIEUX

MANOU,

GENERAL DE DIVISION DE L'ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو

سر عسكر عام جيوش

الجمهور الفرنساوية

الى جماعة اهالي بر مصر

شكل رقم (١٥٧)

REPUBLIQUE FRANÇAISE.

[illegible] au Caire, le 6 brumaire an 9 [illegible] Française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE L'ÉCLÉMENT ET MISERICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

MENOU,

GÉNÉRAL EN [illegible] ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

HABITANS de l'Egypte, [illegible] ce que j'ai à vous dire au nom de la République Française.

Vous étiez malheureux ; l'armée française est venue en Egypte pour vous porter le bonheur.

Vous gémissiez sous [illegible] des vexations de toute espèce ; je suis chargé par la République et par [illegible], de vous en délivrer.

Une multitude d'impôts [illegible] le tout de vos travaux ; j'en ai détruit la plus grande partie.

شكل رقم (٥٧ب)

MÉNOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

À TOUS LES HABITANS DE L'EGYPTE,

Les Riches, les Pauvres, les Femmes, les Enfans, les Vieillards, à tous ceux enfin qui craignent Dieu.

من عبد الله جاك منو سر عسكر وامير عام [illegible] دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالا بمصر

AU NOM DE DIEU, CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

HABITANS de l'Égypte, le Koran qui est le livre de justice [illegible] défendu le vol [illegible] les plus sévères [illegible] Dieu, les voleurs sont punis par les châtimens les plus terribles.

Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête aux nommés Aly, Mohhammed, Aly-Ahhmed et Ibrahym, voleurs de profession. Depuis long-temps, ces hommes troubloient le repos public, ils attendoient les voyageurs sur les chemins, ils les dépouilloient, et souvent les massacroient. J'ai donc dû leur ôter la puissance de nuire. Ils étoient indignes de vivre; ils ont subi la peine de mort. Tous ceux qui se conduiront ainsi, seront punis de la même manière. La République Française, et son premier Consul, le Général BONAPARTE, que les grands d'Égypte nomment l'épée de Dieu, m'ont ordonné de veiller sans cesse à votre repos [illegible] tranquillité. Je veux, pour obéir à leur ordre, que tous les habitans de l'Égypte [illegible] redouter les voleurs, vaquer à leurs [illegible] et à leur commerce [illegible] Habitans de l'Égypte [illegible] qui voudront porter atteinte aux [illegible] et à votre repos, je les ferai rentrer dans la poussière.

Signé MENOU.

[illegible]

من عبد الله جاك منو

Habitans de l'Égypte, rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siège du Kaire. Des hommes pervers vous avoient donné de mauvais conseils, et vous avoient entraînés dans la révolte; votre sang a coulé. Je veux vous éviter de semblables malheurs. Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête au nommé Youssouf, marchand de bourre, il a voulu exciter le trouble parmi les habitans du Kaire, en publiant à haute voix qu'il ne falloit rien vendre aux Français, parce que les Osmanlis alloient arriver. Les hommes qui veulent exciter des mouvemens sont vos ennemis, ils cherchent à vous entraîner à la révolte, parce qu'ils savent bien que la vengeance des Français seroit terrible, et que des milliers d'entre vous perdroient la vie. Croyez aux avertissemens que je vous donne; je suis votre meilleur ami. Vaquez à vos affaires, cultivez vos terres, et repoussez tous les mauvais conseils. Tous ceux qui se conduiront comme le méchant Youssouf, seront punis de mort.

Au quartier-général du Kaire, le 29 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Signé MENOU.

[illegible]

له من الوعد والعالم

حرر في ٢٩ شهر برومير سنة ٩

الموافق الى ٥ شهر رجب سنة ١٢١٥

طبق الاصل

عبد الله جاك منو

سر عسكر وامير عام

وستاسر عسكر دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالا بمصر

شكل رقم (٥٨)

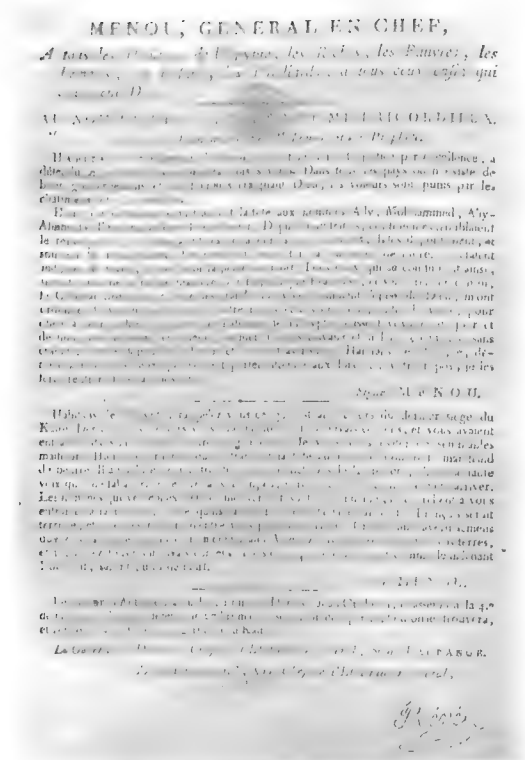

MENOU, GENERAL EN CHEF,

A tous les [illegible], les Riches, les Pauvres, les [illegible], [illegible] qui [illegible]

[illegible] MERAVOIDIEUX.

[illegible]

[illegible] Dans tous les pays où il existe de [illegible] Dieu, [illegible] sont punis par le [illegible]

[illegible] aux nommés Aly, Mohammed, Aly-Ahmed [illegible] Dieu [illegible] pour [illegible] sans [illegible] Hamdan [illegible] de [illegible] aux [illegible] pour les [illegible]

Signé MENOU.

[illegible] du dernier siège du Kaire [illegible] et vous avaient [illegible] sentiables [illegible] Hamdan [illegible] arriver. [illegible] à vous [illegible] terres, [illegible] le [illegible]

[illegible]

[illegible] à la 4.e [illegible] trouvera, [illegible] Kaire.

Le Général [illegible] PANOR.

[illegible]

شكل رقم (٥٩)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

AUX HABITANS DU KAIRE ET DE TOUTE L'EGYPTE.

Au Quartier-général du Kaire, le 15 fructidor an 9 de la République française.

AU NOM DE DIEU CLEMENT ET MISERICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet en est son Prophète.

HABITANS du Kaire et de toute l'Egypte, je vous ai déjà dit plusieurs fois que je ne punissois que les méchans et les hommes qui n'craignoient pas Dieu et son prophète; je vous ai dit que je punirois de mort les assassins et les voleurs, parce que je voulois qu'en Egypte chacun pût vaquer à ses affaires et à son commerce, sans crainte d'être volé ou assassiné.

Je vous le répète encore, la République Française et le premier consul, le célèbre guerrier BONAPARTE, m'ont ordonné de vous gouverner avec douceur, justice et humanité. Ayez donc confiance en mes paroles et en mes promesses. Que ceux qui se conduisent avec un cœur droit et vertueux, vivent dans la paix et la tranquillité; que les méchans, les voleurs et les perturbateurs du repos public tremblent; je les vois, je suis leurs pas, je connois leur démarche.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte, je vous invite à cultiver vos terres et vos jardins. Je vois journellement des terrains incultes et abandonnés. Rebâtissez vos murs, reconnoissez vos citernes et les machines qui portent de l'eau dans vos propriétés. Fertilisez tous les champs de l'Egypte; n'ayez aucune crainte; par-tout vous trouverez sûreté et protection: je le jure, au nom du Dieu vivant, et de Mahomet son prophète.

Tous les généraux et commandans militaires, ainsi que le directeur général et comptable, et le chef de l'administration de la justice, feront distribuer cette proclamation dans toutes les villes et villages de l'Egypte. Elle sera imprimée à deux colonnes en français et en arabe.

Signé MENOU.

شكل رقم (٦٠)

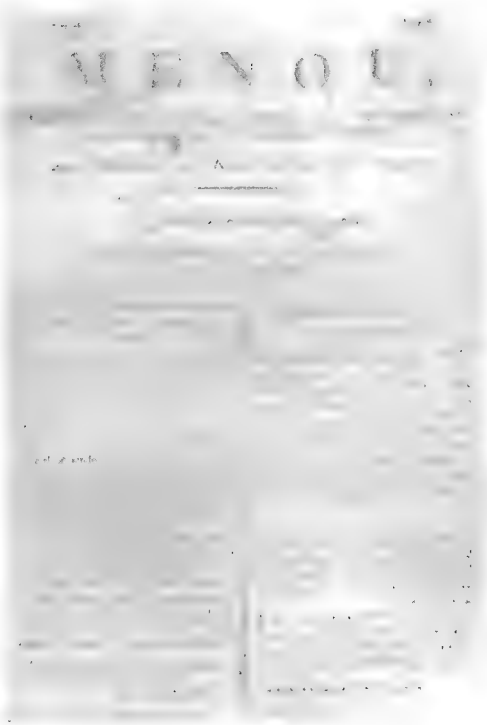

شكل رقم (٦١)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Aux Cheykhs du village el-Qaouet el-Qouddumy, Province d'Aufy èhhdy, ABOUKET et BARAKET.

من عبد الله جاك منو سر عسكر
امير حام جيوش دولة جمهور الفرنساويه بالشرق
ومظاهر حكومتها ببر مصر
الى المشايخ اوكت وبركت مشايخ بلد قوة القدامي
بولاية اطفيحيه

لما الرسال المكرمين والموجودين الحد لهم دنيا لجوا افضال جميع لهم

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

LES hommes généreux et bienfaisans reçoivent toujours la récompense de leurs bonnes actions. J'ai appris que vous aviez sauvé trois Français qui avaient fait naufrage près du village où vous habitez; que vous leur aviez donné des vêtemens, ainsi que tout ce qui était nécessaire pour leur subsistance. J'ai également appris que vous aviez empêché qu'ils ne tombassent entre les mains de quarante brigands qui voulaient les enlever; que même vous et les habitans de votre village aviez pris les armes pour les défendre, et qu'ensuite vous les aviez conduits à Béni-Souef. Le Gouvernement français est enjoint empressé de témoigner sa reconnaissance à ceux qui se conduisent bien. J'envoie à chacun de vous une pelisse, comme gage de mon amitié, et je remets à vous et à votre village le quart des impositions que vous auriez dû payer pour l'année courante. Que Dieu et son Prophète vous donnent de longs jours, et vous fassent jouir de tout le bonheur que vous méritez.

Au Kaire, le 13 nivôse an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

ورد لنا خبرا حميدا بانكما ملهميا لذلك فرساوه السادى
فكسرتم مرجيهم فهيا لعلمهم كما وكذلك لعلمهما لهم كمساوه
وكنا لم فحميهم ومرخا ايضا من غير ذلك لكما منعوا ان
لا يخطوا المكروين قت ايادى لوفيهم امرار بلوار الذى كانوا
طالعين باحدهم واسما والذى ماحيتكما سلفهم لحمايته
الفرنساويه المكروين من هولى الاشرار ولى بعد ذلك لرجوعهم
الى وفوسيف امنا ومثلا ان حكومه دولة جمهور الفرنساويه
داهما لعمل لحاجه لحاجتهم الى كامل من يحتمى بالمساعده
لحمتهما فيذلك حل ذلك ارسلنا الى كل منكما فيروه لاستلام
صدقا لكما واجب عليكما وعلى بلدكما رجع الرجوع الحق
عليكما اذلها بعد فارفه فيذلك عوده وسوله السلام
يعين لكما ايضا طوبال واجبر لكما الخير والذى لحمتكما به
والسلام *

في ١٥ تورور سنه ٩ للجوانس في ٢٠ لحساب سنه ١٨٠٠

حسنك بن الصياد

عبده لله حسك مسعود *

شكل رقم (٦٢)

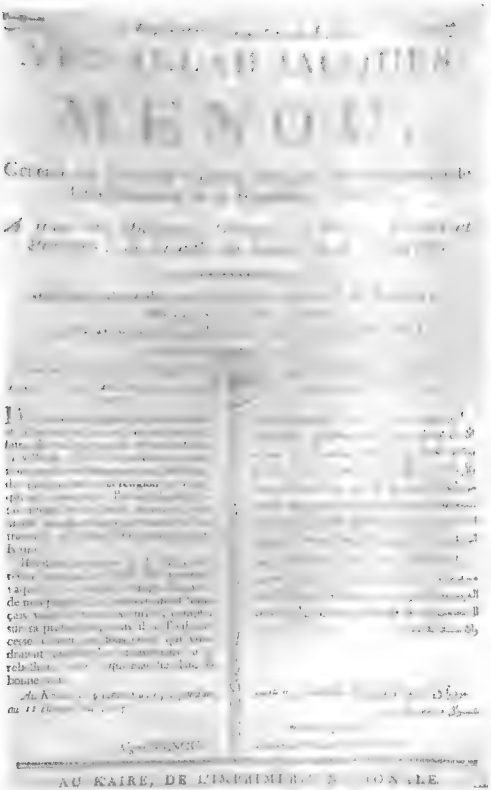

شكل رقم (٦٣)

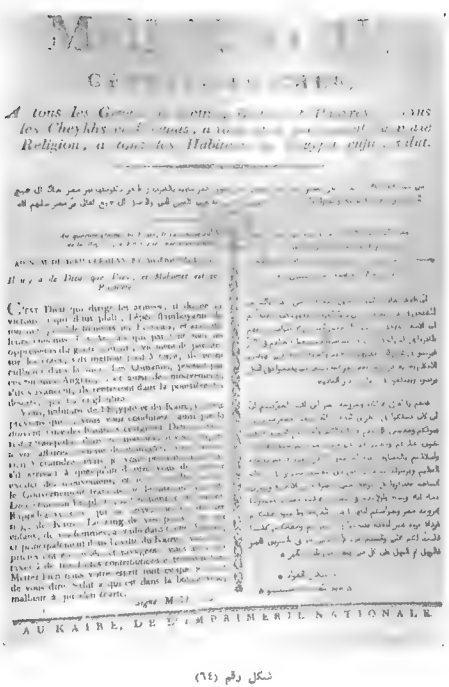

شكل رقم (٦٤)

الحمد لله وحده

من ساري عسكر الجنرال بليار قايمقام مصر حالا
وحاكم الصعيد وعساكر النصرة
خطابا الي كافة اهل مصر المحروسة

شكل رقم (٦٥)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 5 Fructidor an 6.

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

A ABDHMED, PACHA, GOUVERNEUR DE SEID.

En venant en Egypte faire la guerre aux beys, j'ai fait une chose juste et conforme à tes intérêts, puisqu'ils étaient tes ennemis. Je ne suis point venu faire la guerre aux Musulmans : tu dois savoir que mon premier soin, en entrant à Malte, a été de mettre en liberté deux mille Turks qui depuis plusieurs années gémissaient dans l'esclavage; en arrivant en Egypte, j'ai rassuré le peuple, protégé les muphtis, les imans, et les mosquées. Les pélerins de la Mekke n'ont jamais été accueillis avec plus de soin et d'amitié que je ne l'ai fait, et la fête du prophète vient d'être célébrée avec plus de splendeur que jamais.

Je t'envoye cette lettre par un officier qui te fera connaître de vive voix mon intention de vivre en bonne intelligence avec toi, en nous rendant récipro-

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général de Jaffa, le 19 ventôse an 7.

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

Aux Cheikhs, Ulemas et Commandans de Jérusalem.

Dieu est clement et misericordieux.

Je vous fais connaître par la présente, que j'ai chassé les Mamloucks et les troupes de Djezzar pacha, des provinces de Gaza, Ramleh et Jaffa; que mon intention n'est pas de faire la guerre au peuple; que je suis ami du Musulman; que les habitans de Jérusalem peuvent choisir la paix ou la guerre: s'ils choisissent la première, qu'ils envoient au camp de Jaffa des députés pour promettre de ne jamais rien faire contre moi; s'ils étaient assez insensés pour préférer la guerre, je la leur porterai moi-même. Ils doivent savoir que je suis terrible comme le feu

شكل رقم (٧)

PROCLAMA

DEL GENERAL BONAPARTE

AGLI ABITANTI DEL GRAN CAIRO

Li 21. Gennaro 1799.

Tradotto dalla Lingua Araba da un Moscovita.

Quest' Empio Proclama serve, per far vedere maggiormente ai Popoli dell' Italia, fin dove arrivi l'enorme inganno, e l' infame impostura della diabolica Nazion Francese; e serve ancora, per vieppiù aumentare la serie delle imposture, e dell' empie scelleraggini di questo Generale.

IN ROMA; Per il Casaletti

Con Licenza de' Superiori.

Si vende nella Libreria, che fa cantone nella Strada de' Sediari.

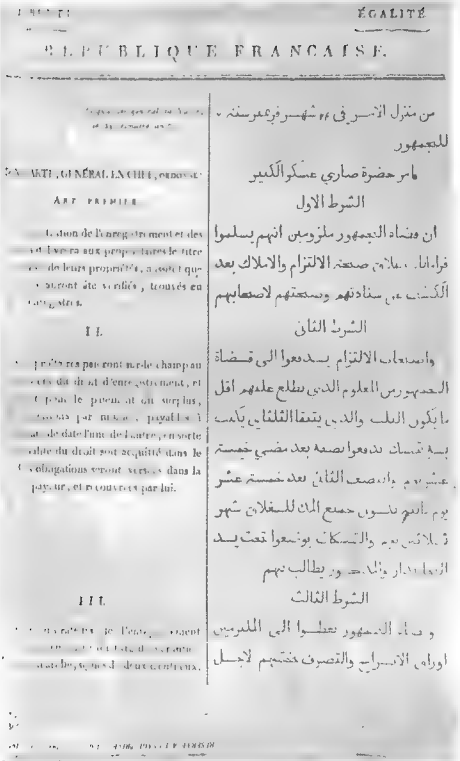

ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANCAISE.

من منزل الامير في ٢٢ شهر فريمير سنة ٧ للجمهور

امر حضرة صاري عسكر الكبير

الشرط الاول

ان ونناه الجمهور ملزومين انهم يسلموا [illegible] صحة الالتزام والاملاك بعد الكشف عن سنداتهم وصحتهم لاصحابهم

الشرط الثاني

واصحاب الالتزام يدفعوا الى قضاة الجمهور من العلوم الذي يطلع عليهم اقل ما يكون الثلث والذي يبقا الثلثاين يكمل [illegible] يدفعوا نصفه بعد مضي خمسة عشر يوم والنصف الثاني بعد خمسة عشر يوم [illegible] جميع المال للمغلاق شهر [illegible] والتمسكات يوضعوا تحت يد [illegible] يطالب بهم

الشرط الثالث

و [illegible] الجمهور يعطوا الى الملزمين اوراق الاسراج والتصرف ختمهم لاجل

ART. PREMIER.

II.

III.

شكل رقم (٦٩)

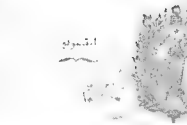

الشركة الشرقية البريطانية

تعريفة بمعدل الحكم العام بجمهورية سيسيدور

بونا بارته حاكم عام

الشرط الاول

ان ساكنين البلاد المذكورة المسرة بقلمها مال الاعشار اعتبارا من يوم تاريخه الى شهر سبتمبر

الشرط الثاني

ان كل الفلاحين الذين لم يكونوا مذعنوا في ثلاثين شهر جرمينال الماضي الثلثين من مال ايجارهم فيدفعون زيادة خمسة في المائة من اصل المبلغ عليهم

الشرط الثالث

ان الذين لم يكونوا عذعنوا كامل ما عليهم من مال الايجار في شهر سبتمبر يدفعون زيادة عن مال ايجارهم عشرة في المائة عن المبلغ المتمم عليهم في هذا البعاد واذا مات هذا البعاد اعني في شهر سبتمبر عليهم زيادة على المبلغ الماخر عليهم واحد في المائة كل يوم يتاخر دفعه عن الدفع

الشرط الرابع

ان الورزير مدير المحدود يبتدي من اول يوم من الشهر الاتي يرسل علم ليلون كامل ما يتبقى من المال على كل مساجر وهن لزياده التي تقتضي بها نظير الخزنة في هلاين المال حكم ما شرح في الشروط السالفة

الشرط الخامس

ان كامل مال البلاد المستاجره التي لم تدفع مالها من الفلاحين في شهر سبتمبر تنتقل مالها الي جبران الجمهور كسائر البلاد

الشرط السادس

ان كل الفلاحين الذين لم يكونوا دفعوا المال في مواعيده المقرره في ابعارهم وثبتت فيهم قضايا مال البلاد هي تستحرر سبتمبر وغيره كامل تعلقاتهم الميريا ان يكونوا دفعوا كامل عليهم

الشرط السابع

ان فصلة الجمهور برسلون في اول يوم من ترمدور الي كلاتهم المذكورين بالولايات واعلم باسما المستاجرين الذين تقاسموا على موجب الشرط الخامس المشروح اعلاه

الشرط الثامن

ان هذا الامر سيطبع في المطبعة الفرنساوي باللغة الفرنساويه والعربية والوزير مدير المحدود ملتزم بتنفيذ هذا الامر

مقره بونابارته

وهك نسلمه مطابقه الي الامر البلاوز من حضرة العسكر العام

بونيلك مدير المحدود العام مصر حالاً

طبع بمطبعة مصر المحروسة

شكل رقم (٧٠)

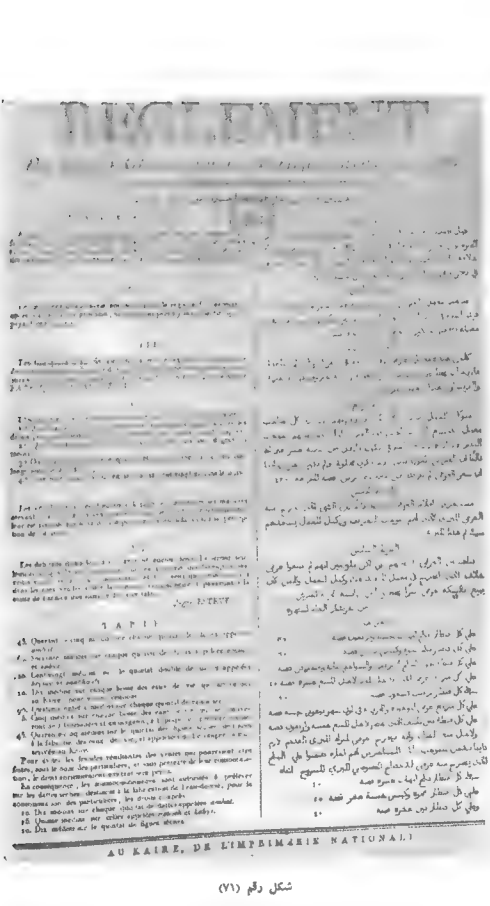

شكل رقم (٧١)

LIBERTÉ ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LE GÉNÉRAL DE DIVISION

KLEBER,

COMMANDANT LES TROUPES D'ALEXANDRIE

ET DE SON ARRONDISSEMENT.

CONSIDÉRANT que l'humanité exclusive, pour diriger la paix, emploie des moyens que la longue expérience a fait regarder comme les seuls propres à produire ce bienfait.

ORDONNE ce qui suit.

ARTICLE PREMIER.

Tout Capitaine de navire ancré dans le port, ayant encore des marchandises venant du Levant, et sur-tout des toiles, laines, poivre et autres objets de fabrique, est tenu d'en faire la déclaration dans les vingt-quatre heures par devant l'Administration sanitaire, et ne pourra en faire le débarquement sans la permis de cette Administration.

II.

Sont soumises à la même déclaration les marchandises ou fripes qui auraient acheté des marchandises venant du Levant, sur-tout pour celles restées en balles, sous peine d'être lesdites marchandises ou fripes poursuivies rigoureusement, s'il se manifestait dans leur maison quelque accident de peste, et s'il négligement de faire la déclaration ci-dessus ordonnée.

Fait à Alexandrie, le 24 Messidor, an 6 de la République française

KLEBER.

صدر هذا الامر من طرف حضرة الجنرال قائمقام امير الجيوش الفرانساوية الموجودين في اسكندريه وحاكم البلد المرموزه ☆

وذلك بسبب بعد الطرق المهلك للناس مرتبة عليهم بفعل الاخطار الغريبه وبذلك هواجس النفس لاجل منع العلة المذكوره عن اسكندريه والامر المرموز على المذاهب ☆

المادة الاولى

جميع قباطنة المراكب الموجودين في المينه ان كان عندهم اقراق وامتعه من بلاد العفاشيه وخصوصا المذاع بقاع القنوب والبهار والقطن وعقده واجب على القباطنة المرموزين ان يعطوا بها القباطنة على منع الطاعون في طرف اربعه وعشرين ساعه وما احدا منهم مرج المذاع المرموزه عن ان ياذن القباطنة المرموزين ☆

المادة الثانيه

ان جميع التجار اصحاب البضائع وغيرهم اذا كانوا اشتروا من الاقراق المذكوره المحموله من بلاد العفاشه خصوصا اذا كانت الاقراق المذكوره مربوطه او عديده في عرايز مداع انهم يعطوا بذلك القباطنة المذكورين حكم القباطنة في المادة الاولى واذا لم يمتثلوا للامر وظهر الكاتمون في يوم يحصل لهم التعنيز الشديد ☆

وحرر امر عسكر اسكندريه في اليوم رابع وعشرين من شهر ماسيدور لسنه سادس من اقامة الجمهور الفرانساوي بمصر في اواخر الحرر سنه ☆

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

شكل رقم (٧٢)

L'INTÉRIEUR

ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

PLACE

D'ALEXANDRIE

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE

سكل رقم (٧٣)

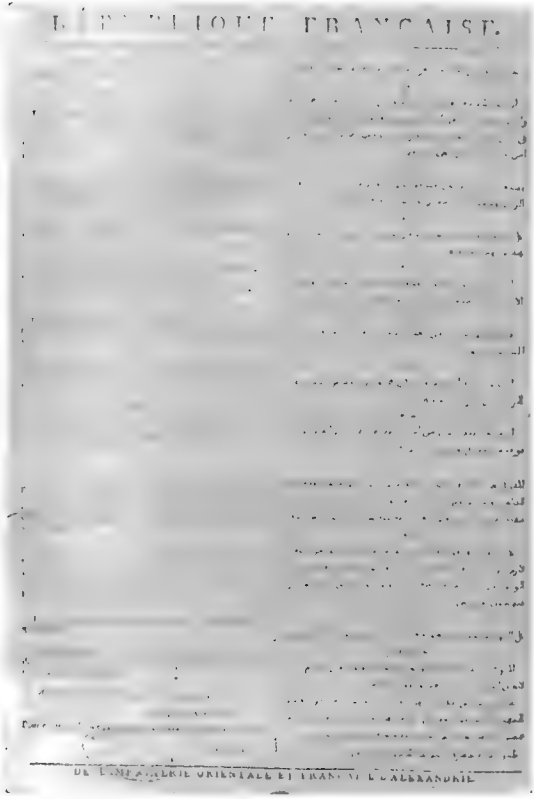

شكل رقم (٧٤)

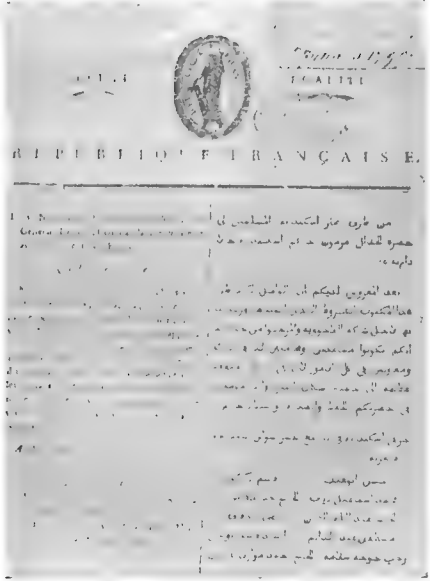

شكل رقم (٧٥)

CONVENTION

POUR

L'EVACUATION DE L'EGYPTE,

PASSÉE entre les citoyens DAUX, *Général de Division, et Payeur-en-Chef, Administrateur général des Finances, Plénipotentiaires du Général en Chef* KLEBER,

Et leurs Excellences Moustapha Rachid, Effendi Defterdar, et Mouhamed Rouchdi Effendi Reys el-Koutteb, Ministres plénipotentiaires de son Altesse le suprême Vizir.

TRADUCTION

ARABE

De l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, du 8 floréal an 8, relatif à la suppression de l'Administration générale des Finances de l'Egypte.

امر من حضرة مبارى عسكر العلم كليبر
امير الجيوش الفرنساويه

الشرط الاول

لم يبقى مدير الحدود كمثل الاول بالاقاليم المصريه

الشرط الثانى

الخزينة العامه هو سيتوبر استهوه متعلق

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

REPUBLIQUE FRANCAISE.

Au Quartier-général au Kaire, le 8 Floréal an 8 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 1.er floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 2 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 3 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 4 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 5 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 6 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 7 floréal an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 8 floréal an 8.

KLEBER, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE:

ART. I.er Il n'y aura plus d'administration des finances en Egypte.

II. Le payeur général (*le citoyen Estève*) demeure spécialement chargé de la direction des revenus publics. Il réglera et vérifiera les comptes des fécrtes de la *contribution générale* dont il sera parlé à l'art. IV ci-après, et de celles des *douanes*, du *mesre des propriétaires*, du *droit de l'enregistrement*, des *domaines nationaux*, de la *monnoie du Kaire*, et des différens droits connus sous le nom d'*anciens revenus*.

III. Les agens français sont supprimés. Le payeur général pourra néanmoins les employer, soit comme *payeurs*, soit comme *comptables*, selon qu'il le jugera convenable. Ils lui remettront tous, aussi plus tôt qu'il sera possible, le compte général et détaillé de leurs opérations, depuis leur entrée en fonctions.

IV. Les contributions et droits quelconques en argent, tels que le *mesre*, le *fiesa*, le *kharouar*, le *mahharre*, le *Loucheuffé*, etc., des provinces de l'Egypte non concédées, ne seront plus connus, à partir de l'an 1214 de l'hégire, que sous la dénomination générique de *contributions générales en argent*.

V. Le GÉNÉRAL EN CHEF déterminera, chaque année, en raison de la crue du Nil, le cas d'une inondation, et du produit des terres, la somme à laquelle la contribution générale en argent devra être portée.

VI. Immédiatement après la fixation de la contribution générale en argent l'intendant général copie présentera à l'approbation du Général en Chef, la répartition, ainsi qu'il conviendra d'adopter dans les provinces, afin qu'elle soit jugée sans concurrence de réduction, et [illegible] de la totalité de chacune d'elles et des districts dont elles payeront ensuite.

شكل رقم (٧٨)

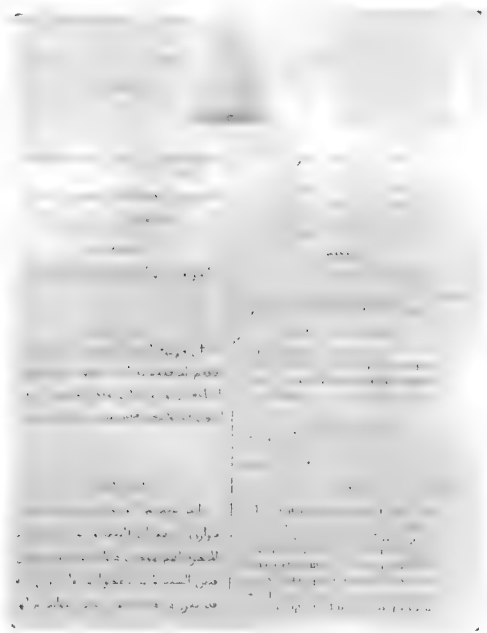

شكل رقم (٧٩)

سكل رقم (٨٠)

LE GÉNÉRAL DE DIVISION
BELLIARD,

Commandant le Kaire et les Troupes de l'Arrondissement,

Aux Habitans du Kaire, de toutes les Religions.

Par la volonté de Dieu tout puissant, la paix vient de se conclure entre les armées [illegible] [illegible] par cet arrangement vos personnes, vos [illegible] et vos propriétés ne cesseront d'être respectées : [illegible] en premier l'engagement [illegible], comme vous pouvez en juger par les deux articles du traité de paix transcrits ci-après.

ART. XII.

Tout habitant de l'Egypte, de quelque » nation qu'il soit, qui voudra suivre l'armée » française, sera libre de le faire, sans qu'après » son départ sa famille soit inquiétée ni ses » biens confisqués. »

ART. XIII.

» Aucun habitant de l'Egypte, de quelque » religion qu'il soit, ne pourra être inquiété » ni dans sa personne, ni dans ses biens, pour » les liaisons qu'il aurait eues avec les Fran- » çais pendant leur occupation de l'Egypte, » pourvu qu'ils se conforment aux loix du » pays. »

Habitans du Kaire et de l'Egypte, de toutes les religions, vous avez vu que jusqu'au dernier moment les Français n'ont cessé de veiller à votre repos et à votre sûreté : montrez-vous dignes de tout ce que nous avons fait pour vous, en ne vous écartant pas de la bonne voie ; songez toujours que Dieu est puissant, que c'est lui qui dirige toutes choses.

Le Général de Division,

Signé BELLIARD.

A LA CITADELLE DU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨١)

CONVENTION

POUR

L'ÉVACUATION DE L'ÉGYPTE

PAR LE CORPS DE TROUPES

DE L'ARMÉE FRANÇAISE ET AUXILIAIRES

AUX ORDRES

DU GÉNÉRAL DE DIVISION BELLIARD,

Conclue entre les Citoyens DONZELOT, *Général de Brigade;* MORAND, *Général de Brigade;* TARLYRE, *Chef de Brigade, de la part du Général de Division* BELLIARD;

Et Monsieur le Général de Brigade HOPE, *de la part de son Excellence le Général en Chef de l'armée anglaise;* OSMAN *Bey, de la part de son Altesse le suprême Pilar;* et ISAAQ *Bey, de la part de son Altesse le Capitan* PACHA.

Les commissaires ci-dessus nommés s'étant réunis dans un lieu de conférence entre les deux armées [illegible] de leurs pouvoirs respectifs, sont convenus des articles [illegible]

ART. I. Les corps de l'armée française [illegible], les troupes auxiliaires, aux ordres du général de division [illegible], évacueront la ville du Kaire, la citadelle, [illegible] et toute la partie de l'Égypte qu'ils occupent [illegible].

II. Les corps de l'armée française et les troupes auxiliaires se retireront par terre à Rosette, en suivant la rive [illegible] Nil, avec armes, bagages, artillerie de campagne, [illegible] et munitions, pour y être embarqués et de là être transportés dans les ports français de la méditerranée, avec leurs armes, artillerie, [illegible], munitions, bagages, effets, aux frais des puissances [illegible]. Le embarquement desdits corps de troupes [illegible] et auxiliaires [illegible] faire aussitôt qu'il sera possible de l'effectuer, [illegible] dans cinquante jours, à dater de la ratification de la présente Convention. Il est d'ailleurs convenu que [illegible] transportés dans le dits ports du continent [illegible] plus prompte et la plus directe.

شكل رقم (٨٢)

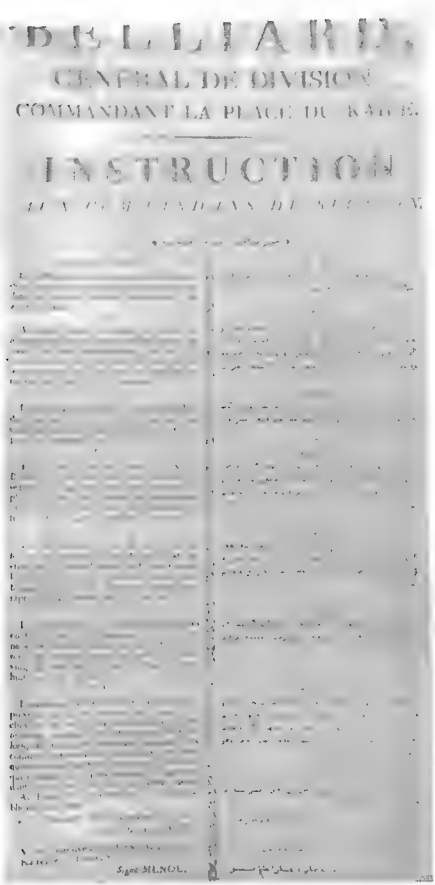
BELLIARD,
GENERAL DE DIVISION
COMMANDANT LA PLACE DU CAIRE.
INSTRUCTION

شكل رقم (٨٣)

الحرب — التسوية

في مقر المعسكر العام بمصر للقائد في عابدين وحضرات ضباط من أعضاء القطعة من قيام سيادة صهر الجنرال وأحد ولاة بعدهم

صدر هذا الأمر اليومي
من حضرة عبد الله جاك منو سر عسكر عام
وأمير جيوش
الجمهور الفرنساوي بالشرق

ولما وصلنا على أحسن الرأي والتدبير الى القصر العيني وتحويره حينما صرنا في وسط الرتاب بعيد أن انتابنا الى أعلى الرتابات هذا من الجيوش وقد قربنا يا بلاد بيانه للقائد الكبير و كل عائلة أو فسيلة من الى وجب كانت صبي عسكر جيوش الفرنساوية وبين سياسة توسط الرتابات الشريفة فاضطرنا حالتئذ معها إذا وبوقتها يتعذيها أيضاً ليسلم ان كانوا مصريها الذين من هذه المثلث.

للقائد الثانية و ان كان تدبير العسكر يوسلهم في أقوم الطريق الى متوقع غير من أي بلدة كانت عوضت بها عامر فرنساوية صدور العسكر للعسكر بقصد من مسألك المهمة وذلك يكون من نحو مصبي مصر للأمور.

للقائد الثالثة و ان كان العسكر للقائد و يوز على أعدائنا أو غير موضع بأمين جهم عامر فرنساوية فتحيط وتصيرنا مراقبهم للجزيرة بمكمل الى بعده.

للقائد الرابعة و حضرة كاسكو للقائد سيأتيهم أن يعينوا وأهله ويتحملوا بشر منه أربعة بفصل الشدة ما يوجب الى العسكر يكون صحيحاً له في أسعاف قسطاً بحسبه وتسهيل بين أكثر همم أمره.

للقائد الخامسة و ذلك الرتبة يوز سيأتي على الأعداء وجده له لتعيين جميع الأدلة الثلاثة للعسكر ذلك الوجه الذي تكون صغيرة وعدده بعد كوسك. و إن أحسن من تلقاه ومعداتك الى الشجاع فإنها في الوقت والوجوه الى صغير العام للمصريين فيتبدل يكون تدريك من الجهاد من البسالة الذين جميعاً للطريق منه.

للقائد السادسة و يقرضهاك للمصريين تكون اولياءنا وفي مسمى يأتي أحدا وجميع أمر مصر المصير وتحصيل وليها أحد الجيوشك لهذه الذي وجب أن يرسلها الى صور العام للمصريين وذلك حين يزيده على عدل مقصوده الوسيل مما يتعلقها مع الرسمات المقررة من أهل البلاد حسبي تمام مؤجورهم.

للقائد السادسة و ان كانوا كوسمارية القرية بعلها مع شيوخ تقديم الأهمام لتلك العاصل معه الرئيسيل المكون وتلبية بين العلم الأشخص من الذي أعضاء واحدة تكون تبع أعضاء الجيوشك ابن جبرائل أدبوى أما في الى الرتابات الرسمات المقررة تكتب معنى كما ذكر وترسل الى مصدر العام المنصوب فسلام التقدير في كل رجعه من عدد العسكرية الجيوش أولى أيهم الزراد الزوال وغير ذلك أسم البلاد وولايتها وكذا أجمالي الجيوش أعدادهم.

للقائد الثامنة و هذا البلاد يوزيا الرسمات بيرتبها سنين سياسهم مقدس أدنيا للقرية سهم تكون بـ أرضا سم وبه مصر العام للمصريين.

للقائد التاسعة و كل العسكر الى المقررة البلاد دون مصحفه العسكر للعدد وظرف وذلك للقديم للعدد لزمه أيهم وذلك لذا يوز أيهم خراد بأرباء عن عامر الجزير مقبل الحمى لزمه عدد وأكثر بحسن الرتبة مدين في ذلك أدنيا سخي أيهم عن أوزس الدراز. والوصل أمير العسكر للذي

للقائد العاشرة و الوصول الى رتبة توصيلات الرتابات وظرفه وحكم يوجد أمر رتبة وذلك للعسكر بالرياسة والنصر العام للمصريين ما أيهم وقل. كل واحد منهم على حدة يرسم أجراء هذا العسكر الذي بمصر مطروحاً بعدد كل العدد ال أجراد سيسبب الى الرجمية توصيلات عسكر للقائد

للقائد الحادية عشر و للذي العام للمصريين يتحوّل و الى مأمن العربي هذا العسكر الذي يوسل معاونتنا ، و كل الرتابات لحوزك كا يحبس لسكنها من تصريفها

حاكم البلاد
عبد الله جاك عسكر

ORDRE DU JOUR

DU 3 VENTOSE AN IX.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE

شكل رقم (٨٥)

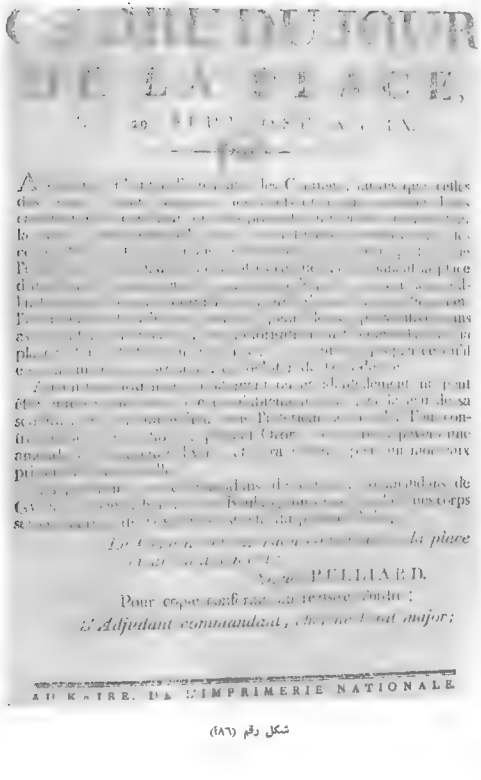

شكل رقم (١٨٦)

الجمهورية الفرنساوية

نسخة ورقة

هذه ورقة ترتيب الاوامر اليومية

للسلطنة الاحكام العسكرية

صدرت بمصر القاهرة في ٢٠ شهر [illegible] سنة ٨

انه من حين يوم تاريخه كامل العساكر
عدا حاميين جمهور العسكر لابد عن قتلهما
فسوارى الآن [illegible] اصحاب العساكر
المعدة لهم [illegible] يقتضى أن يعرس على
قلعة البلد لمضى عليه واصحاب هذه
العساكر مباح لهم ان يبيعوا كما هو المأكل
والقهوة ايضا ولكن [illegible] باعتبار كل [illegible]
به لا يباح لهم ان يبيعوا عرقي لم ان
اصحاب [illegible] التي [illegible] فيها
بالكمك وكذلك القهاوى التي حول
بركة الازبكية بمصر، كما كانوا فيها حتى
الى انهم يتعاطون بلعب الكمك وبالقماش
القهاوى حتى الى الساعة عشرة من الليل
واما مثل [illegible] الموجودة داخل البلد
لا يباح لهم بهذا الامر ما لم يصرح لهم
من جديد الآن [illegible] من قسم البلد
وقد [illegible] التصريح على الفرنساويين المذكورين
ان يبيعوا عرقي ما لم يباح لهم بذلك
[illegible]

وكل من يوجد من الآن فصاعدا من
افراد الرعية لا [illegible] من دون فعل
[illegible] عليه ولا ينبغى في محل
من المحلات التي داخل البلد وكل من
يصادف ام يعارض اجراء هذه الاوامر يقبض
عليه القبض ويدفع جريمة [illegible] فرنك
[illegible] ١٠٠٠ ويرفع الى حبس القلعة
مدة شهر زمان

والجنراليه وحكام الخطوط والحكام الذين في
الجيزة ومصر القديمة وبولاق ورؤس أرطة
العسكر يهتمون باجراء هذه الاوامر على
التدقيق ٭

مضى الجنرال [illegible] جنرال معرفة [illegible]
[illegible] وما يلى المنصوره ٭

على موجب [illegible] النسخة الأصلية
المحررة بمثل الاوامر ٭

مضى [illegible] المساعد قهقامية [illegible]
البلد [illegible] ٭

د طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ٭

شكل رقم (٨٦ب)

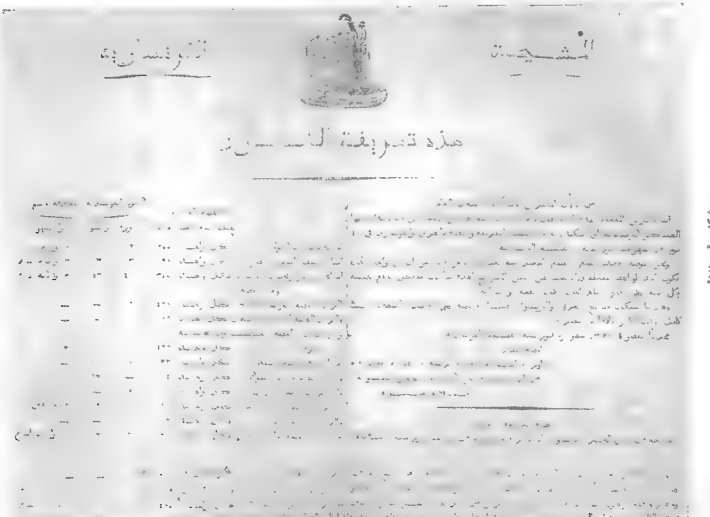

شكل رقم (١٨٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

TARIF
DES MONNAIES.

Le Comité d'Administration ordonne l'exécution du présent Tarif, qui sera imprimé au nombre de mille exemplaires, en français, publié et affiché dans toutes les villes principales de l'Égypte.

Au Kaire, le an thermidor an 6.

Signés, les Membres du Comité Administratif,

DAURE, ESTEVE, LE ROY, REYNIER, BELLIARD, COMTE.

Approuvé par le Général en Chef,

Signé MENOU.

COPIE DU TARIF

Arrêté à Alexandrie le 19 messidor an 6.

« Il a été convenu entre les Citoyens SUCY, Commissaire Ordonnateur en Chef; BERTHOLLET et MONGE, Membres de l'Institut national de France; POUSIELGUE, Contrôleur des dépenses de l'Armée; ESTEVE, Payeur général; MAGALON, Colonel général à Armanville, Commissaire nommés par le GÉNÉRAL EN CHEF, et EL-HADJ HAMED ABOU-EL-HOUD, Marchand; HADJ ABD EL-OUAHAB EL-HADOUD CHOUBKI et ALY TOUBERGY EL-HAOUI, Marchand, tous trois établis à Alexandrie, que les monnaies turques et autres monnaies étrangères, auront cours suivant le tarif ci-après, qui sera en conséquence imprimé tant en arabe qu'en français, et affiché dans tous les endroits et espaces pour le cours duquel il

شكل رقم (٨٧ب)

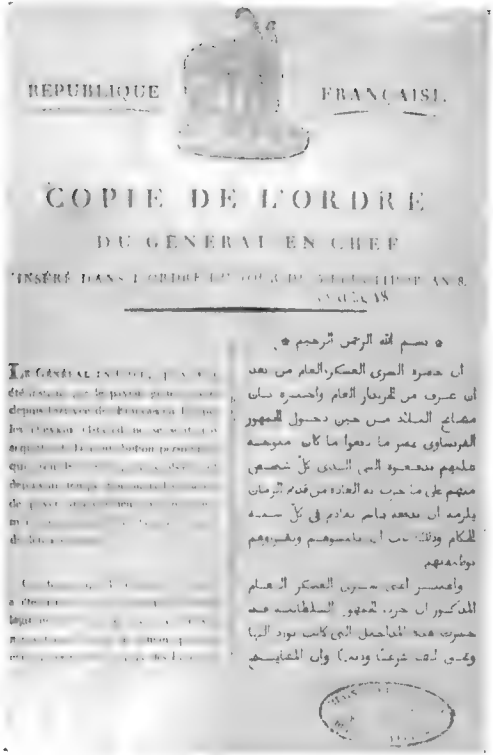

REPUBLIQUE FRANÇAISE.

COPIE DE L'ORDRE

DU GENERAL EN CHEF

INSÉRÉ DANS L'ORDRE [illegible] AN 8.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

ان حضرة السرى العسكر العام من بعد
ان عرف من الجربدار العام واخبره بان
مصالح البلاد من حين دخول الجمهور
الفرنساوى بمصر ما دفعوا ما كان متوجه
عليهم بدفعوه الى الذى كل شخص
منهم على ما جرت به العادة من قديم الزمان
يلزمه ان يدفعه باسم تقادم فى كل سنة
للحكام وذلك بان يلبسوهم ويقرروهم
بوظيفتهم

واعتبر اعنى سرى العسكر العام
المذكور ان حرب الجمهور السلطانية قد
حصرت هذه المداخيل التى كانت تورد اليها
وتحق لها شرعا ودينا وان المصالح

شكل رقم (٨٨)

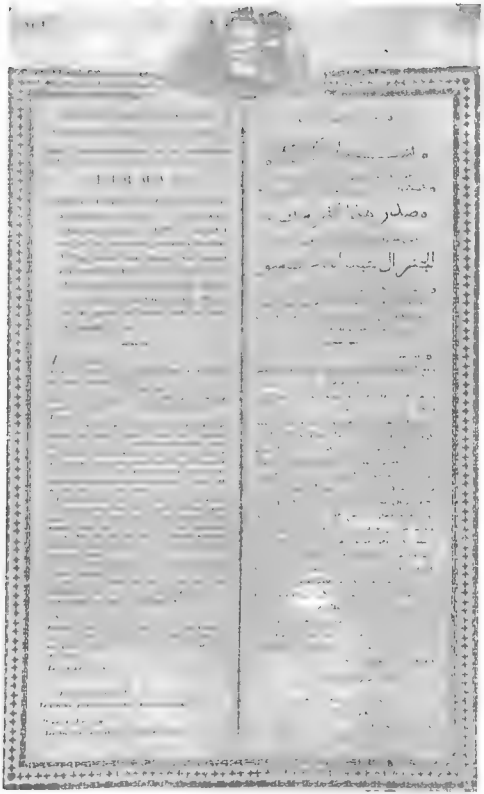

شكل رقم (٨٩)

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 16 fructidor an 8.

* امر لترتيب دواوين الجمرك تحريرًا في ١٦ شهر فروكتيدور سنة ٨ للمشيخة الفرنساوية *

LE Général en Chef, considérant combien il est important d'établir d'une manière uniforme et invariable les droits que doivent payer au trésor public les productions et marchandises importées en Egypte, ou exportées de ce pays à l'étranger;

Considérant aussi qu'ils ne peut être trop pris de mesures pour raviver le commerce, et donner toute sûreté et protection aux négocians de tous les pays;

Considérant encore que les Egyptiens, devenus Français, doivent trouver dans leurs relations commerciales la même bienveillance, les mêmes encouragemens que les Français eux-mêmes, ordonne ce qui suit:

Ordre sur les douanes, du 16 fructidor.

حضرة صاري عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه نظرًا الى الامور الضروريه واللازمه ان العوايد المطلوبه الى الخزنه على البضايع الداخله في اقطار مصر وعلى البضايع الخارجه من الاقطار المصريه المتوجهه الى غير بلاد يكونوا مترتبين ترتيب واحد فقط من غير تغيير دايمًا

ايضًا نظرًا الى التدبير اللازم لاجل قوام المتجر ولاجل الامان والاطمان الى الخسار من جميع الجنوس *

وايضًا نظرًا ان اهل اقطار مصر الذين صاروا فرنساويه لازم ان كامل متاجرهم تكون بالانجرام والمساعده كمثل الفرنساويه ذاتهم يامر كما هو مشروح ادناه *

A

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 24 fructidor an 8.

---

* أمر من حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٣٠ شهر فروكتيدور سنة ٨ من المشيخه الفرنساويه *

LE Général en Chef, voulant remédier aux abus qui se commettent dans le recouvrement de plusieurs droits sur les consommations intérieures de l'Egypte ;

Considérant qu'il ne peut être trop pris de mesures, soit pour réprimer tout ce qui, sans bénéfice pour la République, accable le peuple, soit pour imprimer une marche régulière à l'administration des revenus publics en Egypte, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Une partie des droits existant en Egypte sur la consommation ou l'industrie, et perçus jusqu'à aujourd'hui, sera abolie à dater du 1.er vendémiaire an 9.

La forme de perception des *hhamleh*, ou droits sur les marchés des villes ou

حضرة صارى عسكر الكبير لاجل دوا فى الظلم الذى صاير فى قبض العوايد على الماونة فى قلب الديار المصريه

ونظرًا ان من اللوازم قوى التدبير لاجل منع جميع الذى من غير نفع الى الجمهور ويثقل على الرعايا ولاجل ترتيب مساوى فى مدخول الاموال فى الديار المصريه يامر كما هو ادناه

الشرط الاول ٥ بعض من العوايد الموجودين بالديار المصريه على الماونة ومن الشطارة المقبوضين على حد تاريخه من ابتدى اول شهر وندميهر سنه ٨ يكونوا بطالين

وقبض الحمل فى الارياف والبنادر يتغيروا من ابتدى التاريخ المذكور

Ordre du jour du 24 fructidor, sur l'Octroi.

شكل رقم (٩١)

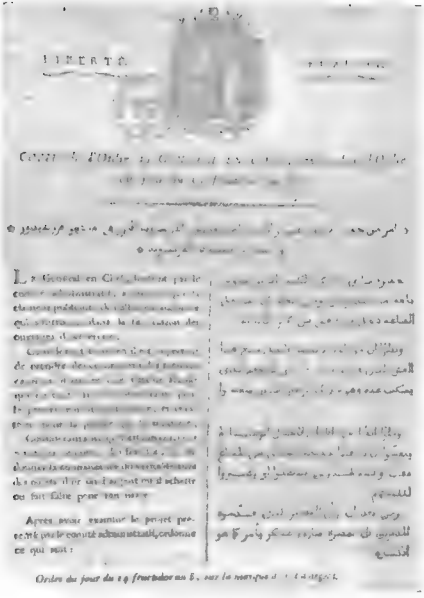

LIBERTÉ

Après avoir examiné le projet présenté par le comité administratif, ordonne ce qui suit :

Ordre du jour du 14 fructidor an 5, sur la marque [illegible]

شكل رقم (٩٢)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 20 fructidor an 8.

* امر من حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية المحرر فى مصر فرنكتندور *
* سنة ٨ من المشيخة الفرنساوية *

Le Général en Chef, voulant établir la plus grande liberté dans le commerce, et laisser un libre cours à l'industrie des habitans ;

Considérant aussi que plusieurs familles ont été ruinées par le privilège exclusif qui avait été accordé l'année dernière, pour la fabrication des eaux-de-vie ;

Voulant aussi empêcher qu'il ne se commette des abus dans cette fabrication, en y employant des matières nuisibles à la santé, ordonne ce qui suit :

Art. 1er. Les droits existant actuellement en Egypte sur l'eau-de-vie, ou sur les matières servant à sa fabrication, cesseront tout d'être perçus à

حضرة صارى عسكر الكبير طالب ترتيب الحرية فى المصر وطالب ان جميع اهل الديار المصرية يكونوا خالصين فى نظاراتهم

ونظرا ان بعض عيال انكسروا بسبب الكلام الذى كان ترتيب عام اول على خروج العرق

وطالب ايضا ان جميع الغالب الذى يصير فى خروج العرق بسبب ان يدخلوا فيه فى باقى الاوقات والمدرسة ولا يحصل ذلك بامر كما هو مشروح اتخاذ

الشرط الاول ان الفوائد الموجودة الان فى الديار المصرية على العرق وعلى الاصناف الذين يخرج منهم العرق يكونوا من ابتدى

Ordre du jour du 20 fructidor an 8, sur les fabrications des eaux-de-vie.

شكل رقم (٩٣)

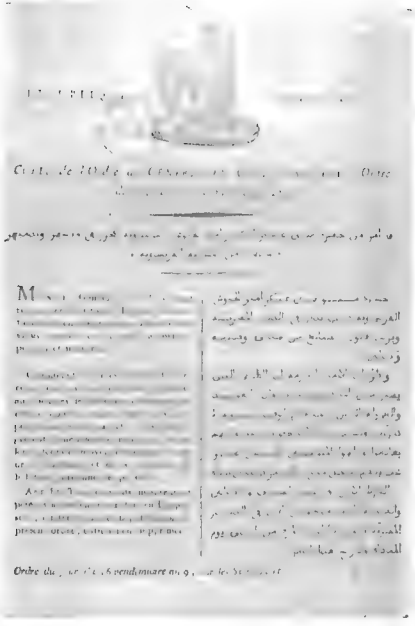

شكل رقم (٩٤)

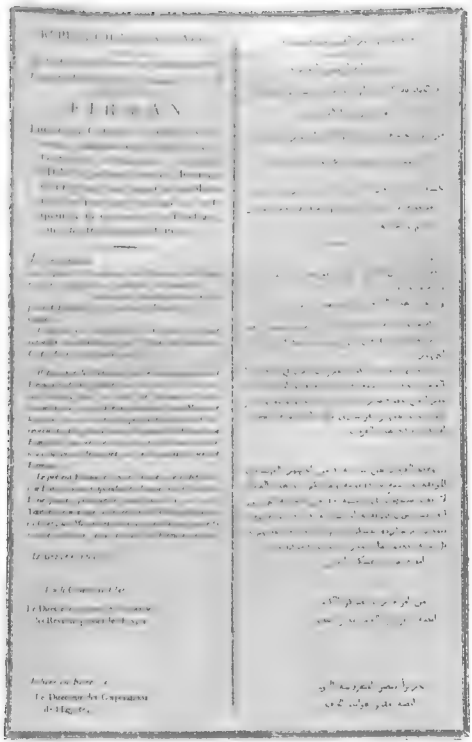

شکل رقم (۹۵)

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.

★ امر من حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر وندمير سنة ٩ من الجمعية الفرنساويه ★

MENOU, général en chef, voulant, d'après les principes de justice distributive, qui doivent faire la base de tout bon gouvernement, que l'imposition soit supportée en partie, par toutes les nations qui établies en Egypte ont droit à la protection des loix, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Les nations copte, syrienne et damasquine, grecque, juive, et tous les individus qui, quelque de différentes nations européennes, forment en Egypte un corps connu sous le nom de *francs*, seront annuellement soumises, à dater du 1.er vendémiaire an 9, à une imposition personnelle, dans la proportion suivante ; SAVOIA :

La nation copte, comprenant tous

حضرة مينو صارى عسكر امير الجيوش على موجب العدل الذى هو اساس الحكم الطيب يطلب ان العوايد والاموال يكونوا على جميع الجنس القاطنين بالديار المصريه لان كلهم لهم حق فى الحكم وبسبب ذلك يامر كما هو مشروح ادناه

الشرط الاول ، طايفة الاقباط واهل بر الشام والشوام والاروام واليهود وجميع الانفار الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى الديار المصريه بطايفة الافرنج يكونوا سنوى ملزومين من ابتدا اول شهر وندمير سنة ٩ بدفع اموال خصوصيه وذلك بقدر الماين ادناه

طايفة الاقباط ومن داخل هذه الطايفه

Ordre du jour sur les Impositions des nations Copte, etc. A

شكل رقم (٩٦)

LIBERTE. EGALITE.

COPIE de l'Ordre du GENERAL EN CHEF, inseré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.

١٤ - ١٨٠٠

امر من حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية المحرر فى ٢٠ شهر ونديميهر سنة ٩ من المشيخة الفرنساوية

حضرة مسيو صارى عسكر الكبير نظرًا ان العوايد والاموال لازم ان يكونوا مفروضين على جميع اهل الديار المصريه وذلك بموجب مقدرتهم

ونظرًا ايضًا ان الى وقت تاريخه الصنايعيه والمتسببين من البلاد الكبار والتنادر بالديار المصريه لم دخلوا بقدر مقدرتهم فى دفع الاموال المطلوبه والمرتبه تحت المصاريف العموميه وهولاء الصنايعيه والمتسببين تحت منفعة الحكم والى وقت تاريخه عملوا شغلهم وسبيهم ومتجرهم بكل راحه وامان واطمان

ونظرًا ايضًا ان من الامور اللازمه ان الفلاحين واهالى البلاد والارياف يكونوا

ENOU, GENERAL EN CHEF, considerant que l'appui doit être, autant que possible, réparti entre tous les habitans de l'Egypte, conformément à leurs facultés,

Que jusqu'à présent les artisans, ouvriers et marchands des principales villes de l'Egypte n'ont pas encore contribué selon leurs moyens au paiement des impositions établies pour subvenir aux dépenses publiques; que cependant ces artisans, ouvriers et marchands jouissent d'une telle protection des lois qui les mettent à même de faire leurs affaires et commerce, avec toute sureté et liberté,

Considérant qu'il est instant de ne plus accabler les cultivateurs et habi-

Ordre sur les droits des corporations, du 20 vendémiaire. A

شكل رقم (٩٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au nom de DIEU clément et miséricordieux.

Il n'y a pas d'autre Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

les prières et les saluts lui soient adressés.

PROCLAMATION

Du GÉNÉRAL EN CHEF MENOU, *Commandant actuel de l'Egypte, adressée à tous les Habitans du Royaume et des provinces.*

Nous vous faisons savoir que nous nous occupons continuellement de votre bien, et de vous donner des preuves de notre amour. Pour cela nous avions diminué bien à l'ancien droit que vous payiez, et maintenant nous les avons tous abolis. Nous avons établi de nouveaux que vous devez payer. Nous vous avons que vous n'aurez plus rien à payer aux Anglais ni aux autres Commandans qui avaient des droits, et nous vous ordonnons expressément de ne plus rien leur payer. Vous ne paierez seulement les nouveaux droits que j'ai établis, et aucun autre qui seront portés dans nos ordres. Nous vous avions encore ordonné de vous soumettre à chaque fois que vous payerez plus que vous ne payiez, de ne pas les craindre, parce que c'est l'envie et la rage qui les font naître et parler ainsi, et à dire même davantage.

Au Kaire, le sixième jour du mois de vendémiaire an 9 de la République Française.

LE GÉNÉRAL EN CHEF,
Signé MENOU.

Pour copie conforme.

Le Directeur général et comptable des revenus publics,

Signé ESTEVE.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من منعم الله بالك منصور الناعم الكبير مصر
حالا مخلاها وامين الى جميع اهالى مصر وولايها

تعلمكم الله يارب ومن معظمين معتمكم واطماع للعروف
مكم على الذى لك يوجد منكم من العوايد فمنها خففناه
مكم والغاء لجلنا العوايد المنبعه وجددنا عوايد غير الذى
مكم معلكم بلكم لم تعطوا والذنا ولك لسابر الشام الرباب
العوايد الذى كنتم معتادين تعطوا لهم حوايد عند سفر لسرنا
اليكم لن لاتعطوا لهم شيا وتعطوا العوايد الجديده الى
العرسايه وغيرهم الذى يعتمم غراماتكم وعلتكم ايضا لن
لن يتعتم من لمحلا بقبل ما رقم تعطوا حوايد اكثر من
ذلك بل تعتبرهم لانى من المحمد والفوز وعليكم تحذرهم ذلك

حرر فى اليوم السادس من شهر وندمايير السنه التاسعه من
افادة جمهور العرساوية الفرانس فى اليوم التاسع من شهر جمادى
الاول سنة ١٢١٦ الهجريه

مارره عسكر الكبير حالا
محمد الله حالك سنتيو
مرة صحيحه بالعطف الواضحة

لسنتيو حزادار ومحرر جمهور العام حالا

شكل رقم (٩٨)

7 Nov. 1800

A Roire, le 16 brumaire an 9.

MENOU,

GENERAL EN CHEF.

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله خاك منو

سر عسكر عام امير الجيش نايبه الجمهور الفرنساوية بر مصر والشرق

LE GÉNÉRAL EN CHEF apprend que [illegible] établis en Egypte [illegible] les habitans.

[illegible] que [illegible] dans [illegible] ceux qui [illegible] qui [illegible] jugés comme [illegible]

[illegible]

Signé MENOU

[illegible]

Le Directeur général et comptable [illegible]

Signé ESTEVE

ان سر عسكر العام بلغه خبران بعض من المحصلين للتكاليف المامورة قانونا بارض مصر يطلبوا من مستدعيها اكثر ما امر بها الشرع والقانون وان هولاى الاسرة ايضا يطلبوا اهالى البلدان

فلذلك ابين لهم حالا ان جميعا هم طالبين شيئا موجب الشرع والقانون [illegible] هم محمدين بكل وجه [illegible] اليوم كل من من المحصلين يستدعى على اقل ما يكون اكثر من ما يستحق لهم من المستدعين به قانونا وفى الحال هو ماخوذ وممسوك ومستقدم قدام المحكمة لاجراء الحكم عليه كما يجرى على الاسرار

وسر عسكره وبالجملة الحكام والامرا والولايات وبمدابن بر مصر وكذلك مدير العام المستحقين عوايد الجمهور فهم بالجملة مامورين منا باجراء هذا الامر الذى يكون مطبوعا ولاعلانه مشاعا بالمساجد ٥

امضه سر عسكر العام

عبد الله خاك منو ٥

صورة مترجمة صحيحة ٥

الجريدار العام مدير الحدود

محمد [illegible] ٥

شكل رقم (٩٩)

REPUBLIQUE FRANÇAISE.

COPIE de l'Ordre du GENERAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 8 nivôse an 9.

• امر من حضرة صاري عسكر الكمبر امير الجيوش الفرنساوية البرزق ، شهر نيوزيه • سنة ، من المسجد الفرنساوية •

[illegible]

ان سر عسكر العام مستوضحًا بزيادة عن
عشيات كافة مشايخ البلاد من كل جوانب
مصر الذين استقبلوا بدفع الرسم السنوي
المرسوم عليهم [illegible] حضرة السر
عسكر [illegible] جهاده جديدا
من مكروه [illegible] واحسن
اليهم [illegible] وتسليم
دراهم الرسم [illegible] وبناء على ذلك ان
كل المعرفات [illegible] هم مقدمون للاداء
المذكور لم يبق يبتدوا الا من اول شهر
بلوبوز الاتي بهذه السنة التاسعة الموافق
الى سنة من شهر رمضان الشريف سنة خمسة
عشر ومايتين والف من الهجرة النبوية

Ordre du jour du 8 nivôse an 9, sur les Cheykhs [illegible].

شكل رقم (١٠٠)

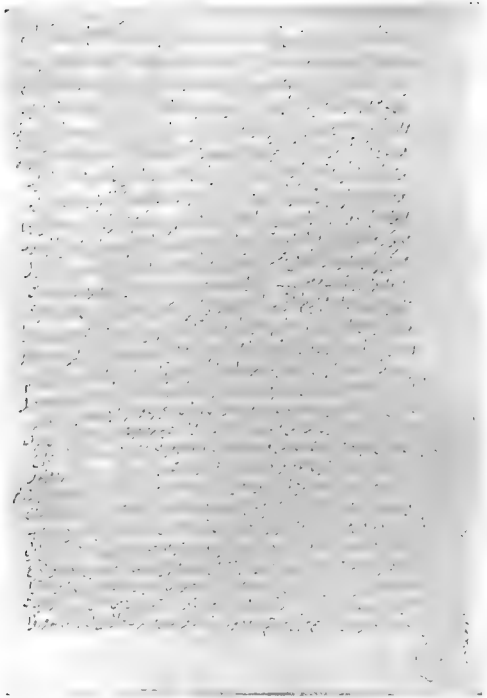

شکل رقم (۱۰۱)

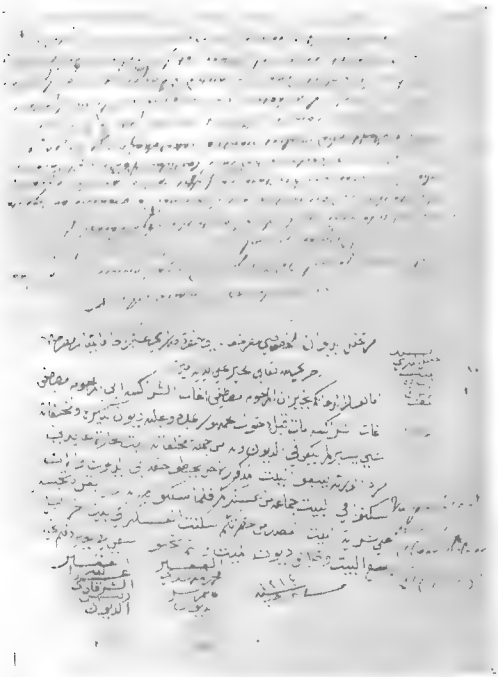

شكل رقم (١٠٢)

شكل رقم (١٠٣)

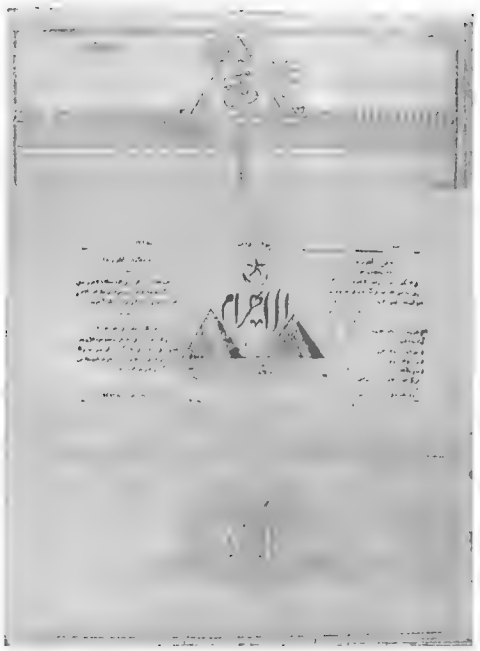

شكل رقم (١٠٤)

أهم مصادر البحث

● أولا : مراجع أصيلة من عهد الحملة الفرنسية

(١) المنشـــورات العربية والفرنسية ومزدوجة اللغة ، المطبوعة ، التي أصدرتهـا سلطات الحملة للمصريين وغيرهم .

(٢) المنشورات العربية الخطية التي أصدرتها سلطات الحملة للمصريين .

(٣) الأصول الخطيه لعدد كبير من المنشورات العربية والفرنسية .

(٤) القرارات والاوامر اليومية المطبوعة التي أصدرتها سلطات الحملة بالفرنسية لجنودها .

(٥) التقارير والتقاويم السنوية التي أخرجتها مطابع الحملة بالفرنسية والعربية .

(٦) الكتب والكتيبات التي أخرجتها مطابع الحملة بالعربيه والتركية والفرنسية والايطالية .

(٧) مكاتبات ورسائل مختلفة موجهة من المصريين الى سلطات الحملة .

وهذه المراجع التي كانت المادة الاساسية للبحث، والتي الحق عـــدد كبـــير من من صورها بالكتاب ، محفوظة بالجهات الآتية :

١ ــ دار الكتب المصرية ــ القاهرة

٢ ــ دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

٣ ــ دار الوثائق القومية ــ باريس

٤ ــ قسم الوثائق التاريخية بادارة المحفوظات التابعة لوزارة الحربية الفرنسية ــ باريس .

٥ ــ متحف الجيش ــ باريس

٦ ــ المكتبة القومية ــ باريس

٧ ــ مكتبة المتحف البريطاني ــ لندن

● ثانيا : المراجع العربية

١ ــ كتب عربية ومعربة

ــ ابراهيم عبده (الدكتور) : **تاريخ الطباعة والصحافة في مصر ، خلال الحملة الفرنسية** ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

ــــــ **تاريخ الوقائع المصرية** (١٨٢٨ ــ ١٨٤٢)، القاهرة ، ١٩٤٦ .

ــــــ **تطور الصحافة المصرية** ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

ـ أحمد حافظ عوض : فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ .

ـ أحمد حسين الصاوى (الدكتور) : طباعة الصحف واخراجها ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

ـ أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

ـ أحمد مختار عمر (الدكتور) : تاريخ اللغة العربية فى مصر ، القاهرة ، ١٩٧٠

ـ اميل يواكان : تاريخ الصحافة ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة « الألف كتاب » رقم ١١٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ـ جاك تاجر : حركة الترجمة بمصر ، خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

ـ جمال الدين الشيال (الدكتور) : تاريخ الترجمة فى مصر ، فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

ـ جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

ـ حسن ابراهيم (الدكتور) : تاريخ الاسلام السياسى ، والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الثانى : العصر العباسى الاول ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

ـ حسين مؤنس (الدكتور) : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

ـ خليل شيبوب : عبد الرحمن الجبرتى ، سلسلة «اقرأ» رقم ٧٠ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

ـ خليل صابات (الدكتور) : تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨

ـ عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .

ـــــ مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، جزءان ، بتحقيق : أحمد رفعت عطية ـ عبدالمنعم عامر ـ محمد فهمى عبدالطيف ـ حنفى عامر ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ـ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم فى مصر : الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٩ ـ الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

عبد الجواد محمد الشناوى (الدكتور) : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ، ابان الحكم العثمانى ، من ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (١٩٦٩) ، القاهرة ، ١٩٧١ .

ـــــ صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر ، فى أواخر القرن الثامن عشر ، من ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، سلسلة « أعلام العرب » رقم ٦٧ . القاهرة ، ١٩٦٧ .

ـ فيليب دى طرازى (الفيكونت) : تاريخ الصحافة العربية ، ٤ أجزاء ، طبعة مصورة ، بغداد ، ١٩٧١ (صدر الجزءان الأول والثانى عام ١٩١٣ ، والثالث عام ١٩١٤ ، والرابع ١٩٣٣) .

ـ لويس عوض (الدكتور) : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، جزءان ، سلسلة « كتاب الهلال » ، العددان ٢١٥ ، ٢١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

ـ محمد شفيق غربال : الجنرال يعقوب والقديس لاسكاريس ، ومشروع استقلال مصر ١٨٠١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

ـ محمد فؤاد شكرى (الدكتور) : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ـ بناء دولة ، مصر محمد على (بالاشتراك مع : عبد المقصود العناني وسيد محمد خليل) ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

ـ عبد الله جاك منو ، وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

ـ محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر : الجزء الاول ، عبد الرحمن الجبرتى ـ الحياة الفكرية والاجتماعية ، الجزء الثانى أيام المماليك ـ الأزهر والعلماء الجزء الثالث ، شعب مصر وكفاحه ـ صفحات من سيرة محمد على ، القاهرة ، ١٩٥٧

ـ نقولا الترك : ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية (نشره وترجمه الى الفرنسية اينيه ديجرانج) ، باريس ، ١٨٣٩ .

ـ مذكرات نقولا الترك (نشره وترجمه الى الفرنسية جاستون فييت) ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

ـ هيرولد ، ج . كريستوفر : بونابرت فى مصر ، ترجمه عن الانجليزية فؤاد أندراوس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٢ ـ مخطوطات

ـ اسماعيل الخشاب : تاريخ حوادث وقعت فى مصر منذ سنة ١١٢٠ (هـ) الى دخول الفرنسيس ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية .

ـ محمد بن يوسف جوريجى جمليان صائم : منشورات قائد الفرنساويين فى مصر أثناء الحملة الفرنساوية ، دار الكتب المصرية .

٣ ـ مقالات

توفيق اسكاروس : « تاريخ الطباعة فى وادى النيل » ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرون ، نوفمبر وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤ .

قسطنطين الباشا ، الخوري : «ترجمة الأب روفائيل زخوره» ، المجلة البطريركية السنتان السابعة والثامنة ، ١٩٣٢ .

٤ ـ دوريات

الوقائع المصرية ، من عام ١٨٢٨ الى عام ١٨٤٢ .

● ثالثا : المراجع غير العربية

١ ـ كتب

— Bainville, M. Jacques : **Bonaparte en Egypte**, Paris, 1936.
———, **L'Expédition Française en Egypte** (Précis de l'Histoire d'Egypte, t. III), Le Caire, 1933.

— Bertrand (Général) : Campagne d'Egypte et de Syrie (1798-99). Mémoires pour servir à l'Histoire de Napoléon dictés par lui-même à Sainte-Hélène, Paris, 1847.

— Bourrienne, L.A., Fauvelet de : **Mémoires sur Napoléon** (1795-1814), t. II, Paris, 1828-30.

— Charles-Roux, François : **Bonaparte Gouverneur d'Egypte**, Paris, 1936.
———, **Les Origines de l'Expédition d'Egypte**, Paris, 1910.

— Chauvin, Victor : **La Légende Egyptienne de Bonaparte**, Mons, 1902.

— Cherfils, Christian : **Bonaparte et l'Islam**, d'après les Documents Français et Arabes, Paris, 1914.

— Desgenettes, R. : **Histoire Médicale de l'Armée d'Orient**, Paris, 1902.
———, **Souvenir d'un Médecin de l'Expédition d'Egypte**, Paris, 1893.

— Elgood, P.G. (Lt. Colonel) : **Bonaparte's Adventure in Egypt**, London, 1936.

— Estève, le Comte : Mémoires sur les Finances de l'Egypte... (Dans : Description de l'Egypte, t. XII, pp. 4-248).

— Fleury, Le Comte : **Bonaparte en Egypte**, Souvenirs du Capitaine Thurman, publiés avec préface et appendices par le Comte Fleury, Paris, 1902.

— Galland, Antoine : **Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'Armée Française**, Paris, 1804.

— Guemard, G. : **Les Orientalistes de l'Armée d'Orient**, Paris, 1928.

— Herold, J. Christopher : **Bonaparte in Egypt**, New York, 1963.

— Homsy, Gaston : **Un Egyptien Colonel dans les Armées de Napoléon I**, Le Caire, 1929.
———, **Le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte en Egypte**, Marseille, 1921.

— Ivray, Jehan d' (Mme Fahmy Bey) : **Bonaparte et l'Egypte**, Paris, 1914.

— Lacroix, Désiré : **Bonaparte en Egypte**, Paris, 1899.

— La Jonquière, C. De : **L'Expédition d'Egypte (1798-1801)**, Paris, 1899-1907.

— Las Cases, Emmanuel (Comte de) : **Mémorial de Sainte-Hélène**, Paris, 1961.

— Ledré, Charles : **Histoire de la Presse**, Paris, 1958.

— Martin, P. : Histoire de l'Expédition Française en Egypte, Paris, 1815.

— Muniér, J. : **La Presse en Egypte (1799-1900)**, Le Caire, 1930.

— Périvier, A. : **Napoléon Journaliste**, Paris, 1918.

— Reynier, J. : **De l'Egypte après la Bataille d'Héliopolis**, Paris, 1802.

— Rigault, Georges : **Le Général Abdallah Menou et la Dernière Phase de l'Expédition d'Egypte (1799-1801)**, Paris, 1911.

— Rousseau, M.F. : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte**, Paris, 1900.

— Reybaud, L. et autres (Rédacteurs) : **L'Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte** (10 volumes), Paris, 1830-36.

— Reynier, G. : **Mémoires du Comte Reynier**, Campagne d'Egypte, 11e partie, Paris, 1827.

— Sibert, Peterson and Schramm : **Four Theories of the Press**, Urbana, Illinois, 1963.

— Spillmann, Général Georges : **Napoléon et l'Islam**, Paris, 1969.

— Turc Nicolas : **Chronique d'Egypte (1798-1804)**, édité et traduit par Gaston Wiet, Le Caire, 1950.

— Turk Nakoula el-: **Histoire de l'Expédition des Français en Egypte**, publié et traduit par Aimé Desgranges, Paris, 1839.

— Weill, Georges : Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934.

— Wiet, Gaston: **Deux Mémoires Inédits sur l'Expédition d'Egypte** (Journal de Grandjean et Journal du Lieutenant Laval), préface et annotés par G. Wiet, Le Caire, 1941.

٢ ــ بحوث ومقالات

— Bachatly, Charles : « Un Manuscrit autographe de Don Raphael », **Bull. de l'Institut Egyptien**, t. XIII, 1931.

———, « Un Membre Oriental du Premier Institut d'Egypte. Don Raphael », **Bull. de l'Institut d'Egypte**, t. XVII, 1934-35.

— Belin, M. : « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel », **Journal Asiatique**, 5e série, t. III, 1854.

— Bonola, F. : « Una Visita a Mohamed Ali nel 1822. La Stamperia et il Prima Giornale », **La Revue Internationale d'Egypte**, t. II, 1905.

— Canivet, R.G. : « L'Expédition d'Egypte. La Commission des Sciences et des Arts», **La Revue Internationale d'Egypte**, t. III, No. 1, 1906.

————, « L'Expédition d'Egypte », La Bibliothèque de l'Expédition, **La Revue Internationale d'Egypte**, t. IV, No. 4 et 5, 1906.

————, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », **Bull. de l'Institut Egyptien**, série 5, t. III, 1909.

— Geisse, Albert : « Histoire de l'Imprimerie en Egypte », **Bull. de l'Institut Egyptien**, 5ème série, t. I, 1907.

— Sayed, Afaf Loutfi El- (Dr.) : « The Role of the 'Ulama' in Egypt during the Early 19th Century », **Political and Social Change in Modern Egypt. Historical Studies from the Ottoman Conquest to the U.A.R.** edited by Holt, London, 1968.

— Taillefer, A. : « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », **Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies**, t. XVI, 1854.

٣ ــ وثائق منشورة

— Napoléon Bonaparte : **Allocutions et Proclamations Militaires**, par Georges Barral, Paris, 1895.

————, **Correspondance de Napoléon 1er**, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III (t. 3, 4, 5), Paris, 1858-1870.

————, **Correspondance inédite Officielle et Confidentielle de Napoléon Bonaparte** (t. II) Paris, 1819.

————, **Proclamations, Ordres du Jour et Bulletins de la Grande Armée**, Paris, 1964.

— Rousseau, François (publi.) : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte.** Documents publiés pour la Société d'Histoire Contemporaine, Paris, 1900.

٤ ــ بحوث غير منشورة

— Wassef, Amin : **L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française.** Thèse pour le Doctorat d'Université présentée à la Faculté des Lettres de Paris, 1952.

٥ ــ دوريات

— **Le Courrier de l'Armée d'Italie, 1797.**

— **Le Courrier de l'Egypte**, 1798-1801.

— **La Décade Egyptienne.** 1798-1801.

فهرس الأعلام

(أ)

آنان : ٧٨
ابراهيم (باشا ـ الوالى) : ٣٨
ابراهيم (بك ـ أمير المماليك) : ١٢٠ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٥٧ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦
ابراهيم أدهم بجمقشى زاده (ملا زاده) : ١٣٧
ابراهيم البرجى (الشيخ) : ١٤٤
ابراهيم الدسوقى (الشيخ) : ٢٦١
ابراهيم جر العايط : ١١٧
ابراهيم عبده (الدكتور) : ٢٥ ـ ٧٥ ـ ٨٠ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧
ابراهيم المويلحى : ٣٨
ابنود (قرية) : ١٩٤
ابو الريش : ٢٠٨
أبو شادى : ٢١٨
أبو عبد الله الادريسى : ٢٦٣
أبو الفتوح رضوان (الدكتور) : ٧٨
أبو قير : ٥٢ ـ ٩٦ ـ ١٠٧ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٦٥ ـ ٢٠٦
ابو مناع (قرية) : ١٦٤
أبو هيف : ٢١٨
اثناسيوس دباس (البطريرك) ٤٣
أحمد الجزار (باشا) : ١٢٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٥ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ١٩٦ ـ ٢٧٣
أحمد حافظ عوض : ٨ ـ ١١٧ ـ ٢٦٨
أحمد خورشيد (باشا ـ الوالى) : ٤١
أحمد العريشى (الشيخ) : ١٢٢ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩
أحمد محرم : ١١٧
أحمد المحروقى : ١١٧ ـ ١٣٦ ـ ١٩٧
أحمد الوالى : ٢٢٨
الآستانة : ٤٣ ـ ١٩٣ ـ ٢٦٢
استيف (استهوه) : ١٥٥ ـ ٢٠٨ ـ ٢١١ ـ ٢٢٣ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥
الاسكندرية : ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٤٦ ـ ٦٤ ـ ٩٣ ـ ١٠٧ ـ ١١٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦٩ ـ ١٩٢ ـ ١٩٥ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ ٢٤٠ ـ ٢٦٣
اسماعيل (باشا ، الخديوى) : ٣٨ ـ ٤٦ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٦
اسماعيل الخشاب : ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ١٥٣ ـ ٢٦٠ ـ ٢٨٤
اسماعيل الزرقانى (الشيخ) : ١٥٥ ـ ١٨٤

اسيوط : ٢٤٠
أطفيحية : ١٨١
البا : ٣١
الياس (ايليا) فتح الله : ٢١ ـ ٢٦٥
الياس فخر : ٢٦٤
اليوس بقطر : ٢٦٥ ـ ٢٦٦
امبابة : ١١٢
أمين واصف (الدكتور) : ٨
انطون زخورة راهبة (أنظر : رفاييل)
آوريان (لوريان ، بارجة قيادة الحملة) : ٢٢ ـ ٦٩
ايطاليا : ٢٥٧ ـ ٢٦٤
ايليشيا : ٥٨

(ب)

باريس : ١٠ ـ ١٩ ـ ٢٢ ـ ٤٣ ـ ٨٣ ـ ٢٢٦ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ـ ٢٨٩
براسفيش (براشويش) : ٢٦٠ ـ ٢٦٣
برتران (الجنرال) : ٢٨١
برتوليه : ٢٠٨
برتييه (الجنرال) : ٢٣ ـ ٤١ ـ ١٢٩
بروتان (بروتاين) : ٢٢٨ ـ ٢٢٩
بريزون : ٣٢٨ ـ ٣٣٩
بريفييه : ٢٦ ـ ٢٩
بشير الشهابي : ٢٩١
بكر (باشا ، الوالي) : ١٢٠ ـ ١٩٦ ـ ٢١٩
بلبيس : ٢٣٠
بلتيت : ٢٦٠
بلصفورة (قرية) : ٧٠
بليار (الجنرال) : ٤١ ـ ٦٨ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٧٥ ـ ١٨٥ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٥ ـ ٢٧٠ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٥
بنى سويف : ١٨١
بودو (بودوت ، الجنرال) : ٢٠٥
بودوف : ١١٤ ـ ١١٧
بوربين (الجنرال) : ٣٦ ـ ١٠١
بوسيلج (الجنرال) : ١٠٠ ـ ١٢٧ ـ ١٦٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٠ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٣ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٩
بولاق : ١٧٨
بونابرت (بونابرته ، نابليون) : ٨ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٥ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧١ ـ ٧٧ ـ ٨١ ـ ٨٤ ـ ٨٩ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٨ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٧ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٢ ـ ٢١٩ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣١ ـ

٢٣٥ – ٢٣٧ – ٢٤١ – ٢٤٤ – ٢٦٣ – ٢٦٤ – ٢٦٩ – ٢٨٠ – ٢٨١ – ٢٨٩ – ٢٩٢
٢٥١ – ٢٥٧ – ٢٦١ – ٢٦٢ –

(ت)

تاليان : ٥٦ – ٥٧ – ٦١
تاليران : ١٧
تبو صاحب (ابن حيدر) : ١٨٨
التنبيه (صحيفة) : ٧٨ – ٨٠ –
٨٤ – ٨٦ – ٢٨٤
توفيق (الخديوى) : ٢٥٦
تيرمان (الكابتن) : ٢٤٣

(ج)

جبرائيل الطويل (القس) : ٢٦٥
جبران سكروج : ٢٦٥
الجبرتى : (انظـــر : عبد الرحمن الجبرتى)
جرانميزون (برسفال : ٤٨
جرجا : ٧٠
جرجى زيدان : ٧٨
جرنال الخديوى : ٧
جلوتيبه : ١١٤ – ٢٢٣
جمال الدين الأفغانى : ٣٨
جمال الدين الشيال (الدكتور) : ٢٦٢
الجمالية (قرية) : ١٦٤
جميعى : ٢١٨
جوبير (المترجم) : ٢٦٣
جوبير (المندوب البحرى) ١٠٢
لوجورنال دى ديبا : ٣١
جوستيس (فرقاطة) : ٢٢
جوليان (الجنرال) : ٢٩ – ١٥٦
جومار : ٤٠
جونز (الدكتور مارسدن) : ٩٢ – ٢٧٧
جيار : ١٦٠
جيس (البير) : ٦٧ – ٧٤ – ٧٨ – ٨٣

(ح)

الحجاز : ٢٠٢
حسن أغا محرم : ١٢٦
حسن العطار (الشيخ) : ٢٦٠
حلب : ٤٣
الحوادث اليومية (صحيفة) : ٧٧ – ٧٨
حيفا : ١٩٢
الخانكة : ٢٣٠
خان يونس : ٢٠٤
خسرو (باشا ، الوالى) : ٤١
خليل البكرى (السيد) : ٤٢ – ٩٥ – ١١٦ – ١٢٢ – ١٣٠ – ١٣١

(د)

دارفور : ٩٢
داماس (الجنرال) : ٥٣
دلابورت : ٢٢ ـ ٢٦٠
دمنهور : ١٥٧ ـ ١٦٥ ـ ١٨٠
دمياط : ٦٦ ـ ١٨٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٩ ـ ٢٦٤
دوجا (الجنرال) : ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٣٨ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ٢١٠ ـ ٢١٥ ـ ٢٢٢ ـ ٢٧٧
دوستان (الجنرال) : ٢١٠
ديبوى (الجنرال) : ١١٢
ديار بكر : ٢١
دى برسفال : ٢٦٦
ديجنت : ٢٦ ـ ٢٨ـ ٤٣ ـ ٤٨ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٨٠ ـ ٨٥ ـ ٢٦٤ ـ ٢٨٩
دير قزحيا : ٤٢
دى ساسى (سلفستر) : ٢١ ـ ٢٦٣
دى شوازيل (دوق) : ١٧
لاديكاد اجيسيين : ٧ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ٢٥ ـ ٥٥ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦

(ذ)

ذو الفقار كتخدا : ١١٤

(ر)

الرافعى : (انظر : عبد الرحمن الرافعى)
الرحمانية : ٩٦ ـ ١٤١ ـ ١٦٥ ـ ٢٣٠ ـ ٢٨٣
رشيد : ٤٦ ـ ٦٦ ـ ١٠٤ ـ ١١٩ـ ١٢١ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٨ ـ ١٦٠ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٠ ـ ٢٤٠
رفاعة الطهطاوى : ٣٨ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٠ـ ٢٦١ ـ ٢٧٩
رفاييل (رافاييل ؛ روفائيل ،الأب): ١٥٥ ـ ٢٦٤ ـ ٢٨٤
الرملة (بلدة) : ١٩٠ ـ ١٩١
روما : ٩٤ ـ ١٩٧ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٤
رومية : (انظر : روما)
ريبو : ٢٦٠ ـ ٢٦٢
ريج : ٢٦٠
ريجا (كاميللو) : ٢٢
ريجو (جورج) : ٨٣ ـ ٢٣٩ـ ٢٤١ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩
رينو (جوفانى) : ٢٢
رينييه (الجنرال) : ٦٥ ـ ٢٢٨ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٩

(ز)

زبيدة (زوجة منو) : ١٠٤
الزرقا (قرية) : ١٦٤
الزوامل (قرية) : ٢٣٠
زينوفون : ١٩

(س)

سارتلون (الجنرال) : ١٥١ ـ ٢٢٨ـ ٢٢٩
سافاريزى (انطونيو) : ٦١
سانت هيلانة : ١٠٢
سرسنا (قرية) : ١٦٤
سعيد (باشا ، الوالى) : ٤٦
سليمان الحلبى : ٤٤ ـ ٥٤ ـ ٦٦ـ ٦٧ ـ ٨٣ ـ ١٧٢ ـ ١٧٤ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٧ ـ ٢٩٤
سليمان الفيومى (الشيخ) : ١١٦ـ ١٢٢ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٩
سليمان محمد : ١٨٠ ـ ١٨١
سليمان مراد جاك منو : ١٥٦
سنهور (قرية) : ١٨٠ ـ ١٨١
سوريا : ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ٢٣٦ ـ ٢٦٢ ـ ٢٧٠
سوسى : ٢٠٨
سوهاج : ٧٠
السويس : ٢٠٢ ـ ٢٠٦ ـ ٢٤٠
سيدتى سميث (السير) : ٣١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤

(ش)

شاتوبريان : ٣١
شارل رو : ٤٢ ـ ٧٤ ـ ٧٨
الشعراء (قرية) : ١٦٤

(ص)

الصالحية : ١٤٩
صفد : ١٩١
صيدا : ١٢٨ ـ ١٨٨

(ط)

طابور (جبل) : ١٩٢
طرابلس (الشام) : ٢٦٣
طرابلس (الغرب) : ٩٢
الطرانة (جبل) : ٢٠٦
طنطا : ٢٤٩
طيبة : ٢٦٩

(ع)

عباس (ابن الشيخ ظاهر العمر): ١٩١

عبد الرحمن الجبرتي : ٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٣٦ ـ ٤١ ـ ٤٣ ـ ٦٧ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٣ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٣١ ـ ١٣٤ ـ ١٣٦ ـ ١٤٣ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٤ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٩ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٨ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٧ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٦ ـ ٢٨١ ـ ٢٩٦

عبد الرحمن الرافعي : ٨ ـ ٧٥ ـ ٧٨ ـ ١١٥ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٤٦ ـ ١٧٢ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٣٨ ـ ٣٦٨

عبد العزيز الشناوي (الدكتور) : ٧٥ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣

عبد الله ابو السعود : ٣٨

عبد الله الشرقاوي (الشيخ) : ٩٥ ـ ١٠٠ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١٢٢ ـ ١٢٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٦ ـ ١٨٥ ـ ٢٠٢ ـ ٢٦١ ـ ٢٧٧

عبد الله الغزي : ٢٢٨

عبد الله جاك منو : (انظر : منو)

عبد الملك بن مروان : ٢٥٦

عبد الوهاب الحوش (الحاج) : ٢٠٨

عبود الصباغ : ٢٦٥

العريش : ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ١٩٠ ـ ٢٠٣ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١

مكة : ١٢٨ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٤٢ ـ ١٥٦ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ٢٠٥ ـ ٢٦٢ ـ ٢٨٢

علقام (قرية) : ١٦٤

على بهجت (بك) : ١٠٤

على كتخدا باش اختيار مستحفظان : ١٣٦

عمر بن الخطاب : ٥٠

عمر مكرم (السيد) : ١٦٨

عمرو بن العاص : ٥٠

عين شمس : ١٤٨ ـ ٢٢٥

(غ)

غالب بن مساعد (شريف مكة) : ١٠٠ ـ ١٦٥ ـ ١٨٨ ـ ٢٠٦

الغريانى : ٢١٨

غزة : ٩٦ ـ ١٢٧ ـ ١٣٠ ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥

(ف)

فالنس (بلدة) ٢٢
الفاتيكان : ٢٠ ـ٢٨٩
فانتور : ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٦٩ ـ ١٩٠ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٨٠
فريجوسي (ميناء) : ٠
فوريبه : ٤٨ ـ ٥٥ ـ ٨٢ ـ ١٨٤ـ ٢٨٤
فولار : ١١٤ ـ ١١٧
فيليب دى طرازى (الفيكونت) : ٧٧ ـ ٧٨

(ك)

كازا بيانكا : ٢٢٨
كاف : ١١٤ ـ ١١٧
كافاريللى (الجنرال ج : ٢٠
كانوب : ١٠٧ ـ ٢٣١
كليبر (الجنرال) : ٩ ـ ٢٣ ـ ٢٤ـ ٤٤ ـ ٤٨ ـ ٥٤ ـ ٥٩ ـ ٦٦ ـ ٦٨ ـ ٧٠ ـ ٨١ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ١٠٣ ـ ١٤٣ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٦١ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٧٨ ـ ٢٠٤ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٤١ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨٣
لوكوربيه دى لارميه : ٢٩
لوكوربيه دى ليجبت : ٧ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٤٢ ـ ٤٩ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٧٥ ـ ٨٠ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ١١٥ ـ ١١٧ـ ١٢٣ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٦
كوستاز : ٤٨
كونتيه : ٢٢٠

(ل)

لاكروا : ٧٤ ـ ١٩٦
لانجليس : ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٦٣
لبنان : ٢٦٤
لطف الله المصرى : ١١٧
لقمان (الحكيم) : ٦٢
لندن : ١٠ ـ ٤٣
لوريان : (انظر : اوريان)
لوفافاسير (ليون) : ٥٨
لوماكا : ٢٦٠ ـ ٢٦٣
لويس عوض (الدكتور) : ٧٦ ـ ١١٧ ـ ١٢٢ ـ ١٤٦ ـ ١٧٢ ـ ٢١٦
ليبير : ٢٨
ليدن : ٤٣

مارسيل : ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٥٤ ـ ٥٨ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٢٦٢
مارك أوريل : ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٦٠ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٥
مارمون (الجنرال) : ١٤٤ ـ ١٥٥ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢٦٩
مالطة : ٩٣ ـ ٩٤ ـ ١٠٢ ـ ١٨٨ ـ ٢٥٧
المأمون (الخليفة) : ٢٥٨
مبرجي الدقاق (مبارك ؟) : ٢٠٨
مجالون (شارل) : ١٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٦٠
المحلة الكبرى : ١٧٨ ـ ٢٤٩
محمد (سيدى ، أبو دفية) : ١٩٧
محمد الأمير (الشيخ) : ١٢٢
محمد الجوهرى (الشيخ) : ١٦٧
محمد الدواخلى (الشيخ) : ١٢٢
محمد السادات (الشيخ) : ٥١
محمد الغزى : ٢٢٨
محمد الفاسى (الشيخ) : ٤٢ ـ ٩٥
محمد المسيرى (الشيخ) : ١٤٤
محمد المهدى (الشيخ) : ٤٢ ـ ٩٥ ـ ١٠٠ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١٢٢ ـ ١٢٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٦ ـ ٢٠٢ ـ ٢٧٧ ـ ٢٨٠
محمد عبده (الشيخ) : ٢٥٦
محمد عثمان جلال : ٣٨
محمد على (باشا ، الوالى) : ٧ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٤٠ ـ ٤٥ ـ ٧٩ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٤
محمد عمر التونسى (الشيخ) : ٢٦١
محمد عياد الطنطاوى (الشيخ) : ٢٦١
محمد فؤاد شكرى (الدكتور) : ٧٥
محمود (سيدى) : ١٩٧
محمود الشرقاوى : ٧٥ ـ ١٠٢
المخا : ٢٠٧
مراد (بك ، الأمير المماليكى) : ٧٠ ـ ١٢٦ ـ ١٥٧ ـ ١٩٥ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٠ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٧٨
مرتضى الزبيدى (السيد) : ٨١
مرعى بن يوسف الحنبلى (الشيخ) : ٢٦٣
مسقط (مسكت) : ٩٢ ـ ٢٠٧
مصطفى (أغا ؛ بك ، أمير الحج وكتخدا الوالى) : ١٢٠ ـ ١٣٨ ـ ١٩٦ ـ ٢١٩
مصطفى « أغات » الشراكسة : ٢٧٧
مصطفى البروصلى : ٢٢٩
مصطفى الدمنهورى (الشيخ) : ١٢٢
مصطفى الصاوى (الشيخ) : ١١٦ ـ ١٢٢ ـ ١٣٦
مكة : ٩٢ ـ ١٢٠ ـ ١٨٨ ـ ٢٠٦ ـ ٢٤١
مكيافيللى : ٢٦٤
ملا زاده : (انظر : ابراهيم أدهم بجمقشى زاده)
ملطى : ١١٨ ـ ٢١٠
منو : ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٤٦ ـ ٥٩ ـ ٦٤ ـ ٦٨ ـ ٧٠ ـ ٧٨ ـ ٨٠ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ

١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٨ ـ
١٠٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٣ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٣ ـ
١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ٢٩٥
١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ الهدى (قائد ثـورة دمنهور) ·
١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٤ ـ ١٧٦ ـ ١٥٧ ـ ١٦٥ ـ ١٨٠ ـ
١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ مورا (الجنرال) : ٢٠٤
١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٩٥ ـ موسى السرسى (الشيخ) : ١٢٢
٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٥ ـ ٢٢٥ ـ مونج : ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٨ ـ ٢٠٨
٢٢٧ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ لو مونيتور (صحيفة) : ٣٠
٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ ميت سلسيل (قرية) : ١٦٤
٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ميخائيل الصباغ : ٣٦٥
٢٤٣ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ميخائيل كحيل : ١١٧
٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥٨ ـ
٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ـ

(ن)

نابليون : (انظـر : بونابرت) نقولا الترك : ٧٤ ـ ١٢٦ ـ ١٣٦ ـ
نخاو الثانى (الفرعون) : ٢٠٢ ١٤٣ ـ ١٥٠
لوناسيونال (صحيفة) : ٣١ نقولا مسابكى : ٤٥
نزهة الافكار (صحيفة) : ٣٨ نكتو : ٥٨

(هـ)

هاتان : (انظر آتان) الهند : ١٨٨ ـ ٢٠٢
هتشنسون (الجنرال) : ٢٣٠ هيرولد (كريستوفر) : ٢٢ ـ ١٠٢
همام (شيخ قبيلة الهوارة) : ١٠٩

(و)

وادى النيل (صحيفة) : ٣٨ ٤٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٨٦
الوقائع المصرية (صحيفة) : ٧ ـ الوليد بن عبد الملك : ٢٥٦

(ى)

يافا : ١٠٠، ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ١٦٧ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ٢٠٤ ـ ٢١٥ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢
يعقوب (الجنرال) : ٢٦٥
اليمن : ٢٠٢
يوحنا الاورشيلمي (القديس) : ٩٤ ـ ٢٥٧
يوسف السمان : ١٧٩
يوسف الشبراخيتى (الشيخ) : ١٢٢ ـ ١٢٤
يوسف باش جاويش : ١٣٦
يوسف ضيا (باشا ، الصدرالاعظم): ٢٣٠
يوسف فرحات : ١١٧
يوسف مسابكى : ٢١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٧٨٨

• هذا الكتاب

نعرف أن الصحافة نشأت فى مصر مع بدء قيام دولتها الحديثة على يد محمد على ، غير انه كانت لهذه الصحافة مقدمات ظهرت قبل ذلك فى عهد الحملة الفرنسية ، التى تميز عهدها القصير بانه كان نقطة تحول فاصلة ، هيأت الظروف لكى تبدأ مصر بعده تاريخها الحديث .

لقد كان الاعلام المطبوع من دعائم سياسة الحملة . ومن ثم فانها تجهزت بجهاز طباعى كبير ، كان فى مقدمة أغراضه تحقيق جسر من « الاتصال » بين حكومة الحملة والشعب المصرى . وكانت وسيلة ذلك تلك « المنشورات » العربية التى قرأ المصريون على صفحاتها « الكلمة المطبوعة» لأول مرة . واتسع النشاط الاعلامى للحملة ، فاصدرت صحيفة لجنودها واخرى لعلمائها ، كما أصدرت منشورات بالفرنسية ومطبوعات اخرى .

ويقدم لنا المؤلف فى هذا الكتاب دراسة قيمة لسياسة الحملة ووسائلها الاعلامية . ولقد خص المنشورات العربية ، من حيث هى البداية الحقيقية للصحافة المصرية ، بالجانب الأكبر من هذه الدراسة ، من الناحيتين الاعلامية والتاريخية جميعا . واستطاع بذلك أن يلقى الضوء على عدة حقائق لم تكن ــ على أهميتها ــ معروفة من قبل .

وتتميز هذه الدراسة بالأصالة والجدة . فقد اعتمدت اساسا على مطبوعات الحملة نفسها ، من منشورات وغيرها . وكانت صور هذه المطبوعات ــ التى تنشر لأول مرة ــ هى المصدر الأول للبحث . وقد أنفق المؤلف الكثير من الوقت والجهد فى التنقيب عن أصولها بالقاهرة وباريس ولندن ، ثم فى تحليل خصائصها ، فى ضوء خلفية عريضة من تاريخ الحملة .

انه لكتاب جدير حقا بان يحتل مكانا بارزا فى المكتبة العربية .

الثمن ٢٤٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب